سلسلة الرسائل الجامعية
(٣)

حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام

الأستاذ الدكتور
عماد محمد عمارة يس
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
بجامعتي الأزهر الشريف
والملك خالد بالمملكة العربية السعودية

أحمد عبده

دار القبلتين للنشر والتوزيع
الرياض

دار اليقين للنشر والتوزيع
المنصورة

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف عام١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنصورة تحت إشراف الأستاذ الدكتور/ عبد الخالق إبراهيم إسماعيل والدكتور/ حسين مجد خطاب . وقد حازت على المرتبة الأولى بدرجة امتياز

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق

١٩٥٦٤ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولي I.S.B.N.

977-336-095-4

دار اليقين للنشر والتوزيع

المنصورة - شارع عبد السلام عارف

الكردون الخارجي لسوق الجملة بجوار معارض الشريف

ص. ب. ٤٥٦ المنصورة ٣٥٥١١

هاتف وفاكس : ٢٢٥٥٢٤١ ٠٥٠ - جوال : ١٥٧٥٨٥٢ ٠١٠

المكتبة : مساكن الشناوي - سور مسجد التوحيد - هاتف : ٢٢١١٠٠٣ ٠٥٠

البريد الإلكتروني : elyakeen@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة الصف : ٨)

صدق الله العظيم

رجاء

أرجو من السادة القراء جزاهم ا لله خيرًا

أن يتوجهوا إلى الله سبحانه وتعالى بخالص الدعاء

للمرحوم الأستاذ الدكتور / عماد محمد عمارة

فقد استشهد يوم الأحد الموافق ٧ / ١٠ / ٢٠٠١م

رحمه الله رحمة واسعة

عمارة محمد عمارة

الإهداء

إلى والديّ الكريمين

اعترافا بفضلهما .....

أداء لبعض واجبهما عليّ .....

عرفانًا بما بذلاه معي في الحياة .....

أتقدم بهذا الكتاب

داعيًا المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتهما ...

وأردد قول الله تعالى : ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ .

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾(١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق الإنسان ، علمه البيان، شرع له شرائع تحدد له معالم طريقه ، وتهديه إلى صراط مستقيم.

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٢) .

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وخير الأنام، محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي ضرب لنا المثل الرائع في الإنسانية الكاملة من غير إفراط ولا تفريط ، فكان يجمع بين الدين والدنيا في كل حركة من حركات حياته اليومية والليلية، إذ كان سلوكه يطابق عمله وفعله، فلم تفض روحه إلى بارئها إلا بعد أن أتم الرسالة وأدى الأمانة على خير وجه وأتمه ، ورسم المنهج الذي يقود متبعيه إلى الرقي والتقدم، لأن المنهج الذي نزل به جبريل ـ عليه السلام ـ على قلبه، جاء ليبني الإنسان الراشد فكرًا وسلوكًا، كما جاء ليبني المجتمع ماديًا ومعنويًا ، ومن ثم نرى قول الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ

(١) سورة إبراهيم / من الآية ٣٤ .

(٢) سورة المائدة / من الآية ٤٨ .

دِينًا﴾[1] .

ورضي الله عن صحابته الأجلاء الذين استجابوا لما يحييهم سعداء في الدنيا وفي الآخرة ، فامتثلوا قول الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2] .

وطبقوا شرع الله فيما بينهم وبين غيرهم قولاً وسلوكًا ، حتى كشفوا للعالم كله قدرة النظام الإلهي على تحقيق السعادة للفرد وللأسرة وللمجتمع ، إذا التزم الجميع بمنهج الله ، فرضى الله عنهم أجمعين ...

أما بعد :

فمنذ انتشر نور الإسلام في ربوع الجزيرة العربية ، وأضاء نوره الأرض جمعاء ، والعداء مستحكم من اليهود والنصارى (الإفرنج) والمجوس ـ وأعداء الإسلام عامة ـ لهذا النور الذي انتشر سناه في كل مكان من أرض ا لله ، ومن ثم نرى هؤلاء يضعون المخططات ويدبرون المؤامرات ، ويجمعون التجمعات العالمية، للكيد للإسلام وأهله، ولكسر شوكته القوية، ومكافحة دعوته السارية في كل مكان، ودحر الإسلام في كل ميدان، فلقد حاولوا بما أوتوا من قوة أن يصلوا إلى محور الإسلام وإطفاء نوره ولكنهم لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا ، وكيف لهم ذلك والله قد قال في كتابه الكريم:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3] .

ولكنهم مع ذلك لم ييأسوا من الكيد للإسلام وأهله ، فعمدوا إلى حياة المسلمين ليطبعوها بطابع الإغراء ، حتى أطلقوا على الفوضى والهمجية حرية، وسموا لذة الجسد وعشق الجنس، وقهر العقل، وقسر القلب، وإكراه الذوق، حضارة وتقدمية وديمقراطية، ورفعوا الشعارات البراقة التى حاولوا من خلالها الإستحواذ على قلوب المسلمين، والسيطرة عليهم فكرًا وسلوكًا ، ومن ثم أتيحت لهم أسمى فرصة تمنوها منذ أجمعوا على العداء للإسلام والمسلمين، ألا وهي سلب حقوق المسلمين، وابتزاز أموالهم.. إلى غير ذلك مما وصلوا إليه، حتى أضحى هذا العصر يموج بتيارات مضادة

(١) سورة المائدة / من الآية ٣ .
(٢) سورة الأنفال / من الآية ٢٤ .
(٣) سورة الصف / الآية ٨ .

مصادمة لفكر الإنسان وعقله، ومبادئ ونظريات تتصارع وتتنازع، حتى اصطبغ المجتمع بصبغة الفوضى والهمجية التى تقضي على القيم والمثل والمبادئ والأخلاق .

ومن أقوى هذه القضايا التى ركز عليها أعداء الإسلام جهودهم، وبذلوا للوصول إليها كل غال ونفيس، قضية المرأة ، التى استغلوها كسلاح في معركتهم ضد الإسلام والمسلمين، وزجّوا بها إلى هاوية الجحيم والشقاء ، إذ أغروها بشعارات خادعة باسم تحرير المرأة ، والأخذ بيدها إلى حضارة الغرب الزائفة ، والدعوة إلى تقليد المرأة المسلمة للمرأة الغربية، وغير ذلك من الدعوات الهدامة التى استغلها أعداء الإسلام ضد المرأة المسلمة، والتى لم يصب الإنسان من ورائها إلا القلق والصراع والحرمان والمرض الذي ألمّ بالعالم في عصرنا هذا .

لذا فإني قد اخترت هذا الموضوع :

«حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام»

للأسباب الآتية :

١- لقد تعددت الدراسات عن المرأة المسلمة، ولاسيما في هذه الآونة التى كثر فيها الكلام عن جميع جوانب حياتها، بعد أن تطلعت أعين الكتّاب والمفكرين إلى أحوال المرأة قوة وضعفا، وربطوا ذلك بقضية الإنتاج تارة، وأن المرأة نصف المجتمع فكيف يعيش نصف المجتمع عاطلا، فضلا عن أن العمل يوسع آفاقها وينمي شخصيتها ، إلى غير ذلك مما أثاره الذين اتصلوا بالحضارة الغربية، وانبهروا بأنوار المدنية الغربية، فربطوا رقيّ المجتمع الغربي بعمل المرأة، ومن ثم نادوا باتباع منهج الغرب في كل صغيرة وكبيرة .

أما الفريق الآخر من الدارسين لقضية المرأة فقد درسوا المرأة من خلال نظرة الإسلام إليها ، موضحين كيف صان الإسلام المرأة ، وحافظ على كرامتها ،وراعي إنسانيتها، وأعطاها ما يتناسب مع آمالها وعواطفها، ومن ثم نأي بها أن تكون مصدر فتنة للرجل، أو فساد للمجتمع، فدعا هؤلاء الدارسون إلى تمسك المرأة المسلمة بعفتها وأخلاقها التى رسمها منهج الإسلام، حتى لا تصل إلى ما وصلت إليه المرأة الغربية .

٢ـ لقد حاولتُ من خلال عرضى للقضايا المثارة عن المرأة المسلمة ـ سواء ما يتعلق بالجانب المادي أو المعنوى ـ أن أكون منصفًا في الحكم قدر استطاعتي ، فلم أدع إلى ما دعى إليه أعداء الإسلام من خروج المرأ ة سافرة متبرجة، بل دعوت إلى تمسك المرأة بعفافها، كما لم أدع إلى خروج المرأة للعمل إلا إذا دعت الضرورة القصوى لخروجها، وقد حرصت على أن أدلل لكل قضية أثيرت على صفحات الكتاب بالإيجاب إذا كنت موافقا على ذلك، وبالسلب إذا كان الأمر لا يتوافق مع تعاليم الإسلام، وحرصت أن أعزو كل قول لقائله، وإذا كان هناك من خلاف في مسأله ما، حاولت التوفيق والتوضيح مبينا الرأي الذي أميل إليه .

٣ـ لقد حاولت من خلال ردّي على أدعياء التحرر، وأعداء الفضيلة، أن ألزمهم الحجة من واقع مجتمعاتهم التحررية، التى انتشر فيها التحلل والإباحية، حتى أدت بهم إلى القلق والاضطراب ، وتفكك الأسرة ، وشيوع الجنس الرخيص، مما حدى بكثير من الكتّاب والمفكرّين الغربين بالمناداة إلى عودة المرأة لبيتها، ومنع الإختلاط، وغير ذلك من المشاكل التى أدت بهم إلى سقوط حضارتهم، وتفكك أسرهم ، وليس هناك أقوى من أن أسوق نتيجة الاستفتاء الذي حدث في الولايات المتحدة بصدد تعيّن المراة وخلاصة هذا الاستفتاء كما ذكرها الدكتور مصطفى السباعي تكمن فيما يلي :

«إن المرأة متعبة الآن ، ويفضل ٦٥٪ من نساء أمريكا العودة إلى منازلهن، كانت المرأة تتوهم أنها بلغت أمنية العمل، أما اليوم، وقد أدمت عثرات الطريق قدميها، واستنزفت الجهود قواها، فإنها تود الرجوع إلى عشها والتفرغ لاحتضان فراخها[١]».

٤ـ نظرًا لاختلاف المفاهيم وتزييفها لدى قِطاع كبير من الكتّاب والمفكرين، ولاسيّما من يخضعون لجمعيات وإدارات سياسية، تسير وفق مخططات صهيونية عالمية، أردتُ أن أصحح المفاهيم التى زيّفوها ، وألبسوا من خلالها الباطل ثوب الحق، والحق ثوب الباطل، حتى ينفذوا من خلال ذلك إلى عقول الشباب والفتيات، ليغروهم بتلك

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون / د. مصطفى السباعي / الطبعة السادسة سنة ١٩٨٤م / الناشر: المكتب الإسلامي / بيروت .

المفاهيم الخاطئة فنادوا بالحرية والتحرر، والتقدمية، والتطور مع العصر، وغير ذلك من الشعارات البرّاقة ، التى في ظاهرها المصلحة العامة، وفي باطنها السم الزعاف .

ولقد ركزت جهدي بأن أوضح مدى حرص الصهيونية العالمية على انهيار الأخلاق، بسيطرة الشهوات والغرائز الجنسية على عقول الشباب والفتيات ووضحت من خلال ذلك أن هناك فرقًا واضحًا بين الحرية والتحرر، فالحرية هي الالتزام بما أمر به الله ورسوله والانتهاء عما نهى عنه الله ورسوله ، أما التحرر، فهو الخروج عن منهج الله ورسوله ، والسير في ركاب شياطين الإنس والجن .

وعلى ضوء هذين التعريفين يكون الحر هو الملتزم بمنهج الله ، أما المتحرر فهو الخارج عن منهج ا لله .

٥- في الوقت الراهن الذي خطّط فيه الاستعمار ومن قبله الصهيونية العالمية لهدم الأسرة وزلزلة أركانها ، تأتي صيحة الإسلام مدوية في كل مكان، بأنه لابديل عن الإسلام منهجًا للحياة، وسلوكا لأفراد المجتمع، ومن ثم أردت من خلال هذا البحث المتواضع أن أبين المنهج القويم والطريق المستقيم الذي رسمه ربنا - جل في علاه - ليكون تبصرة لمن أراد أن يستبصر ويقف على تعاليم دينه في كل حركة من حركات حياته، ولاسيما ما يتصل بالأسرة المسلمة من زواج وعلاقات داخلية وخارجية، حتى ترفرف راية القرآن الكريم على بيوت المسلمين، فيسعد المجتمع وتسير الحياة كما أمر الله ومن ثم تنتشر الفضيلة في المجتمع، وتمحى الرذيلة، ويندحر أعداء الإسلام. ولن يتم ذلك كله إلا إذا التزم كل فرد بإصلاح بيته أولا، فيخرج للمجتمع فردًا مسلمًا، ثم استطعنا من خلاله أن نقيم أسرة مسلمة، ثم مجتمعًا مسلمًا وصدق ا لله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(١) .

وبذلك يُثبتُ للعالم كله أننا أمة لنا قيمنا ومبادئنا التى من خلالها نتحكم في غرائزنا وشهواتنا، ونعتصم بها من الوقوع فيما حرم ا لله .

---

(١) سورة الرعد الآية ١١ .

ومن خلال صفحات هذا الكتاب حدّدت المسئولية التى تلزمنا كأفراد أمة بتطبيق هذه الحلول الإسلامية التى تتوافق مع تعاليم الإسلام .

وهذه المسئولية تقع على عاتق كل من :

١ـ العلماء .

٢ـ أفراد الأمة الإسلامية .

٣ـ مسئولية رجال الإعلام .

٤ـ مسئولية الحكام .

فإذا تضافرت كل تلك القوى استطعنا أن نقيم مجتمعًا مسلمًا ترفرف عليه راية الإسلام عالية خفاقة في كل مكان .

ونظرًا لأهمية هذا الموضوع ـ حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام ـ وقع اختياري عليه بتوفيق من الله ـ سبحانه وتعالى ـ :

موضوعات الكتاب:

وقد قمت بتقسيم هذا الكتاب إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة...

هذا وكانت موضوعات الكتاب كالآتي :

١ـ **المقدمة:** وتشتمل على سبب اختيار الموضوع .

٢ـ الباب الأول:

ويقع تحت عنوان «**أهداف حركة تحرير المرأة**»

ويتكون هذا الباب من فصلين:

الفصل الأول: أتباع النفوذ الاستعماري وراء هذه الحركة .

الفصل الثاني: الدعاية والوسائل لهذه الحركة .

٣ـ الباب الثاني:

ويقع تحت عنوان «**حرية المرأة بين الإسلام ودعاة الحرية في العصر الحديث**»

ويتكون هذا الباب من ثلاثة فصول:

الفصل الأول : مفهوم الحرية في الإسلام .

الفصل الثاني: حرية المرأة في الإسلام .

الفصل الثالث: حرية المرأة عند أدعياء التحرر .

٤ـ الباب الثالث:

ويقع تحت عنوان «**خلفيات المؤامرة على المرأة المسلمة**»

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: القضاء على الحجاب الإسلامي .

الفصل الثاني: منع الزواج بأكثر من واحدة .

الفصل الثالث: الدعوة إلى تقييد الطلاق .

٥ـ الخاتمة:

وتتضمن خلاصة الكتاب وأهم نتائجه، والتوصيات التى يراها المؤلف ، وقد اعتمدت فيه بتوفيق من الله - تعالى- وعونه، على كثير من المراجع الخاصة الأصلية، كالتفاسير، وكتب الحديث، والتاريخ والسير، والفقه ، والمعاجم والتراجم، إذا استدعى الأمر، كما استعنت بالكتب العامة التى تمس صلب الرسالة من قريب أو بعيد، وحاولت أن أعزو كل قول لقائله حتى أكون أمينا في النقل، كما أشرت إلى المراجع التى نقلت منها عقب كل فقرة نقلتها، وكنت أشفع النقل بالإشارة إلى الجزء والصحيفة، والطبعة، ودار النشر غالبًا، ولاسيما إذا كان النقل لأول مرة، فإذا تعدد المنقول من نفس المرجع فلا أذكر الطبعة إكتفاءً بما ذكر أولاً .

والله أسأل أن يلهمنا الصواب في أعمالنا، والرشاد في أقوالنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا :

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا

أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين﴾(١)

هذا وأقول كما قال غيري من قبل:

«إنى وإن لم آل جهدًا في تأليف هـذا الكتاب وترتيبه و لم أدخر جهدًا في تسديده وتهذيبه ، فلابد أن تقع عثرة وذلة، وأن يوجد فيه خطأ وخلل، فلا يتعجب الواقف عليه منه، فإن ذلك مما لاينجو منه أحد، ولايستنكفه بشر، وقد روى البويطي عن الشافعي رحمه الله أنه قال له إني صنعت هذه الكتب فلم آل فيها الصواب ، فلابد أن يوجد فيها ما يخالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله ،فإني راجع عنه إلى كتاب ا لله وسنة رسوله، وقال المزني قرأت كتاب الرسالة على الشافعي ثمانين مرة، فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ، فقال الشافعي هيه، أبى الله أن يكون كتابًا صحيحًا غير كتابه، فالمأمول ممن وقف عليه بعد، إن جانب التعصب والتعسف، ونبذ وراء ظهره التكلف والتصلف، أن يسعى في إصلاحه بقدر الوسع والإمكان، أداءً لحق الأخوة في الإيمان، وإحرازًا لحسن الأحدوثة بين الأنام، وادخارًا لجزيل المثوبة في دار السلام، والله الموفق والمثيب، وعليه أتوكل وإليه أنيب(٢) .

هذا وقد قصدت قدر استطاعتي أن أوفي الموضوع حقه، فإن أصبت فا لله الموفق وأن أخطأت فهذا شأن البشر ..

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(٣) .

* * *

(١) سورة البقرة/ الآية ٢٨٦ .

(٢) من كتاب الأسرار عن أصول فخر الإسلام اليذدوي / حـ١ / ص٤ / طبعة دار الكتاب العربي بيروت / لبنان / للإمام علاء الدين عبد العزيز أحمد البخاري .

(٣) سورة هود / من الآية ٨٨ .

البَابُ الأَوَّل

أهداف حركة تحرير المرأة

الفصل الأول : أتباع النفوذ الاستعماري وراء حركة تحرير المرأة .

الفصل الثاني : الدعاية والوسائل لحركة تحرير المرأة .

الفصل الأول

أتباع النفوذ الاستعماري وراء حركة تحرير المرأة

منذ وطئت أقدام المستعمرين أرض مصر والعالم الإسلامي، وهم يفكرون في القضاء على الإسلام مهما كلفهم ذلك من غال ونفيس لديهم، فكانت أفكارهم كامنة في أن الإسلام عدوهم الألد، ومن ثم عملوا جاهدين على تقسيم العالم إلى قسمين شرق وغرب، ويعنون بالشرق أهل آسيا وأفريقية، والغرب هم الذين يريدون السيطرة على الشرق، واستعبادهم واستغلال ثرواتهم، ولم يكن هذا التفكير وليد اليوم أو الأمس، ولكنه منذ القديم، والقوى تتصارع على السيادة والسيطرة، ويتمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم، وبين المسلمين والروم وبين المسلمين والصليبيين، وبين العثمانين والأوربيين، ثم تأتي آخر الحلقات ممثلة في الصراع بين الشرق ممثلا في آسيا وأفريقية، وبين الغرب ممثلا في أوربا وأمريكا .

ولقد كان الصراع من أوربا وأمريكا يسير على محاور ثلاث ، محور سياسي، ومحور اقتصادي، ومحور ثقافي، والذي يهمنا من ذلك هو المحور الأخير ـ المحور الثقافي ـ إذ كان هو معقد آمالهم، ومهوى أفئدتهم، ومحط رحالهم، لأنهم ما أرادوا السيطرة على البلاد أكثر ما أرادوا السيطرة على العباد، وإفساد المسلمين فكرًا وسلوكًا، ومن ثم نراهم يجمعون على العداء التام للإسلام والمسلمين، كما صرحوا في كثير من كتاباتهم بأنهم لن يهدأ لهم بال إلا إذا قضوا على الإسلام ممثلاً في القضاء على القرآن والكعبة، والمسلمين ممثلاً في تذويب تعاليم الإسلام في نفوسهم من جهة، وتفتيت وحدتهم من جهة أخرى .

يقول الأستاذ / جلال العالِم : « أعداؤنا يقولون: يجب أن نُدمرَ الإسلام لأنه مصدر القوة الوحيد للمسلمين، لنسيطر عليهم، الإسلام يخيفنا، ومن أجل إبادته نحشد

كل قوانا، حتى لايبتلعنا»(١) .

إن هذا الحقد الدفين من أعداء الإسلام ليس وليد اليوم، ولكنه منذ بزوغ فجر الإسلام، واليهود يخططون لهدمه والقضاء عليه، وينتهزون الفرصة المواتية للقضاء على أهله ، أو السيطرة عليهم بأي وسيلة، و لم يكن يقصدون بالسيطرة ـ السيطرة المادية ـ بل السيطرة المعنوية، إذ كان هدفهم الأسمى من غزو ديار المسلمين، القضاء على الإسلام، ومن ثم نراهم يخططون لتفتيت وحدة المسلمين والقضاء على الإسلام ، ليسهل لهم السيطرة على المسلمين ماديًا بعد أن يسيطروا عليهم معنويًا، وهذا يتحقق لهم في حالات عديدة مثل ضعف المسلمين وتفككهم وعدم تمسكهم بتعاليم الإسلام ومواكبتهم للتقدم والأخذ بأسباب العصر الحديث ... الخ .

يقول مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي المعاصر» :

«إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجًا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، يجب محاربة الإسلام ، للحيلولة دون وحدة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائمًا مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره ، إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر في القارة الأفريقية»(٢) .

ومما يدل دلالة أكيدة على أن الغربيين لم يكن همهم السيطرة على بلاد المسلمين أكبر من همهم السيطرة على عقولهم، ومحو تعاليم الإسلام من نفوسهم، والوقوف أمام المد الإسلامي حتى لاينطلق عبر المحيطات فيغزو فرنسا، وأمريكا، وغيرها من البلاد الغربية، ما ذكره الأستاذ / جلال العالِم :

«بعد استقلال الجزائر ألقى أحد كبار المستشرقين محاضرة في مدريد كان عنوانها: لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر: أجاب على هذا السؤال بشرح مستفيض ملخصه: إننا لم نكن نسخر النصف مليون جندى من أجل نبيذ الجزائر أو صحاريها ، أو

---

(١) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، الأستاذ / جلال العالِم ، ص ٦ .
الناشر : المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع .

(٢) نقلا عن مجلة روزاليوسف في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٩٦٣م.. وانظر كتاب قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله ، ص ٣٧ .

زيتونها، إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوربا الذي يقف في وجه زحف إسلامي محتمل يقوم به الجزائريون وإخوانهم من المسلمين ، ليستعيدوا الأندلس التى فقدوها، وليدخلوا معنا قلب فرنسا بمعركة مواتية جديدة ينتصرون فيها، ويكتسحون أوربا الواهنة، ويكملون ما كانوا قد عزموا عليه أثناء حلم الأمويين بتحويل المتوسط إلى بحيرة إسلامية خالصة، من أجل ذلك كنا نحارب في الجزائر(١) .

وتمضي الأيام والسنين وإذا بأعداء الإسلام يخططون لمحو الخلافة الإسلامية، والقضاء على وحدة المسلمين مهما كلفهم ذلك، لأنهم علموا أنه لا بقاء لهم في ديار الإسلام إلا إذا قضوا على الخلافة الإسلامية ، ولماذا كان هذا هو هدفهم الأول؟

لقد كانت الخلافة الإسلامية تسير على منهج الله ، أينما غدت أو راحت، ومن ثم حافظ العثمانيون على تحكيم كتاب الله فيما بينهم بما أوتوا من أسباب القوة، وكانوا بذلك ممتثلين لقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾(١) .

ونستطيع أن نجمل أهم الأسباب التى تمسك بها العثمانيون على أن يظل العالم الإسلامي متمسكًا بتعاليم الإسلام فيما يلي :

١- حرص العثمانيين على إقامة العدل كأساس لملكهم .

٢- حفاظهم على مبدأ الجهاد لنشر دعوة الإسلام ، ومن ثم يسهل لهم حفظ أعراض المسلمين ودمائهم وأموالهم .

٣- احترامهم الشديد لعلماء الأمة الإسلامية والرجوع إليهم في مهام الأمور .

٤- عدم اغترارهم بكثرة الجنود والأموال، لأنهم علموا أن هذا نذير هلاك الأمم.

٥- الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية ، مع عدم مخالفتهم لأحكامها، أدى بهم إلى ترك البدع والمنكرات، ومن ثم كانت لهم الغلبة والسيطرة على غيرهم .

---

(١) قادة الغرب يقولون ، ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٢) سورة الحج / الآية ٤١ .

٦ـ التفافهم حول الخلافة الإسلامية، وعدم التفرقة بين مسلم وآخر، مهما كان لونه أو جنسه، أو دمه أدى بهم إلى القوة وعدم الفرقة قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1] .

إن أمة بهذا الوصف، وتلك الغاية النبيلة، التى تتمسك بدينها وبشرع ربها تستحق البقاء والخلود، ولكن هيهات هيهات لأعداء الإسلام، الذين لايهنأ لهم بال إلا بالقضاء على الإسلام ممثلا في القضاء على الخلافة الإسلامية، فهل تم لهم ما أرادوا؟ أم لا؟ هذا ما أود أن أوضحه من خلال هذه الصفحات، ولن أصل إلى ذلك إلا بعد توضيح الخط الذي سار عليه أعداء الإسلام للوصول إلى القضاء على الخلافة الإسلامية ..

موقف الصليبيين من الخلافة الإسلامية:

يمضى الصليبيون في سيطرتهم على البلاد الإسلامية حسب الخط الذي رسموه، فلقد أعدوا لكل دولة خبراءها المتخصصين وكان هدفهم ذا شقين:

الشق الأول: السعى إلى إزالة الفواصل الناشئة عن اختلاف القيم بين المسلمين والأوربيين، حتى يستطيعوا تقريب الصلات وإحلال مفاهيمهم بدلا من المفاهيم الإسلامية .

الشق الثاني: توهين الرابطة الدينية التى تربط بين المسلمين، حتى يسهل لهم السيطرة على البلاد في أوجز فترة ممكنة ، وبالتالى يسهل لهم التعامل مع كل دولة على حدة حسب الخط الذي رسموه للوصول إلى أهدافهم وهو إلغاء الخلافة الإسلامية.

إذا كان هذا هو الهدف والغاية التى رسمها أعداء الإسلام للقضاء عليه فما السبيل الذي سلكوه للوصول إلى غايتهم .

إن السبيل متشعب الجوانب مترامي الأطراف، من الممكن أن نوجزه في هذه النقاط التى ارتكز عليها هؤلاء الصليبيون الحاقدون على الإسلام والمسلمين :

---

(١) سورة آل عمران / الآية ١٠٣ .

١ـ المناداة بفصل الدين عن الدولة «العلمانية»:

واتخذوا لذلك طريقًا معاديًا للإسلام والمسلمين، إذ ربطوا سر تأخر المسلمين بتمسكهم بدينهم، ومن ثم أبرزوا السلبيات في المجتمع الإسلامي، وألصقوا التهم بالإسلام حتى ينفروا الناس منه، واستخدم المبشرون والمستشرقون هذا الجانب في إبعاد المسلمين عن دينهم، ليصلوا إلى فصل الدين عن الدولة، وصوروا للمسلمين أنهم إن ظلوا متمسكين بدينهم سيصلوا إلى ما وصل إليه رجال الكنيسة التى سيطرت على عقول الناس وأذهانهم حتى فرضت صكوك الغفران وقرارات الحرمان من رحمة الله ، كل ذلك عن هوى وغرض دنئ من رجال الكنيسة .

ونسي هؤلاء المتعصبون أن الإسلام لا يعرف هذا الطريق، بل إنه يترك العنان للإنسان يفكر ويقتنع بما اعتنقه؛ لأن الإسلام سيتدخل معه في كل حركة من حركات حياته فهو ينظم شئونه كفرد، وشئونه مع الجماعة كأسرة أو أي جماعة تربطه بهم صلة دينية أو سياسية ، كما ينظم شئون الدولة مع غيرها من الدول الأخرى؛ لأن الأفراد منهم تتكون الدولة، والدولة جزء من الدين لايجوز لأحد مهما كان شأنه أن يفصلها عن الدين .

ومن ثم علم هؤلاء الغربيون الحاقدون أن سر سعادة المسلمين في تمسكهم بدينهم، فأرادوا فصل الدين عن أمور حياتهم، وروجوا هذه الفكرة عن طريق الأحزاب التى أنشأوها لبث مثل هذه الأفكار الهدامة، مثل حزب الاتحاد والترّقي في تركيا، الذي عمل جاهدًا في ترويج هذه الفكرة حتى استطاع عن طريق ضباطه عزل السلطان عبد الحميد عن دولة الإسلام، هذا السلطان الذي رفض أن يعطى فلسطين وطنا لليهود، وبصق في وجه زعيمهم قرصو رغم كل المغريات التى عرضت عليه .

هكذا تحقق للصليبين أسمى هدف تمنوه منذ أن وطئت أقدامهم أرض مصر وغيرها من الدول الإسلامية، وفي ظل هذا الخداع الصليبي استطاعت أوربا أن تنشئ في كل بلد عربي حزبًا أو أكثر، يعمل على تمكينها في البلاد باسم التحرير أو الوطنية أو

التقدم إلى غير ذلك من الشعارات البراقة التى اتخذوها للوصول إلى أهدافهم ولاسيما الشعارات التى تتغنى بها أندية الروتاري والليونز وغيرها من الأندية الماسونية المشبوهة من أمثال : الإخاء والمساواة والمحبة .... الخ .

٢ـ نشر القومية للقضاء على الخلافة[١]:

لقد كانت الدعوة إلى الإسلام في أي مكان تَقُضُّ مضاجع اليهود والصليبين وأعداء الإسلام، فعملوا جاهدين على الدعوة إلى القومية، حتى يستطيعوا تفريق كلمة المسلمين، وتفتيت قواهم وتشتيتها، لأنهم علموا أن الدين واحد ومن ثم فهو يجمع لايفرق، أما القومية فتفرق ولا تجمع، وبالتالي فالدعوة إلى القومية مترتبة على فصل الدين عن الدولة .

ولقد لعب الاستعمار دورًا خطيرًا مع دعاة القومية في هذا الوقت، فكان بمثابة اليد الخفية في بث هذه الفكرة، فبعث عملاءه في كل مكان ليدعو إلى هذه الفكرة.

يقول الدكتور / على محمد جريشة : «كانت اليد الخفية التى تعمل على تفويض الخلافة ببث فكرة فصل الدين عن الدولة تعمل من ناحية أخرى عن طريق القومية على :

- إثارة القومية العربية داخل الولايات التابعة للخلافة .
- إثارة القومية الطورانية داخل دولة الخلافة (تركيا) .
- إثارة القومية العربية داخل الولايات التابعة للخلافة .

والأولى تعهدها حزب الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة.

والثانية انزلق إليها الشريف حسين ظنًا منه أنها الوجه الآخر للإسلام[٢] .

---

(١) بدأت الدعوة إلى القومية العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتألفت في بيروت جمعية سرية لهذا الغرض في سنة ١٢٩٢هـ ، ١٨٧٥م .

(٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / د. علي محمد جريشة، محمد شريف الزيبق / ص ٤٠ ـ ٤٩ / الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٩م / الناشر دار الاعتصام .

ولقد علـم الصليبيون وأعداء الإسـلام أنهم إذا وصلـوا إلى هذا الأمر، نشأ الخلاف والتطاحن بين المسـلمين بعضهم بعضا، كل يتعصب لقوميته ووطنه، وبالتالي يصلوا إلى ما تمنوه من قبل وهو :

٣ـ إسقاط الخلافة الإسلامية:

لقـد أصبحت الخلافـة كالرجل المريـض الذي يحتاج إلى عـلاج ناجح، وإلا سـيلقى حتفـه، فهل وجدت الخلافـة من يسـاندها ويقوم على نشـر فكرة الـترابط والاتحاد بين المسلمين؟ أم ماذا حدث؟

إن التاريخ يُذكّرنا بأن مصطفى كمال أتاتورك بعد أن خاض الحروب الطاحنة ضد أعداء الإسـلام، واسـتطاع بجيشـه المسـلم أن ينتصر على سـبع دول كافرة، لقد كانت الخلافة في عهده أشبه برجل فتى يستطيع أن يصرع كل من يقترب منه، ولكن سرعان ما أتى الزمان عليه بمصائبه، وحلت عليه الليالي ، فأجهزت عليه .

هذا مـا حدث للخلافـة، لقـد عاش أعـداء الإسـلام يرهبـون المسـلمين، ولكنهم لم ييأسـوا مـن التخطيط المسـتمر للقضاء عليهـم، ممثلا في القضاء علـى الخلافة الإسـلامية فماذا تم لهم ؟

لقد رسموا هذه الخطة للوصول إلى أهدافهم ممثلة في مراحل عديدة نجعلها في يلي :

المرحلة الأولى : ممثلة في:

أ ـ الحروب الصليبية .

ب ـ الاستشراق .

جـ ـ التبشير .

وهذه أول مرحلة من مراحل الغزو الفكري الغربـي ومن الممكن أن نسميها مرحلة ما قبل إسقاط الخلافة .

٢ـ المرحلة الثانية: القضاء على الخلافة الإسلامية:

وتتمثل هذه المرحلة فيما يلي :

أ ـ قضية فصل الدين عن الدولة .

ب ـ نشر القومية في مواجهة الخلافة .

جـ ـ إسقاط الخلافة .

وهذه هي المرحلة الثانية ومن الممكن أن نسميها مرحلة إسقاط الخلافة .

٣ـ المرحلة الثالثة :

وهذه المرحلة تمثلت فيما يلي :

١ـ التغيير السياسي والاجتماعي في المنطقة الاجتماعية .

وتمثلت أساليب التغيير فيما يلي :

أ ـ العلمانية في التعليم والإعلام والقانون .

ب ـ الدعوة إلى القومية .

جـ ـ قضية تحرير المرأة .

ومن أراد المزيد في هذا الأمر والاطلاع على أسرار الصليبين وأعداء الإسلام فليرجع إلى هذه الكتب التى تحدثت في هذا الأمر[1] .

والذي يهمنا من ذلك كله قضية تحرير المرأة وخروجها إلى العمل سافرة متبرجة، واختلاطها بالرجال، وتقليدها للمرأة الغربية في زيها والسير على تعاليم الغرب في أمور حياتها .

هذا ما أود أن أركز عليه في هذا الموضوع، لأنه يمس صلب هذا الكتاب فأقول وبالله ـ تعالى ـ التوفيق .

لم تنشأ قضية تحرير المرأة ما بين عشية وضحاها، بل اتخذ الصليبيون لذلك خطًا مدروسًا يسيرون على نهجه، فبعد أن بدأ الأوربيون يتطلعون إلى مصر ـ قلعة الإسلام ـ للسيطرة عليها، ولم يتم لهم ما أرادوا ، فرحل نابليون عن مصر سنة ١٨٠١، كما

(١) أساليب الغ و الفكري / د. محمد علي جريشة والأستاذ / محمد شريف الزيبق من ص ١٥ ـ ص ٨٥ ، وكتاب الاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي/ الأستاذ الجندي/ ص ٤٦ / ٤٧، المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام/ الأستاذ / محمد محمود الصواف ص ١٢٣ / ١٦٢ ،وكتاب عقبات في طريق النهضة/ الأستاذ أنور الجندي ، ٢٩- ٥٣ .. بحوث في حاضر العالم الإسلامي د / يسري هاني، مراجعة .
أ.د. مراجعة أ. د. عمارة نجيب/ من ص ٦٧ ـ ٩٧ ، كتاب جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين / زياد أبو غنمية / ص ١٧ ، ١٨ .

عُـزِلَ خورشيد عن حكم مصر، واختير محمد على ليكون واليا على مصر في ١٣ مايو سنة ١٨٠٥م ، واشترط عليه الشعب أن يحكمهم بالعدل، ومرت الأيام وجاءت حملة فريزر على مصر سنة ١٨٠٧م ، وأرادوا عزل محمد على، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك لحب الشعب له وتمسكه به ، ولكن محمد على تخلص من المماليك في مذبحة القلعة سنة ١٨١١م ، ثم اتجه محمد على بعد ذلك إلى تحديث مصر عسكريًا، فأنشأ المدارس الحربية، ومدارس الطب والصيدلية والهندسة .

ولكن المصريين لايستطيعون تدريس هذه العلوم ، فما الموقف إذًا؟

كان لابد أن يرسل بعثات إلى الخارج لتتلقى هذه العلوم من أوربا، وتأتى إلى مصر مزودة بتلك المعارف .

يقول الدكتور/ إبراهيم عوضين: « ولذلك أرسل محمد علي - في سنة ١٨١٣ طائفة من الشبان لدراسة الفنون العسكرية في إيطاليا ، وأرسل بعثة أخرى إلى إنجلترا لدراسة علم الحيل (الميكانيكا) وغيرها، وأسس في سنة ١٨٢٥م مدرسة حربية إعدادية واتخذ لها قصر ابن العيني مقرّا ، وأنشأ سنة ١٨٢٦ مدرسة للطب بجهة أبي زعبل وكان يديرها (كلوت بك) الطبيب الفرنسي، ومعه طائفة من الأطباء الأجانب وقد اختير أكثر طلبة هذه المدرسة من المصريين خصوصًا نابغي طلبة الأزهر، وأنشأ مدرسة للهندسة في القلعة، وأخرى للصيدلة ، وثالثة للطب البيطري ورابعة للزراعة، واستقدم الأساتذة من فرنسا في كل علم من هذه العلوم للتدريس في تلك المدارس...

ولكنه رأى ألا يظل معتمدًا على الأساتذة الأجانب فأرسل بعثة إلى فرنسا عدتها أربعة وأربعون طالبًا، تخصصوا في شتى العلوم والفنون التى تتطلبها النهضة الحربية، ثم أتبعها ببعثة أخرى، فثالثة حتى بلغ عدد البعثات سنة ١٨٤٧ إحدى عشرة بعثة. وكانت هذه البعثات نواة لإنشاء مدرسة الألسن سنة ١٨٢٦ لتعليم المصريين اللغات الأجنبية حرصًا على توسيع قاعدة التعليم في مصر وتمكينًا لنقل علوم الغرب في أقصر وقت ممكن[١] .

---

(١) الإسلام في الأدب العربي المعاصر / أ. د/ إبراهيم عوضين / ص ٤٨ ، ٤٩ / الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م/ الناشر مطبعة السعادة .

وهكذا عـاد المبعوثون إلى مصر، فكـانوا أول صلـة حقيقيـة بين مصر، وبـين الثقافة الأوربية في العصر الحديث، ولكن مما يؤخذ على تلك البعثات ولاسيما بعض المبعوثين منهم أنهـم نقلوا من حضارة الغرب الغثّ مع السمين، بل إن البعض منهم نقل الغثّ وترك الثمين، فنرى على سبيل المثـال دعوة رفاعة الطهطاوى ـ الذي بعث إلى باريس سنة ١٨٢٤ ، وعاد إلى مصر لينـادى بخروج المرأة للعمل، واختلاطهـا بالرجال، وغير ذلك ممـا نـادى به ومـا سنفسـح لـه المجـال بعد قليل، ولم يكن الأمـر قاصرًا على مصر فحسـب، بل إن القـارئ لتـاريخ البعثـات يجد أن الأمر انتقـل من مصر إلى غيرهـا من البلاد الإسلامية ، فها هو خير الدين التونسي ـ الذي دعا في تونس إلى مثل ما دعا إليه قاسم أمين، وهكذا نجد أمثـال هذه الدعوات الهدامة يقوم على نشـرها رجال تربوا في أوربا على يد أعداء الإسلام، ورجعوا إلى أوطانهم الجسد مصري، ولكن العقل واللب أوربي .

يقول الدكتور/ السيد أحمد فرج: «لقد انبهر زعمـاء حركة التنوير بأوربا وعلومها وتقدمهـا، ورأوا فيها نموذج الكمـال الحضـاري، فنسـوا أنفسـهم ، ونسـوا تاريخهم وحضارتهم، ومجد أسلافهم العظام واندفعوا نحو شعاع الغرب، وعملوا على تغيير وجه مصـر لتصير كأوربـا في كل شـئونها ، فالمسـألة لم تكن قـاصرة على تحريـر المرأة كما يتوهـم المتوهمون، وإنمـا كـانت إرادة التغيـير الجـذري الشـمولي بـاقتلاع المجتمع من جذوره ، وكانت مسألة المرأة ضمن هذا المشروع الرهيب .

ولكن نسى هـؤلاء المغيّرون طبيعة الشرق وعقائده، وأنـه ليس بالإمكان أن يتنازل الشـرقي عن ميراثـه الكبير في يوم وليلـة، وهل تـأكدوا من أن هذا الـذي أصلح حال أوربا، كما يزعم الزاعمون هو نفسه الذي يصلح الشرقيين[1] .

وهـا أنذا أعرض جانبًا مـن أمثـال هؤلاء الذين اسـتغلهم أعداء الإسـلام لتقويض دعائمـه من الداخـل، حتى كـانوا بحق ولاة لهـم يدافعـون عن أفكـارهم وينشـرون سمومهم..

---

(١) المؤامرة على المرأة المسلمة / د. السيد أحمد فرج / ص ٧٢ / الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م / الناشر / دار الوفاء بالمنصورة .

وأول هؤلاء العالم الأزهرى الشيخ رفاعة الطهطاوي ..

رفاعة الطهطاوي :

قبل التحدث عن دور الشيخ رفاعة في حركة تحرير المرأة، لابد أن نقف على بعض جوانب حياته ونشأته، وفكره وأعماله، حتى نستطيع الوقوف على حقيقة أمره.

١- نشأته: ولد رفاعة في طهطا سنة ١٢١٦هـ - ١٨٠١م وإليها انتسب وفيها تلقى علومه الأولى، وفي سنة ١٢٣٢هـ - ١٨١٧م وفد إلى القاهرة والتحق بالأزهر، ومكث به نحو خمس سنوات ختم فيها دروسه، فلما أتم الحادية والعشرين من عمره أصبح أهلا للتدريس، فدرّس في الأزهر، وكان يرحل إلى مدينة طهطا في بعض أوقات فراغه ليلقى على أهليها بعض دروسه .

يقول الدكتور/ حسين فوزي النجار: «ولد رفاعة في طهطا سنة ١٨٠١ ، من أسرة منتسبة، تنتهي أصولها إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن البضعة الطاهرة - فاطمة الزهراء - بنت رسول ا لله ﷺ »(١) .

يقول الأستاذ / جمال الدين الشيال : «وعين رفاعة في سنة ١٢٤٠ هـ - ١٨٢٤م واعظا وإماما في آلاي حسن بك المانسترلي ، ثم انتقل إلى آلاي أحمد بك المتكلي، وفي سنة ١٢٤٢هـ - ١٨٢٦م أوفدت أول بعثة كبيرة إلى فرنسا، وهنا طلب محمد على إلى الشيخ العطار أن ينتخب من علماء الأزهر إمامًا للبعثة - يرى فيه الأهلية واللباقة، فاختار الشيخ رفاعة لتلك الوظيفة(٢) .

وظل رفاعة يسجل ملاحظاته منذ غادر الاسكندرية حتى وصل إلى باريس، ورأى ما رأى فأعجب بها ، وأقام رفاعة في باريس خمس سنوات من سنة ١٨٢٦ - ١٨٣١م وبعد أن عاد إلى مصر ألف كتابه «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» وعرضه على محمد على فأمر بطبعه باللغة التركية حتى يوزع على المكاتب العامة، ومن ثم يتضح لنا

---

(١) رفاعة الطهطاوي رائد فكر وإمام نهضة / د. حسين فوزي النجار/ ص ١٥٠ / الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧ م .

(٢) أعلام الإسلام رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد على / جمال الدين الشيال/ ص ٧ / الناشر / دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي .

أمرًا في غاية من العجب ، لقد أرسل رفاعة إلى باريس ليكون واعظًا للبعثة إلا أن الأوامر صدرت من محمد على ليسمح له بالدراسة، فانكب رفاعة على تعلمُ اللغة الفرنسية أولا، ثم درس كتب التاريخ والجغرافيا والفنون العسكرية، وغير ذلك من الكتب التى تتعلق بالجوانب السياسية، واستطاع أن يترجم بعض هذه الكتب، وقد عُقد للبعثة امتحان في باريس، فكان رفاعة أول المتفوقين، حتى استحق هدية اللغة الفرنساوية، و لم يكتف رفاعة بقراءة الكتب الثقافية ، بل اتصل بكبار المستشرقين الفرنسيين، ولاسيما المسيو (سلفستر دي ساسي) والمسيو (كوسان دي برسيفال) وقامت بينه وبينهما صداقة متينة، نهل منهما الكثير والكثير، وفي نهاية الرحلة تقدم رفاعة بخلاصة مجهوداته في الترجمة طوال السنوات الخمس فأثمرت مجهوداته عن اثنتى عشرة رسالة ترجمها عن الفرنسية إلى العربية، وهي كما ذكرها الأستاذ / جمال الشيال:

١- نبذة في تاريخ اسكندر الأكبر مأخوذة من تاريخ القدماء .
٢- كتاب أصول المعادن .
٣- دوز نامة (يقصد علم التقويم) .
٤- كتاب دائرة العلوم في أخلاق الأمم وعوائدهم.
٥- مقدم جغرافية طبيعية مصححة على مسيو (دهنليض) .
٦- قطعة من كتاب (ملطيرون) في الجغرافية .
٧- ثلاث مقالات من كتاب (لجندر) في علم الهندسة .
٨- نبذة في علم هيئة الدنيا .
٩- قطعة من عمليات رؤساء ضباط العسكرية .
١٠- أصول الحقوق الطبيعية التى تعتبرها الافرنج .
١١- نبذة في الميثولوجيا - يعني جاهلية اليونان وخرافاتهم .
١٢- نبذة في علم سياسيات الصحة[١] .

ولم يكتف رفاعة بذلك بل ترجم الدستور الفرنسي الذي وضعه لويس الثامن عشر

(١) أعلام الإسلام رفاعة الطهطاوي / ص ٢٧ / ٢٨ / جمال الشيال .

وسماه (شَرطة) بفتح الشين .

وهذا يدل على أن رفاعة قد اختير خصّيصًا لهذه المهمة التى كان لايستطيع غيره أن يقوم بهـا، فكان الأمـل معقودا ، عليـه بأن يغير من طبـاع أعضاء البعثـة إذا هم ضلوا الطريق، ولكنـه كان يحتاج هو إلى مـن يُبصره بمهمته التى سـافر من أجلها، وعلى كل حال إذا كـان الغرض من بعثتـه إلى فرنسـا سياسية أو دينيـة ، فـإن ذلك يتضح لنا من خلال أعماله بعد عودته من فرنسا إلى مصر .

٢ـ عودته إلى مصر وأعماله التى قام بها :

عاد رفاعة في رمضان سنة ١٢٤٦ من باريس إلى مصر، فقابل إبراهيم باشا فرحب بـه وأنعم عليـه بسـتة وثلاثين فدانا في الخانقـاه ،فكانت هـذه أول مكافأة لـه، ثم قابل محمد على في القاهرة، فرحب بـه أيضـا، لأنه كـانت تصل إليـه تقارير سـرية عنه من مسـيو (جومـار) يمدحـه فيهـا حتى أعجب بـه محمد على فمـا أن وطئت قدماه أرض مصـر- من البعثـة ـ حتى عينـه محمد على مترجمًا في مدرسـة الطـب فمضى نحو سـنتين فيهـا، ثـم طبع كتـاب «التوضيـح لألفـاظ التشـريح» في الطب البيطـرى الذي ترجمـه يوسـف فرعون، وصححه الشيخ مصطفى حسـن وراجع ترجمته الشيخ رفاعة ، وذكر في نهاية الكتاب أنه أتم ترجمتـه في التاسع عشر من شعبان سنة ١٢٤٧ وطبع في بولاق سنة ١٢٤٩هـ .

وفي سـنة ١٢٤٩ نقل رفاعة من مدرسة الطب ليكون مترجمًا بمدرسة الطوبجية خَلَفًا للمستشـرق الشاب (كنيك) وفي هذه المدرسة قـام رفاعة بترجمة بعض الكتب الهندسية الجغرافيـةحتى أسـفرت ترجمتــه وأعمالــه في هذه المدرسـة إلى ترجمـة كتـاب أسمـاه «التعريبـات الشافية لمريد الجغرافيـة» ثم عرض رفاعـة على (محمد علي) إنشـاء مدرسة الألسـن فوافق على إنشائها في أوائل سـنة ١٢٥١ (١٨٣٥م) وسميت مدرسة الترجمة، ثم أصبحت مدرسـة الألسـن، وكانت مدة الدراسـة بها خمس سنوات ، وكان رفاعة مشرفًا عليها من الناحيتين الفنيـة والإدارية، كمـا كان عليه أن يُدرّس للتلاميذ الآداب والشرئع الإسلامية والغربية .

يقول الأستاذ/ جمال الشيال: «لقد أتقن رفاعة اللغتين العربية والفرنسية، وتخصص في فن الترجمة، واشتغل بها وكون جيلا من المترجمين هم خريجوا الألسن، وكان يرجو أن يوفق في عهد سعيد أن يعيد للألسن عهدها، وأن يجمع تلاميذه حواليه، فيستأنف نشاطه القديم، ويترجم إلى العربية كنوز المعرفة الغربية وهاهي الأقدار تنصبه ناظرًا للمدرسة الحربية(١) .

وفي أوائل سنة ١٢٧٨ سنة ١٨٦١/ ألغيت المدرسة الحربية وأصبح رفاعة بلا عمل، وظل على هذا حوالي سنتين حتى أتى عصر إسماعيل باشا فعين ناظرًا له، فكان يترجم له هو وزملاؤه من أمثال : عبد الله بك السيد، والسيد صالح ، ومحمد قدري، وعبد الله أبو السعود ... حتى ترجموا له القانون الفرنسي ـ وقانون المحاكمات والمخاصمات والحدود والجنايات ـ وقانون المشيخة البلدية .

٣ـ دور الشيخ رفاعة في تعليم البنات وإصلاح المجتمع (أفكاره) :

ثم مضى رفاعة بعد ذلك في إصلاح التعليم والمجتمع فماذا فعل؟

بدأ رفاعة يسير في خط جديد من الناحية الاجتماعية إذ نادى بتعليم البنات فألف كتابًا في ذلك تحت عنوان : «مباهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية» .

يقول الأستاذ / جمال الشيال: «ويعتبر رفاعة بحق أول داعية لتعليم المرأة في مصر ، بل في الشرق كله، فقد ذكر يعقوب أرتين باشا في كتابه عن التعليم العام في مصر أن لجنة تنظيم التعليم في سنة ١٨٣٦ ـ في عهد محمد على باشا ـ اقترحت العمل لتعليم البنات في مصر، وقد كان رفاعة عضوًا من أعضاء اللجنة، غير أن هذا الاقتراح لم ينفذ، لأن المجتمع المصري لم يكن على استعداد وقتذاك لقبول هذه الفكرة ، واكتفى بإنشاء مدرسة المولدات والقابلات «التمريض» .

وفي عهد إسماعيل تجددت الفكرة وكان رفاعة من أكبر الداعين لها ففي سنة ١٨٧٣ أنشئت أول مدرسة لتعليم البنات في مصر، أنشأتها «جشم آفت هانم» إحدى زوجات الخديوي إسماعيل(٢) ، وقبل إنشاء المدرسة بسنة واحدة، أخرج رفاعة

---

(١) أعلام الإسلام / رفاعة الطهطاوي /جمال الدين الشيال / ص ٧٥ .

(٢) نفس المرجع السابق / ص ٨٦ .

كتابه: «المرشد الأمين للبنات والبنين» وفيه يدعو للفكرة ويمهد لظهورها فيقول:

وينبغي صرف المهمة في تعليم البنات والصبيان معًا، لحسن معاشرة الأزاج، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك مما يزيدهن أدبًا وعقلاً ويجعلهن بالمعارف أهلا، ويصلحهن لمشاركة الرجال في الكلام والرأى فيعظمن في قلوبهم ويعظم مقامهن لزوال مافيهن من سخافة العقل والطيش، مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لامرأة مثلها، وليمكن المرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها، فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن ، وهذا من شأنه يشغل النساء عن البطالة فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء ، وافتعال الأقاويل، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة[1] .

ومن ثم بدأ رفاعة يهتم بتحسين أحوال المرأة وينادى بتعليمها، واختط لذلك منهجًا مدروسًا ألا وهو إقناع المجتمع بضرورة إصلاح حال المرأة فليست المرأة مخلوقًا شاذًا غريبًا عن الرجل، بل على العكس من ذلك لأن المرأة في نظره: «من أجمل صنع الله القدير، قرينة الرجل في الخلقة، والمعينة له في تدبير أمره، والحافظة لأطفاله ، والساهرة على العناية بتدبير أمورهم، والماسحة بيدها همومهم وآلامهم»[2] .

وكانت هذه الدعوة من رفاعة دعوة جريئة لم يجد من يعارضها آنذاك، ولاسيما أن محمد علي ، والخديوي إسماعيل، باركا عمله هذا ، وأشادا بهذا الصنيع منه .

ولم يكتف رفاعة بذلك بل أخذ ينادى بمشاركة المرأة العصرية للرجل في كل الأعمال التى لاتتنافى مع تكوينها إلا فيما رفضه فقهاء الإسلام من قبل وهو الإمامة العظمى والقضاء .. يقول رفاعة في ذلك: « إن النساء في الغالب لايستطعن أن يتعلمن هذه المعارف الحكيمة المهمة، في المملكة والسلطنة والخلافة، حيث أن الخلافة التى هي الإمامة العظمى خلافة النبي - ﷺ - كانت من خصائص الرجال، وكذا نياباتها في الخطط الجسيمة[3] .

---

(١) المرشد الأمين لتعليم البنات والبنين / تحت عنوان تشريك البنات مع الصبيان في التعلم والتعليم وكسب المعارف / رفاعة الطهطاوي / ص ٦٦ / مطبعة المدارس الملكية / القاهرة ١٢٨٩هـ .

(٢) نفس المرجع / ص ٣٧ .

(٣) نفس المرجع / ص ١٠٤ .

ويعلل رفاعة على عدم تولية المرأة هذه المناصب بقوله: «ولعل عدم تولية النساء القضاء والإمامة والمناصب العامة كونُهنَّ عورة، لايقدرون على مخالطة الرجال في الوفاء بفروض المناصب العمومية[1] .

والحق يقال إن رفاعة في سرده لتعليم المرأة ودعوته لمشاركتها للرجال، كان دائما يفرق بين المرأة المسلمة الملتزمة بالفروض الدينية، والتقاليد الشرقية والأخلاق الحميدة، وبين المرأة الأوربية، فهو في دعوته إلى تحرير المرأة وتعليمها، لايريد منها أن تتخلى عن رسالتها في المجتمع فإن الله لم يخلقها لحفظ متاع البيت فحسب، ولكنه خلقها لمشاركة الرجال في بناء المجتمع الإنساني ، بشرط ألا تتجاوز الأحكام الشرعية التى فرضها الإسلام، فمهما يكن من رفاعة إلا أنه قد التزم بهذا الخط وهو ربط عمل المرأة بعدم خروجها عن دينها، وهذا ليس دفاعًا عن فكره ودعوته تلك التى دعا إليها ولكننى من تتبعي لفقرات كتابه - المرشد الأمين للبنات والبنين - لمست هذا الجانب منه ...

كما لمست عدة جوانب أخرى تعد من المآخذ التى تؤخذ عليه وسواء كان ذلك بقصد منه أو بدون قصد ، إلا أنه رجل أزهرى تخرج في الأزهر ما كان عليه أن ينساق في هذا التيار الجارف الذي خاض فيه.

فمن المخازي التى وقع فيها رفاعة ما يلي :

أ - دعوته إلى الاختلاط والتبرج:

تحدث رفاعة في كتابه تخليص الإبريز - عن بعض عادات الغربيين في باريس، فذكر عادة اختلاط الرجال بالنساء، ونفى أن يكون ذلك داعيا إلى الفساد، أو دليلا على التساهل في العرض..

يقول رفاعة: «ولايظن بهم أنهم لعدم غيرتهم على نسائهم لاعرض لهم في ذلك، لأنهم وإن فقدوا الغيرة لكنهم إذا علموا عليهن شيئا كانوا شر الناس عليهن وعلى أنفسهم ، وعلى من خانهم في نسائهم، غاية الأمر أنهم يخطئون في تسليم القيادة للنساء ، وإن كانت المحصنات لايخشى عليهن شيء »[2] .

---

(١) نفس المرجع / ص ١٠٥ .

(٢) تخليص الابريز إلى تلخيص باريز / رفاعة الطهطاوي / ص ٣٠٤ / طبعة مصر سنة ١٩٥٨م / الناشر: وزارة الثقافة .

ويعود بعد ذلك ليؤكد أن السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعيا إلى الفساد، بل إنّ مرد ذلك إلى التربية الصحيحة .. يقول في ذلك: «إنّ نوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن ، بل منشأ ذلك التربية الجيدة ، والخسيسة، والتعود على محبة واحد دون غيره، وعدم التشريك في المحبة والإلتئام بين الزوجين»(١).

وكأنه بدعوته تلك لا يبالي بالقيم الإسلامية ، فضلا عن إنه يدعو إلى عدم تعدد الزوجات بقوله ـ وعدم التشريك في المحبة مما يتنافى مع تعاليم الإسلام تمامًا .

ب ـ دعوته إلى تقليد الغرب في الفنون:

لقد دافع رفاعة عن تقاليد الغرب، إذ دعى إلى الرقص مثل الغربيين وأسماه بالشلبنة والعياقة ـ أي الفتوة والقوة ـ كما وصف محال الرقص المسماه بالبال عند الفرنسيين فقال مشيدًا بذلك الجانب من حياة الغربيين :

« إن الرقص عندهم فن من الفنون ، وقد أشار إليه المسعودي في تاريخه المسمى ـ مروج الذهب ـ فهو نظير المصارعة في موازنة الأعضاء ، ودفع قوى بعضها إلى بعض، فليس كل قوى يعرف بالمصارعة، بل قد يغلبه ضعيف البنية بواسطة الحيل المقررة عندهم، وما كل راقص يقدر على دقائق حركات الأعضاء، وظهر أن الرقص والمصارعة مرجعهما شيئ واحد يعرف بالتأمل ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة لا الفسق، فلذلك كان دائمًا غير خارج عن قوانين الحياء ، بخلاف الرقص في أرض مصر، فإنه من خصوصيات النساء، لأنه لتهييج الشهوات، أما في باريس فإنه نط مخصوص لايشم منه رائحة العهر أبدًا ، وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية وهكذا، سواء كان يعرفها أو لا »(٢) .

وسنرد على هذا بمشيئة الله تعالى عند تعرضنا لقضية الاختلاط وموقف الإسلام منها .

---

(١) نفس المرجع / ص ٣٠٥ .

(٢) نفس المرجع/ ص ١٦٨ .

جـ ـ إعجابه بالمسرح :

من شدة تعلق رفاعة بتقليد الغربيين أطلق على المسرح اسمه الفرنسي ـ السيكتاكل أو التياترو[1] ومن ثم نراه يشيد به في كتابه تخليص الإبريز ـ ويدعو إلى المحاكاة للغربيين في هذا الصنيع يقول رفاعة : «وبالجملة فالتياترو عندهم كالمدرسة العامة، يتعلم فيها العالم والجاهل »[2] .

د ـ دعوته إلى فكرة الوطنية القومية:

دعا رفاعة إلى حب الوطن، التعلق به ، ووجوب الاهتمام بالمنافع العمومية التى تعود على الوطن ـ مصر ـ بالخير والثروة والغنى وتحسين الحال، وقصر ذلك على مصر إذ أشاد بموقعها الجغرافي، وخصبة تربتها وتوافر أسباب التمدن لها، وما لها من قديم المجد وقصب السبق في الحضارة .

وكأنه بذلك يقصر الوطنية على المكان الذي يحيا فيه الإنسان فحسب تلك الفكرة المادية المنابذة للرابطة الإسلامية، فالإسلام لايقر بالوطنية بمفهومها الضيق، بل يعترف بأن كل شبر من أرض الله وطن للإنسان عليه أن ينتشر فيه لينشر فيه دين الله ، وأن يهاجر إليه إذا وجد ضيقا في المكان الذي يعيش فيه، وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[3] وقوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[4] فالأرض على إطلاقها الأرض كل الأرض والأنام على إطلاقها جعلها الله للأنام، كل الأنام .

إلى غير ذلك من الأمور التى أثارها رفاعة الطهطاوي بعد عودته من باريس مثل:

---

(١) هما كلمتان فرنسيتان عُربا إلى كلمة المسرح فيما بعد .

(٢) نفس المرجع السابق / ص ١٦٦ .

(٣) سورة النساء / الآية ٩٧ .

(٤) سورة الرحمن الآية / ١٠ .

منع تعدد الزوجات، وتحديد الطلاق، واختلاط الجنسين، والدعوة إلى تقليد الغرب، وتعليم المرأة ومزاولتها الأعمال، والدعوة إلى الحرية، وقد ساعده في ذلك خير الدين التونسي في تونس ودعا إلى نفس الأمور التى دعا إليها رفاعة في مصر .

وبهذا نستطيع أن نقول إن رفاعة أول من أثار قضية تحرير المرأة في مصر في القرن التاسع عشر الميلادي .

يقول الدكتور/ حسين فوزي النجار: «والطهطاوي هو الرائد الحقيقي لحركة تحرير المرأة التى وهبها نفسه قاسم أمين، وقد لانجد في دعوته أكثر مما دعا إليه الطهطاوي ، غير أن ما واجهه قاسم أمين ، كان غير ما واجهه الطهطاوي ، فلم يكن الرأى العام - القارئ - أيام الطهطاوي قد تَكَوَّنَ بعد ليتابع ما يكتبه - رفاعة - وكان أكثر ما يكتبه للمدارس أو لقلة من القارئين ممن تضمهم دواوين الحكومة ، وكانت الدولة هي التى تشرف وتسيطر على وسائل النشر، وحين بدأ الرأي العام يتكون في عصر إسماعيل وقامت الصحف ودور النشر الأهلية، لم يكن لدعوته من التفرد ما كان لدعوة قاسم أمين، بل كانت جزءًا من دعوته الإصلاحية العامة فلم تلق من الانتباه مالقيته دعوة قاسم أمين التى انفرد بها وتفردت به، وحظيت من انتباه الرأي العام واهتماماته مالم تحظ به دعوة الطهطاوي لتحرير المرأة من تقاليد الماضي العتيقة ، وإن لم يرد فيما كتب عبارة حرية المرأة أو تحريرها(١) .

بهذا العرض اتضح لنا أن رفاعة الطهطاوي نادى بحرية المرأة من قبل قاسم أمين بنيف وثلاثين سنة، ومنذ أن نادى بتلك الدعوة أطلق عليه لقب مسيو رفاعة بدلا من الشيخ رفاعة كما كان يناديه أصدقاؤه الفرنسيون والمستشرقون في باريس بلفظ المسيو، وأطلقت عليه الحكومة المصرية : رفاعة أفندى - أو رفاعة بك .

وكانت هذه أول ثمرة تجنيها الدول الأوربية، إذ حرصوا منذ اللحظة الأولى على صبغ البلاد الإسلامية بالصبغة الأوربية .

---

(١) رفاعة الطهطاوي رائد فكر وإمام نهضة / د. حسين فوزي النجار / ص ١٦٠ .

ومات رفاعة أول ربيع الثـاني سنة ١٢٩٠هـ - ٢٩ مايو سـنة ١٨٧٣م فهل قبرت تلك الدعوة مع موته، أم كان لها مناصرون ينفخون في بوقها، ويساهمون في نشرها؟

هذا ما أود أن أوضحه من خلال صفحات هذا الفصل ...

فأقول وبالله التوفيق .

٢- مرقص فهمي(*) ودوره في حركة تحرير المرأة:

لقد ذكرنا آنفا أن هدف اليهود والاستعمار البريطاني الذي جند له الكثير من عملائه غربيين كانوا أم علمانيين، كامن في تقويض دعائم الأسرة المسلمة، وزلزلة قواعدها الأصيلة، حتى كانت الدعوة إلى رفع الحجاب، وتقييد الطلاق وتعدد الزوجات، هي النغمة التى عني الإنجليز ومن سار على دربهم من الأذناب بها، ليصلوا من خلالها إلى إضعاف قوة المسلمين .

وكانت النواة الأولى لبث هذه الأفكار ، ونشر تلك السموم حين عادت الأميرة نازلي فاضل(١) إلى مصر بعد الاحتلال، ووثقت روابط ودها مع اللورد كرومر، وفتحت صالونها لكثير من الشخصيات البارزة في ذلك الحين ، ليكون هذا الصالون مركزًا لتعبئة أذناب الاستعمار ضد الإسلام وكان من الشخصيات التى تتردد على هذا الصالون كل من : الشيخ محمد عبده(٢) ، وسعد زغلول ، واللقاني ، ومحمد بيرم، وقاسم أمين ـ وكان هؤلاء محل غضب من الخديوي إسماعيل، فكانت الأميرة نازلي فاضل تستخدمهم كوسيلة لحربه، فضلاً عن إنها كانت تسعى لترقيتهم رغم أوامر الخديوي إسماعيل، والسبب في ذلك ، أنها كانت تدعى أن أباها الأمير مصطفى فاضل كان أحق بعرش مصر من الخديوي إسماعيل .

وكانت أول قذيفة قام بها في هذا المجال ـ الدعوة إلى تحرير المرأة ـ مرقص فهمي،

(*) مرقص فهمي: مسيحى متعصب، حقود على الإسلام وأهله، وهو من أولياء كرومر، وعندما ألف كتابه ـ المرأة في الشرق ـ اعتمد على النفوذ البريطاني لحمايته، وعندما ظهر الكتاب لجأ قاسم أمين إلى صالون نازلي فاضل ليستعجلها على عمل شئ يشد من أزر مرقص فهمي من خلال صالونها، لأن هذه الأفكار كانت تراود ذهن قاسم أمين مثلما كانت تراود مرقص فهمي .

(١) نازلي فاضل: ابنة الأمير (مصطفى فاضل) باشا نجل إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا الكبير، وكان والدها مصطفى فاضل يعتبر نفسه أحق بعرش مصر من الخديوي إسماعيل، ومن هنا كانت الأميرة نازلي تعلن الحروب على الخديوي إسماعيل ...

نقلا عن جريدة المساء الصادرة بتاريخ ٤ / ٨ / ١٩٨٣م من مقالة الصحفي مصطفى أمين تحت عنوان : هل انتحر مُحرر المرأة ؟

(٢) كان من مهام الشيخ / محمد عبده / تقريب وجهات النظر بين نازلي فاضل وبين الخديوي كما كان من مهامه أيضا عدم اتساع رقعة الدعوة إلى حركة تحرير المرأة التى تبناها رفاعة الطهطاوي وقاسم أمين وتوضيح المفاهيم الصحيحة للمرأة المسلمة . حتى لا تنخدع بالشعارات البراقة التى ينادى بها أعداء الفضيلة .

ففي سنة ١٨٩٤، بعد احتلال البلاد بحوالي اثنتى عشرة سنة ـ قام مرقص فهمي بتأليف كتابه «المرأة في الشرق» .

ودعا فيه لأول مرة في تاريخ البلاد الإسلامية إلى هذه الأهداف الخمسة:

١ـ القضاء على الحجاب الإسلامي .

٢ـ إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها .

٣ـ تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضي .

٤ـ منع الزواج بأكثر من واحدة .

٥ـ إباحة الزواج بين المسلمين والأقباط(١) .

وما أن خرج هذا الكتاب حتى أحدث ضجة عنيفة بين المسلمين، ولم يمض قليلا من الوقت حتى كانت القذيفة الثانية ألا وهي :

صدور كتاب «المصريون» الذي ألفه الكونت داركير(٢) ..

وهاجم فيه المصريين، وتعدى على الإسلام، ونال من الحجاب الإسلامي، وقرار المرأة المسلمة في البيت، واقتصار وظيفتها على تربية النشء ، ورعاية الزوج ، كما هاجم فيه المثقفين المصريين بصفة خاصة لسكوتهم على هذه الأوضاع، مثل الطلاق وتعدد الزوجات، والرق، ووجود الطبقات في مصر، وإهمال حقوق المرأة، وربط ذلك كله ـ أعنى سر تأخر المسلمين ـ بتمسكهم بدينهم .

ولم يسكت قاسم أمين عن هذا الوضع الذي سمعه من الكونت داركير.. فماذا فعل؟

هذا ما أود أن أوضحه الآن لنرى موقف قاسم أمين من حركة تحرير المرأة، ومن

---

(١) انظر: الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية/ محمد فهمي عبد الوهاب / ص ١٤ / دار الاعتصام، وانظر كتاب: عودة الحجاب / محمد أحمد المقدم / ص ١٦ ، حركة تحرير المرأة / أنور الجندي ٩ / ص ٢٧ / دار الأنصار بالقاهرة ١ .

(٢) الدوق داركير من الفرنسيين الذين اعتادوا أن يزوروا مصر في الشتاء ليتقلبوا بين أنحائها، ولقد زارها ثلاث مرات وكتب كتابه مصر والمصريين سنة ١٨٩٣ حمل فيه حملة شعواء على مصر من أحط نواحيها ، ثم حلل المجتمع المصري تحليلا يتفق مع هواه الشخصي .

سانده في ذلك، ولن يتضح لنا ذلك إلا بعرض الملابسات التى حدثت لقاسم في فكره الاجتماعي ومدى تأثره بفكر الشيخ محمد عبده .

فمع قاسم أمين لنا هذه الوقفة ...

٣ـ قاسم أمين ودوره في حركة تحرير المرأة :

أ ـ موقف قاسم أمين[1] من الكونت داركير:

لقد حاول قاسم أمين بادئ الأمر أن يرد على داركير، ويفند تلك الاتهامات التي اتهم بها داركير المصريين، وكان قاسم أمين موفقًا في رده على الكونت داركير، إذ بيّن فضائل الإسلام على المرأة المسلمة، ورفع من شأن الحجاب وعده من كمال المرأة، وحاول إضفاء الصبغة الشرعية على كلامه، إلا أنه حاول استعطاف الكونت في رده ويتضح لنا ذلك من خلال حديثه معه إذ يقول: «إن الإسلام دين خلقي، لايقل عن المجوسية ولا عن المسيحية ، وإن روح القرآن لاتختلف عن الروح الإنجيلية »[2] وكأنه بهذا يوضح له أن المسيحية التي تتبعونها في الغرب كالإسلام في الشرق .

ثـم يمضي قاسـم أمين في تفنيد كلام داركـير ويرد عليه من واقع المجتمع الأوربي الذي انحدر إلى هوّةٍ سحيقة عندما فتح للمرأة باب الحرية على مصراعية.

يقول الدكتور/ ماهر حسن فهمي: «فإذا ما انتهى قاسم أمين من المرأة المسلمة عاد إلى المرأة الأوربية ليكيل للدوق الصاع صاعين، فيورد إحصاءً قاسيًا يدل على أن ربع المواليد في فرنسا غير شرعيين، ويؤكد أن المرأة الباريسية هي التي تعيش لغرائزها، ولاشك أن مرجع كل ذلك إلى الاختلاط الشديد بين الرجل وبين المرأة التي تهيأ لها كل ظروف الرذيلة ...

أما في مصر فنحن نؤثر الفضيلة على كل ملذات الدنيا، بل على الحياة نفسها، ...

---

(١) التعريف بقاسم أمين: ولد قاسم أمين لأب تركي عثماني وأم مصرية من صعيد مصر وكان مولده في أول ديسمبر سنة ١٨٦٣م وتلقى تعليمه الأولى في مدرسة رأس التين بالاسكندرية ، ثم انتقلت أسرته إلى القاهرة فالتحق بالمدرسة التجهيزية «الخديوية» ودخل قسم الفرنسي بها، ثم التحق بعدها بمدرسة الحقوق والإدارة وكانت تعادل كلية الحقوق وحصل منها على الليسانس ، ثم اتجه إلى العمل بالمحاماة في مكتب مصطفى فهمي باشا، وفي نفس العام الذي عمل بالمحاماة سنة ١٨٩١م سافر في بعثة إلى فرنسا، واستمر هنالك أربع سنوات درس فيها القانون الفرنسي، وعاد إلى مصر سنة ١٨٩٥م فعين وكيلا للنائب العام في محكمة مصر المختلطة، وما زال يرتقي حتى صار مستشاراً في الاستئناف ، ولعل وجوده في فرنسا أثر فيه من الناحية الاجتماعية حتى دعا إلى ما دعا إليه، مما سيتضح لنا من خلال عرضنا لأعماله .

(٢) الأعمال الكاملة لقاسم أمين/ تحقيق د. محمد عمارة / جـ١ / ص ٢١٧ / الناشر / الموسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٧٩م .

ومن أجل ذلك حافظنا على نسائنا من كل مايفتنهن ، وكل هذا قد وثق الروابط الأسرية عندنا بينما أدى التسامح المعيب في الغرب إلى تفككها(١) .

تلك كانت أفكار قاسم أمين في بادئ حياته العملية، بل إنه وصل إلى أبعد من ذلك إذ هاجم بعض السيدات المصريات اللائي يتشبهن بالأوربيات، وربما كان يعني امرأة بعينها ألا وهي الأميرة نازلي فاضل، لأنها كانت تختلط بالرجال، وتجالسهم في صالونها الذي افتتحته ليكون مركزًا لنشر الدعوة إلى التغريب عامة وحركة تحرير المرأة خاصة(٢) .

ولقد أثار كلام قاسم أمين الأميرة نازلى فاضل، فقالت للشيخ محمد عبده قولاً شديدًا، وتوعدت قاسم أمين بسوء حاله، ولم تكتف بذلك بل أصدرت أمرًا في ذلك الوقت بأن يُرد على قاسم من خلال جريدة المقطم، تلك الجريدة التى كانت لسان حال الإنجليز في مصر، وبالفعل أعد ست مقالات لتنشر تباعًا في تلك الجريدة تفند الأخطاء التى وقع فيها قاسم أمين، ولكن سرعان ما ألغيت تلك المقالات من النشر لماذا؟ لأن كلا من الشيخ محمد عبده، وسعد زغلول أقنعا قاسم أمين بأن يعدل عن كلامه الذي نشره في كتابه المصريون ورد فيه على الدوق داركير، فما كان من قاسم أمين إلا أن اقتنع بذلك وأخذ يُصحح رأيه في المرأة فألف كتابه تحرير المرأة ، وتعرض فيه لنفس ما تعرض له مرقص فهمي في كتابه المرأة في الشرق، وقبل أن نتعرض لفكر قاسم أمين في هذا الكتاب لابد أن نذكر شيئًا ولو قليلاً من مواقف الشيخ محمد عبده ومدى تأثر قاسم به ...

ب ـ تأثر قاسم أمين بفكر الشيخ محمد عبده:

لقد حاول الشيخ محمد عبده ، أن يزج بنفسه في مجال إصلاح المرأة، وكان ذلك عام ١٨٨١م ونادى بضرورة تحسين أحوالها الشخصية، وتنظيم علاقتها بزوجها، كما

(١) قاسم أمين/ د. ماهر حسن فهمي/ ص ١١١ / ١١٢ / الناشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

(٢) انظر كتاب الأخوات المسلمات / محمد خيال / محمود الجوهرى/ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، وكتاب الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار الغربي/ ص ١٥، وكتاب عودة الحجاب/ محمد أحمد المقدم/ ص ٢٠ / ومقالة لداود بركات في الأهرام في عددها الخاص بمرور ٧٥ عامًا على تأسيسها ، وكان ذلك في مايو سنة ١٩٢٨م .

نادى بتقييد تعدد الزوجات، وتقييد الطلاق أيضًا .

كما ناقش هذه المسائل من وجهة نظر وطنية، فربط بين تعدد الزوجات والأسرة الطيبة؛ لأن الأسرة الطيبة هي نواة الوطن الطيب .

يقول الأستاذ/ محمد رشيد رضا: «ويقصد الشيخ محمد عبده بالأسرة الطيبة ، الأسرة التى تتكون من زوج وزوجة واحدة وأبناء، لايضيقون بمشاكل الطلاق بين الأبوين، أو مشاكل المنافرات التى تحدث بين الضرائر إذا كان للزوج أكثر من زوجة واحدة»[1] .

ويمضى الشيخ محمد عبده في بذل مجهوداته للوصول إلى وضع حقوق المرأة في مكانها، إذا كان كرفاعة في نظرته للمرأة .

يقول الأستاذ / محمد رشيد رضا: «وكان الشيخ محمد عبده كرفاعة يريد أن تبرز المرأة إلى معترك الحياة، فتشارك الرجل في بناء المجتمع، ولكنه كان أكثر من سلفه جرأة وإقداما »[2] .

ولقد تأثر الشيخ محمد عبده بالأميرة نازلى فاضل وأعجب بوضعها، ومن ثم كان يلقبها بتمثال الكمال والجمال، ولقد سعى جاهدًا لأن تكون نساء عصره مثل تلك الأميرة .

يقول الأستاذ/ محمد خيال والأستاذ/ محمود الجوهرى : «وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة في دروسه في الرواق العباسي بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة يتساويان عند الله، وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول كتاب ـ تحرير المرأة ـ أو كان له دور في مراجعتها، ومما أورده لطفي السيد أنه اجتمع في جنيف عام ١٨٩٧ / بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول، وأن قاسم أمين أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب ـ تحرير المرأة ـ وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده »[1] .

---

(١) تاريخ الإمام محمد عبده / تأليف الأستاذ / محمد رشيد رضا / ص ١١٢ .

(٢) المرجع السابق / جـ ١ / ص ٨٩٧.

ومن ثم يتضح لنا مدى تأثر فكر قاسم أمين بفكر الشيخ محمد عبده وسيره في نفس الخط الذي سار فيه كل من رفاعة الطهطاوي ، والشيخ محمد عبده، وسعد زغلول وتأثره بأفكارهم وسيظهر لنا ذلك من خلال عرضنا لما كتبه قاسم أمين في كتابيه: تحرير المرأة ـ والمرأة الجديدة ، فضلا عما كتبه في كتاباته الأخرى ودفاعه المستميت عن حركة تحرير المرأة .

وها أنذا أعرض جانبًا عن فكره وانطباعاته تجاه هذا الأمر الخطير..

جـ ـ قاسم أمين وتحرير المرأة:

لقد حاول قاسم أمين أن يغاير فكره الذي ذكره في كتابه «المصريون» والذي ألفه سنة ١٨٩٤م ، فألف كتابه «تحرير المرأة» سنة ١٨٩٩ ـ أي بعد كتابه الأول بخمس سنوات . فما المنهج الذي سار عليه قاسم في كتابه تحرير المرأة ؟

إن أول ما قام به قاسم في كتابه تحرير المرأة ، أن ألغى أفكاره الدفاعية التى أوردها من قبل في كتابه «المصريون» سواء أفكاره المتعلقة بالإنسان المصري، أو المتعلقة بالمرأة المصرية، أو الأمور المتعلقة بأحكام الشريعة الإسلامية، وأطلق عليها «المدينة الإسلامية» وحتى أكون منصفًا في إصدار مثل هذا الحكم يجب أن أسوق طرفًا مما كتبه في كتابه الأول ـ وطرفًا مما كتبه في كتابه الثاني:

فعلى سبيل المثال لا الحصر:

ذكر قاسم أمين في كتابه «المصريون» أن الإنسان المصري يتصف بالأمانة والشجاعة والذكاء وقوة الاحتمال ويعزى ذلك إلى تمسكه بتعاليم الإسلام، أما عن المرأة فكان يشيد بحجابها والتزامها بما أمر ا لله .

وإذا انتقلنا إلى كتابه الثاني«تحرير المرأة» سنجد بَوْنًا شاسعًا، وتناقضًا، ظاهرًا بين ما كتبه عن الإنسان المصري، والمرأة المصرية.

يقول قاسم: «فالتركي مثلا نظيف شجاع، والمصري على ضد ذلك، إلا أنك

---

(١) الأخوات المسلمات/ محمد عبد الحكيم خيال، محمود محمد الجوهرى / ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م . الناشر: دار الدعوة .

تراهما رغما عن هذا الاختلاف متفقين في الجهل والكسل والانحطاط، إذن لابد أن يكون بينهما أمر جامع وعلة مشتركة، هي السبب الذي أوقعهما معًا في حالة واحدة، ولما لم يكن هناك أمر يشمل المسلمين جميعًا إلا الدين، ذهب جمهور «الأوروباويين» وتبعهم قسم عظيم من نخبة المسلمين إلى أن الدين هو السبب الوحيد في انحطاط المسلمين وتأخرهم من غيرهم[١] .

ويمضى قاسم أمين في مغايرته لأفكاره بالنسبة لحجاب المرأة الذي كان يشيد به منذ سنوات إلى ما يلي: يقول قاسم: «إن حجاب المرأة بوضعه السائد ليس من الإسلام، وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج على الدين أو مخالفة لقواعده ... ثم يمضي في كلامه قائلا : «إننّا ظلمنا الإسلام، وعرّضناه لأن ينسب إليه الغربيون تأخر المرأة الشرقية »[٢] .

هذا فضلا عما ذكره قاسم أمين في نفس الكتاب عن اشتغال المرأة بالشئون العامة، وتعدد الزوجات، وتقييد الطلاق، وقد ذهب في ذلك كله إلى ما يطابق فكر الغربيين، زاعمًا أن ذلك هو مذهب الإسلام، وكان قاسم يسير على أسلوب ملتو في تفكيره ، إذ وضح في صفحات كتابه هذا أنه يقوم بدعوة إصلاحية هدفه منها نشدان الفضيلة، والوصول بالأمة إلى دركة الكمال في كل أمورها .

يقول قاسم في ذلك: «إنى لست ممن يطمع في تحقيق آماله في وقت قريب، لأن تحويل النفوس إلى وجهة الكمال في شئونها مما لا يسهل تحقيقه، وإنما يظهر أثر العاملين فيه ببطء شديد في أثناء حركته الخفية، وكل تغير يحدث في أمة من الأمم، وتبدو ثمرته في أحوالها، فهو ليس بالأمر البسيط، وإنما هو مركب من ضروب من التغيير كثيرة، تحصل بالتدريج في نفس كل فرد، شيئًا فشيئًا ثم تسرى من الأفراد إلى مجموع الأمة، يُحْدِث التغيير في حال ذلك المجموع، نشأة أخرى للأمة[٣] .

---

(١) الأعمال الكاملة لقاسم أمين / جـ٢ / ص ٧٢ .
(٢) تحرير المرأة / قاسم أمين / ص ١١ .
(٣) نفس المرجع / ص ٢ ، ٣ .

وهو بهذا الأسلوب الملتوى يُضمر في نفسه ما يتمناه من انقلاب لوضع المرأة خاصة، والمجتمع عامة، ولاسيما بعد اقتناعهم بأفكاره ، ونزولهم على آرائه رويدا رويدا حتى تسير الأمة كالغرب سواء بسواء .

ولو ذهبنا نستقصى ما كتبه قاسم في كتابه تحرير المرأة ، وكلامه عن حقها في التعليم ومساواتها بالرجال إلى غير ما كتبه في تحسين أحوال المرأة لضاق بنا المقام، ولكني أود أن أركز على نقطة أساسية من الأهمية بمكان ألا وهي :

٤- موقف الرأي العام من ظهور كتاب تحرير المرأة:

لم يكد يظهر كتاب ـ تحرير المرأة ـ حتى أثار ضجة عنيفة، وشغل الرأي العام لافي مصر وحدها، ولكن في الوطن العربي كله .

وكانت هذه الثورة متوقعه . لماذا؟ لأن الأمة الإسلامية متحفظة بطبيعتها وتحاول التمسك بدينها مهما صادفها من عقبات في الطريق ، أما مصر خاصة فهي أمة محافظة لم تتعود على الانقلابات والتغيير الفجائي مرة واحدة ...

ومن ثم كان لابد وأن تظهر هذه الثورة العارمة، لتجابه تلك الأفكار المسمومة، وتجلت ردود الفعل لهذا الكتاب فيما يلي : .

أ ـ موقف العلماء من قاسم وكتابه تحرير المرأ ة:

يقول الأستاذ / محمد أحمد المقدم : «تجلت ردود الفعل في موجة عارمة من المعارضة، كان أكثرها مقالات صحافية وقد اتهمه المعارضون بالهذيان وهاجمه علماء الدين هجومًا عنيفا، وحكم الفقهاء بأنه خرق في الإسلام ومروق من الدين، وعدّها الكثيرون ضربًا من المبالغة في تقليد الغربيين، واتهمه آخرون بالجناية على الدين والوطن، وأنه يرمي إلى قلب الهيئة الاجتماعية المصرية، وممالأة الإنجليز على ضياع البلاد، وأنه ينفذ أمنية من أماني الصليبية التى تريد بها هدم الإسلام ، وتقويض الآداب والأخلاق، واتهموا من يعضد هذه الدعوة بأنه ليس من المسلمين[1] .

(١) عودة الحجاب ـ القسم الأول : معركة الحجاب والسفور / محمد أحمد المقدم / ص ٢٩ .

ب ـ موقف الحزب الوطني إبّان صدور الكتاب:

كـان من الطبيعي أن يحدث الكتاب بأفكـاره المسـمومة دويًـا شـديدًا حتى في الأوسـاط الوطنيـة، لماذا؟ لأنـه كان بمثابـة تحدٍ صريح لـلرأى الإسـلامي العام، وهجوم سافر ضد الإسلام وأهله ..

ومـن ثـم لم يكـن عجبًـا أن يتصـدى لذلـك ـ الحـزب الوطنـي ـ ممثلاً في رائـده «مصطفى كامل» إذ وقف موقفـا يُحمد له ضد قاسـم أمين ، وبيّن أنّ أفكاره تلك لم تكن خالصـة من بنات فكره، بـل كان وراءهـا أيد خفيـة ممثلة في الأصـابع البريطانية، التـي تستقطب حولهـا الأذناب لينشـروا أفكارهم ، وهـذا من أقوى دعاة التحرر الذي حـاول الاستعمار أن يستقطبه لصالحـه، حتى خرج بكتابـه وأفكاره المسـمومة .
يقول الأسـتاذ/ أحمـد عبد العزيز الحصين: «وهكذا سـارع الزعيـم الشـاب إلى مقاومة هذه الحركـة، وتحذير الأمة منهـا، فأشار إليهـا في أول اجتماع عام عقده عقب صدور ذلك الكتاب في ٥ شعبان سنة ١٣١٧هـ ـ ١٨ سبتمبر سنة ١٨٩٩م حيث قال:

«إنى لست ممن يرون أن تربيـة البنات يجب أن تكون على المبادئ الأوربية، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا على مستقبل الأمة، فنحن مصريون ويجب أن نبقى كذلك ولكل أمة مدنيـة خاصة بها، فلا يليق بنـا أن نكون قردة مقلدين للأجانب تقليدًا أعمى، بل يجب أن نحـافظ على الحَسَـن مـن أخلاقنا، ولا نـأخذ من الغـرب إلا فضائلـه ، فالحجاب في الشـرق عصمـة وأيّ عصمـة، فحـافظوا عليـه في نسـائكم وبنـاتكم، وعلموهن التعليم الصحيح، وأنّ أسـاس التربية التى بدونـه تكون ضعيفة ركيكـة غير نافعة ... هو تعليم الدين .

وقد بلغ بمصطفى كامل الاهتمام بمقاومة هذه الحركة المسمومة إلى الحد الذي جعله يفتح صدر صحيفته اللواء منذ أول ظهورهـا سنة ١٩٠٠م لكل طاعن على قاسم أمين وأفكاره[١] .

فكـانت اللواء كمـا يقـول الدكتور/ محمـد حسـين هيكل/ خصمًـا لدودًا لقاسـم

---

(١) المرأة ومكانتها في الإسلام / أحمد عبد العزيز الحصين / ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ / الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م الناشر: دار الإيمان .

وأفكاره ، وكانت ميدانًا لأشد المطاعن عليه[1] .

هكذا كان رد الفعل لصدى صدور هذا الكتاب وانتشاره بين المسلمين في كل مكان، ولقد شغل هذا الكتاب أفكار الكثيرين من ذوي القيادات السياسية في مصر وغيرها، فضلا عما انشغل به الأدباء والكتاب ، فها هو على سبيل المثال:

جـ ـ طلعت حرب وموقفه من صدور الكتاب:

ألف طلعت حرب كتابا يرد فيه على قاسم أمين، ويستنكر عليه دعوته، ويدافع عن الحجاب ـ أسمى هذا الكتاب : «تربية المرأة والحجاب» وكان مما قاله:

« إن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوربا من قديم الزمان، لغاية في النفس يدركها كل من وقف على مقاصد أوربا بالعالم الإسلامي ...» .

كما قال في نفس الكتاب: «إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في المشرق ولا في مصر وحدها إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل ... بل الفساد الذي عمّ الرجال في المشرق»[2] .

ثم أخذ طلعت حرب يتحدث في كتابه عن المرأة ووظيفتها، فقرّر أنّ الأديان جميعًا تنفي مساواة المرأة بالرجل مساواة كاملة، وأورد نصوصًا من التوراة والإنجيل والقرآن تبرهن على صدق ما قاله، كما تؤكد أن السيادة في البيت للرجل وليست للمرأة كما زعم قاسم أمين، فضلا عن إن الأسرة لايستقيم حالها بوجود قائدين في بيت واحد، ويخلص من ذلك إلى أن الطبيعة قد فرقت بين عمل المرأة وعمل الرجل ...

يقول طلعت حرب في ذلك : « إن للمرأة أعمالا غير ما للرّجل ، ليست بأقلّ أهمية من أعماله ولا بالأدنى منها فائدة، وهي تستغرق معظم زمن المرأة إن لم نقل كله، الرجل يسعى ويكدّ ويشقى ويتعب ويشتغل ليحصل على رزقه ورزق عياله وامرأته ترتب له بيته وتنظف له فرشه، وتجهز له أكله، وتربيّ له أولاده، وتلاحظ له خدمه، وتحفظ عينه من المحارم، وهو يسكن إليها[3]» هذا موقف طلعت حرب بالنسبة

(١) تراجم مصرية وغربية / الدكتور/ محمد حسين هيكل / ص ١٥٣ .
(٢) تربية المرأة والحجاب / محمد طلعت حرب/ ص ١٠ ، ١٢/ القاهرة سنة ١٨٩٩م .
(٣) المرجع السابق / ص ١٧ .

لحجاب المرأة، فما موقف غيره من الكتاب والأدباء والشعراء .

د ـ موقف الشعراء :

لقد وصل صوت الكَتابِ إلى الكتّاب والأدباء ، فأخذت ضجةً عنيفةً في نفوسهم مما جعل أحمد محرّم يستنكر هذه الدّعوة من قاسم أمين، ويرد عليه بأبيات من شعره ، نشرت آنذاك في صحيفة اللواء، قال فيها :

أغرككِ يا أسماءُ ما ظَنَّ قاسِمُ؟   أقيمي وراء الخدر فالمرءُ واهمُ

تضيقينَ ذرعًا بالحِجاب وما بهِ   سوى ما جَنَتْ تلكَ الرُّؤى والمزاعِمُ

سلامٌ على الأخلاقِ في الشَّرقِ كُلهِ   إذا ما اسْتُبيحَتْ في الخدر الكرائمُ

أقاسِمُ لا تَقْذِفْ بجيشكَ تبتغي   بِقَوْمِكَ والإِسْلام، مَا الله عالِمُ

لنا من بناء الأوَّلينَ بقيةٌ   تلوذُ بها أعراضُنا والمحارِمُ

أسائل نفسي إذ دَلَفتَ تُريدُها   أأنت من البانينَ أم أنتَ هادِمُ؟

أتأتي الثنايا الغُرُّ والطُّرَرُ العُلى   بما عجزتْ عنهُ اللِّحَى والعمائِم؟

فلا ارتفعت سفنُ الجواءِ بصاعدٍ   إذا حلقت فوقَ النسور الجِمائِم

عفا الله عن قوم تمادت ظُنونُهمْ   فلا النَّهجُ مأمونٌ ولا الرأيُ حازِم

ألاَ إنَّ بالإسلامِ دَاءً مُخَامِرًا   وإنّ كِتَابِ الله للدَّاءِ حاسِم(1)

كما انبرى للرد على هذه الدعوة كثير من الشعراء من أمثال (الشيخ ابن الخطيب) الذي ردّ على (صدقي الزّهاوي) حيث طعن في الدين ونفّر منه ودعا إلى السفور ، فرد عليه الشيخ الخطيب بقصيدة نذكر منها :

بئسَ ما يَدَّعِي فَلاَسِفَةُ العَصْرِ   من أَنَّ السُّفورَ فيهِ الحَيَاةُ

وَهُوَ حَقٌ إذ أَنَّ أَسْلافَنَا   الأعْرابُ من فَرَطِ ما يُحِبُّونَ ماتوا

---

(1) ديوان أحمد محرم / حـ٢ / ص ٦٣ ـ ٦٥ / الطبعة الأولى سنة ١٩٢٠ / الناشر مطبعة الفتوح بدمنهور .

يَـا خَلِيلِيَّ حَـدِثُ عَنِ الشـــرقِ قُدُمًّـا   حـين كــــانتْ تعظُـمُ المعُجـزَاتُ
حـينَ كــانَ الحديـثُ يُتْلَـى ولاَ يَرْوِيــهِ   إلاَّ ذَوُو العُقُــولِ الثِّقَــــــاتِ(١)

إلى آخر ما قاله في الرد على صدقى الزهاوى حين قال:

أَخّـرَ المســــلمين عــن أُمَـمِ الأرضِ   حجــابٌ تَشْـــقَى بـــهِ المســـلماتُ

ولو ذهبنا نستقصى ما كتبه الأدباء والشعراء من أمثال الشاعر الأستاذ/ محمد حسن النجمى، و(الشيخ عبد الفتاح عشماوي) وغيرهم من الشعراء لضاق بنا المقام ومن أراد مزيدًا فليرجع إلى كتاب عودة الحجاب(٢) .

وعلى أثر تلك الردود، وضغط المعارضة على فكره ، ومصادرة أقواله لدى كثير من المفكرين والعلماء وعامة الشعب، إلا أنه قد استعذب ذلك، فلم يلبث قليلا من الوقت إلا وقد أسفر عن وجهه الحقيقي وخلع ثوب الحياء وقناع التدين، وأوضح في جرأة وصراحة عن كل ما كان يكنه في نفسه، وما كان يضمره في كتابه الأول تحرير المرأة ، فإذا به يعلنها صريحة مدوية ويخرج كتابه الثاني «المرأة الجديدة» رغم مالاقاه من معارضة عنيفة .

فما هي آراءه التى تضمنها هذا الكتاب؟

هذا ما أود أن أكشف اللثام عنه في هذه العجالة السريعة ..

قاسم أمين والمرأة الجديدة :

أصدر قاسم أمين كتابه الثاني -المرأة الجديدة- سنة ١٩٠٠م - أي بعد صدور الكتاب الأول بعام واحد، واعتمد فيه على المنهج الأوروبي في البحث والحوار، إذ رفض فيه كل المسَلّمَات ـ سواء كان التسليم بها عن طريق الدين ، أو عن طريق آخر ـ وأعلن أنه لا يقبل إلا ما يقوم عليه من دليل التجربة أو الواقع الذي عايشه في فرنسا،

---

(١) حقائق ثابته في الإسلام لابن الخطيب / ص ٨١ ـ ٨٦ ، وانظر كتاب عودة الحجاب ص ٩١ ، ٩٢ .
(٢) عودة الحجاب من ص ٨٩ ـ ٩٧ .

وتأثر فيه بحياة الغربيين، ومن ثم نرى أفكاره في هذا الكتاب تقوم على كثير من المغالطات التى تقوم على مقدمات خاطئة، ليستطيع الوصول إلى نتائج تحقق له مقصده، كما ذكر فيه دعوة صريحة إلى تقليد الحضارة الغربية وأساليبها .

ومن ثم نرى تناقضًا صريحًا بين كثير من الأفكار التى ساقها قبل صدور هذا الكتاب وبين ما تضمنه هذا الكتاب الثاني .

ولقد تضمن هذا الكتاب دعوة صارخة إلى تقليد المرأة الغربية، وكان هدفه الأسمى الوصول إلى تلك الغاية .

يقول الدكتور/ السيد أحمد فرج: «ومن عنوان هذا الكتاب «المرأة الجديدة» يتضح هدف قاسم أمين، في أنه تمنى أن يرى المرأة المسلمة كالأوربية تمامًا، ولهذا جعل الأفكار التى أخذها عن الشيخ محمد عبده، تتخللها عبارات كتبت من جنس الكتاب الثاني «المرأة الجديدة» الذي فاجأ به الناس في صورة تخالف تمامًا ما جاء في كتاب «تحرير المرأة» فبينما كنا نراه هادئًا في كتابه الأول ، يحوم حول النصوص الإسلامية، ويمتص من رحيقها لتعضيد مواقفه في المطالبة بالحقوق الشرعية المفروضة للمرأة المسلمة، انقلب في الكتاب الثاني، يسلط حمم غضبه، ويستعمل عبارات قاسية في التعبير عن رأيه، عبارات لا تقرها المرأة ذاتها[1] .

فعلى سبيل المثال نراه لا يقبل:

«حق ملكية الرجال للنساء، ويرى ترك حرية النساء للنساء ، حتى ولو أدى الأمر إلى إلغاء نظام الزواج ، حتى تكون العلاقات بين الرجل والمرأة حرة لا تخضع لنظام، ولا يحدها قانون»[2] .

ولقد بلغ من تعصّب قاسم أمين لدعوته، أن أراد بكتابه المرأة الجديدة أن يهدم ميراث المرأة المسلمة، ويأخذ بأيديها إلى السير على طريق المدنية الغربية في شتى مجالات حياتها، واختط لذلك منهجًا يسير عليه وهو تشويه صورة الإسلام وادعى أنه

---

(١) المؤامرة على المرأة المسلمة / د. السيد أحمد فرج / ص ٧٠ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م/ دار الوفاء للطباعة والنشر .

(٢) المرأة الجديدة / قاسم أمين / ص ٢٠٩ / مطبعة الشعب / القاهرة / سنة ١٩١١ م .

لم يأت بجديد في مجالات الآداب والأخلاق، حتى ينفر منه معتنقيه .

يقول قاسم أمين: «إن المسلمين لم يأتوا بجديد في مجالات الآداب، وآدابهم لاتخلوا من الآداب الفاسدة، والأخلاق الرذيلة ، والطبائع الدنيئة[1] .

ثم يمضى في نفس الخط الذي رسمه لتشويه صورة الإسلام قائلا:

«إنّ التمسك بالماضي الإسلامي إلى هذا الحد، هو من الأهواء التى يجب أن ننهض جميعًا لمحاربتها، لأنه ميل يجرنا إلى التدني والتقهقر»[2] .

هكذا سار قاسم أمين في كتابه الثاني ـ المرأة الجديدة ـ والظاهر من كلامه أنه لايريد تغيير وضع المرأة المسلمة لتتشبه بالمرأة الأوربية فحسب ، ولكنه يريد تغيير المجتمع كله تغييرًا جذريًا ، وفي عاداته وتقاليده، حتى في نظمه ويتمنى أن تصبح مصر قلعة من قلاع أوربا، في كل حركة من حركات حياتها .

يقول قاسم: «يجب أن نغيّر شكل حكومتها، وإدارتها، ومحاكمها، ونظام عائلها، وطرق زينتها ، وكثير من عادات الملبس والتحية والأكل والعلوم والصنايع[3] كما ربط سر تقدم الغرب بتقدم المرأة هناك وإعطائها حريتها، ومن ثم لن تقوم للشرق قائمة إلا إذا وصلت إلى ما وصل إليه الغرب ولاسيما وضع المرأة .

يقول القاسم: «إن تخلف المرأة هو سبب انحطاط الشرق، وتقدم المرأة هناك هو السرّ في تقدم الغرب»[4] .

ونرد على قاسم في هذا المجال بما يلي:

إن قاسمًا وأمثاله ممن انبهروا بحركة التنوير في أوربا وتقدمها في العلوم والفنون نسوا تاريخ أمتهم، ومجد أسلافهم العظام، ومن ثم اندفعوا نحو شعاع الغرب لينقلوا منه كل غث وثمين، ونسوا أو تناسوا أن الشرقي بطبيعته يأبي الانسلاخ من عقيدته وتعاليم دينه مابين عشية وضحاها، كما أنهم تجاهلوا أن ما يصلح أوربا ليس هو ما يصلح

(١) نفس المرجع السابق/ ص ١٨١ .
(٢) نفس المرجع / ص ١٨٤، وانظر الأعمال الكاملة لقاسم أمين / جـ٢/ ص ٢٠٩ .
(٣) نفس المرجع / ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .
(٤) نفس المرجع / ص ٢٠٩ .

الغرب، فلكل أمة نظمها وتقاليدها التى درجت عليها منذ نعومة أظفارها .

يقول الدكتور/ السيد أحمد فرج: «إن المدنية الغربية وصلت إلى ما وصلت إليه عن طريق يخالف طريق غيرها من المدنيّات ، وهذا ما يجعل تمثلها وتحققها في مجتمع مغاير في التكوين الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي ، وفوق كل ذلك وقبله الاعتقاد الديني ـ مسألة صعبة ، وإن حركة تحرير المرأة الغربية السابقة واللاحقة منذ عصور الأوربيين الأولى، أي أن جذورها ترجع إلى مدنية اليونان والرومان، في القديم، وإلى الثورة الصناعية في العصر الحديث، وإلى قيام البرجوازية الأوربية، كل ذلك جعل تحرر المرأة الأوربية في ظله أمرًا طبيعيًا، والواقع الذي أحرزه التمدن في بلد، لايدعو بالضرورة إلى نجاحه هو نفسه ، وبالصورة نفسها في أرض أخرى، تختلف في الواقع والمشرب والمعتقد[1] .

ولو أردنا حصرًا واستقصاءً لما كتبه قاسم في كتابه هذا لضاق بنا المقام ولكنى سأفسح المجال في ثنايا صفحات البحث للرد على أقواله التى أثارها وسأعالج ما تعرض له من أفكار، ولاسيما كلّ ما يمس وضع المرأة المسلمة .

وقبل أن أنهى اللقاء مع قاسم أمين وأفكاره التى أثارها في هذا الكتاب ، كان لزامًا عليّ أن أذكر طرفًا من الردود التى أثارها هذا الكتاب الثاني.

١ـ موقف الخديوي عباس من الحركة:

لقد علم الخديوي أن هذه الحركة وطيدة الصلة بالاحتلال البريطاني فكان لزامًا عليه أن يجابهها ويقف منها موقف العداء ، لمنافاتها للإسلام من جهة، ولصلتها بالاحتلال من جهة أخرى .

ويزداد الأمر وضوحًا بما نشرته صحيفة اللواء بتاريخ ٣ من المحرم سنة ١٣١٩هـ الموافق ٢٢ من إبريل سنة ١٩٠١م بعنوان : «رأي الجناب العالي الخديوي في مسألة الحجاب» جاء فيه ما يلي:

«يرى الجناب العالي حفظه الله في مسألة الحجاب، وإطلاق حرية النساء ما يراه

(١) المؤامرة على المرأة المسلمة / د. السيد علي فرج / ص ٧٢ / ٧٣ .

الشرع الشريف ويأمر به، وقد عرف رأى جنابه في هذا الشأن بأمرين:

الأمر الأول : أنه أبى قبول كتاب «المرأة الجديدة» عندما ذهب قاسم بك أمين في الأيام الأخيرة إلى المعيّة السنية والتمس تقديمه إلى سُمُوه .

الأمر الثاني: أنه قبل كتاب «الاحتجاب» الذي رفعه إليه يوم الجمعة الماضي حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ/ عبد الله نقيب الأشراف برودس، وتقبله بكل ارتياح وانشراح، أعرب عن عظيم امتنانه من نشره حتى ينتفع به المسلمون ، ويرشدهم إلى الرشد والصواب .

ولم يقف الأمر بالخديوي عند هذا الحد، بل لقد أصدر أمره السامي بمنع قاسم أمين من دخول القصر في أي مناسبة مع أنه مستشار، وذلك أنصع في الدلالة على استنكار الخديوي لهذه الحركة الأثيمة(١) .

وهكذا أثار هذا الكتاب أيضا حفيظة الأدباء والشعراء العرب، فتحدث عنه كل من : الشاعر جواد الشبيبي ـ العراقي ـ الذي قال :

منع السفور كتابنا ونبينا ... فاستنطقي الآثار والآيات(٢)

والشاعر: أديب التقي ـ الشاعر السامي ـ الذي قال :

كيف ترضى بأن ترى حاسرات ... يتملى وجوهها الفجار

واتخذت الخلاعة اليوم خلقا ... هو للشعب لو أفاق دمار(٣)

وليس موقف أحمد محرم علينا ببعيد، فلقد عارض أيضا نفس الفكرة التى دعا إليها قاسم أمين وأعوانه .

ما السبب في إثارة هذه الردود من خارج مصر:

---

(١) صحيفة اللواء القاهرية بتاريخ ٢١ / ٤/ ١٩٠١م ، وانظر كتاب المرأة ومكانتها في الإسلام / ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢) الشعر العراقي الحديث / مخطوط للشاعر/ جواد الشبيبي / ص ٢٦٣ .

(٣) الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام / لجميل صليبا / ص ١٤٤ / الناشر القاهرة ١٩٥٨م .

إذا كانت أفكار قاسم أمين التى نشرها في كتابيه، قد ذاعت وانتشرت في مصر، إلا أن الإنجليز قد اهتموا بترجمة هذين الكتابين، وبث القضايا التى احتوتهما ، اهتمامًا عظيمًا، ونشرت ذلك في جهات من الهند، والبلاد العربية ليذيع خبر تحرير المرأة، ومن ثم كان هذا الموقف من الشعراء والأدباء والكتاب العرب .

وفاة قاسم أمين:

مات قاسم موتة مفاجئة في ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٨م ، وربما كان لوفاته الفجائية أمرًا خافيًا .

يقول الدكتور / عبد الودود شلبي: «ربما لم يكن قاسم أمين (١٨٦٣ - ١٩٠٨) بهائيا أو ماسونيا من حيث الانتماء الفعلي ، وإن كانت ميتته المفاجئة في ٢٢ إبرايل سنة ١٩٠٨ بعد أسبوع واحد من إلقاء خطبته الأخيرة للدعوة لإنشاء الجامعة المصرية في ١٥ إبريل سنة ١٩٠٨ تتشابه كثيرًا مع أساليب الاغتيالات الماسونية الغامضة المفاجئة لأعضائها»[١] .

وحتى يخفى الماسونيين أمر هذا الخبر أقاموا له حفل تأبين أشادوا فيها بدعوته وأثنوا عليه ..

يقول الأستاذ / محمد عبد الوهاب : «ومات قاسم أمين سنة ١٩٠٨، فأوحى الإنجليز إلى شيعته بإقامة ما يسمى (حفل تأبين) له ، فأقاموا هذا الحفل، وأشادوا فيه بدعوته إلى السفور، فقابل رجال الحزب الوطنى هذه الحركة بإقامة احتفال كبير للدعوة إلى الحجاب، ولإبراز أصابع الإنجليز في فتنة السفور»[٢] .

ومات قاسم، فهل قبرت تلك الدعوة معه، وهدأ الأمر؟ أم ماذا حدث؟

هذا ما نود توضيحه وسبر أغواره من خلال سردنا لباقي سلسلة أدعياء التحرر.

---

(١) في مسألة السفور والحجاب / د. عبد الودود شلبي / هدية مجلة الأزهر / رمضان سنة ١٤٠٤هـ / ص ١٣ .

(٢) الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار الغربي / ص ١٩ .

هدأت الحركة حينا بعد موت قاسم أمين، إلا أن حزب الأمة استأنف الدعوة إليها على صفحات الجرائد، وكان هناك أنصار يروجون لها من أمثال:

لطفي السيد، الذي حمل على عاتقه الدعوة إلى خروج النساء سافرات باسم التحرير..

يقول الأستاذ/ أحمد محمد المقدم: «وإن مات قاسم أمين فهناك على الساحة السياسية من يستأنف الدور، ويحمل اللواء، هناك «حزب الأمة» وزعاماته المعروفة بعمالتها للإنجليز من أمثال أحمد فتحى زغلول(١) عضو محكمة دنشواي، والهلباوي جلادها وسفاحها، وهناك وكلاء الغرب المنضوون تحت لواء هذا الحزب من أمثال لطفى السيد(٢) الذي حمل على عاتقه الدعوة إلى خروج النساء باسم التحرير(٣) حتى أطلقوا عليه أستاذ الجيل» .

وسانده في ذلك طه حسين، وكامل مرسى، وغيرهم ممن كانوا يكتبون عن الحركة، سواء داخل الجريدة أو خارجها .

وتمضى الأيام تلو بعضها، وإذا بالحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م ، وكانت مصر آنذاك تحتلها انجلترا منذ سنة ١٨٨٢م ، وقررت عزل الخديوى عباس ومنحته لقب سلطان مصر، لأن انجلترا كانت تعلم جيدًا أن الخديوى يوالي تركيا ويساندها في نشر الإسلام والمناداة بالوحدة الإسلامية، فكان عزله تمهيدًا للقضاء على فكرة إسلامية، وفي

---

(١) شقيق سعد زغلول .

(٢) لطفي السيد / كان خصمًا للعروبة والوحدة الإسلامية، وكان يدعو إلى قصر التعليم على أبناء الأعيان، كما دعا إلى إحلال اللهجة العامية، بدلاً من التحدث بالفصحى ، عارض مساعدة المصريين لجيرانهم في طرابلس الغرب، أثناء الغزو الإيطالي عام ١٩١١م ، ومن مواقفه الشهيرة ، أنه مجد اللورد كرومر ووصفه بأنه من أعظم الرجال، ويندر أن نجد في تاريخ عصرنا ندًا له يضارعه في عظائم الأمور، ونشر هذا الكلام في اليوم الذي ألقى فيه كرومر خطاب الوداع فسب فيه المصريين، ومما يدل على مدى ولائه للإنجليز أنه رسم منهجًا للحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية في مصر يقوم على التبعية العامة للنفوذ الأجنبي والاحتلال البريطاني والفكر الغربي تحت عبارة خادعة هي «مصر للمصريين» وللمزيد من آرائه وأفكاره يرجع إلى كتاب: رجال اختلف فيهم الرأي ، للأستاذ / أنور الجندى / ص ٤ ـ ١١ .

(٣) عودة الحجاب / ص ٤٠ ، ٤١ .

نفس الظروف اعتقلت السلطات البريطانية رجال الحزب الوطنى الذين كانوا ينافحون عن مصر وعن الإسـلام، ويقفون ضد تيار حركـة تحرير المـرأة ، وانتهز أنصار الدعوة النسـائية الفرصة فـأصدروا مجلتهم (السـفور) باسـم «عبـد الحميد حمدي» وقد حملت على عاتقهـا نشـر الدعوة ضـد الحجاب، وضد الآداب والتقـاليد الإسـلامية وقبل هذه الفترة بثلاث سنوات كانت السيدة/ ملك حفنى ناصف، تطالب بحقوق المرأة وكانت أول امرأة مصرية تمثل النسـاء في مؤتمر حكومي عام، في حكومـة مصطفى رياض باشا عام ١٩١١م لبحث شـتى ميـادين الإصلاح التى تريد الحكومـة بحثهـا، فقدمت ملك حفنى مشروعًا بـإصلاح حال المرأة، فكـان هذا المشـروع في هذا الوقت بالذات داعيًا لاعتراف الحكومة بوجود هذه الحركة وأهم ما تضمنه مشروعها :

١ـ الدعوة إلى تعليـم البنات، وإطلاق الحرية في تعليم العلـوم العالية، كالطب وغيره لمن تريد .

٢ـ جعل الطلاق، وتعدد الزوجات بإذن من القاضي .

٣ـ اتباع عادة النساء في الحجاب الشرعي (كشف الوجه والكفين) .

هذا أهم ما تضمنه مشروع الباحثة ـ ملك حفنى ناصف[1] .

وهي وإن كانت معتدلة في بعض مطالبهـا إلا أنها، تعدت أحكام الدين في المطالب الأخرى، كتقييد سن الزواج، والطلاق، وتعدد الزوجات، وربما كانت متأثرة في ذلك بفكر الشيخ محمد عبده .

ومع ذلك فقد لاقت معارضة عنيفة من بعـض أنصـار حركة تحرير المرأة ولاسيما: (ميّ زيـادة) التى حـاولت أن تسـقط فكرها وتثبـت فكر قاسـم أمين، وليس أدل على هذا مما كتبته ميّ زيـادة بعنوان : «بحث انتقـادي» قالت فيـه مقارنـة بين ملك حفنى وبين قاسم :

«... وكلمـا جـاءت بتبديـل في النصوص الإصلاحيـة حـاولت سـبكه في قـالب

---

(١) آثـار باحثة البادية/ ملك حفنى ناصف/ ص ٣٠٥ / جمع وتبويب / مجد الديـن حفنى ناصف / الناشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر / سنة ١٩٦٢ تقديم / د. سهير القلماوي.

الاعتدال، مع مراعاة العادات المألوفة ما أمكن ، هي كثيرة الحذر في إصلاحها، عملية متواضعة في مطالبها، لاتبتعد مترًا واحدًا، عن حدود بيئتها، وإن حامت فوقها بما أوتيت من شجاعة وذكاء، إلا أنك حينما تسمعها صارخة، كثيرًا ما تظن أنها تفعل لتؤكد لك أنها غير خائفة .

أما قاسم أمين فلا يصرخ ولا يخاف، ولايرتعش في فكره مقدار الكمال الكافي لاختطاط النظريات إلى الواقع، بل الواقع بعينه ....[(1)] .

وهكذا نرى من (ميّ زيادة) تمسكها بفكر قاسم أمين وإشادتها به، كما عدته من المنظرين الكبار الذين يجب الاقتداء بهم، وفي الجانب الآخر أسقطت فكر ملك حفنى وراء ظهرها، لأن ميّ تأثرت بتيار التنوير الجارف وحركة التغريب الوافد من الغرب.

وما أمر ميّ علينا ببعيد، فهي التى ولدت في الناصرة الفلسطينية بلبنان، موطن أهلها، وجاءت إلى مصر عام ١٩٠٨ ، فعاصرت كثيرًا من الأحداث التى مرت بها مصر، وما أن فتحت الجامعة الأهلية أبوابها، حتى بادرت ميّ بالدخول فيها، وتلقت محاضرات في الأدب والتاريخ والفلسفة ، فضلا عن أنها كانت تتقن اللغة الإنجليزية، والألمانية، والفرنسية، كل ذلك جعلها تتأثر بتيار التحرر وتناصر فكر قاسم أمين وأمثاله .

ومن ثم تيار التحرير، وتطوير الحياة في مصر على أشده، حتى جاءت ثورة ١٩١٩م فنفخت في بوقه، وأشعلت من حماسه، فماذا حدث بعد ذلك؟

الحركة النسائية وثورة ١٩١٩م

كانت الدعوة إلى تحرير المرأة قبل ثورة ١٩١٩م محصورة في أضيق الحدود، حتى أن المتظاهرات كن يخرجن في ذلك الحين محجبات ، يرتدين البراقع البيضاء، وعقب انتهاء الثورة، انتقلت الحركة من مرحلة المحاورات والمطالبات بحقوق المرأة إلى حيز التنفيذ ، فبدأت المرأة برفع النقاب عن وجهها، إعلانا منها ببدء مشاركتها في المجالات السياسية

---

(١) باحثة البادية / مي زيادة / بحث انتقادي/ ص ١٢٥ / ١٢٦ مطبعة المقتطف القاهرة سنة ١٩٢٠ م .

وفي الكفاح الوطنى ضد المحتل، وكان أول تعبير لها عن ذلك كما يقول الأستاذ/ عبد الرحمن الرافعي : هو «قيام السيدات في ١٦ يناير سنة ١٩٢٠م بمظاهرة سارت من محطة مصر إلى شارع الجمهورية، فميدان الأوبرا، فشارع عابدين، وتعرض لها الجنود البريطانيون، وطلبوا منهن التفرق فأبين واستمررن في المظاهرة إلى أن انتهت بسلام[١].

ومنذ ذاك الوقت لم تعرف الحركة النسائية بقيادة هدى شعراوى التوقف .. فمن هي هدى شعراوى التى لها هذا الدور البارز؟

هدى شعراوي:

ابنة محمد باشا سلطان، وزوجة المرحوم على باشا شعراوي، وكان أبوها يرافق جيش الإحتلال الإنجليزي في زحفه على القاهرة ، فضلاً عن أنه كان يدعو الأمة إلى استقباله وعدم مقاومته، وقد سجل التاريخ له أسود الصفحات،حينما تقدم مع فريق من الكبراء بهدية من الأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الإحتلال شكرًا لهم على إنقاذ البلاد، وقد فرض الاحتلال على «الخديوى عباس» آنذاك أن يمنحه عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية اعترافًا من بريطانيا له بالجميل ، بل لقد أنعمت عليه إنجلترا بنيشان (سان ميشيل) و(سان جورج) الذي يلقب حامله بلقب (سير)[٢] .

وكان زوجها ـ على شعرواي ـ ابن عمتها ـ رفيق سعد زغلول، وعبد العزيز فهمي أصدقاء الإنجليز، وأحد أعضاء «حزب الأمة» الذين أطلق عليهم (الإنجليز) اسم «الرجال المعتدلون» لأنهم حاربوا في سبيل بريطانيا أما مصطفى كامل، فوصفوه بالرجل العنيف[٣] .

ولا أود أن أسترسل في الجانب السياسي بقدر ما أسترسل في التعرف على شخصية هدى شع اوي .

مدى تأ ـها بالثقافة الغربية:

يقول الأ ـستاذان / محمد خيال، ومحمود الجوهري : « ومن المعروف أن هدى

(١) تاريخ مصر القومي ثورة ١٩١٩/ عبد الرحمن الرافعي / جـ٢ / ص ٧٥ / الناشر: دار الشعب سنة ١٩٦٨م.
(٢) الحركات النسائية ن الشرق وصلتها بالاستعمار الغربي/ ص ٢٣ ، ٢٤ بتصرف قليل .
(٣) انظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر / د. محمد محمد حسين / جـ٢/ ص ١٣٥ وص ٣٨٨ .

شعرواي كانت على ثقافة فرنسية أوربية، أهلتها لقيادة الحركة النسائية المصرية ، بعد تكريمها في المؤتمر النسائي الدولي الذي عقد في روما سنة ١٩٢٣ ، حضرته مع سيزا نبراوي، وفي أعقاب عودتها من هذا المؤتمر خلعت الحجاب، ونشطت في تكوين الاتحاد النسائي المصري، الذي يحمل في رأس لائحته منع تعدد الزوجات ، تقييد الطلاق، إلغاء بيت الطاعة[١] .

كما تأثرت في ثقافتها بزوجة حسين رشدي باشا الفرنسية ، التى كانت تكبرها وترى فيها مالم تره في النساء المصريات أو الشركسيات ، ومن ثم أعدتها إعدادًا جيدًا وأشربتها الفكر التحرري، إذ كانت تقص عليها كل ما دار عن حركة تحرير المرأة، حتى لم يكن غريبًا على هدى شعراوى أن تقوم بهذا الدور الخطير تجاه حركة تحرير المرأة .

كيف لا ؟ وهي التى تربت تربية خاصة ، على تلك الأفكار المسمومة، فقد كانت أسرتها معتادة التنقل بين القاهرة واستنابول وباريس، وقد سافرت في شبابها إلى باريس سنة ١٩٠٩، وزارت محلاتها الكبرى، رأت الأزياء والملابس تعرض على فتيات جميلات أنيقات، كما رأت مهرجان بولونيا للزهور، وقد اختلطت بها النساء والرجال وأعجبت بالفرنسيين رجالاً ونساءً ، وشاهدت بوادر النهضة الأوربية بين السيدات الراقيات، وتمنت لو أنها استطاعت أن تحققها في مصر الأمر الذي دفعها بعد عودتها إلى مصر إلى أن تنشئ ناديًا أدبيًا للسيدات، وأن تشكل لجنة نسائية تحت اسم «جمعية الرقي الأدبي للسيدات»[٢] .

يقول الدكتور/ السيد أحمد فرج: «إذن فقد أعدت هدى شعراوي إعدادًا يوافق طبيعتها لكي تؤمن بأهمية دورها في تطوير حياة المرأة المصرية، وما يحيط بها من وجوه الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية، ولكن إذا كانت الظروف تخلق الحالات كما يقولون، فإن ثورة ١٩١٩ هي التى هيأت للمرأة ـ بقيادة ـ هدى شعراوي ـ الفرصة الكبرى، التى أرغمت الرجل على قبولها مشاركة له في صفوف الثورة، لتكون

---

(١) الأخوات المسلمات / ص ٢٥٦ .

(٢) مذكرات هدى شعراوي / ص ١٢٤ ، ١٢٥ / كتاب الهلال القاهرة سبتمبر سنة ١٩٨١م .

صاحبة حق شرعي ، وميراث مضمون في الحياة المصرية، التى يتحكم فيها الرجل في ذلك الحين[1] .

دورها في ثورة ١٩١٩م:

في يوم ٨ مارس سنة ١٩١٩ اعتقل سعد زغلول باشا، ومحمد محمود باشا، وحمد الباسل باشا، وإسماعيل صدقي باشا، ونفوا إلى جزيرة مالطة، وكان هذا الاعتقال بمثابة الشرارة التى أشعلت ثورة ١٩١٩ ، وفي تلك اللحظة برزت هدى شعرواى ومعها وفد من النساء يؤيدون الإضراب، ويشجعن الرجال عليه، ودفعت أحداث تلك الثورة بقيادة هدى شعراوي إلى تشكيل لجنة الحركة النسائية، ومن ثم بدأ دور المرأة يطفو على ساحة البحث، ووجدت المطالب العديدة لهن، ونتج عن ذلك مشاركة هدى شعراوي في المؤتمر النسائي الدولي الذي عقد بروما في مارس سنة ١٩٢٣، وفي العام نفسه مُنِحتْ هدى شعراوي عضوية المؤتمر، وهكذا اندمجت الجمعية النسائية المصرية في الاتحاد النسائي الدولي، ومن ثم لم تعد المطالب للمرأة محلية قاصرة على مشاركتها في الأعمال السياسية داخل بلدها فحسب، بل أصبحت عالمية، خارج قطرها .. تقول هدى شعراوي في ذلك: « لقد أصبحت جهود المرأة المصرية عالمية لا محلية، وهذا نصر كبير لبنات القرن العشرين في مصر»[2] .

وهنا ظهر التحول في وضع المرأة المصرية، وأخذت تتعامل كند للرجل، وأوضح دليل على ذلك ما نشرته جريدة الأخبار بتاريخ ١٧/ ٦/ ١٩٢٣ تحت عنوان: حقوق المرأة في الإسلام / للشيخ عبد العزيز البِشري ، وهذا المقال تضمن حقوق المرأة التى كفلها الإسلام لها، وذكر عقب ذلك بأن مؤتمر روما الذي عقد في مارس ١٩٢٣ / والذي حضرته هدى شعراوى ووفد من النساء معها لم يمنحها أكثر مما منحها الإسلام.

فردت هدى شعراوي على هذا المقال قائلة: «إنهن لم يذهبن لمؤتمر روما ليطالبن بالمطالب التديمة المتمثلة في طلب إلغاء تعدد الزوجات، أو تعديل نظام الخطبة، أو

(١) المؤامرة على المرأة المسلمة / ص ١٠١ .
(٢) مذكرات هدى شعراوي / ص ٢٥٢ .

تضييق دائرة الطلاق على الرجال، ولكنهن أردن أن يظهرن المرأة المصرية بحقيقتها الثابتة أمام المرأة الغربية التى تجهل عنها كل شيء، وأن يبين أن المرأة المصرية الحديثة تكاد تساوى أختها الغربية في مدنيتها ... وأن المرأة المصرية في أشد الحاجة إلى الاشتراك مع المرأة الغربية لتقتبس من أخلاقها، وعاداتها، ومدنيتها، وكل ما يتفق مع النهضة العامة»[1] .

ومن ثم أصبحت المرأة المصرية التابعة للحركات النسائية لاتكتفى بالاتصال بنساء الغرب عن طريق الكتّاب والمراسلات، بل انتقلت بنفسها إلى هناك، لتستقى من علوم الغرب وترجع إلى ديارها بثقافة غربية صرفة، تاركة دينها وراء ظهرها ، وسافرت كل من صفية زغلول، وسبزا نبراوي، ودرية شفيق، وسهير القلماوي وغيرهن ممن حملن لواء الدعوة إلى تحرير المرأة، وطالبن بنفس المطالب التى نادى بها قاسم أمين ومرقص فهمي من قبل، وحتى أكون منصفًا في قولي هذا لابد وأن أذكر طرفًا قليلا عن دورهن في مساندة هذه الحركة ...

دور صفية زغلول[2] :

سافرت صفية زغلول مصطحبة معها زوجها سعد زغلول إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح سنة ١٩٢٠ لعرض القضية المصرية، وفي هذه الفترة كانت متحجبة ، ولكن ماذا حدث لها بعد عودتها إلى مصر؟

يقول الأستاذان/ محمود الجوهرى، محمد خيال: «وقد مكثت صفية ترتدى الحجاب إلى أن عادت إلى مصر مع سعد زغلول بعد عودته من منفاه، وعلى ظهر الباخرة التى نقلتهما إلى الاسكندرية ، وجد سعد البحر وقد امتلأ بألوف المخدوعين يستقبلونه بالقوارب، وقال سعد لصفية: ارفعي الحجاب .. وتدخل «على الشَّمسِي» و« وَاصِفْ زغلول» من أعضاء الوفد وعارضا في ذلك فقال سعد زغلول : المرأة خرجت إلى الثورة بالبرقع ومن حقها أن ترفع حجابها اليوم، ورفعت صفية زغلول

---

(١) نفس المرجع / ص ٢٩١ .

(٢) هي بنت مصطفى فهمي ـ وقد تسمت باسم زوجها سعد زغلول تشبها بالإفرنج في نسبة المرأة إلى زوجها، ولقبت بأم المصريين .

الحجاب، ثم وقفت إحدى صنائع الاستعمار تخطب في القاهرة في احتفال الشعب المخدوع بقدوم الزعيم وقد وضعت علىوجهها البرقع وبعد انتهاء الخطاب ، تقدم الزعيم وطلب منها رفع الحجاب، وعندئذ رفعت الحاضرات الحجاب[١] .

وإن الناظر إلى هذه الحادثة ليتضح له بجلاء أن هذه خطة رسمها أعضاء الاحتلال البريطاني لسعد، لينفذ من خلالها إلى الدعوة علنًا لمنع الحجاب من على رأس المرأة، والدعوة إلى خروجها سافرة، وتقليدها للمرأة الغربية .

يقول الأستاذ/ محمد أحمد المقدم: «نفت بريطانيا ـ صديقها ـ سعد زغلول وجماعته إلى جزيرة ـ سيشل ـ فترة ثم أعادته إلى مصر لتوليه رئاسة الوزارة ووقعت معه معاهدة، ليكون احتلالها لمصر شيئا رسميًا متفقًا عليه .

هُيء الجو في الإسكندرية لاستقبال سعد، وأعد سرادقًا كبيرًا للرجال، وآخر للنساء المحجبات، وأقيمت الزينات في كل مكان، ونزل سعد من الباخرة، وعلى استقبال حافل وهتافات، أخذ طريقه إلى سرادق النساء، دون سرادق الرجال، فلما دخل على النساء المحجبات، استقبلته ـ هدى شعراوي ـ بحجابها، فمد يده فنزع الحجاب عن وجهها، تبعًا لخطة معينة، وهو يضحك، فصفقت هدى، وصفقت النساء لهذا الهتك المشين، ونزعن الحجاب، ومن ذلك اليوم أسفرت المرأة المصرية ، استجابة لرجل الوطنية سعد زغلول ، وأصبح الحجاب نشازا في حياة المسلمة المصرية[٢] .

ولم يكتف سعد زغلول بذلك بل زاد الأمر وبالاً، فلقد كان يمنع النساء اللاتي يحضرن لسماع خطبه من وضع النقاب على وجوههن.

«جاء في جريدة الجمهورية ـ الصادرة في ٢٠ / ٤ / ١٩٧٨م في الذكرى السبعين لموت قاسم أمين ـ تحت عنوان «تحليل شخصية قاسم أمين » ولما تولى سعد زغلول زعامة الشعب في عام ١٩١٩م اشترط على السيدات اللواتي يحضرن لسماع خطبه أن يُزحن النقاب عما سمح الله به من وجوههن ، وكانت هذه أول مرحلة عملية السفور.

---

(١) الأخوات المسلمات : ص ٢٥٥ .

(٢) عودة الحجاب (معركة الحجاب والسفور) ، ص ٤٣ .

ولن نمضي مع سعد كثيرًا لأننا ذكرنا من قبل أنه كان صديقًا للإنجليز ، إذ كان وزيرًا للمعارف، فضلا عن إنه عُيّن في هذا المنصب بأمر من اللورد كرومر، إذًا فلا نستبعد مثل هذا من سعد زغلول وزوجته صفية زغلول .

وكان لتشجيع زغلول وزوجته صفية، وهدى شعراوي ... للحركات النسائية دور خطير في نمو هذه الحركات واشتهارها ، حتى أن الدكتورة «ريد» رئيسة الاتحاد النسائي الدولي حضرت بنفسها إلى مصر لتدرس عن كثب تطور الحركة النسائية، ولتناصر هذه الحركة بنفوذها في المحيط الأوربي، وبتصريحاتها التى ترمى إلى المساعدة بإعطاء المرأة المصرية الحقوق السياسية المزعومة .

يقول الأستاذ / محمد عبد الوهاب : «وبعد عشرين عامًا من تكوين هذا الاتحاد استطاع بالنفوذ الأجنبي وأذناب الاستعمار أن يمهد لعقد ما سمى بالمؤتمر النسائي العربي سنة ١٩٤٤ ، وقد حضرت مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة، واتخذت فيه القرارات ، وفي مقدمتها بالطبع تقييد الطلاق، وتعدد الزوجات، والمساواة التامة مع الرجال في كل الحقوق والواجبات، ليس ذلك فحسب، بل قرر المؤتمر المطالبة بحذف نون النسوة من قاموس اللغة العربية[١] .

وهكذا مضت الحركات النسائية في الدعوة إلى تلك المبادئ، لا تألوا جَهدًا من الدعوة إليها، كلما خمدت النار قليلاً، أزداد أوارها بزعامة أعداء الإسلام تارة، وزعامة أذناب الاستعمار تارة أخرى .

والآن مع دور سيزا نبراوي...

سيزا نبراوي ودورها في الحركة النسائية :

كانت سيزا متحررة متحمسة للدعوة إلى حركة تحرير المرأة إذ أنها تلقت تربيتها في فرنسا، وأجادت اللغة الفرنسية أكثر من إجادتها للعربية، ومن ثم تشرّبت بالثقافة الغربية أكثر من تشربها بالثقافة الإسلامية، فماذا يرجى منها؟

إنها تعطينا تصورًا عامًا من حياتها فتقول كما ذكرت بمجلة حواء عنها:

---

(١) الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار الغربي / ص ٢٥ .

«وعندما عدت من الخارج حيث عشت حتى بلغت الثامنة عشرة من عمري كنت متحررة متحمسـة ، ولهذا رفضت لبس البرقع، وأصررت على لبس القبّعة، وبحكم الصداقة التى كانت بين والدتي وبين المرحومة هدى شعراوي أخذت تهدئ من ثورتي وتقنعنى بأنّ الظروف غير مواتية للحصول على حقوق المرأة مرة واحدة، وأن المطالبة بها في هدوء يجنبنا ثورة الرجال الذين كانوا كل شئ في ذلك الوقت[١] .

وهكذا تبنت سيزا نبراوي الدعوة إلى حركة تحرير المرأة، وسارت في نفس الخط الذي سارت فيه هدى شعراوي، غير أنها كانت ثائرة تتمنى أن تلبي مطالبها ما بين عشية وضحاها، ولم تكتف في دعوتها بالكلام فحسب، بل لشدة اقتناعها بالمبادئ التى تنادى بها، طبقتها عمليا في حياتها الخاصة، فعلى سبيل المثال نذكر هذه الواقعة التى حدثت لها لما تقدم الفنان مصطفى نجيب للزواج منها ماذا حدث؟

يقول الأستاذان/ محمود الجوهرى ، محمد خيال: قالت له : «إنها لاتستطيع أن ترتبط بحياة يكون من حق أحد طرفيها فقط التخلي عن التزامه فيها بالطلاق في أي وقت يشاء، واقترح العريس أن تكون العصمة في يدها، وتم الزواج الذي دام أربع سنوات فقط، ومن يومها لم تُكرر التجربة مرة أخرى.. وعاشت كما تقول: لابنتها وللحركة النسائية وذكرياتها مع هدى شعرواي»[٢] .

وسكتت الأمور فترة وجيزة، نظرًا للظروف والتغيرات التى طرأت على مصر، ولاسيّما الحرب العالمية الثانية التى نشبت في سبتمبر سنة ١٩٣٩م ، وتعرضت البلد آنذاك لكثير من المخاطر، جعلت كثيرًا من المسلمين والعرب أن يعيدوا حساباتهم لكل ماعن من احتلال فلسطين من ناحية، وسوء وضع البلد من ناحية أخرى، ولكن سرعان ما تدخلت السلطات الأجنبية للنفخ في بوق القائمين على حركة تحرير المرأة ، ومساندتهم في ذلك، ولاسيّما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م، وإلغاء الرقابة على الصحف والمطبوعات وغير ذلك مما فرضته سلطات الاحتلال البريطاني في هذه الآونة، ولكن يهمنا أن نبرز دور الحركات النسائية في الدعوة إلى تحرير المرأة في

---

(١) مجلة حواء/ العدد (٢١) بتاريخ ٢١ / ١٢/ ١٩٥٧م.
(٢) الأخوات المسلمات / ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

هذه الفترة، فلقد أفل نجم هدى شعراوي وسيزا نبراوي، وصفية زغلول، فمن تولت الزعامة بعدهن؟

لقد بدأت نجوم نسائية جديدة تطفو على الساحة وتظهر في الأفق، كان من أظهرها نجم درية شفيق، فمن هي؟ هذا ما أود التعرض إليه حتى نقف على حقيقتها:

درية شفيق ودورها في الحركة:

تخرجت من الرعيل الأول لطالبات الجامعة المصرية في أول عهدها، إذ كانت الجامعة مختلطة - البنين مع البنات - وتلقت تعليمها على يد لطفي السيد - أستاذ الجيل - كما ذكرنا ذلك آنفا ، ومن ثم كانت تلميذة وفية لمبادئه التي نادى بها، إذ كانت تظهر بملابس سافرة خليعة في الجامعة فتتحدى مشاعر الطلاب والأساتذة، ثم ذهبت إلى فرنسا لتحصل على الدكتوراة عقب تخرجها من الجامعة، ثم عادت إلى مصر لتنادى بتشكيل حزب بنت النيل في سنة ١٩٤٩م ، ولم يمض قليل حتى أصدر ذلك الحزب الناشئ مجلة بنت النيل، باللغة العربية، وبعد أشهر من تشكيله سافرت إلى إنجلترا .

يقول الأستاذان الجوهري، خيال: «وفي الوقت الذي كان فيه ٨٥ ألف جندى يحتلون أرض الوطن، وهناك قوبلت مقابلة رؤساء الدول وزعمائها، ورحبت بها الصحف البريطانية، وألقت عليها الأضواء ونشرت لها أحاديث عديدة تبرزها في صورة المناضلة والزعيمة الأولى في مصر لتحرير المرأة من قيود الإسلام، قيود الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات، يقول مراسل جريدة «ذي سكتشمان» في تقديمه لأحد أحاديثها : «إن الأهداف المباشرة لحزب بنت النيل هي كما أوضحتها الدكتورة درية شفيق: منح المرأة الاقتراع وحق دخول البرلمان، والمطمح الثاني الذي تهدف الدكتورة لتحقيقه هو إلغاء تعدد الزوجات، وإدخال قوانين الطلاق الأوربية في مصر...»[1] .

وغير ذلك مما نادت به تلك المرأة المتحررة التى كانت تتمنى قلب الوضع ما بين

---

(١) الأخوات المسلمات / ص ٢٦٢ / ٢٦٣ .

يوم وليلة، ولكنها لم تستطع الوصول إلى ما تمنتهُ ، لأنها كانت قلقة مضطربة كالعصر الذي ظهرت فيه .

ولو ذهبنا نستقصى ما كتبته درية شفيق في هذا المجال لضاق بنا المقام، ولكن أكتفى بهذا حتى أستطيع سرد الأحداث التى تلتها بعد ذلك .

- فماذا حدث بعد هذه الظاهرة الثانية؟

- هل خمدت نار الفتنة أم زاد أوارها ؟

هذا ما أود أن أوضحه فيما يلي:

لقد ذكرت آنفًا أن هدى شعراوي قامت بدور كبير في تاريخ الحركة النسائية سنة ١٩٢٤م ثم حملت اللواء بعدها درية شفيق فقامت أعنف المظاهرات في عهدها في ١٢ مارس ١٩٥٤، أثناء الحكم الجمهوري، وبعد ذلك اختفت درية شفيق، حتى خلف جمال عبد الناصر محمد نجيب في ١٦ يناير ١٩٥٧ وأعلن حقوق المرأة السياسية لأول مرة في الخطاب الذي ألقاه في نفس اليوم الذي تولى فيه الحكم، ووافق على ما جاء في دستور ١٩٥٦م من أن الانتخاب واجب وطنى للمرأة مثل الرجل، وفي سنة ١٩٥٧م ، أنتخبت سيدتان لمجلس الأمة هما: أمينة شكري في الأسكندرية ، وراوية عطية في الجيزة(١) .

يقول الدكتور/ السيد أحمد فرج: « ثم كان أكبر تتويج للمرأة ما جاء بالميثاق الوطنى سنة ١٩٦٢م لينص على أن المرأة لابد أن تتساوى بالرجل، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة، حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية في صنع الحياة»(٢) .

ولقد اعترف الميثاق بحقوق المرأة السياسية والاقتصادية ، حتى نظر إلى المراة على أنها كم اقتصادي كالرجل سواء بسواء ، ولقد نادى بذلك رئيس الدولة - جمال عبد الناصر - وكان صاحب الإرادة في هذا المجال ، إذ وافق على دستور ١٩٥٦م ، الذي

---

(١) انظر دستور ١٩٥٦ / مادة (٦١) .

(٢) الميثاق الوطني/ الباب السابع/ الإنتاج والمجتمع / نقلا عن كتاب المؤامرة على المرأة المسلمة / ص ١١٦.

نص على أن الانتخاب حق للمصريين، رجالا ونساءً، ومن ثم نادى بذلك في كثير من خطبه فها هو مقطع من نص الخطبة التى ألقاها في معسكر الفتيات في رشيد في ٢٨ يوليو ١٩٥٩م جاء فيها ما يلي :

«كان لابد لنا بعد أن اكتشفنا أنفسنا، أن نكشف نصف شعبنا ـ المرأة ـ ونعطيها جميع حقوقها، وقد وضعنا هذا موضع التنفيذ»(١) .

وهكذا سار عبد الناصر في كل بياناته بالدعوة إلى تحرير المرأة بدنيًا ومعنويًا، حتى رد على مواطن سأله في ٢٨/ ٥/ ١٩٦٢م أن يوجه الناس إلى أهمية الحجاب الشرعي للمرأة، فرد عليه قائلاً : لا أريد أن أدخل معركة كبيرة مع ٢٥ مليون من المواطنين ـ هم تعداد مصر في ذلك الوقت ـ أو مع نصفهم على الأقل»(٢) .

وهكذا مضت الأمور طبيعية في عهده، حتى نالت المرأة أكثر مالم تطلب، بل فوق ما كانت تطمع، ومن ثم زادت في السفور، وظهرت عقب ذلك نجمات أخرى، حملن الراية مع درية شفيق، مثل الدكتورة/ حكمت أبو زيد التى برزت في أكتوبر سنة ١٩٦٢ ، بعد إعلان الميثاق الوطنى بثلاثة شهور، وعينت وزيرة للشئون الاجتماعية وعقد أخطر مؤتمر نسائي برئاستها في ٢٣/ ١١/ ١٩٦٣ بالقاهرة وكان من متطلباته معالجة المشاكل التى تصادف المرأة من جرّاء العمل، وربط المؤتمر زيادة الإنتاج كمًا وكيفًا بعمل المرأة، لأنها نصف المجتمع، وليس إنتاجها قاصرًا على الإنجاب فحسب، كما طالب بتنظيم الأسرة، وغير ذلك من الأمور التى نادى بها هذا المؤتمر(٣).

وهكذا مضت الحركات النسائية الحديثة في عهد عبد الناصر تزداد يومًا تلو الآخر نموًا فكريًا غربيًا، حتى رأينا في عصرنا من تَسَمَّمَ بهذه الأفكار ونادى بها، من أمثال الأستاذ/ حسين أحمد أمين والأستاذ / زكي نجيب محمود، وغيرهما كثير فعلى سبيل المثال كتب حسين أحمد أمين مقالاً تحت عنوان «عودة المرأة إلى الحجاب» نشر بمجلة أكتوبر العدد (٣٥١) في ١٧ يوليو سنة ١٩٨٣م ص ٢٤ ـ ٢٦ / هاجم في مقاله المرأة

---

(١) مجموعة خطب جمال عبد الناصر وتصريحاته وبياناته / القسم الثاني/ ص ٥٧١/ مصلحة الاستعلامات.
(٢) نفس المرجع/ القسم الرابع / ص ٨١ .
(٣) انظر الحركة النسائية الحديثة / د. إجلال خليفة / ص ٢٠٠ / المطبعة العربية الحديثة سنة ١٩٧٣م.

المحجبة، وعزى فيه أنها احتجبت لتخفى دمامة وجهها، وقبح صورتها، ورفض أن يفسر ذلك تمسكًا بدينها، ثم قال إن الحجاب لم يظهر إلا عقب هزيمة ١٩٦٧، وعلق ذلك على الإحباط الناتج عن الهزيمة ، إلى غير ذلك مما علل به انتشار الحجاب ..

ولو أنصف لقال إن حجاب المرأة في ١٩٦٧م وتمسك الشعب المصري بدينه كان سببًا في نصر ١٩٧٣م.

أما الكاتب الثاني: زكي نجيب محمود قال في مقال له تحت عنوان: «ردة في عالم المرأة » نشر في جريدة الأهرام يوم ١٧ / ٤ / ١٩٧٤ / ص ٧ ـ رأى فيه أن المرأة اليوم تتبرع بحجاب نفسها قبل أن يأمرها بالحجاب والد أو زوج....

إلى غير ذلك مما كتبه أمثال هؤلاء الكتاب وتبعهم في ذلك أيضًا كاتبات تأثرن بالثقافة الغربية من أمثال :

سهير القلماوي التى تربت في الجامعة الأمريكية، وتخرجت من معهد الأمريكان، وأمينة السعيد التى كانت تلميذة وفيه لطه حسين ، ورأست تحرير مجلة حواء، وعندما رأت الحجاب ينتشر في مصر أزعجها ذلك، ووصفته بأنه كفن ككفن الموتى، إلى غير ذلك مما قالته .

ولو ذهبنا نستقصى كل ما كتب في هذا المجال لضاق بنا المقام ونكتفى بهذا، طالما أنها سلسلة متصلة ببعضها، ينفذون مارسم لهن من أعداء الإسلام تاركين تعاليم الإسلام وراءهم ظهريا، وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سأرد على تلك الأفكار الهدامة من خلال صفحات هذا البحث، موضّحًا مدى نوايا هؤلاء الأذناب من دعوتهم، وهل هم منصفون أم لا؟

والله أسأل أن يجنبنا الزلل، وأن يرزقنا الإخلاص في كل قول وعمل،،،،

الفصل الثاني

الدعاية والوسائل لحركة تحرير المرأة

أ ـ دعوة اليهود لتحرير المرأة:

إن اليهـود يسيرون على خطـط مدروسة وتجـارب مقننة، صـارت كالحقائق العلمية لديهم، واسـتطاعوا بما أوتوا من وسـائل العلم الحديث أن يصلوا إلى دراسـة الإنسـان دراسـة عميقـة للوصول إلى مخططـاتهم، فتعرفـوا على جميع اتجاهاتـه من ناحيـة القوة والضعف تـارة، ومن ناحية ميولـه وأفكاره تارة أخرى ، حتى يصلوا إلى أسـهل السبل وأيسـرها للاستحواذ على قلبه وعقلـه، ولقد ركزوا جهودهـم في تحليل شخصية المسلم تحليلا عميقًا في مختلف مراحل حياته، منذ نعومة أظفاره حتى نهاية عمره .

وبذلك اسـتطاعوا أن يحاصروه مـن جميع الاتجاهـات داخل المنزل وخارجـه، فنرى داخل المنزل الشاشـة الصغيرة وما شـاكلها بما تعرضـه من مسلسـلات هابطـة وأفلام خليعـة، ممـا ينعكس على الشـخصية الإسـلامية، فتتميع تلك الشـخصية بما شـاهده وتصرف جُلَّ وقتهـا أمام مشـاهدة فيلم ماجن، أو مسلسل عـار من الأخلاق، فتسيطر بذلك الشهوات والغرائز الجنسية على شخصية المسلم .

ولقد حرصت الصهيونيـة العالمية على انهيار الأخلاق في العـالم، وسيطرة الشهوات والغرائز الجنسية على عقولهم، وعملـت على حصر العـالم الإسـلامي بالذات في دائرة الضنك والحرمـان لاهمَّ لهم إلا لقمـة العيش والحصول عليهـا بـأي وسيلة، وهـم بهذا يمهدون للسـيطرة على العالم بأفكـارهم المسمومة، لأنهـم علموا أن صرف أنظار العالم الإسلامي إلى الـترف والحرص على جمع المال يزيدهم تعلقًا بالحياة وحرصًا عليها، كما يزيدهـم خوفًا مـن الموت ورهبـةً منـه، وبالتالى يشـغلهم عن القيم الإسـلامية الرفيعة، والمبـادئ الإنسـانية السـامية، والمشـاعر التى تدفعهم للحفـاظ على كرامتهم، وعزتهم والذود عن حقوقهم ومقدساتهم .

ومن ثم يسهل على الصهيونية العالمية تحقيق أهدافها بأقل التكاليف، وبسط نفوذها على العالم في أوجز فترة ممكنة، ولقد جندوا لأفكارهم كثيرًا من المفكرين والكتاب .

يقول الأستاذ/ محمود محمد الجوهري: «لهذا عمل اليهود على ضرب المجتمعات من الداخل بالانحلال، وتقويض دعائم الأسرة بالإباحية، وكان أول رائد لهم في العصر الحديث هو اليهودي (فُرويد) الذي عمل في مجال الأخلاق ما عمله (دَارْوِن) و(مَارْكِس) في مجالات الفكر والدين»[١] .

وإن الناظر إلى بروتوكولات حكماء صهيون بدقة يجد أن الصهيونية العالمية عملت على انهيار الأخلاق في العالم كله عامة وفي العالم الإسلامي خاصة، وجندت لذلك أفكارها وعملاءها في كل مكان حتى يسيطروا من خلال ذلك على العالم كله يقول البروتوكول الأول من بروتوكولات حكماء صهيون: «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان لتسهل سيطرتنا ، إن فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، لكي يبقى في نظر الشباب الشيء المقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار الأخلاق»[٢] .

انظر إلى أي مدى بعيد استطاع اليهود أن يسيطروا على العالم الإسلامي عن طريق الشهوات المادية والمعنوية، ففي إطار هذا المخطط الأثيم عمل فرويد على نظريته النفسية التى فحواها أن سلوك الفرد في المجتمع وعلاقته مع الآخرين مرتبطة بالغريزة الجنسية فهي التى تتحكم في كل اتجاهاته ، وكبت هذه الغريزة يؤدى إلى كبت جميع الطاقات فيه، كما أن الدين ناشئ عن طريق الكبت في نظر أوديب، إلى غير ذلك من النظريات التى شاعت بين الفلاسفة وعلى رأس هذه النظريات النظرية الاجتماعية التى تبناها اليهردي (دُورْكَايِم) وفحواها: أن الأسرة عمل صناعي ولا ضرورة لها، وبالتالى فشيوعية النساء هي الأصل في الحياة .

---

(١) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية/ محمود محمد الجوهرى ، محمد عبد الحكيم خيال / ص ٢١٥/ الناشر / دار الدعوة سنة ١٩٨٠م.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون/ محمد خليفة التونسي ص ٢٢٥/ الناشر/ مكتبة دار التراث.

وهو يقصد من وراء ذلك هدم الأسرة والدعوة إلى تفكك عرى المودة والإخاء، وعملت كل هذه النظريات وأمثالها والتى تبناها اليهود على ضرب الأخلاق، والوصول بالإنسان إلى مرتبة أقل من الحيوان بإطلاق العنان للغرائز والشهوات.

ولم تقف مؤامرة اليهود عند هذا الحد، بل حرصت كل الحرص على إمساك الخيط من أوله، فعلموا أن المرأة هي السبيل إلى أغراضهم الدنيئة فعملوا على إخراجها من بيتها مدّعين أن عملها يوسع آفاقها ، وينمى مواهبها، ويقوى شخصيتها، فضلا عن أن مجد الأمة في كثرة الأيدي العاملة، وأنها نصف المجتمع فكيف يُعطّل هذا النصف وجندوا لهذه الأفكار الهدامة دعاة ينادون بها، ومرت الأيام واقتنع البعض بتلك الأفكار المسمومة، فكان أن خرجت المرأة من بيتها سافرة، تاركة وراء ظهرها أعباء أسرتها من تربية للأبناء، وقيام بحقوق زوجها، وبذلك تكون قد تنكرت لأسمى آيات الفطرة وواجبات الحياة التى نيطت بها ألا وهُما واجب الأمومة وواجب الزوجية.

ولم يقف اليهود عند هذا الحد بل ذهبوا ينشرون أفكارهم ونظرياتهم النفسية والاجتماعية في المؤسسات التعليمية والتربوية والثقافية والإعلامية، لأنهم علموا الدور الخطير الذي تحدثه تلك المؤسسات في نفوس أبنائها، فعملوا جاهدين على وضع أيديهم على تلك المؤسسات، إن لم يكن ذلك في الظاهر فهو في الباطن أخفى وأدهى من الظاهر، لأن العملاء الذين قاموا بنشر هذه الأفكار من الداخل كان لديهم خبرة بالناحية التعليمية والتربوية والإعلامية والثقافية ، وهم أدرى بمواطن التأثير على نفوس المسلمين أكثر من غيرهم .

وأخذوا يناقشون الأفكار التي توجه إليهم وما ينجم عن خروج المرأة من مساوئ مُخْتَلِقِينَ لذلك حلولاً وهمية، فإذا وجه لهم سؤالاً فحواه :

- كيف تخرج المرأة إلى العمل ومعها طفلها الصغير الذي لم يتجاوز الثانية من عمره؟

- كانت إجاباتهم على النحو التالي :

إننا أعددنا دورًا نموذجية للحضانة ترعى الأطفال وتقوم على رعايتهم رعاية

كاملة... أي فتاة تستطيع أن تقوم بواجب الأمومة غير الأم؟ إنه لا بديل بأي حال من الأحوال عنها مهما وُجدت البدائل، واختلقت المبررات عن الاستعاضة بدور الأم في حضانة وتربية وليدها الذي هو قطعة منها .

وإذا طرح سؤال آخر فحواه :

ـ كيف توازن المرأة بين عملها خارج بيتها وبين عملها داخل بيتها؟

ـ كانت الإجابة على لسان اليهود كالتالي:

إننا أعددنا كل الكماليّات ووسائل الترفيه للمرأة داخل بيتها بما يجعلها تستطيع إعداد الطعام في أوجز فترة ممكنة ، ونسيت المسكينة أنها بذلك تُحَمّلُ أسرتها من الداخل فوق ما تطيق في شراء تلك الكماليات، فضلاً عن أن اليهود قصدوا من وراء ذلك استلاب ثروات الأمة الإسلامية في تلك الكماليات التى لاتسمن ولاتغنى من جوع، وربما كان اقتناء تلك الكماليات عاملاً من عوامل تشريد الأسرة المسلمة ذات الدخل المحدود .

وهكذا إذا طرحت سؤالاً وجدت إجابة تقليدية من العملاء يقتنع بها المستمع ولاينظر إلى أبعادها التى سينجم عنها ضرر كبير .

وقد علم اليهود أن النفس بطبيعتها تميل إلى الغرائز والشهوات أكثر من إمالتها إلى الطاعات ، فاستطاعوا من خلال ذلك أن يشيعوا الفتنة والفاحشة في المجتمع، وهدفهم من وراء ذلك كله أن يشلوا فاعلية الإسلام في حياة المسلمين ويصرفوا أكبر قطاع من المجتمع المصري والعربي عن أمور دينهم، لأنهم علموا أن سعادة المسلمين تكمُنُ في اتباعهم لتعاليم دينهم، فعملوا جاهدين بما أوتوا من العلم الحديث أن يبعدوا الإسلام عن معظم حركات المسلمين اليومية .

ومن ثم نرى اليهود يعتبرون أن الدين وأهله هم العدو اللدود لهم، والحاجز القوى أمام الوصول إلى أهدافهم فأرادوا القضاء عليه وعلى أتباعه، ولكنهم لم يستطيعوا ، ولن يصلوا إلى ذلك، وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ﴾[1] .

وإن الناظر إلى وضع اليهود يتصح له بجلاء أن هدفهم الأسمى من وراء مخططاتهم هو : القضاء على الدين، مما يدل على ذلك دلالة واضحة ماذكره (الجنرال : رفعت أتلخان في كتابه «أسرار الماسونية») .

«إن الماسونية لاتعترف بالأديان والقوميات وتهدف إلى إزالتها من الوجود وهذه هي غايتها الحقيقية....»[2] .

إذا كان هذا هو هدف الماسونية الأسمى فما الماسونية وما أصلها؟

يقول الأستاذان/ محمود محمد الجوهرى، محمد عبد الحكيم خيال في كتابهما الأخوات المسلمات : «الماسونية : منظمة يهودية سرية، تعمل وفق المخططات اليهودية لهدم أديان الأمم وأخلاقها واقتصادها، وتضم السواد الأعظم من الملوك والحكام والقضاة والأثرياء والقادة والمثقفين من مختلف الأديان ...»[3] .

وهي بذلك تدير زمام العالم من جميع النواحي السياسية والعسكرية والثقافية يقول الأستاذ/ أحمد عبد العزيز الحصين:

«والماسونية جمعية سرية مخربة إرهابية ذات مناهج وأغراض وطقوس ورموز الماسون تتكون من كلمتين فرنسيتين (فرانك) ومعناها الصادق أو الحر و(ماسون) معناها البنّاء...

وعلى هذا يطلقون اسم (جمعيات البنائين الأحرار «أو بناؤون صادقون أو البناية الحرة»)[4] .

وقد اختلف المؤرخون في نشأتها وأصلها، ولكنهم متفقون على أنها جمعية سرية إرهابية قديمة ذات أسرار غامضة وطقوس غريبة .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٢ .

(٢) أسرار الماسونية / الجنرال جواد رفعت أتلخان/ ترجمة: نور الدين الواعظ، سليمان محمد القابلي / ص٥/ الناشر: المختار الإسلامي .

(٣) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية / ص ٢٤١ .

(٤) المرأة ومكانتها في الإسلام/ الأستاذ / أحمد عبد العزيز الحصين/ ص ٢٢٠/ الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م / الناشر/ مكتبة الإيمان.

يقول الجنرال/ جواد رفعت أتلخان : عن أصل الماسونية:

«البناء الحر (الماسونية) من أعظم وأقدم الجمعيات السرية التى مازالت قائمة، ولكن منشؤها مازال غامضًا مجهولاً، وغاياتها الحقيقية مازالت سرًا حتى على أعضائها أنفسهم »[1] .

وفي العصور الحديثة أخذت تعلن الماسونية عن نفسها بشتى الوسائل ومختلف الطرق ...

يقول الدكتور / عبد الصبور مرزوق: «وفي هذا المجال شهد العالم الإسلامي غزو مجموعة من المنظمات العالمية المعادية وهي تحاول التسلل إلى أمة المسلمين تحت شعارات ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله الخراب مثل:

جماعة التسلح الخلقي، وجمعية إخوان الحرية وبيوت الشباب العالمية، وأنصار السلام، ونوادى الرّوتاري.. وغيرها وفي قمتها وأخطرها جميعًا الحركة الماسونية»[2] .

والهدف من تأليف تلك الجمعيات ونشرها في جميع الأقطار هو القضاء على الدين، ومحو عاطفة التدين بين الناس جميعًا، ويوضح لنا ذلك توضيح ما جاء في البروتوكول الرابع عشر من بروتوكولات حكماء صهيون ونصه:

«عندما نصبح أسياد الأرض، لن نسمح بقيام دين غير ديننا الذي يرتبط به مصير العالم، ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان»[3] .

ومن هذا البروتوكول يتضح لنا سياسة اليهود وهدفهم من وراء نشر جمعياتهم السرية والعلنية ومنهجهم الأثيم في الوصول إلى أهدافهم .

يقول الدكتور / عبد الصبور مرزوق: « إن منهج العمل وخطته في هذه المنظمات جميعًا لاتقوم على أساس أخلاقي، بل إن محور التوجيه والإخضاع والسيطر ة فيها جميعًا لا صلة له بالأخلاق وشعار الحركة فيها هو الشعار الماكيافيلي المشهور الغاية

---

(١) أسرار الماسونية / ص ٤ ، ٥ .

(٢) الغزو الفكري أهدافه ووسائله/ د. عبد الصبور مرزوق / ص ٩١ / الطبعة الثالثة الناشر/ إدارة الصحافة والنشر .

(٣) بروتوكلات حكماء صهيون / ترجمة : محمد خليفة التونسي/ ص ٢٢٨ / الناشر: مكتبة دار التراث.

تبرر الوسيلة»[1] .

بـل إن الناظر إلى الـبروتوكول الأول من بروتوكـولات حكماء صهيون سـيجد ما يوضح ذلك تمامًا ونص هذا البروتوكول كما يلي :

« إن الغاية تـبرر الوسيلة وعلينـا ـ ونحن نضع خططنـا ـ ألا نلتفت إلى مـا هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد»[2] .

وإذا كـانت الأخلاقيات والقيم والمبادئ لاقيمـة لها عندهم فمن ثم نراهم لايتركون طريقًـا للوصـول إلى أهدافهم إلا ولجوا منـه، أيـا كـان هـذا الطريق مشـروعًا أو غـير مشـروع، ومـن طرقهم الغير مشـروعة اسـتخدام الجاسوسـية والرشـوة والإغراء بالمال والدعوة إلى خروج المرأة وسفورها، والإرهاب والعنـف إلى غير ذلك ولكنهم ركزوا كل جهودهم على إفساد الأسرة وانحلالها إذ الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع.

يقول الأسـتاذ/ محمد محمـود الصواف: «مـن مخططـات الاسـتعمار والصهيونيـة والماسونية التى تجمع بينهمـا هو انحلال الأسـرة وانفصام عراها، وهذا لايتم إلا بتمزيق القيم الأخلاقية، وإطلاق عنـان الغرائز والشهوات، ولقد كانت المرأة أول الأهداف في هذا الميدان ، فهي العنصر الضعيف العاطفي وذو الفاعلية الكبيرة والتأثير المباشر في هذا المجال ..

يقول كبير من كبراء الماسونية الكفرة: «يجب علينا أن نكسب المرأة فأي يوم مدت إلينا يدها فزنا بالحرام، وتبدد جيش المنتصرين للدين ..

وقال (دورفويـل) أحد كبـار الماسـونية: إن العفـة المطلقـة مرذولـة عند الماسـونيين والماسونيات لأنها ضد ميل الطبيعة[3] .

ولقـد أطلقوا لأنفسهم العنـان في الوصول إلى أهدافهم الدنيئـة، فأرادوا القضاء على الأديان ومايَمُتُّ إليهـا بصلة من عقيدة أو عبادة، أو معاملـة أو أخلاق أو سلوك، طالما وأن ذلك يخـدم أهدافهم، ويصل بهم إلى مـآربهم، وهم بذلك لايبـالون بمشـاعر الناس

(١) الغزو الفكري/ د. عبد الصبور مرزوق / ص ٩٢ .
(٢) بروتوكولات حكماء صهيون / ص ١٥٧ .
(٣) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام/ محمد محمود الصواف / ص ٢١١ / الناشر دار الإفصاح السعودية.

ولا بأحاسيسهم ، و لم يقفوا عند هذا الحد من الإفساد، بل ذهبوا يعملون على إشاعة الفساد في المجتمعات بما أوتوا من قوة :

يقول الأستاذ: عبد السميع الهراوي: «يعمل اليهود في هذه المرحلة على إشاعة الفساد وبث الفوضى في حكومات العالم وشعوبه ، فوضى سياسية، وفوضى فكرية، وروحية على النحو الذي رسمته لهم بروتوكولات حكماء صهيون وهي القرارات السرية للمؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرة، حتى إذا ما تهاوت الحكومات متداعية ورضخت الشعوب مستسلمة متحللة من عقائدها الدينية وقيمها الاجتماعية ، تَأَتّى لليهود أن يقوموا بالانقلاب الشامل ويقيموا دولتهم العالمية الكبرى، أن يسيطروا على شعوب العالم سيطرة سياسية واقتصادية وروحية، وبذلك يتحقق الهدف المنشود الذي يعتقد اليهود أن الله قد آثرهم به من دون البرايا جميعًا، بحسبانهم شعب الله المختار الذي خوله الحق في سيادة العالم وحكمه، وبحسبان دينهم هو الدين الحق وحده الذي ينبغي لشعوب الأرض أن تدين به وتدين لتعاليمه »[١] .

و لم يقف الأمر بهم عند هذا الحد، بل ذهبوا ينقبون عن كل ما يصلون به إلى مآربهم الدنيئة، فعن طول بحث منهم وجدوا نقطة الضعف لدى الرجل إغراءه بالفتيات الفاتنات، فدخلوا من باب شهوة الفرج عن طريق الفاتنات حيث وعدوهن بأمان كاذبة وبشعارات براقة لامعة، فنادوا بحرية المرأة وزعموا أنهم يطالبون بحقوقها التى هضمها الإسلام، وأنهم المناصرون لها في كل ميدان ونسيت تلك المسكينة أنهم بذلك يريدون إذلالها، وصرفها عن أسمى رسالة لها في الحياة ، رسالة الزوجية والأمومة.

وكان هدف المناصرين لتحريرها والداعين لسلخها من رسالتها كما يقول الأستاذ/ أنور الجندي / هو: «إذلالها وتحطيم بكارتها ودفعها إلى سوق النخاسة بأيدي القوى العاتية التى كانت تخطط لها بروتوكولات صهيون وأن الاستعمار والنفوذ الأجنبي حاول أن ينقل هذه الصورة إلى مجتمعنا[٢] .

---

(١) الصهيونية بين الدين والسياسة/ عبد السميع الهرّاوي/ الناشر: الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٣م / ص ٢٤.
(٢) عقبات في طريق النهضة / أنور الجندى / ص ٢٣٦ / الناشر دار الاعتصام .

وكان هدفهم الأسمى من وراء ذلك كله هدم الأسرة الإسلامية مهما كلفهم ذلك من غال ونفيس، يقول الاستاذ/ أنور الجندي موضحًا هدف اليهود من المناداة إلى تحرير المرأة : « هدم الأسرة، تدمير المجتمع، ودفع المرأة إلى أن تكون أداة للأهواء والرغبات وإخراج المرأة عن مكانتها ورسالتها وتحطيم القيم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية في شأن العلاقة بين الرجل والمرأة وبين الأجيال المتتابعة وبين الشباب الفتيات، بل إن دراسة واعية لأهداف هذه الحركة لتكشف في وضوح أن كل مقدرات النفوذ الأجنبي في هدم المجتمع الإسلامي ، إنما يتركز في العمل وراء هذا المخطط الذي يأخذ إسمًا لامعًا برّاقًا من أسماء الأضواء، ذلك أن الهدف من ادعاء تحرير المرأة في مفهوم المخططات الغازية إنما يرمي في الحقيقة إلى استعباد المرأة وتدمير وجودها الشخصى وكيانها النفسي والاجتماعي، وتحويلها إلى أمة بعد أن حررها الإسلام، وأعطاها حقوقها السياسية والاجتماعية والمالية»[١] .

ولقد علم اليهود أنهم لن يستطيعوا الوصول إلى مآربهم إلا عن طريق المرأة فَصَوَّبُوا الأنظار إليها، وسعوا إليها بكل طاقاتهم ، منادين بأعلى صوتهم بمساواة المرأة بالرجل، زاعمين أن الإسلام انتقص حقوقها، وأرادوا بذلك أن تكون المرأة ألعوبة في أيديهم، ينفذون بها إلى أغراضهم الدنيئة فكان إليهم ما أرادوا . لماذا؟ لأنهم علموا أن المرأة في الإسلام عرض يصان ومخلوق يرحم، فإذا فسدت ترتب على فسادها فساد المجتمع بأسره .

يقول الأستاذ/ حسين محمد يوسف موضحًا سر بقاء العالم في العصور السالفة بقوله : «إن سر قوة العالم في عصوره الزاهرة، وسر مقاومته للفناء في عصور الانحطاط، إنما هو في بقاء الأسرة معتصمة بتقاليدها العريقة سليمة من التحلل والفساد، وهو ما فطن إليه أعداء الإسلام فأخذوا يصوبون سهامهم إلى الأسرة وحسبوا إلى الإسلام سر تأخر المسلمين وضعفهم، كأن القوم يشفقون علينا ويحرصون على تقدمنا ورقينا ، ولا يعملون بكل وسيلة لاحتلال بلادنا واستنزاف خيراتنا، واستئصال

---

(١) حركة تحرير المرأة / أنور الجندى ، ص ٣ / الناشر دار الاعتصام .

شأفتنا»[1] .

ومن ثم نرى خصوم الإسلام يدخلون حَلَبةَ الميدان تحت شعارات زائفة، ومن منطلق خبيث، ولن يتم لهم ذلك إلا إذا خلت الساحة الإسلامية من تعاليم الإسلام ، وتلك أمنية يسعى إليها أعداء الإسلام بشتى الوسائل لأن في ذلك نشاطًا لهم وسعيًا وراء مآربهم .

يقول الدكتور/ عبد الودود شلبي: «وفي غياب المبادرة الإسلامية للتصويب وقعت قضية تحرير المرأة المسلمة في أيدي غير الأمناء ممن لاينطلقون من أرضية أو تصور إسلامي ، وتقدم كل من هب ودب ليدلى بدلوه في مسألة تحرير المرأة المسلمة ما بين صديق جاهل وعدو ماكر، استطاع في نهاية الأمر ـ بعدائه ومكره ـ أن يضم الصديق الجاهل إلى معسكره المعادي للإسلام، ويستثمر جهله لضرب معاقل المسلمات وهتك سترهن، كجزء من المخطط الأسود الشامل على كل الأصعدة لضرب الإسلام والمسلمين وإلغاء شريعتهم»[2] .

وهنا نترك المجال للبروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون ليزيد لنا الأمر وضوحًا فماذا يعنى هذا البروتوكول : «عليكم أن توجهوا التفاتًا خاصًا في استعمال مبادئنا إلى الأخلاق الخاصة بالأمة التى أنتم بها محاطون، وفيها تعملون، وعليكم ألا تتوقعوا النجاح خلالها في استعمال مبادئنا بكل مشتملاتها حتى يُعاد تعليم الأمة بآرائنا ، ولكنكم إذا تصرفتم بسداد في استعمال مبادئنا فستكشفون أنه ـ قبل مضى عشر سنوات ـ سيتغير أشد الأخلاق تماسكًا، وسنضيف كذلك أُمة أخرى إلى مراتب تلك الأمم التى خضعت لنا من قبل .

إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني في الحرية والمساواة والإخاء وسوف لانبدل كلمات شعارنا، بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة ، وسوف نقول: حق الحرية، وواجب المساواة ، وفكرة الإخاء، وبها نمسك الثور من قرنيه، وحينئذ نكون قد دمرنا

---

(١) أهداف الأسرة في الإسلام/ حسين محمد يوسف/ ص ٩ ، ١٠ / الناشر : دار الاعتصام .

(٢) في مسألة السفور والحجاب/ د. عبد الودود شلبي / هدية مجلة الأزهر رمضان سنة ١٤٠٤ هـ .

في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة إلا قوتنا»[1] .

وهذا الشعار الذي تعمل تحته الصهيونية العالمية تتخذه ستارًا للوصول إلى أهدافها الدنيئة، لأن كل كلمة تخضع لهذا الشعار لها معنى في المخطط الماسوني .

يقول الأستاذان/ محمود الجوهرى ، محمد خيال:

«وتعمل الماسونية تحت شعار «الحرية والإخاء المساواة» ومعنى الحرية في المخطط الماسوني: أن تحرر الناس من أديانهم، وأن يرتكب الإنسان ما شاء له هواه دون رادع أو زاجر، وأن يخالف جميع ما تأمر به الشرائع، وأن تفعل المرأة ما شاءت من الزيغ والرجس والفساد والتهتك والانحلال تحت ستار هذه الحرية.

أما الإخاء فيهدف به الماسون، محاربة روح التمسك بالدين وأنه لافرق بين يهودي ونصراني ومجوسي ومسلم وبوذي ودهرى وملحد، كلهم إخوان وعليهم أن يحاربوا أي استمساك بأي دين يُصِمُون من يلتزم مبادئ دينه بالرجعية والتعصب، وما إقامة مجمع للأديان الثلاثة على جبل موسى في سيناء إلا نجاح لمثل هذه المخططات .

ورفع شعارر المساواة عندهم يمكنهم من العمل على إثارة الفتن والأحقاد الطبقية يشعلون نار الحقد والضغينة في قلوب الفقراء ضد من وسَّع ا لله عليهم من الأغنياء ويحفزون الأغنياء على ظلم الفقراء ، وتحت ستار المساواة يؤلبون النساء على الرجال لتضطرب أوضاع الأسرة وتنحل المجتمعات في النهاية .

وهناك ارتباط عضوى بين الماسونية والصهيونية ، وتتوزع الماسونية على فرعين أحدهما للصهيونية والآخر للشيوعية»[2] .

هذا هو وضع اليهود وتلك هي مخططاتهم للقضاء على الإسلام وقيمه ومبادئه ، وتركيزهم على المرأة واتخاذها سببًا للوصول إلى أغراضهم الدنيئة، لأنهم علموا أن صلاح المجتمعات الإسلامية مرهون بصلاح المرأة، وفسادها مرهون بفساد المرأة من ثم ركزوا جهودهم على إقناعها بمبادئهم اللعينة التى في باطنها السم الزعاف وفي ظاهرها

(١) بروتوكولات حكماء صهيون / ترجمة: محمد خليفة التونسي / ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية / محمد عبد الكريم خيال، محمود محمد الجوهرى / ص ٢٤١ ، ٢٤٢.

الشفقة والرحمة .

ولكن ما هو السبيل الذي سلكوه لتحقيق أهدافهم؟ هذا ما سنبينه فيما يلي :

ب ـ وسائل الإعلام وسيطرة اليهود عليها ودورها في الحركة :

اتضح لنا في خلال الصفحات السابقة أن اليهود وراء حركة تحرير المرأة، ومن ثم سلكوا كل الطرق للوصول إلى أغراضهم ، وأقوى هذه الطرق التى سلكوها سيطرتهم على وسائل الإعلام ، وتوجيهها بما يتناسب ومخططاتهم ، لأنهم علموا أن أجهزة الإعلام لها دور بارز في السيطرة على عقول غيرهم، وبالتالى فهي السبيل القوى في بث أفكارهم المسمومة .

ومن ثم كانت همتهم الشديدة في اختراع وسائل الإعلام التى تصرف المسلمين عن دينهم، وتخدم أغراضهم الدنيئة ، وجندوا لذلك كل طاقاتهم، وما أوتوا من علم حديث، كما اختطوا لذلك منهجًا مقننًا بدأوه من الكلمة المقروءة والمسموعة والصورة المرئية ، وكل وسائل الاتصال والإعلام في العصر الحديث التى كثرت وتنوعت .

يقول الدكتور / عمارة نجيب: « صارت أجهزة الإعلام أدوات إكراه وتغيير لا إرادي للمجتمعات البشرية، وصار لطائفة من الناس قدرة على تغيير الأذواق والمشارب والثقافات من خلال وسائل الإعلام الحديثة وهي: الكتاب، والخطبة، والنشرة، والندوة، والمؤتمرات الصحفية، والأدبية، والعلمية، والسياسة، والمناظرة، والسوق أو المعرض، والمسرح ، والسينما، والإذاعة التلفاز، ووكالات الأنباء، والكتابة اللاسلكية، والرحلات وأماكن السياحة[١] .

تلك هي وسائل الإعلام والاتصال في عصرنا الحديث يُزاد عليها الفيديو، والتى حاول اليهود بشتى الوسائل أن يسيطروا عليها، وها أنذا أعرض جانبًا من تلك الوسائل وأقواها تأثيرًا على الجمهور ، وتَحكُم اليهود في تلك الوسائل المؤثرة ..

---

(١) المدخل لدراسة الإعلام الإسلامي / د. عمارة نجيب / ص ٢٩ ، ٣٠ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢م / الناشر/ الفاروق الحديثة للطباعة والنشر بالقاهرة .

أولى هذه الوسائل :

١- الصحافة :

للصحافة دور بارز في تصحيح المفاهيم أو تزييفها لدى قطاع كبير من طبقات الشعب فإن وجهت توجيهًا سليمًا قائمًا على تعاليم الإسلام كان لها الدور البارز في تثقيف الشباب والوصول بهم إلى أعلى المراتب، بحثًا عن الحقيقة في كل أمر من أمور الحياة، وصولاً إلى الحكمة المنشودة .

ولكن بنظرة متأنية فاحصة للصحافة ومن يكتبون فيها سنجد الأمر على خلاف ذلك تمامًا .

إن كثيرًا من الكتاب يتشدقون بكلام زائف، ويهرفون بما لا يعرفون، وغرضهم من وراء ذلك الوصول إلى الشهرة، وتحقيق مآربهم الشخصية، حتى ولو على حساب الدين، فنجدهم يتحدثون ويكتبون في زهو وخيلاء ، مشدوهين بآرائهم ظانين أنهم بذلك استطاعوا أن يصلوا إلى ما لم يصل إليه غيرهم، فهم يتبرأون من كل ما هو إسلامي زاعمين أن ذلك تخلفًا ورجعية، وإني لألتمس العذر لهذا النفر القليل الذين تربوا على موائد اللئام، واستطاعوا أن يسخروهم لخدمتهم، والوصول إلى ما يهدفون، ونسى هؤلاء أن اليهود وراءهم بالمرصاد فمهما أمدوهم من مال ورفعوا مكانتهم في المجتمع ، فإنهم لن يسلموا من آثارهم وشرورهم اللعينة في يوم من الأيام .

ونترك المجال للبروتوكول الثاني من بروتوكولات حكماء صهيون ليوضح لنا دور الصحافة وسيطرة اليهود عليها وتوجيهها حسب أغراضهم ومخططاتهم فماذا يعنى هذا البروتوكول :

«إن الصحافة التى في أيدى الحكومة القائمة هي القوة العظيمة التى بها نحصل على توجيه الناس، فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور، وتعلن شكاوى الشاكين، تولد الضجر أحيانًا بين الغوغاء ، وإن تحقيق حرية الكلام قد ولد في الصحافة، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة، فسقطت في أيدينا، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذًا، وبقينا نحن وراء الستار، وبفضل الصحافة كدسنا

الذهب، ولو أن ذلـك كلفنا أنهـارًا من الدم، فقـد كلفنا التضحيـة بكثير من جنسـنا، ولكن كل تضحية من جانبنا تعـادل آلافًا من الأميين «غير اليهــود» أمام ا لله»[١] .

فـانظر إلى أي مدى اسـتطاع اليهود أن يقـودوا فكر الـدول لصـالحهم، ويستغلوا صحافة الشعوب لبث أفكـارهم الهدامـة، مهما كلفهم ذلك من وقـت ومال، وياليت الأمر يقتصر على هذا الحد بل إنهم جنـدوا لأفكـارهم عملاء داخل كـل دولـة حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى عقـول الناس بلطف دون لف أو دوران، ويتضـح لنا ذلك من خلال الـبروتوكول الثـاني عشـر مـن بروتوكولات حكمـاء صهيـون فمـاذا يعني هذا البروتوكول:

«وسنعامل الصحافـة على النهـج التالي: مـا الدور الذي تلعبـه الصحافـة في الوقت الحـاضر؟ إنها تقوم بتهييج العواطف الجيّاشة في النـاس، وأحيانًا بإثارة المجادلات الحزبية الأنانية التى ربما تكون ضرورية لمقصدنا ، وما أكثر ما تكون فارغة ظالمة زائفة، معظم الناس لايدركون أغراضها الدقيقة أقل إدراك ، إننا سنُسْرِجُهَا وسنقودها بلجم حازمة، وسيكون علينـا أيضًا أن نظفـر بإدارة شـركات النشـر الأخـرى، فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية، بينما لاتزال عرضة لهجمات النشر والكتب[٢] .

هذا في جانب الصحافة ودورها في تهييج العواطف وإثارة الجدل في الباطل وإشغال الرأي العام بقضايـا وسفسطة جدلية عقيْمة لا طائل من ورائها سوى صرف الناس عن دينهم والسيطرة على أفكارهم.

أمـا جانب الصحفيين والناشـرين فتكون معـاملتهم من اليهود كمـا هو مذكور في البروتوكول الثاني عشر ونصه ما يلي :

« ولنـعـد إلى مستقبل النشـر، كل إنسـان يرغب في أن يصـير ناشـرًا أو كاتبًا، أو طابعًا سيكون مضطرًا إلى الحصول على شـهادة ورخصـة تسحبان منـه إذا وقعت منه مخالفة»[٣].

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون / ترجمة/ محمد خليفة التونسي / ص ١٦٩ .
(٢) نفس المرجع السابق/ ص ٢١٦ .
(٣) نفس المرجع السابق / ص ٢١٧ .

فضلا عن أنهم يتحكمون في الناشرين والكاتبين لكي يسيطروا على الخبر المنشور في الصحف والمجلات ونحوها وعلى الأخبار المذاعة عن طريق (وكالات الأنباء) التى يستغلونها ويخضعونها لنزواتهم الشخصية فيقول نفس البروتوكول الذي معنا: «ولن يصل طرفٌ من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا ، وهذا ما وصلنا إليه في الوقت الحاضر كما هو واقع» .

ثم يقول نفس البروتوكول موضحًا دور الأدب والصحافة في حشو عقول الناس بما يصرفهم عن مهامهم الرئيسية بما يلي :

« الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليمتين خطيرتين، ولهذا السبب ستشتري حكومتنا العدد الأكبر من الدّوريات ، وبهذه ستعطل التأثير السيئ لكل صحيفة مستقلة، ونظفر بسلطان كبير جدًا على العقل الإنساني، وإذا كنا نرخص بنشر عشر صحف مستقلة فسنشرع حتى يكون لنا ثلاثون، وهكذا نسير ..» .

ثم يمضى نفس البروتوكول في سرد باقي مخططاتهم اللعينة في سبيل الوصول إلى أغراضهم الدنيئة فيقول :

« ويجب ألا يرتاب الشعب أقل ريبة في هذه الإجراءات ، ولذلك فإن الصحف الدورية التى ننشرها ستظهر كأنها معارضة لنظراتنا وآرائنا، فتوحى بذلك الثقة إلى القراء، وتعرض منظرًا لأعدائنا الذين لايرتابون فينا، وسيقعون في شركنا، وسيكونون مجردين من القوة » .

ولم يكتفوا بهذا الجانب من السيطرة ، بل ذهبوا ينشرون الفوضى والإباحية عن طريق صحفهم وجرائدهم الرسمية، يقول نفس البروتوكول:

«ستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة: من أرستقراطية، وجمهورية وثورية، بل فوضوية أيضًا، وسيكون ذلك طالما أن الدساتير قائمة بالضرورة، وستكون هذه الجرائد مثل الإله الهندي فشنو، لها مئات الأيدي، وكل يد ستجس نبض الرأي العام المتقلب ... وباسم الهيئة المركزية للصحافة ، سننظم اجتماعات أدبية، سيعطى فيها وكلاؤنا، دون أن يفطن إليهم شارة للضمان، وكلمات السر ...

هذه الإجراءات التى سنخفى ملاحظتها على انتباه الجمهور، ستكون أنجح الوسائل في قيادة عقل الجمهور، وفي الإيحاء إليه بالثقة والاطمئنان إلى جانب حكومتنا »[1] .

بهذا الجانب الذي سقناه من البروتوكول الثاني عشر اتضح لنا مدى اهتمام اليهود بالكلمة المكتوبة وذلك عن طريق الصحافة والنشرات، وكذلك عن طريق وسائل الإعلام المسموعة والمرئية .. ومن أراد المزيد فليرجع إلى الكتب التالية[2] .

ولنضرب لذلك مثلاً توضيحيًا ليوضح لنا مدى سيطرة اليهود على الصحافة في بلد ما .

يقول الدكتور/ عبد الصبور مرزوق موضحًا مدى سيطرة اليهود على الصحافة في لندن بقوله : « ولتوضيح مدى النجاح الذي أحرزه اليهود باعتبارهم أخطر أعدائنا وأخطر غزاتنا الفكريين أسوق بعض الحقائق البالغة الأهمية لصورة من سيطرتهم على الصحافة في لندن ...

تجئ الصحافة بعد الذهب والاسترليني مباشرة، وهما في قبضة اليهود في بريطانيا، فكانت الصحافة السلاح الفعال الذي أوجده الذهب اليهودي من أجل تحقيق أهداف الحكومة السلاح الفعال الذي أوجده الذهب اليهودى من أجل تحقيق أهداف الحكومة اليهودية المستورة على النحو التالي:

- سيطرة اليهود تمامًا على جريدة التايمز اللندنية منذ إنشائها سنة ١٧٨٨م ... بواسطة أموال اليهودي (روتشيلد) .

- أنشأوا جريدة «الديلي تلجراف» وفي سنة ١٨٥٥م اشتراها اليهوديان (موزس ليفي) ، (ليفي لاوسن) .

- سيطروا بطريق مباشر أو غير مباشر على الصحف التالية:

«الديلي إكسبريس، النيوزكرونيكل، الديلي ميل، الديلي هيرالد،

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون / ترجمة / محمد خليفة التونسي / ص ٢١٩ - ٢٢٢ .

(٢) النفوذ اليهودي في الأجهزة الاعلامية والمؤسسات الدولية/ فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي / من ص ١- ٣٥/ طبعة أولى ، وكتاب السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية/ زياد أبو غنيمة / الناشر دار عمان للنشر والتوزيع، وكتاب جذور البلاء/ عبد الله التل/ الناشر/ المكتب الإسلامي/ بيروت .

المانشسترجارديان، يوركشايربوست، إيفننج نيوز، إيفننج استاندارد، الأوبزرفر، نيوز أف ذي ورلد، صنداي تايمز، صنداي كرونيكل، الإيكونومست، فاينانشال تايمز، فاينانشال نيوز، ذي سكلتش، ذي جرافيكو» .

هذا بالإضافة إلى خمسين جريدة ومجلة يومية وأسبوعية وشهرية يهودية خالصة تحمل أسماء اليهود صراحة[1] .

إنهم بذلك يريدون السيطرة على الصحف والجرائد في شتّى مناحى الحياة، خططوا لذلك خططًا مدروسة ليتحكموا من خلالها في عقول الشيبة والشبيبة ، وينفذوا من خلالها إلى أعماق قلوبهم ، وأقوى وسيلة نفذوا من خلالها إلى أغراضهم واتخذوا سبيلا للوصول إلى مآربهم المرأة، التى استطاعوا عن طريقها أن يشيعوا الفساد في المجتمع ويجعلوها ألعوبة في أيديهم ففتحوا لها المجال في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة المكتوبة .

يقول الدكتور / عبد الحي الفرماوي: «والإعلام: سواء كان عن طريق الكلمة المكتوبة أو المسموعة أو الصورة المتحركة أو الثابتة في الصحف اليومية، أو المجلات الأسبوعية ، أو الشهرية، أو الإذاعات أو التليفزيون، أو السينما أو المسرح، يقوم بدور كبير في صبغ الواقع الإنساني بالمساهمة الفعالة في موضوع الزينة هذه ويتأثر أفراد الجماعة الإنسانية عن طريق هذه الأجهزة تأثرًا كبيرًا ، ومن هنا عمدت بيوت الأزياء وأدوات التجميل والزينة لتواكب تطلع المرأة الطبيعي الفطري إلى التزين والتجمل من ناحية، ولما يعود على هذه الأجهزة من فوائد مالية من ناحية أخرى، ولتكون المرأة أمام الرجل ـ كل الرجال ـ زهرة يانعة متفتحة يتمتعون بها وبجمالها في كل مكان .

ولذا : نجد أبوابًا ثابتة في معظم الجرائد والمجلات تُقدم للمرأة كل جديد في عالم الموضة من أزياء ومبتكرات للتجميل، وفي وسائل الإعلام المسموعة والمرئية برامج ثابتة لمتابعة وتقديم كل جديد في هذه الناحية، هو دور خطير تساهم به أجهزة الإعلام في

---

(١) الغزو الفكري أهدافه ووسائله/ د. عبد الصبور مرزوق / ص ١٠٤ ، ١٠٥ / الطبعة الثالثة/ إدارة الصحافة والنشر .

هذا المجال[1] .

هذا دور الإعلام بصورة عامة ، أما ما تقوم به الصحافة فأخطر من ذلك بكثير لأنها تحاول بشتى الطرق أن تظهر المساوئ وتخفي المحاسن، بل إنها تنشر الإنحلال والدعارة والفساد في العالم .

يقول الأستاذ / فؤاد بن سيد الرفاعي: «أخيرًا فإن اليهود يحكمون سيطرتهم على الصحافة في العالم يوجهونها لصالحهم، ولتنفيذ مآربهم ومخططاتهم ... فبالإضافة إلى استخدامهم الخبيث لها كوسيلة لإشاعة التفسخ والانحلال ونشر الدعارة والفساد في العالم وتوجيهها سياسيًا إلى ما يحقق أغراضهم وأهدافهم ، فإنهم نجحوا من خلالها ـ أيضا ـ في كتم كل خير يمت إلى الإسلام بصلة»[1] .

ولو أردنا حصر استقصاء لما تنشره الصحف والمجلات من تحلل خلقي وصور خليعة، ومقالات ثير الغرائز وتمدح الرذيلة ، تدعو إلى نبذ كل قديم حتى ولو كان قيمًا وأخلاقًا دينية، كما تدعو إلى التمسك والبحث عن كل جديد حتّى ولو كان ضارًا بالخلق لضاق بنا المقام ولاحتجت في سرد ذلك إلى صفحات طوال، لكنى أود أن أقول كلمة لتتضح الصورة لدى الشباب بالنسبة للكُتّاب الصحفيين المأجورين حتى يقفوا على حقيقة أمرهم :

* إن الكتاب المأجورين لا تربطهم أدنى صلة بتراثهم الفكري .. لماذا؟

لأنهم بعيدون كل البعد عن مناهل الثقافة الإسلامية الأصيلة ومن ثم نراهم يتخبطون في مقالاتهم وكتاباتهم، فتارة نجده معتدلاً في مقال وتارة أخرى تجده يشردُ في فكره، وهو بين هذا وذاك يجد الصحافة تشيد به، الجمهور الجاهل عن الحقيقة يضعه في ميزان المفكرين والعلماء، فيضطر هو الآخر أن يرفع من شأنه في هذا المجال، فيعمد إلى تملق الشباب، وإشباع غروره بإيهامهم بالتفوق والامتياز، وأنهم لن يصلوا إلى التقدم والتمدين إلا إذا تلقوا تعاليمهم من الغرب، واتبعوها شبرًا بشبر، وإذا أراد

---

(١) زينة المرأة بين التشريع الإسلامي والواقع الإنساني / د. عبد الحي الفرماوي/ ط٣ / ص ٣١ .

(٢) النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية / فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي / ص ٣١ / ط أولى / مطبعة الفيصل .

كـاتب إسـلامي أن يعـارض هذه الأفكـار المسـمومة سـرعان مـا يهـاجم من هؤلاء المأجورين بادعـاء أنـه يهاجم حريـة الرأى وحريـة الصحافة وحريـة النشر وهم بذلك يعبرون من خلال تلك الكلمة إلى أغراضهم الدنيئة .

يقول الأستاذ/ محمد أحمد السباعي: «والحرية غير المحدودة من أخطر ما مُني به هذا الجيل من شبابنا، حرية التعبير، وحرية المحاربة، وحرية الطعن في الأديان والقيم الرفيعة، إن الحريـة لهـا حدود بقدر مـا يحفـظ القيم الدينيـة ويحفـظ حقوق الآخرين، وإلا فهي الفوضى »[1] .

٢ـ التليفزيون وأثره في المجتمع:

يحتل التليفزيـون في عصرنا اليوم المكانـة الأولى بين وسـائل الإعلام إذا أنه يجمع بين الصورة والصوت فـإذا بـه يأخذ بمجـامع الجماهير، يسـتلهب حماسـهم، ويبث أفكاره المســمومة في عقولهم ، فـإذا بهـم يـتربون على موائـده، يرضعـون من لبانــه بعض المعروضات السـامة القاتلـة، يتغذون على ثمـاره الفاسـدة، ويسـكرون على معروضاته السـاحرة ، فـإذا بهذا العملاق السـاحر يـأخذ بالألباب، ويسـتحوذ علـى العقـول، لأنه بسـاحريته يجمع بين الصورة المرئية والصوت المسـموع والحركات المثـيرة، فيستطيع بما أعـد له أن يسيطر على أقوى حاستين لدى الإنسان، وأشـدهما اتصالا به وبأهوائه ألا وهما أفكاره ومشاعره .

وفي وقتنا الحاضر الذي شاع فيه التليفزيون واحتل مكانة كبيرة لدى جمهور عريض من الناس حتـى لم يعد خافيًا على أحـد آثاره السـيئة، حتى علـم جُلّ الناس أن الهدف من العملية الإعلامية صرف الناس عن حقيقة دينهم، وشغلهم بما يدور في العالم حولهم دون معرفتهم لحقيقـة أمرهم، ما هو مدبّر لهم من أعداء الإسلام، وإن المتأمل الواعي لما يحـدث ويعرض على الشاشــة الصغـيرة ـ التليفزيون ـ ليـدرك بلاشـك أن الـبرامج التى تعرض منذ الافتتـاح وحتى الختام، تكـاد تكون رتيبة لاتجـد فيها هدفًا سـوى النيل من أخلاق العامة والخاصة، وصرف أوقاتهم في اللهو واللعب دون أن يستغلوها فيما يعود

(١) المرأة بين التبرج والتحجب / محمد أحمد السباعي / طبعة مجمع البحوث الإسلامية ص ١١٣ .

عليهم بالنفع ، وإنك لتعجب حين ترى ما يعرض على تلك الشاشة من برنامج يدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق والبعد عن سفاسف الأمور، ثم تجد عقبه مباشرة برنامجًا آخر مخل بالآداب ، مصادم للمشاعر، مناقض لما قيل تمامًا ... ثم تعجب لم هذا؟ أقول لك إن الإعلام يسير على خطط مدروسة مقننة من الغرب لهدم القيم الإسلامية الأصلية، ولست في هذا متجنيًا على القائمين على أمر التليفزيون، بل أردت بشيء من التفصيل أن أعرض جانبًا مما يعرض على تلك الشاشة الصغيرة ثم أتبعه بتقييم لهذا العرض ..

فعلى سبيل المثال لا الحصر :

ذكرت جريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ ١٠ / ٣ / ١٩٨٨م خريطة برامج التليفزيون على القناتين الأولى والثانية فكانت كالتالي :

القناة الأولى		القناة الثانية	
التوقيت	العرض	التوقيت	العرض
١١,٠٠	الافتتاح وتقديم القرآن الكريم	٣,٠٠	الافتتاح .
١١,٠٨	عرض سريع للبرامج .	٣,٠١	برنامج «في نور القرآن الكريم» .
١١,٢٠	برنامج المرأة «عزيزتي الأم .. عزيزي الأب » .	٣,١٣	عرض سريع للبرامج .
١٢,٠٠	نشرة الأخبار الأولى .	٣,١٦	الانتقال إلى إذاعة خارجية من نادى الجزيرة الرياضي لإذاعة بطولة مصر الدولية للتنس.
١٢,٠٥	آذان الظهر .		
١٢,٠٨	من أقوال الرسول ﷺ .		
١٢,١٥	الحلقة العاشرة من المسلسل العربي «زوجات صغيرات» .	٣,١٦	الفيلم العربي«ما أقدرش» يذاع في حالة عدم إذاعة المبارة .
١٢,٥٨	برنامج «الدين المعاملة» .		
١,٠٣	ختام الفترة الصباحية .		

التوقيت	تابع القناة الأولى العرض
	«فترة المساء والسهرة»
٢,٤٦	الافتتاح وتقديم القرآن الكريم
٢,٥١	عرض سريع للبرامج .
٢,٥٥	الانتقال إلى إذاعة خارجية لنقل مباراة كرة القدم من استاد بورسعيد .
٣,٢٧	آذان العصر .
٣,٣١	من أقوال الرسول ﷺ .
٦,٠٠	آذان المغرب .
٦,٠٣	من أقوال الرسول ﷺ .
٦,٠٥	نشرة الأخبار الثانية .
٦,٢٠	أوبريت «سبع سبعات» بطولة صفاء أبو السعود وعبد المنعم مدبولي ..
٧,١٧	آذان العشاء .
٧,٢١	من أقوال الرسول ﷺ .
٨,٠٠	فترة إعلانية .
٨,٥٥	برنامج حديث الروح .
٩,٠٠	النشرة الإخبارة الأخيرة .
٩,٣٢	برنامج «الموسيقى العربية» .
١٠,١٥	نشاهد غدا .

التوقيت	تابع القناة الثانية العرض
٣,٢٧	إشارة إلى حلول موعد آذان العصر.
٥,١٧	برنامج «دعائم الإيمان» .
٥,٤٤	برنامج «تياترو» ويتناول قضية المسرح والثقافة الجماهيرية .
٦,٣٠	برنامج المصارعة الحرة.
٧,٠٠	نشرة الأخبار باللغة الفرنسية.
٧,١٥	برنامج صوت الموسيقى ويقدم حلقة خاصة عن الأبجدية الموسيقية .
٧,١٧	إشارة إلى حلول موعد آذان العشاء.
٧,٥٣	برنامج خمسة لصحتك .
٨,٠٠	النشرة الإخبارية باللغة الإنجليزية .
٨,١٥	برنامج أريد حلاً .
٨,٣٥	حدوتة قبل النوم .
٨,٤٤	الحلقة السادسة من المسلسل الأجنبي .
٩,١٤	نشاهد غدًا .

تابع القنـــاة الأولى		تابع القنـــاة الثانيـــة	
التوقيت	العـــــرض	التوقيت	العـــــرض
١٠,٣٨	الفيلم العربي «لحن حبي» .	٩,١٩	برنامج خمسة سياحة .
١٢,٣٨	برنامج أنباء وصحافة .	٩,٢٧	برنامج دردشة .
١٢,٤٨	القرآن الكريم ما تيسر من سورة «الأحزاب» .	٩,٣٤	برنامج بدون عنوان ويتضمن لقاء مع نادية لطفى، وثريا حلمي وآخرين .
١٢,٥٤	السلام الوطني «ختام» .	١٠,٢٣	برنامج أوسكار .. ويعرض الفيلم الأمريكي «آخر مرة رأيت فيها باريس» .
		١٢,٣٣	أحداث ٢٤ ساعة .
		١٢,٥٨	القرآن الكريم .
		١,٠٣	السلام الوطني «ختام» .

باستعراضنا لهذه الفقرات المعروضة على كل من القناتين الأولى والثانية اتضح لنا أن مساحة البرامج الدينية على مدى إرسال يوم كامل حازت الدقائق التالية:

القناة الأولى : على مدى أربعة عشر ساعة وربع الساعة كما هو موضح بعاليه كان نصيب البرامج الدينية بما فيها الافتتاح والختام بالقرآن اثنتان وأربعون دقيقة فقط لاغير .

أما القناة الثانية: فعلى مدى عشر ساعات ودقيقة كان نصيب البرامج الدينية بما فيها أيضا الافتتاح والختام أربع وأربعون دقيقة فقط لا غير .

يقول الأستاذ/ محمد كامل : «إن المتأمل لما تبثه الشاشة الصغيرة طوال ساعات إرسالها على القناتين لايصدق أنه يعيش في مجتمع دينه الإسلام .. فخريطة البرامج على

القنـاتين توضح بمـا لا يـدع مجـالا للشـك أن الديـن آخـر مـا يعـني القـائمين على التليفزيـون... فالمسـاحة الزمنيـة المخصصـة لهذه الـبرامج لا تزيـد عن ١٪ مـن جملـة الإرسال التليفزيونـي فضلاً عن أن مواعيد إذاعة البرامـــج نفسـها لا يمكن للمشاهد من متابعتها»(١).

وإذا كان للتليفزيون أبلغ الأثر في نفوس الجماهير لما له من خاصية لا تتوافر لغيره من وسـائل الاعلام الأخرى، إذ أنه يخاطب العقل والوجدان ، فتنطبع الصورة والحركة عن طريق العين، والصـوت عن طريق الأذن، فيكون التأثـير أقوى على المشـاهد، فكل هذه الخصائص التى لـدى هذا السـاحر العجيب جعلته ذا تأثـير جذاب على الجماهير، فكـان من الواجب علـى القائمين علـى إعداد برامجـه أن يجعلوه وسـيلة فعالـة للتثقيف والتعليم والأخذ بـأيديهم إلى طريق الخير، وما ننشـده مـن الفضائل الكريمة التى تُقَوِّم سلوك المنحرفين .

وهنا نتساءل: هل قام التليفزيون بهذا الواجب؟

إن الواقع عكس ذلك تماما.. فإن المشاهد يرى تناقضا رهيبا بين ما يسمعه وما يراه في آن احد . فهو يسمع من رجل الدين أن الخمر حرام، وسرعان ما يعرض التليفزيون صورة حية لرجل يتناول كئوسًا من الخمر، ولا يبالي، ومن ثم يحدث الانفصام الشديد بين ما يقدمـه من صور مثالية ، وبين مـا يراه في المسلسـلات والأفلام ولاسيّما الأفلام والمسلسلات المستوردة .

يقول الأسـتاذ/ محمد كـامل: «والواقع أن أكثر من ٩٠٪ مـن الإعلانات مسـتورد بـالصورة، وهنـا يتم عمل دوبلاج للصوت، لأن الشـركات الأجنبيـة صاحبـة الامتياز تُصِرّ علـى هذا الشـكل بلا أي تعديل، وهنا تكمـن الخطورة، لأن العملية ليسـت مجرد اسـتيراد إعلانـات أو مسلسـلات، ولكن الخطورة تكمـن في اسـتيراد قيم غربيـة عن مجتمعنا تختلف كل الاختلاف عن مثلنا ومبادئنا الدينية»(٢) .

---

(١) التليفزيون بين الهدم والبناء / محمد كامل عبد الصمد / ص ٢/ الناشر: دار الدعوة / الطبعة الأولى .
(٢) نفس المصدر / ص ١٣ ، ١٤ .

صورة المرأة في التليفزيون :

لقد صان الإسلام المرأة من التردى في مهاوي الرذيلة والهلاك، حتى يسعد بها المجتمع، ولكن وسائل الإعلام ولاسيما التليفزيون حاول أن يجعل من المرأة سلعة للجمال الرخيص، فأرسلها للأغاني الفاجرة الماجنة التى تحطم أقدس معاني الشرف، وأسمى معاني الحياء، فإذا به يستغلها استغلالاً سيئًا، ويجعلها ألعوبة بين يديه يحركها حسبما أراد طالما وأن ذلك يُدرُّ ربحًا ماديًا حتى ولو كان قليلا، فنراها تسلم نفسها صاغرة لتلصق صورتها على عبوات أصبغة الأحذية، ثم توضع بعد ذلك في سلال النفايات.. وهكذا يقول الأستاذ / مروان كجك :

« فأي استهتار وخزي يفوق هذا الخزي والاستهتار؟ وهي التى أكرمها الله حين كرم بني آدم ذكورًا وإناثًا إذ قال :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾[1] .

والعجيب في هذه القضية أن هذا التحقير الشنيع للمرأة يأتى على أيدي دعاة تحررها وأدعياء مساواتها بالرجل .

إن صورة المرأة على شاشة التليفزيون ليست دائمًا الصورة الكريمة، بل هي في أغلب البرامج صورة تدعو إلى الاشمئزاز والألم، فهي في المسلسلات والأفلام متآمرة على زوجها والغة في شرفه وماله، أو مستضعفه منهوكة أو غير ذلك من الصور الهابطة بها إلى دركات الذل والهوان[2] .

«وأبسط مثال على ذلك دور (الشغّالة) الذي تقوم به ممثلة ترتدى أحدث الثياب في كامل زينتها .. إن مثل هذه الثغرات تثير الضحك لدى المشاهد بل قد تصرفه عن تتبع الأحداث الدرامية »[3] .

انظر إلى أي مدى استطاع أعداء الإسلام أن يصرفوا المرأة عن أسمى رسالة ـ تلك

---

(١) سورة الاسراء: الآية ٧٠ .

(٢) الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون / مروان كجك / ص ٢٣٥ .

(٣) التليفزيون بين الهدم البناء / محمد كامل عبد الصمد / ص ١١١ .

الرسالة الطبيعية التى فطرها الله عليها - ألا وهي رسالة الأمومة والزوجية .

وإذا انتقلنا من عامل الدعاية الذي يستغل اليهود فيه المرأة حسب مخططاتهم التى رسموها ، إلى دور المذيعة أو الممثلة سنجد ما هو أدهى وأمر من ذلك، فبصمات الغرب تبدو واضحة على كل من المذيعة والممثلة، حيث إنك تشاهد اهتمام كل منهما بالأزياء الفاضحة، المكياج المخيف، والتسريحات اليومية أو الموسمية ... بل إنك تجد على الشاشة أنثى ماثلة أمامك تمسك بشعر زميلاتها لتصففه لهن، ثم تدعو إلى ذلك دون حياء أو وازع من ضمير، إن هذه هي أحدث تسريحة لعام.. كذا ..

يقول الأستاذ / مروان كجك: «ومن المؤسف حقًا أن المؤسسة التليفزيونية في عالمنا الإسلامي في واد، والقيم الإسلامية الرفيعة في واد آخر، فقد كان على المؤسسة التليفزيونية بمقتضى ما يحمله الإسلام للمؤسسات التى تقوم على أرضه أن تكون إيجابية مع قيمه الرفيعة، ولكنها نكصت عن هذه المهمة وأعفت نفسها من الدور المنوط بها، وياليتها بقيت عند هذا الحد الذي جعلها سلبية تجاه هذه القيم وهو ما يدعى ظلما بأنه حياد، ومن المعلوم أنه لاحقيقة لوجود الحياد في هذا العالم، ولكنها تحولت في بعض بلاد المسلمين إلى إيجابية مع الباطل، وعملت على شن حرب شعواء على قيم الإسلام ...»(١) .

بهذا العرض اتضح لنا أن ماتبثه محطات الإرسال التليفزيوني يخالف إلى حد كبير قيمنا ومبادئنا وأخلاقنا الإسلامية، ويصدم مشاعر الناس، ويتناقض تمامًا مع حياتهم اليومية، مما يجعلنا نسلم بأن وراء ذلك أيد خفية تحرك الستار عن طريق عملائها دون أن يراها أحد ظاهريا، وتحاول تلك الأيدي الخفية أن تفسد الأسرة المسلمة وتعمل على انحلالها .

يقول الأستاذ/ محمد محمود الصواف: «إذ الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع ومن مخططات الاستعمار والصهيونية والماسونية التى تجمع بينهما هو انحلال الأسرة وانفصام عراها وهذا لايتم إلا بتمزيق القيم الأخلاقية وإطلاق عنان الغرائز والشهوات، ولقد كانت المرأة أول الأهداف في هذا الميدان الماكر، فهي العنصر

(١) الأسرة المسلمة أمام الفيديو التليفزيون / ص ٢٣٧ .

الضعيف العاطفي، وذو الفاعلية الكبيرة، والتأثير المباشر في هذا المجال يقول كبير من كبراء الماسونية الكفرة : «يجب علينا أن نكسب المرأة فأي يوم تمد إلينا يدها فُزْنَا بالحرام وتبدد جيش المنتصرين للدين»[1] .

وإني من هذا المنطلق لأهيب بالمسئولين عن التلفيزيون أن يفيقوا من سباتهم، ويعلموا ما يخططه أعداء الإسلام لهدم دينهم، القضاء على قيم مصر الرفيعة ومثلها السامية، وأهيب بكل كاتب أو أديب أو مفكر .. في مجال الفن أن كفوا عن هذا الهراء الذي تعرضونه ، فليست مصر هي التى تصورونها بهذا العبث وتلك المسلسلات الهابطة، والأفلام الخليعة، والقصص والمسرحيات الماجنة، التى أُجِرَ عليها أناس من جهات معلومة، فسخروا أقلامهم، وعقولهم لأجل المادة، وباعوا دينهم بعرض من الدنيا، حتى تَصَوَّر للبعض من خارج مصر بما يرونه من مسلسلات وأفلام، أن السمات العامة الذي ينطبع عليها أهل مصر كامنة في الفن، والرقص، والغناء، والمجلات التى يستولى عليها ويتولى شأنها أناس شيوعيون .

يقول الأستاذ/ ماهر خليل: «ولهذا فإننا نصيح أول ما نصيح بشعب مصر أن ارفض هذا الفن الذي يزيفونه باسمك، وحارب هذا الهوان الذي يدلسونه عليك، ولاتقبل أنت أيها الشعب هذه الثقافة التى ليست من الثقافة في شيء، والتى يزورونها على العالم بما لك من مكان رفيع في هذا العالم ، ونصيح بالشرفاء من المنتجين السينمائيين والمخرجين وكتاب السيناريو أن ادركوا فنكم الذي امتهنه فئة منكم ينتسبون إليكم وتنسبون إليهم ، ونحن في صياحنا نهيب بمن لم يسقط بعد أن احذر أن يغويك بريق المال بأصالة الخلق »[2] ولا تبع دينك بعرض من الدنيا كما باعه من قبلك.

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام/ محمد محمود الصواف / ص ٢١١/ الناشر: دار الإصلاح السعودية.

(٢) نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام/ ماهر خليل / ص ٤٣ / مجمع البحوث الإسلامية .

٣- السينما وأثرها في المجتمع:

إذا أردنا أن نقف على حقيقة السينما لنتعرف على ما تحدثه في نفوس العامة والخاصة من تغيير، كان من الواجب أن نتعرف على ما أحدثته تلك الشاشة من إدخال للفتن والعادات والتقاليد الغربية وإحلالها محل عاداتنا الأصيلة، وقيمنا الرفيعة، وإذا وصلنا إلى هذه الحقيقة علمنا أن وراء ذلك أيد خفية تسيطر على تلك الشاشة وأمثالها للتحكم في عقول الناس وخصوصًا - الشَّبيبة - .

يقول الجنرال / رفعت أتلخان : «إن السيطرة على الشبيبة من أولى غايات الماسونية وأهدافها ... دعوا الكهول والشيوخ جانبًا تفرغوا للشباب... بل تفرغوا حتى للأطفال»[1] .

لقد وجد الشباب نفسه أمام سيل جارف من التيارات الإلحادية المعادية للإسلام فظهرت أمامه القصص والمسرحيات والأشعار والموسيقى والصحافة المجندة للجنس العاري تبرزه وتجسمه وتسلط الأضواء عليه، وتكشف الستار عنه، داعية إلى ممارسته علنا دون وازع من ضمير، أو رقابة من مسئول .

فإذا بالشباب يجد نفسه حائرًا بين قيمه الأصلية التى تربى عليها في بيته ورآها في مجتمعه وبين ما يقرأه في الصحف المدونة التى تتسرب إليه تارة فيعثر عليها بصعوبة، وتارة أخرى يعثر عليها مصادفة، فيصبح في حيرة من أمره، أيقف عند تقاليد بيئته أم ينجرف وراء ما يقرأه وما يشاهده في المجلات والصحف.. ؟

وإذا بالضربة القاصمة التى تظهر له ما خفى عليه إنها (السينما) ... يقول الأستاذ/ محمد قطب : « لقد كانت السينما منذ مولدها فن «الجماهير» الجماهير التى لا تقرأ الأدب ولا تجد نقود للمسرح ولا تتاح لها فرصة الرقص بمصاحبة الغناء والموسيقى ولا تجد فرصة التردد على المراسم مشاهدة «اللوحات»[2] وهذه الجماهير تفهم السينما وتذهب إليها في شغف بجنون .

وقد جاء المولد العلمي للسينما والفيلم في عصر «فرويد» فولدت ملوثة بالجنس

(١) أسرار الماسونية / الجنرال / جواد رفعت آتلخان/ الناشر / المختار الإسلامي / ص ٣٦ .
(٢) معركة التقاليد/ محمد قطب/ الناشر / دار الشروق / ص ٣٤ ، ٣٥ .

ومع ذلك فقد تدرجت ـ ككل شيء ـ من أفلام تحمل فكرة وقليلاً من الجنس إلى أفلام معظمها يحمل الجنس وقليلاً من الفكرة، إلى أفلام لا تحمل إلا الجنس كأفلام الاستعراض .

وكانت السينما ـ بإمكانياتها الفذة ـ فتنة للجماهير ، فهي في الواقع مجموعة من الفنون متناسقة متساوقة .. في القصة، وفن المسرح، وفن التصوير، وفن الموسيقى وفن الغناء، كلها مجتمعة ... بجانب الإمكانيات العلمية التى تجعل الشريط الناطق المصور ـ المجسم حديثا ـ أشبه شئ في مظهره بواقع الحياة .

ومن ثم كان أثر السينما في حل الأخلاق والتقاليد أعنف من كل ما سبقها من صحافة وإذاعة وفنون .. لأنها تحمل «الواقع» الجنسي المجسم، تعرضه بصورة خلابة سريعة العدوى شديدة التأثير .

يقول الأستاذ/ محمد قطب: «فإذا أضيفت السينما الجنسية إلى المسرح الجنسي إلى القصة الجنسية، إلى الموسيقى الجنسية، إلى الصحافة العارية، إلى «الأفكار» العارية، إلى الدعوات الجاهرة لتحطيم الدين والأخلاق والتقاليد ... فقد نشأت أجيال لاتؤمن في نفسها بحقيقة غير حقيقة الجنس، لا ترى غضاضة في تعرية الحيوان الكامن في الإنسان، تعرية حسية معنوية . تعرية في المشاعر، والسلوك، وتعرية، وفي البيت، وفي الشارع، وتعرية في اللفظ، وفي الحركة ، في المشية، والجلسة، والنظرة، حيوان عريان »[1] .

انظر إلى أي مدى استطاع أعداء الإسلام أن يجندوا السينما لبث أفكارهم المسمومة للسيطرة على العقول، وهدم كيان الشخصية الإسلامية، وإزاحة الستار عن المرأة على أن لها دورًا وواجبًا يجب أن تقوم به في هذا الميدان الخطير، حتى أغرقوها في هذا العبث ووصل بها الأمر إلى حالة من الإزدراء الذي جعلها تشعر بالذلة والمهانة، فخلعت برقع الحياء طالما وأنها لم تجد من يأخذ بأيديها نحو الفضيلة، بينما الرذيلة لها أعوان يحتضنونها ويشجعونها على الفساد بالإغراء حتى تجتذب اليها أنظار الناس وتستهوى أفئدة الشباب الذين تستقطبهم القصص الغرامية فتنبت في قلوبهم حب

---

(١) نفس المصدر السابق/ ص ٣٤ ، ٣٥ .

الرذيلة والبعد عن الفضيلة حتى أصبح الشاب أو الطفل مثله الأعلى كما يقول الأستاذ/ محمد كامل عبد الصمد : « مؤلف مشهور.. أو نجم إذاعي .. أو نجم سينمائي معروف .. أو نجم تليفزيوني لامع »[1] .

لماذا؟ لأنه وجد أن الدولة تكرمهم، وترفع من شأنهم فضلاً عن أنه يجدهم أمامه على المسرح أو الشاشة يرتدون أرقى الملابس ويسيرون حسب «الموضة» حتى يفسدوا الشباب بهذا الإغراء المخل .. يقول الدكتور / مصطفى عبد الواحد : «والشباب هم أشد الناس شقاء بهذه الفتنة، فلا يملك الشاب أن يشعر بشيء من الاستقرار أمام هذا التيار الشديد، إنه لا يستطيع ملاحقة مواكب الحسان الفاتنات الكاشفات عن الجسد ببصره فضلاً عما تطالبه به الغريزة مما وراء ذلك»[2] .

فماذا يفعل الشباب إزاء هذا الإغراءات جميعها ، إنه لايجد بُدًّا أمامه إلا الاستسلام لتلبية غريزته ، وقد يبلغ به الأمر إلى الشذوذ العنيف الذي يفقد معه وعيه وعاطفته .

وليس الأمر قاصرًا على الفتى فقط، ولكن الفتاة أيضا يحدث لها ما يحدث للشباب وقد يخدعها ما تراه حتى تصل إلى درجة الانحراف بما تشاهده من إغراء عنيف، فهي تتمنى أن تكون مكان بطلة الفيلم أو المسرحية ، لترتمي بين أحضان البطل، والفتى كذلك يتمنى أن يكون البطل ليضغط بيده على خصرها أو يضمها بين ذراعيه، أو يغيب معها في قبلات حارة .

وهنا يكون دور الشيطان الجني، بعد أن لعب الشيطان الإنسي دوره اللعين، فيكون داعي الاستجابة للجنس أشد .. وهنا تكمن الخطورة، ويحدث مالا تحمد عقباه ..

يقول الأستاذ/ محمد أحمد السباعي: « فالسينما بذلك تقدم أخطر النماذج للشباب، في تلك الصور الخليعة الماجنة وليت الأمر يقف عند هذا الحد، بل إنه يحطم القيم الراشدة، التي بقيت فينا بما تتناوله من النقد والسخرية للمرأة المحتشمة وبما تصفها به من التخلف والرجعية، مما يدفع النشء إلى الاستهانة بتلك القيم، والخوف من التمسك بها حتى لاينالهم ما نال هؤلاء فينفرون من الفضيلة ومن المتمسكين بها .

(١) التليفزيون بين الهدم والبناء / ص ١٤٣ .

(٢) الاسلام والمشكلة الجنسية / د. مصطفى عبد الواحد / الناشر مكتبة المتنبي / ط ٢ / ص ١٢٠ .

ثـم أنها تُقَدم – في نفـس الوقت الذي تَرْخُص فيـه – مـن القيم الأخلاقيـة النماذج التى تلهب أحاسيس الرجل، وتستنهض غريزته، في إطار شهي جذاب، لا يُقْوى على مخالفته ذلك منطق الجنس .

اختلت موازين الشـرف فأصبح الشـرف في نظرهم معنـى يمثل التخلف والرجعية ، فتقـدم للشـباب ما يغـض إليـه الحياة الفاضلـة في صور مـن الحرية المطلقـة، في ممارسـة الحـب والجنس، والخمـر، والعربـدة، لا يرون في القبلـة مـا يخـدش الحيـاء أو يجافى الأخلاق، ولا يـرون في مخاصرة النسـاء إلا تحضرًا ورقيّـا، ولا يرون في الخمر منافـاة للدين والعقل[1].

بهذا اتضح لنا أن الفن في السينما وجميع وسائل الإعلام يتخذ طابع الإغراء ويا ليته إغـراء نحو الفضيلـة فيكون هادفًا ، ولكنـه إغراء نحو الرذيلـة ليس لـه من هدف سـوى إطلاق الغرائز من سباتها، فضلا عن أنـه لا يغير من المشاكل شيئا، بل يزيدها تعقيدًا ، والضحية في ذلك المشاهدون التى تغريهم المناظر فتسلب عقولهم وتستهوى أفئدتهم.

وإذا نظرنـا نظرة واقعيـة إلى الأفلام التـى تعرضهـا شاشـات التليفزيون والسـينما سنجدها تنحـرف انحرافـا تامًـا عن القيم الإسـلامية الرفيعـة، وعن أخلاقيـات المجتمع السـائدة ، فضلا عن إنها للجرائم والانحرافات الجنسية، مما يولد في النفس كآبة ومللا وسـخطًا على الحيـاة التى يعيشـها الإنسـان، وبالتـالى يكـون دور تلك الأفلام دورًا خطيرًا، ولاسيما على الشباب الذي يبحث عن الحياة السعيدة التى سمع عنها، أو قرأها في بعـض الكتب، فلا يراهـا في الواقع المعروض أمامـه، فيعمد إلى الجرائـم من سـرقة وسـطو، وقتـل، واغتصاب ... وغـير ذلك من الجرائـم التى شـاهدناها ماثلـة أمامنا في مجتمع دينـه الإسـلام، فيعجب الإنسـان حـين يرى على صفحـات الجرائد أن ابنا يقتل أباه، أو زوجة تقتل زوجها ... مما جعل المجتمع يعيش حالة من الذعر والخوف لاتؤمن عاقبتها .

لقد كتب الدكتور / مصطفى محمود في جريدة الأهرام مقالاً تحت عنوان : «جريمة سب علي» قال فيه[2]:

---

(١) المرأة بين التبرج والتحجب / أ . محمد أحمد السباعي / ط مجمع البحوث الإسلامية / ص ١٠٦ .
(٢) جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ٢٦/ ٣ / ١٩٨٤ .

« السينما في بلادنا لم تعد فنًّا بل فضيحة، بل وصمة عار على كل من يعمل فيها ممثلاً أو منتجًا أو مخرجًا . لقد أصبحت شاشة كبيرة تروج فيها الغواية، والعهر والفحش ويظهر فيها شعب مصر، ونساء مصر، وبيوت مصر، بما لا يليق بعد الكفاح والصبر والألم لا يرون فيها إلا الفحش، والاختلاس، والسرقة، والتسول ... والحق أن هؤلاء المؤلفين ما أرادوا إلا أنفسهم فهم المخدوعين ، وما قالوه عن بلادنا هو الفحش والتزوير بعينه ومصر بريئة مما قالوه وصنعوه وصوروه وأخرجوه .. ولا أدرى كيف لا يندى جبين هؤلاء الممثلين الكبار خجلاً حينما يرون أنفسهم على الشاشة سبة لبلادهم وأي كسب مادي يعوض ما جرحوا به أهليهم وإخوتهم .

يقول د. على جريشة في كتابه أساليب الغزو الفكري: « إن وسائل الإعلام المختلفة، من صحافة، وإذاعة وتلفيزيون ، وسينما، مُسَخَّرَة اليوم لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة ، والسعى بالفساد في الأرض، بما يترتب على ذلك من خلخلة للعقيدة، وتحطيم للأخلاق والقيم والمثل... وهما (العقيدة والأخلاق) أساسًا لبناء الإسلام فإذا انهدم الأساس فكيف يقوم البناء؟

وتتفاوت درجات الفساد في وسائل الإعلام .. تبعًا لهذه الوسائل، فهي في السينما أشد، يليها التليفزيون، والإذاعة، والصحافة»[1] .

ولو ذهبنا نستقصى مواطن الفساد فيما تبثه وسائل الإعلام، ونعدد المشاكل والجرائم التى نتجت عن مشاهدة الأفلام والمسلسلات وغيرها لضاق بنا المقام، ولاحتجنا في سرد ذلك إلى صفحات طوال ، بل مجلدات عظام .. ولكن نطرح هذا التساؤل ثم نجيب عليه بعونٍ من الله تعالى :

ما المحرك الأساسي وراء هدم العقيدة والأخلاق؟

إنه الأيدى الخفية الممثلة في اليهود الذين حملوا على عاتقهم معاول لهدم الإسلام وجعلوا كل غايتهم كما يقول الجنرال جواد رفعت أتلخان:

«تعميم الأخوة الماسونية السائدة بين أعضائها كي تشمل البشرية كلها، وتكليفهم

(١) أساليب الغزو الفكري / ص ١٧ .

بنشر الدعاية عن طريق الكلام والكتابة والأعمال ، ومد يد المساعدة إلى إخوانهم الماسونيين في جميع الظروف والأحوال»[1] .

كما أن من أهداف الماسونية كما يوضحه لنا أيضا صاحب كتاب أسرار الماسونية الجنرال رفعت أتلخان : « محاربة الأديان وصيانة الدول اللادينية العلمانية ولذا فهي تستسيغ الإرهاب بالتجرد من مفاهيم الأخلاق والضمير ... ويجب أن تكون الماسونية متمرنة حسب الظروف والأوضاع»[2] .

لذلك عملوا من خلال هذه المبادئ على هدم الإسلام، والسيطرة على العالم شرقه وغربه، حتى يستطيعوا الوصول إلى هدم الأخلاق والقيم، وذلك عن طريق المرأة التى استطاعوا من خلال الاستحواذ عليها أن يجعلوها حربًا على دينها، وأداة إغراء وإغواء، ودفعوا بها إلى الجنس الرخيص، كما جعلوها حقلا خصبًا وسوقًا رائجة للتجارب المتوالية والربح الوفير وذلك بعرضها في بيوت الأزياء ، كما استطاعوا أن يسخروا أدوات التجميل والمكياج وغيرها لتفجير طاقات الأنوثة لديها وإشعال نار الفتنة والرغبة الجارفة لدى الشباب والتفنن في الوصول إليها عن طريق الغصب أو الاحتيال ، أو الوصول إليها بأى لون آخر مما نراه ونسمعه على صفحات الجرائد ، وما تطفح به الجرائد كل يوم .

هذا ونستطيع أن نجمل أهدافهم التى يريدون من خلالها السيطرة على العالم والقضاء على أخلاقه ومبادئه فيما يلي :

١ـ تقويض دعائم الأسرة .

٢ـ عرض الأفلام الخليعة الماجنة .

٣ـ انتشار المجلات والكتب الجنسية وبأثمان زهيدة.

٤ـ انتشار القصص الغرامية المثيرة للجنس .

٥ـ عرض الصور العارية في أوضاع شتى وفي ميادين متعددة .

---

(١) أسرار الماسونية / الجنرال / جواد رفعت أتلخان / ص ١٩ .

(٢) نفس المصدر السابق / ص ٢٧ .

٦ـ انتشار وسائل الدعاية للتشجيع على الإختلاط.

ووسيلتهم في الوصول إلى أهدافهم كما يقول البروتوكول الأول:

«إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا ـ ونحن نضع خططنا ـ ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ماهو ضروري ومفيد»(١) .

هؤلاء هم اليهود، وذاك دورهم، وتلك أهدافهم ..

فهل نقف حيالهم مكتوفى الأيدي، قاصرين على الخطب الرّنانة ، والمقالات البليغة والكلام الرتيب في الصحف والمجلات، أم ماذا نفعل أمام تلك الفتن وهذه المخططات؟

إنني أجد المخرج من تلك الفتن في هذه الحلول:

أولا : الارتقاء بالفن والوصول به إلى الآراء البناءة، والمناظر الهادفة ، والأفلام النافعة المفيدة للشباب، التى تنمى فيهم روح الانتماء للدين الحنيف، ولوطنه الشريف.

ثانيًا: يقول الأستاذ/ محمد كامل عبد الصمد موضحًا ما يصلح عرضه على شاشة التليفزيون والسينما: « توخى الدقة في اختيار ما يصلح عرضه على الشاشة التى تدخل اليوم معظم بيوت الناس .. فهناك من الأفلام السينمائية ما تعتبر من أهم الوسائل التى تزيد من وعي وإدراك المشاهد للموضوعات التى تعرضها، وذلك إذا تضمنت مغازي وإيحاءات تربوية وأخلاقية ، أو محتوى تعليمي أو مضمون تثقيفي»(٢) .

ثالثًا : رفع مستوى الإنتاج السينمائي والتليفزيون المحلي، والعناية به من ناحية الكيف لا الكم، والاستغناء به عن الأفلام البوليسية وأفلام رعاة البقر ـ الأفلام الهندية.

رابعًا : إخضاع المؤسسات المنتجة للأفلام لكل ما هو صالح ، وبذلك تتبارى في إنتاج الأفلام النافعة الهادفة، وتتنافس الشركات المصدرة للأفلام في هذه الميدان، لأنها سوف تعلم أنه لا رواج لأفلامها إلا إذا كانت هادفة بناءة .

خامسًا: تخفيض ساعات بنث الإرسال التليفزيوني، والحد من عرض الأفلام

---

(١) البروتوكولات / ص ١٥٧.

(٢) التليفزيون بين الهدم والبناء / ص ١٤٤ .

السينمائية والتليفزيونية الخليعة، إلى أن تتمكن المؤسسات من وجود الإنتاج الجيد الذي يتوافق مع قيم الإسلام .

سادسًا : أن يكون الرقيب التليفزيوني وكل من يعمل في مجال الفن على مستوى عال من الثقافة التربوية والإجتماعية ، حتى يعلم أنه يحمل رسالة أخلاقية عالية، يتحكم من خلالها في عقول أكبر قطاع من قطاعات الشعب، فيشعر بعظم مسئوليته تجاه ربه، فلا يقول إلا صدقًا، ولاينشر إلا خيرًا، وبذلك يتربى لديه الوازع الديني، والاقتناع برسالته وما يقوم به من تغذية للعقول وتربية للأجيال .

سابعًا : دعم الكتاب الديني ونشره في صورة خالية من التعقيد يستطيع القارئ من خلال قراءته أن يصل إلى هدفه بأبسط طريقة .

ثامنًا: نشر القصص الإسلامي والبطولات الإسلامية والفتوحات عن طريق الكتب والدوريات وتمحيص التاريخ مما علق به من كتابات المستشرقين وأعداء الإسلام .

إذا استطعنا أن نصل إلى هذه الدرجة وأن نطبق هذه الحلول الإسلامية استطعنا أن نجعل من الفن رسالة هادفة تخدم الأجيال وتبنى العقول، وتحث على الفضائل والتحلى بها، وتنهى عن الرذائل والتخلى عنها، وتكون شاشات التليفزيون والسينما والفيديو.. يشع منها نور الإيمان فيملأ جنبات البيت بشحنات كهربية تحرك الإيمان، وتوقظ الضمير، وتنير البصائر، وتغذي العقول، وتبث نخوة الرجولة في نفوس المسلمين حتى يستطيعوا مواجهة التحديات التى تحيق بهم من كل جانب .

وبذلك نثبت للعالم كله أننا شعب لنا قيمنا ومبادئنا التى من خلالها نتحكم في غرائزنا وشهواتنا ونعتصم بها من الوقوع فيما حرم الله .

ومن ثم نستطيع أن نحدد المسئولية التى تلزمنا بتطبيق هذه الحلول وإيجاد جوّ إسلامي يتوافق مع تعاليم الإسلام وقيمه الإجتماعية .

فعلى من تقع تلك المسئولية؟

١ـ مسئولية العلماء .

٢ـ مسئولية الأفراد.

٣- مسئولية أجهزة الإعلام .

٤- مسئولية الحكام .

أولاً: مسئولية العلماء :

على العلماء أن يكونوا قدوة الناس في سلوكهم، فلا يقولوا مالا يفعلون، وبذلك يطبقون شرع الله فيما يتعلق بالزينة في بيوتهم، فلا تخرج زوجة العالم إلا محتشمة، وكذلك بناتهم وكل من هنّ تحت أيديهم من الأخوات والأقارب .

فإذا نجح العلماء في الوصول إلى هذه الدرجة كانت نساؤهم، وبناتهم، وأخواتهم مثلاً رفيعة للمرأة المسلمة، فتقتدى بهن نساء المسلمين، وبناتهم، وكن بذلك دعاة حق بالفعل لا بالقول .

أما إذا لم ينجح العلماء في الوصول إلى درجة الإقناع والالتزام الفعلي كانت نساؤهم، وبناتهم، وأخواتهم، وكل من هم مطالبون بإقناعهم حربًا على الإسلام .

فضلاً عن إن وعظهم وخطبهم يذهب صداه مع أدراج الرياح، فلا تُسمعُ لهم موعظة، ولا يقبل منهم كلام .

وليس الأمر بالنسبة لمسئولية العلماء قاصرًا على دعوة الناس وإصلاح بيوتهم، فحسب بل يخرج من تلك الدائرة إلى دعوة الحكام ومطالبتهم بالعمل على تنفيذ شرع الله والتزامهم به ، وإلزام الناس به .

ثانيًا: مسئولية الأفراد :

إذا أدى العلماء واجبهم، وقاموا بدور النصيحة للحكام، ودعوتهم بالتى هي أحسن - بالحكمة والموعظة الحسنة - أضبحت المسئولية منوطة بالحكام، والحكام بدورهم عليهم أن يقودوا المحكومين نحو الفضائل، ويأخذوا على أيدى العابثين والمعتدين .

من ثم وجب على الأفراد أن يقوموا بدور النصيحة في بيوتهم ، فَيُعَلِّم الرجل زوجته حدود الزينة التى تبديها للأجانب، كما يوضح ذلك لبناته وأخواته، فيلزمهن باتباع شرع الله في كل ما أمر الله، وينهاهم عن كل ما نهى ا لله .

على المرأة بدورها أيضًا أن تقوم بهذا الدور داخل بيتها،فتُعَلِّمُ أبناءها الفضائل، وتنهاهم عن الرذائل ، وتقوم من سلوكهم إذا استدعى الأمر ذلك، وعلى البنت أن تلتزم بالزينة في حدود ما أمر الله، وأن تحترم نفسها كإنسانة، فتبتعد عن كل ما حرم الله ، وتمتثل لكل ما أمر به الله .

وصدق الله إذ يقول :

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1] .

ثالثًا: مسئولية الإعلام :

على رجل الإعلام أن يغير من مفاهيم الناس لأن للكلمة «المكتوبة أو المسموعة أو الصورة المرئية، سحر نافذ، وعطر أخّاد ، يرينا ما لأجهزة الإعلام من تأثير على الواقع الإنساني»[2] كما قال بذلك د/ عبد الحي الفرماوي .

فإن المسئولية المنوطة برجل الإعلام كبيرة، فعليه أن يوجه الناس توجيهًا إسلاميًا، يتفق مع تعاليم الإسلام وقيمه الرفيعة ، ويأخذ بأيديهم إلى طريق الخير، فلا يعرض كلمة مخلة، ولا صورة خليعة، ولكن وجب عليه أن يبعد الناس عن الرذائل ما أمكنه ذلك، وعلى عاتق المسئولين عن الإعلام أن يوضحوا للناس تعاليم الإسلام في صورة سهلة ميسورة، ويقوموا بدورهم نحو النساء والفتيات، والشباب، فيعلموهن الصلاة بالحركات وبالصورة المرئية ، كما علموهم الرقص والشلبنة من قبل .

وبذلك يُكَفِّروا عما ارتكبوا من أخطاء وما قدموا من زلات ـ والله أسأل أن يبصرهم بأمور دينهم .

رابعًا : مسئولية الحكام :

إن مسئولية الحاكم أكبر من أي مسئولية أخرى فهو يقوم بدور الإلزام باتباع شرع الله، فعلى كلمته ينعقد صلاح الدولة، وعلى كلمته ينعقد فسادها، من ثم وجب عليه أن يلتزم بتعاليم الإسلام، ويلزم بها أفراد الشعب، وبذلك نستطيع أن نعيد للشارع

---

(١) سورة الرعد / من الآية : ١١ .

(٢) زينة المرأة بين التشريع الاسلامي والواقع الانساني / ص ١٢٠ .

المصري ، والمجتمع الإسلامي صبغته التى أرادها الله فإذا تضافرت الجهود واتبعنا منهج الله استطعنا أن نقيم مجتمعًا إسلاميًا .

يقول الدكتور/ عبد الحي الفرماوي موضحًا مسئولية الحكام قائلاً :

« فإذا صدقت نوايا الحكام في أن يكونوا مسلمين ولبلاد إسلامية، وشعوب إسلامية ، وعملوا جاهدين على أن يكون ظاهر بلادهم وباطنها إسلاميًا، كما أراد التشريع الإسلامي، عن طريق تطبيق المنهج الإلهي، الذي أنزله ا لله لعباده، ووضحه محمد - ﷺ - وأصحابه ، وبلغت به الأمة أوج المجد والعظمة يوم أن حافظت عليه والتزمت به، وصارت تحت لوائه .

لا كما يريد، أعداء الإسلام من صهاينة، وشيوعيين، واستعماريين، وأذنابهم داخل البلاد الإسلامية، وذلك عن طريق استيراد مناهجهم ، ونظمهم، وتطبيقها في كل مجالات الحياة الإسلامية، حسب تخطيط هؤلاء وتقليدهم[1] .

وفي النهاية أقول: إذا التزم العالم في توضيح مفاهيم الإسلام الصحيحة في جميع المجالات، إجتماعية ، واقتصادية، وتربوية، وسلوكية ... والتزم الحاكم بكل ما هو إسلامي ونفّذه ، وألزم الناس به ، والتزم الأفراد وساعدت وسائل الإعلام على ذلك الالتزام ، كان طريقنا للفلاح والرقي أكيدًا ومضمونًا .

أما إذا لم تلتزم تلك الجهات المسئولة كان طريقنا إلى الهلاك والدمار ، وصدق ربنا إذ يقول في كتابه العزيز :

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[1] .

والله أسأل أن يوفق المسلمين لما فيه سعادة البشرية جمعاء .

(١) زينة المرأة بين التشريع الإسلامي والواقع الانساني / ص ١٢١ .

الباب الثاني

حرية المرأة بين الإسلام ودعاة الحرية في العصر الحديث

الفصل الأول : مفهوم الحرية في الإسلام .

الفصل الثاني : حرية المرأة في الإسلام .

الفصل الثاني : حرية المرأة عند أدعياء التحرر في العصر الحديث .

الفصل الأول

مفهوم الحرية في نظر الإسلام

إن الحرية هي أعز ما يملكه الإنسان، فهي قوام حياته، ومنار وجوده ، بها يحيا فإذا سلبت منه فإنه يعيش مناضلاً ومكافحًا حتى يستردها ولو أفنى حياته في سبيل الوصول إليها، لأنها الأساس في بنيان المجتمع، بل هي أعظم ميدان يتنافس فيه المتنافسون، ويعمل من أجله العاملون وكلما كانت حرية الإنسان مصانة ومكفولة، كلما كانت حياته سعيدة، وسعادة الإنسان يترتب عليها ازدهار المجتمع، وكلما ازدهر المجتمع وتقدم في مدار الرقي، وصل إلى مراتب الكمال .

إذا سُلِبَ الفرد حريته، فقد ماتت حياته، وماتت إنسانيته، وأصبح خاملا لاحراك فيه، لأنه بالحرية ينطلق في جميع الميادين ويمارس جميع الأنشطة من خلال تنظيم يراعي فيه حقوق الآخرين .

ومن ثمّ وجب علينا أن نحدد معنى تلك الكلمة، حتى نستطيع من خلال فهم معناها ومدلولاتها أن نضع تعريفًا يتفق مع قيمتها الرفيعة، ومبادئها السامية .

معنى الحرية: جاء في المعجم الوسيط :

« إن الحرية: هي الخلوص من الشوائب، أو الرق، أو اللؤم، وكون الشعب أو الرجل حرًا » .

وفي الاقتصاد : مذهب اقتصادي يرمى إلى إعفاء التجارة الدولية من القيود والرسوم.

وحرره بمعنى: أعتقه: ويقال: حرر رقبته .

وحرر الولد : أفرده لطاعة الله وخدمة المسجد[1] .

---

(١) المعجم الوسيط / جـ١/ ص ١٦٥/ مجمع اللغة العربية / الطبعة الثانية .

قال تعالى :

﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[1] .

ويقول الشيخ أبو زهرة : «والحرية كلمة أخذتها اللغة من وصف (الحر) فالحرية والحر متلاقيان في الوجود ، تستمد اشتقاقها منه ويتحلى هو بها»[2] .

والحرية كما يعرفها فقهاء الفقه الدستورى هي:

« قدرة الفرد على ممارسة أي عمل لا يضر الآخرين»[3] .

ويُعرّفها الأستاذ / محمد السباعي فيقول « إن الحرية لها حدود بقدر ما يحفظ القيم الدينية، ويحفظ حقوق الآخرين وإلا فهي الفوضى»[4] .

هذا هو معنى الحرية وتلك مدلولاتها لدى علماء اللغة العربية وعلماء الاقتصاد، وعلماء الفقه الدستوري، وعلماء الدين .

والحرية عندي هي: التى تبنى ولا تهدم، بمعنى أن ينخلع الإنسان من حيوانيته إلى إنسانيته فلا يجعل رقيبًا عليه سوى الله ـ تعالى ـ لأن الحيوان مسخر دائمًا لشهواته وإيحاءاته الغريزيه، أما الإنسان فقد زوده الله بالإرادة التى تمكنه من السيطرة على شهواته وتحكيم منطقه العقلي فيها، وبذلك لا يكون حرًا في أن يضر غيره، بل هو حر فيما رسم له من منهج يقوّم سلوكه، إذًا الحرية في نظري هي: الالتزام بكل ما أمر به الله ورسوله والانتهاء عن كل ما نهى عنه ا لله ورسوله .

ولكن من هو الحر؟ على ضوء تلك التعريفات؟

إذا أردنا معرفة ذلك نجد أن الناس يذهبون مذاهب شتى في تعريف الحر، وفي توضيح تلك اللفظة وتفسيرها ، وخصوصًا من الناحية التطبيقية، حتى ليبدو للقارئ أن هناك تناقضًا بين وجهات النظر، ولاسيما وأن كل فريق يدعى لنفسه الصدق .

فعلى سبيل المثال يدّعى البعض أن الحُرَّ هو الذي ينطلق بدون قيد أو شرط، أي أن

(١) سورة آل عمران / من الآية : ٣٥ .
(٢) تنظيم الإسلام للمجتمع / الإمام / محمد أبو زهرة / الناشر/ دار الفكر العربي/ ص ١٨٠ .
(٣) ضمانات الحرية في النظام الإسلامي وتطبيقاتها / د. منيب محمد ربيع/ مجمع البحوث / ص ١٣٢ .
(٤) المرأة بين التبرج والتحجب / الأستاذ/ محمد أحمد السباعي / طبعة مجمع البحوث الإسلامية / ص ١١٣.

الذي يُطلق لنفسه العنان ـ عنان الغرائز والشهوات ـ دون ضبط أو توجيه ذلك هو الحرّ من وجهة نظر الغربيين .

ويرى البعض الآخر أن الحر: هو الذي يفعل ما يقتنع به ، حتى لو كان ذلك منافيًا للآداب، مخالفًا للشرائع ...

إلى غير ذلك من التعريفات الواردة لمعنى كلمة الحرّ والتى يرجع مدلولاتها إلى غرض أو هوى شخصى، مما يجعلنا نجزم أن تلك التعريفات وأمثالها ليست من الحقيقة في شيء ، ومن ثم فهي تعريفات قاصرة ، لأنها ليست جامعة ولا مانعة .

ولكن الحر حقًا كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة :

« هو الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية، الذي يعلو عن سفاسف الأمور، ويتجه إلى معاليها، ويضبط نفسه فلا تنطلق أهواؤه، ولا يكون عبدًا لشهوة معينة، بل يكون سيد نفسه، فالحر يبتدئ بالسيادة على نفسه، وإذا ساد نفسه، وانضبطت أهواؤه وأحاسيسه، أصبح لايذل ولايهون، وبذلك يكون حرًا بلا ريب ..

وإذا كان الحر هو الذي يضبط نفسه، ولا يذل ويأنف من أن يهضم حقه، فهو لايعتدى ، فالحر لايمكن أن يكون معتديًا، لأنه يسيطر على أهوائه، ولأنه يعطى لغيره ما يعطيه لنفسه، ولأنه يحس بالمعاني الإنسانية التى يجب أن يلتزمها بالنسبة لغيره[1] «ولن يتم ذلك إلا بتطبيق منهج الإسلام الذي كفل الحرية للناس جميعًا ، وسوّى بينهم في الحقوق والواجبات» .

ومن ثم يتضح لنا بجلاء كيف حرص الإسلام على تحرير الإنسان وجدانيًا، وفكريًا وذلك بتحريره اجتماعيًا، من مختلف ضروب الرق الاجتماعي ، كيلا يقهر عن قوة، ولايركن إلى ضعف، وأول ما يبدأ به في هذا السبيل هو تدعيم الشخصية الفردية والاعتراف بكرامة الفرد وأهميته في المجتمع .

يقول الأستاذ/ بكر موسى موضحًا قيمة الفرد الحر في المجتمع:

« فليس الفرد مجرد آلة تعمل لخدمة المجموع، كما تقول الفلسفة الشيوعية أو

---

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع / ص ١٨٠ .

النازية أو غيرهما، كما أنه ليس ملكًا للدولة يعمل بإيحائها وحدها دون مراعاة لذاتيته أو ميوله، فهو أشبه بالدابة تساق ولو إلى الذبح فلا تملك إلا أن تجيب»[1] .

ولكن الإسلام بنظرته السامية إلى الحرية يختلف اختلافًا كليًا وجزئيًا عن تلك النظرة التى تجعل من الفرد آلة تدار حسب رغبات الآخرين، فنراه قد نظر إلى الفرد على أساس أنه يخاطب فيه عقله وقلبه، حتى يعمل بإيحاء من ضميره وفكره، ثم يجنى بعد ذلك ثمرة عمله، بشرط أن لاتتعدى حريته الخاصة حرية الآخرين .

ولقد رسم الإسلام منهج الحرية للفرد المسلم وأرسى دعائمها في آية من كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وهذه الآية هي قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2] .

وهذه الآية قد جمعت أسمى غاية جاءت من أجلها الرسالات السماوية عامة والرسالة الإسلامية خاصة فنراها ترتكز على ثلاث ركائز كما يقول الدكتور/ محمد عمارة :

أولها: «إشتغال الإنسان بشئون أمته ومجتمعه العامة متمثلا في : (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)».

ثانيها : تنظيم علاقة الإنسان بالأشياء، ماهو حلال منها وماهو حرام.

ثالثها: تحرير هذا الإنسان من القيود والأغلال ....[3] .

وهذه الركائز التى أرسى دعائمها الإسلام تنطلقُ من مبدأ واحد كما يقول الدكتور/ منيب ربيع: «إنقاذ الفرد من ربقة العبودية ومن الخضوع لغير الله ، وتأليه الأشخاص وعبادة المادة، وعن طريق التوحيد والإيمان با لله الواحد يصل الإنسان إلى

(١) حرية الإنسان في الإسلام/ الأستاذ / بكر موسى / ص ١٤٧ سلسلة البحوث الإسلامية .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٣) الإسلام وحقوق الإنسان/ د. محمد عمارة/ عالم المعرفة / مطابع الرسالة الكويت ص ٢٢ .

تحرير الوجدان والضمير الإسلامي ، وهو عندما يحرص على تقوية الصلة بين الإنسان وربه إنما يصل إلى تحقيق الاعتزاز بالحق والعدل والمحافظة عليهما، وبالتالى تتحقق المساواة والإخاء ،فالحرية في سبيل الكرامة والمساواة سبيل العدل والمؤاخاة سبيل التعاون، وفي سبيل هذا يصل الإسلام إلى وحدة الإنسانية التي هي ميزة الإسلام، والتي في سبيل تحقيقها صدّق الإسلام بكل دين أنزل، وبكل نبي أرسل، وفي سبيل تحقيق هذه الوحدة سوّى الإسلام بين الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وجعل التكريم والتقويم بالعمل النافع الصالح وحده»(١) .

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٢) .

هكذا جاء الدين الإسلامي بترقية الإنسان، وتحريك فطرته نحو خالقه، إلى حد أنه لا يخاف إلا الله، ولايخشى في الله لومة لائم، تلك هي أسمى معاني الحرية التى جاء بها الإسلام معلنًا بها ثورته العارمة على الشرك والإلحاد ، ورسم بها طريق التحرر للبشرية من ذل الرق وثقل العبودية لغير الله ، فضلا عن أنه جعل تحرير العبيد وفك الرقاب من أعظم القربات إلى الله، كما جعلها كفارة لبعض الذنوب التى يقع فيها الإنسان، وذلك كله من خلال تدرج القضاء على الرق وإنهائه درجة درجة كما هي عادة الإسلام بادئ الأمر في تدرجه في التشريع حتى يسعد الجميع بالحرية التى أرادها الله لعباده، وبذلك يقيم الإسلام بمنهجه المتكامل الفرد الراشد في فكره وسلوكه ، فلا ينطق ولا يكتب ولايفعل إلا ما يتوافق مع تعاليم دينه التى تدعوا إلى إعمال العقل والفكر مع الالتزام بالنصوص الشرعية، حتى لايضل الإنسان ولا يضل غيره .

(١) ضمانات الحرية في النظام الإسلامي / ص ١٣٣ .
(٢) سورة الحجرات / من الآية ١٣ .

« أقسام الحرية في الإسلام»

تنقسم الحرية في منظور الإسلام إلى أقسام عديدة نذكر منها ما يلي :

١ـ الحرية الشخصية .

٢ـ حرية التدين .

٣ـ حرية الرأي .

٤ـ الحرية السياسية .

٥ـ حرية التعليم .

هذا بعض أقسام الحرية من وجهة النظر الإسلامية، وهاأنذا أوضح هذه الأقسام على قدر ما يوفقنى الله له ... فأقول وبالله ـ تعالى ـ التوفيق:

أولا : الحرية الشخصية :

يقول الشيخ : محمد أبو زهرة : « إن أول مظهر من مظاهر الحرية هو الحرية الشخصية، وهي تتضمن حرية الشخص في أن يعتقد ما يراه حقًا، وأن يقول ما يراه حقًا، وأن يتصرف في دائرة شخصه بما يعود عليه بالخير في نظره من غير تدخل من أحد، ولا تحكم ذي سلطان في إرادته، وأن يكون له الحق في إبداء رأيه في كل ما يتصل بالمجتمع الذي يعيش فيه »(١) .

هذا هو مفهوم الحرية الشخصية ، ومدلولاتها الواسعة بالنسبة للإنسان ويعرفها الأستاذ/ توفيق وهبة فيقول: « إن الإنسان حر منذ ولادته فلا يمكن أن يكون ملكًا لأحد، ولا عبدًا إلا لله ـ سبحانه جلت قدرته ـ وفي هذا يقول عمر بن الخطاب لعمرو ابن العاص وولده حينما شكا له المصري من ظلم ابن عمرو: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا»(٢) .

وهنا يتضح لنا بجلاء أن الفرد في المجتمع ليس مملوكًا لفرد آخر، ولا لدولة ينتمي

---

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع / ص ١٨٢ .

(٢) حقوق الإنسان بين الإسلام والنظم العالمية : توفيق على وهبة / ص ٥٧ / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

إليها، ولكنه يتمتع بحريته الشخصية الكاملة، وحقوقه المتساوية مع جميع أفراد المجتمع من حوله .

ومن ثم نرى الإسلام قد كفل للإنسان حق الحياة ، فلا يجوز الاعتداء عليه ـ أعنى على نفسه ـ فلا يحل لأى فرد أن يعتدى على حرمة غيره، إلا إذا اعْتُدى عليه .. قال تعالى :

﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[١] .

فالإسلام بهذه الصورة قد صان حق الإنسان وحفظ عليه كرامته، كما حرص على آدميته ، فصان حرمة النفس وحرم سفك الدماء ، ونهى عن الإعتداء على حق الحياة وقتل النفس إلا بالحق .. قال تعالى :

﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَق﴾[٢] .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول ا لله ـ ﷺ ـ «لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثّيّبُ الزّاني ، والنّفس بالنّفس ، والتّارك لدينه المفارق للجماعة»[٣] .

تلك هي مبررات القتل في الشريعة الإسلامية وهي كما أوضحها الحديث أن يرتكب الشخص واحدة من خصال ثلاث، وهي كما ذكرها صاحب كتاب تيسير العلام شرح عمدة الأحكام :

الأولى: «أن يزني وقد منَّ الله عليه بالإحصان، وأعف فرجه بالنكاح الصحيح.

الثانية: أن يعمد إلى نفس معصومة ، فيزهقها عدوانًا وظلمًا .

الثالثة: من يبتغي غير سبيل المسلمين بالارتداد عن دينه، والرجوع عن عقيدته فهذا يُقْتَل لأنه لا خير في بقاء من ذاق حلاوة الإيمان، ثم رغب عنه وزهد فيه[٤] .

---

(١) سورة البقرة / من الآية ١٩٤ .
(٢) سورة الإسراء / من الآية ٣٣ .
(٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام/ عبد الله آل بسام / جـ٣ / ص ١٢٩ / الناشر / مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة / ط (٦) .

فهؤلاء الثلاثة يقتلون حرصًا على سلامة الأديان والأبدان والأعراض .

يقول الشيخ / سيد سابق: «ومن حرص الإسلام على حماية النفوس أنه هدّد من يستحلها بأشدّ عقوبة »(١) .

قال تعالى :

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٢) .

انظر إلى هذا الوعيد الذي جاء في الآية كما يقول الإمام الأكبر الشيخ/ محمود شلتوت : «وعيد تنخلع لهوله القلوب المؤمنة، وعيد لم ير مثله في جريمة غير القتل جهنم، وخلود فيها، وغضب الله ولعنته، وعذاب عظيم أعد وهيئ للقاتل، كل ذلك دون أن يردف في الآية بما يدل على الغفران عند التوبة كما نرى في وعيد غيرها من الجرائم(٣) .

وليس الأمر قاصرًا على ذلك بل جعل الإسلام الإعتداء على النفس الإنسانية الواحدة إعتداءً على الإنسانية كلها ... قال تعالى :

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٤) .

هذا إذا كان القتل عن طريق العمد وسبق الإصرار، فينال القاتل تلك العقوبة حتى يرتدع غيره عن ارتكاب مثل هذا الفعل الشنيع، أما إذا كان القتل عن طريق الخطأ فإن الحكم خلاف ذلك تمامًا :

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا .. الآية﴾(٥) .

---

(١) فقه السنه / السيد سابق / جـ٢ / ص ٤٢٩ / مكتبة المسلم .
(٢) سورة النساء / الآية ٩٣ .
(٣) الفتاوى للإمام الأكبر الشيخ/ محمود شلتوت / ص ٤١٩ /ط (١٠) / الناشر / دار الشروق .
(٤) سورة المائدة / الآية ٣٢ .
(٥) سورة النساء / الآية ٩٢ .

والقتل الخطأ كما عرفه الشيخ سيد سابق : «أن يفعل المكلف ما يباح له فعله كأن يرمي صيدا، أو يقصد غرضًا، فيصيب إنسانًا معصوم الدم فيقتله، وكأن يحفر بئرًا ، فيتردى فيها إنسان، أو ينصب شبكة فيعلق بها رجل فيقتل، ويلحق بالخطأ القتل العمد الصادر من غير مكلف، كالصبي والمجنون»(١) .

والآثار المترتبة على القتل الخطأ كما ذكرها الشيخ / محمد على الصابوني هي:«عتق رقبة مؤمنة، ودية مسلمة إلى أهل القتيل تدفعها عائلته، إلا إذا عفوا عنه وأسقطوا الدية باختيارهم فلا تجب حينئذ ، وإذا كان المقتول مؤمنًا وأهله من أعدائهم فالواجب على قاتله عتق رقبة مؤمنة، ولاتجب الدية لأهله لأنهم أعداء محاربون، فلا يعطون من أموال المسلمين ما يستعينون به على قتالهم وأما إذا كان المقتول معاهدًا أو ذمّيًا ، فالواجب في قتله كالواجب في قتل المؤمن ، دية مسلمة إلى أهله تكون عوضًا عن حقهم، وعتق رقبة مؤمنة تكون كفارة عن حق الله تعالى، فمن لم يجد الرقبة التى يحررها فعليه صوم شهرين قمريين متتابعين، توبة من الله على عباده المذنبين ، وكان الله عليمًا بما يصلح الناس حكيمًا في تشريعه»(٢) .

هذا عن محافظة الإسلام على حرمة نفس المؤمن ، والعناية بحق الحياة التى منحها الله إياه، وهو حق مقدّس لايحل التعدى عليه ولا انتهاك حرمته ولا استباحة حماه .

أما عن جانب حق المال: فقد عنى الإسلام به أيما عناية، فيسّر طريق الحصول عليه، ومهّد السبيل أمام الإنسان لأن يأتى بالمال من طريق حلال، سواء كان ذلك عن طريق الزراعة كقوله تعالى في القرآن الكريم :

﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا(٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا(٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا(٢٨)وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً(٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا(٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾(٣) .

كما حث الإنسان إلى تحصيل المال عن طريق التجارة .. قال تعالى في كتابه

---

(١) فقه السنة / ص ٤٣٨ .

(٢) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام / محمد على الصابوني / ص ٤٩٤/ جـ١/ الناشر دار عمر بن الخطاب .

(٣) سورة عبس / الآيات (٢٤ - ٣٢) .

الكريم:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنكُمْ﴾(١) .

كما حث على تحصيله عن طريق الصناعة .. قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾(٢) .

إلى غير ذلك من الطرق التى شرعها الله .

هذا والعناية بالمال والمحافظة عليه، وعدم إسرافه ليس أمرًا قاصرًا على شريعة دون أخرى .. قال تعالى في كتابه الكريم : عن قوم شعيب ـ عليه السلام ـ ناهيًا إياهم عن التطفيف في الكيل أو الميزان، وعن بخس الناس حقوقهم :

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٣) .

كما عاقب الله بعض اليهود الذين أشاعوا الظلم في الأرض وأكلوا أموال الناس بالباطل ، بحرمانهم من بعض الطيبات عقابًا لهم لأنهم لم يقدروا حرمة المال ..

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٤) .

إلى غير ذلك مما ورد على لسان الأنبياء والمرسلين ولاسيما الرسالة المحمدية التى جاءت لتحافظ على حق الإنسان في المال، وحريته الشخصية في جمعه من الطرق التى رسمها الله له، بشرط ألا يظلم أو يعتدى على مال غيره اختلاسًا كان ذلك أو سرقة أو

---

(١) سورة النساء / الآية ٢٩.

(٢) سورة الحديد / الآية ٢٥.

(٣) سورة الأعراف / الآية ٨٥ .

(٤) سورة النساء / الآيتان (١٦٠ ، ١٦١) .

تبديدًا، أو غير ذلك من الأمور التى حرمها الإسلام .

ومن ثم نرى الإسلام يعمل على توثيق الحقوق بين الناس ويتمثل ذلك في دعوته بالوفاء بالعقود . قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(١) .

كما أمر بكتابة الدين عند المعاملة بالأجل .. قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾(٢) .

قال ابن كثير : « هذ إرشاد منه ـ تعالى ـ لعباده المؤمنين، إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ، ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها، وقد نبه على هذا في آخر الآية حيث قال في كتابه العزيز(٣) :

﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا﴾(٤) .

كما أمر الإسلام بالإشهاد عند البيع .. قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾(٥) .

كما حرم الإسلام التعامل بالظلم كالربا وغيره .. قال تعالى في كتابه الكريم مهددًا من يتعامل بالربا :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾(٦) .

ولمزيد التأكيد في المحافظة على المال وعدم الإسراف فيه رسم الإسلام طرق إنفاقه المشروعة .. قال تعالى في كتابه الكريم :

---

(١) سورة المائدة / من الآية ١ .

(٢) سورة البقرة / من الآية ٢٨٢.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير/ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير/ جـ١ / ص٢ ٢٥ / بيروت .

(٤) سورة البقرة / من الآية ٢٨٢ .

(٥) سورة البقرة / من الآية ٢٨٢ .

(٦) سورة البقرة / الآيتان (٢٧٨ ، ٢٧٩) .

﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[1] .

إلى غير ذلك من الضوابط التى وضعها الإسلام للحفاظ على المال وعدم إنفاقه إلا في وجوه الخير ، وعدم التعدى من الآخرين على حرمته .

وكما حرص الإسلام على الحرية الشخصية للمسلم عن طريق جمع المال، حرص أيضًا على المحافظة على عرضه من جميع الأوجه فحرم الغيبة والنميمة، وحرم السخرية بالناس واللمز والتنابذ بالألقاب وسوء الظن بهم، وعدم التجسس على حرماتهم ..

قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُم.. الآية﴾[2] .

وقال تعالى في كتابه الكريم :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[3] .

كما حرم الإسلام الاقتراب من الزنا وشدد النفير منه وجعله من الكبائر والفواحش .. قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[4] .

يقول الدكتور/ أحمد عمر هاشم : «وجريمة الإعتداء على الأعراض من أخطر الجرائم وأكبر الكبائر، إذا تفشت في بيئة نشرت التحلل والإباحية وولدت أخطر الأمراض بين مرتكبيها، وأدت إلى غيرها من الجرائم كما أن فيها إهدار لماء الحياة ومادتها في غير موضعها المشروع وطريقها الحلال .

---

(١) سورة الإسراء / الآية ٢٦ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١١ .

(٣) سورة الحجرات / الآيتان (١١ ، ١٢) .

(٤) سورة الإسراء / الآية ٣٢ .

كما ينشأ عن هذه الجريمة تشرد وضياع لمن جاء من الأبناء عن طريقها واختلاط الأنساب وفقدان للحياة العزيزة الطيبة النظيفة المحترمة»(١) .

كذلك حرم الإسلام جريمة القذف وشدد في عقوبتها وذلك حرصًا على سلامة بنيان المجتمع من التصدع والانهيار، وحرصًا على سلامة النفوس من أن يتخللها بواعث الحقد والكراهية.. قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢) .

وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات من السبع الموبقات التى نهى عنها الإسلام وحذر منها الرسول ﷺ فضلاً عن إنه أمر باجتنابها :

«عن أبى هريرة - رضى الله عنه - « عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا : يارسول الله وما هن؟ قال : الشرك بالله ، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(٣) .

هذه هي نظرة الإسلام للحرية الشخصية، وتلك هي الضوابط التى وضعها ا الله للمحافظة على حياة الإنسان حتى يعيش آمنا معافي دون ما اعتداء عليه من أحد .

وهذه الحرية التى وضع الله ضوابطها في كتابه الكريم بقوله :

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(٤) .

ثانيًا : حرية التدين :

لقد كرم لله الإنسان بالعقل، وميزه عن سائر مخلوقاته بالتمييز والفكر، لأن العقل مناط التكليف إذ به يميز الإنسان بين البدائل فيختار الصالح، ويترك الطالح، وهذا لا يعنى قصوره على الفكر دون اتباع لما أمر الله، بل العقل ملزم بالوقوف عند أمر الله ،

(١) الإسلام وإقرار الأمن / د. أحمد عمر هاشم / ص ٥٥ / مجمع البحوث الإسلامية .
(٢) سورة النور / الآية ٤ .
(٣) رواه البخاري .
(٤) سورة الأنعام / الآية ٨٣ .

ومن ثم نجد رسـول الله ﷺ يوضح لنـا قيمة العقل ، في حديثـه الذي روتـه لنـا السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ : «أول ما خلق ا لله العقل فقال: أقبل ، فـأقبل ثم قال: أدبر، فأدبر، ثم قـال عز وجل : وعزتي وجلالي ما خلقت أكرم على منك، بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب، وبك أعاقب»(١) .

تلك هي قيمة العقل في نظر الإسلام ، وارتفاع قيمة الإنسان منوطة باستغلال عقله وملكاتـه التي منحها الله إيـاه ودنو قيمتـه منوطـة بإغفال تلـك الملكات وعلى رأسـها العقل . قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(٢) .

انظر إلى الإسـلام وهو يصـور لنـا هؤلاء الذين عطلـوا فكرهم وأهملـوا حواسـهم وأهدروا عقولهـم، فلم يجعلوا تلـك الملكـات، أدوات تفكـير، ووسـائل معرفـة، حتى صاروا عند الله أحط من البهائم السائمة بعدم استغلالهم لتلك الملكات .

ومن ثم نرى نظرة الإسلام إلى العقل، فهو يرفع من شأنه، ويعلى من قدره، ويحرره من قيوده، ويرسـم لـه منهج التفكـير فيمن حولـه مـن المخلوقات، حتـى يستطيع من خلال ما يشاهد من قدرة ، وعظمة الله أن يصل إلى خالق الكون . قال تعالى :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٣) .

وقال جل شأنه في كتابه الكريم :

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط .
(٢) سورة الأعراف / الآية ١٧٩ .
(٣) سورة البقرة / الآية ١٦٣ .

﴿يُؤْمِنُون﴾[1] .

وقال عز من قائل في كتابه الكريم :

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ(٣)وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون﴾[2] .

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى تشحذ العقل، وتثير الفكر، وتأخذ بعقل الإنسان إلى التفكير في مخلوقات الله من إنس وحيوان، ونبات وجماد، كما بين له كيفية خلقها، وكيفية تذليلها للإنسان وكيفية السيطرة عليها، والتصرف في أمرها ...

والحق ـ جل وعلا ـ بذلك يقرع قلوب عباده ويوقظ ضمائرهم، ويثير شعورهم الفطري، حتى يتفكروا في خلقه، ويتذكروا نعمه التى لا تحصى ولاتعد، ليصلوا عن طريق الفطرة والعقل السليم للإيمان التام بوجود الله ، واليقين بوحدانيته والالتزام باتباع منهجه .

فإذا وصل المرء إلى هذه الدرجة من اليقين، كان من حقه أن يعتنق الدين الذي اطمأنت إليه نفسه، وانشرح له صدره دون إكراه من أحد .. قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ لماذا؟ ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[3] لماذا؟

يقول الدكتور أمين راشد: «لأن الإسلام عندما دعا إلى الإيمان به لم يجبر الناس على عقيدة لا يرتضونها لأنفسهم، ومن ثم يصبح الإيمان بها إيمانا سطحيًا لايتعدى المشاعر والأحاسيس ، سرعان ما يتزلزل أو يضطرب إذا هبت عليه الأعاصير »[4] .

نعم : إن من المُسَلَّم به أن الإكراه لا يُكَوِّن العقائد، ولا يُربي عاطفة التديّن في قلب

(١) سورة يونس / الآية ١٠١ .
(٢) سورة الرعد / الآيتان (٣ ، ٤) .
(٣) سورة البقرة / من الآية ٢٥٦ .
(٤) دفاع عن الإسلام دفع شبهات ودحض مفتريات / د. أمين راشد / ص٢ .

المكره، بل العكس هو الصحيح، فإنه ينفر منها ويسيء الظن بها وبالقائمين عليها، لابد لغرس تلك العقيدة في القلب من مناخ طيب تهب فيه رياح الحرية صافية نقية من كل شائبة، وإنها حرية العقل مع حرية الفكر، كي تتاح له النظرة الفاحصة المتأنية، والبحث العميق .

ومن ثم :

احترم الإسلام حرية الاعتقاد، وجعل الأساس في الاعتقاد أن يختار الإنسان الدين الذي يرتضيه من غير إكراه ، ولا حمل، وأن يجعل أساس اختياره التفكير السليم، وأن يحمى دينه الذي ارتضاه ، فلا يكره على خلاف ما يقتضيه، وبذلك تتكون حرية الاعتقاد من عناصر ثلاثة وهي كما ذكرها الشيخ/ محمد أبو زهرة :

الأول : تفكير حر غير مأسور بشيء سابق من جنسية أو تقليد .

والثاني : منع الإكراه على عقيدة معينة، فلا يكره بتهديد من قتل أو نحوه .

والثالث : العمل على مقتضى ما يعتقد ويتدين به .

وقد حمى الإسلام هذه العناصر الثلاثة ، فدعا إلى التحرر من ربقة التقليد، ودعا الناس إلى التفكير بالدليل والبرهان ، وتعرف الحقائق من آيات الله البينات في السموات وفي الأرض[1] .

والآيات القرآنية في هذا الشأن كثيرة وكلها تدعو كما يقول الشيخ/ محمد أبو زهرة إلى : التأمل الحر في الآيات الكونية من غير أي تقيد إلا بالأدلة العقلية الهادية، ونعي - سبحانه وتعالى - على المشركين المقلدين، لأن التقليد وحرية الاعتقاد نقيضان لا يجتمعان»[2] .

قال تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[3] .

---

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع / ص ١٨٣ .
(٢) تنظيم الإسلام للمجتمع / ص ١٨٣ .
(٣) سورة البقرة / الآية ١٦٩ .

من هذا العرض اتضح لنا أن الإسلام لايجبر أحدًا على اعتناق الدين، بل يترك للإنسان الحرية التامة النابعة عن فكر واقتناع، ومن ثم نرى الإسلام يضع العقوبة الصارمة للمرتد، فيأمر بادئ الأمر باستتابته، وذلك بعرض الإسلام عليه مرة تلو الأخرى، مع تهيئة فرصة التخلص من الأوهام والشكوك التى حدثت لعقله، وذلك بعد تقديم البراهين الدامغة التى تزيل تلك الأوهام ، والبراهين الساطعة التى تزيح الشكوك عن عقله، وتعيده إلى الإيمان واليقين، وتزيل عنه الريب والشك، ويترك له فترة زمنية يراجع فيها نفسه، ويناقش أفكاره حتى يعود إلى رشده، فإن عاد إلى صوابه وأقر بالشهادتين ، وبرئ من كل دين يخالف دين الإسلام، قبلت توبته وإلا عومل معاملة المرتد، فيقام عليه الحد ـ وهو القتل بالنسبة للرجل، والحبس بالنسبة للمرأة حتى ترجع إلى الدين أو تموت .

والحكمة من قتل المرتد :

(أ) أنه أهمل عقله بعد أن استغله من قبل للوصول إلى الحقيقة، والاقتناع التام بالإسلام وبعد أن ذاق حلاوة الإيمان، فإذا ارتد فقد خرج على الحق والمنطق، وصادم الفطرة السليمة، ووصل إلى درجة الانحطاط في الفكر .

يقول الشيخ / سيد سابق : «ومثل هذا الإنسان لاينبغي المحافظة على حياته، ولا الحرص على بقائه ، لأن حياته ليست لها غاية كريمة، ولا مقصد نبيل[1] .

هذا من جانب إهدار الكرامة وضياع الحقوق التى اكتسبها بدخوله في الإسلام من عزة في المكانة ورفعة في الدرجة، فإذا حدث بعد وارتد، استحق تلك العقوبة .

(ب) يقول الشيخ / سيد سابق : «إنّ الخروج على الإسلام والارتداد عنه إنما هو ثورة عليه ، الثورة عليه ليس لها من جزاء إلا الجزاء الذي اتفقت عليه القوانين الوضعية، فيمن خرج على نظام الدولة وأوضاعها المقررة» .

إن أي إنسان ـ سواء كان في الدول الشيوعية ، أم في الدول الرأسمالية ـ إذا خرج عن نظام الدولة فإنه يتهم بالخيانة العظمى لبلاده، والخيانة العظمى جزاؤها الإعدام ..

(١) فقه السنة / جـ٢ / ص ٣٨٧ .

فالإسـلام في تقرير عقوبـة الإعدام للمرتدين منطقـى مع نفسـه ومتلاق مع غـيره من النظم[1].

من خـلال هذا العرض يتضح لنـا أن الحريـة في الإسـلام كمـا عرفها الدكتور محمد رشـاد هي : « حريـة التحرر من قيود الوثنيـة واستعباد الإنسـان للإنسـان، وهي ضد العبودية في مختلف صورها وشتى أنواعها، إنها الحرية في العقيدة»[2] .

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3] .

وقال أيضًا في كتابه الكريم :

﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[4] .

ومن ثم نرى أن دعوة الإسـلام قامت على الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هي أحسـن ، كمـا نجد الحق ـ جل في علاه ـ لم يجعـل الإلزام والإرغـام طريقًا لسـوق العقائد إلى القلوب .. قال تعالى :

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[5] .

بهذا يتضـح لنا أن الإسـلام يعمق الشـعور الديـني لدى الأفراد بحيث يدخل أحدهم الإسلام عن عقيدة واقتناع .

---

(١) فقه السنة / ص ٣٨٧ .
(٢) الفكر الماركسـي في ميزان الإسـلام / د.محمد رشـاد عبد العزيز دهمش / ص ٧٥ / مطبعة الفجر الجديد سنة ١٩٨٠م .
(٣) سورة الكهف / الآية ٣٩ .
(٤) سورة القيامة / الآية ١٤ .
(٥) سورة يونس / الآية ٩٩ .

ثالثًا : حرية الرأي :

يقول الشيخ الإمام / محمد أبو زهرة : إن « الرأي هو الثمرة التى ينتجها الفكر السليم، والاتجاه المستقيم إلى طلب الحقائق وإعلانها، فإن حقائق التكون، ونواميس الاجتماع، وطبائع الأشياء، لابد من دراستها وإعلان ما ينتهى إليه العقل من نتائج فيه، ولابد أن تكون الدراسة حرة منطلقة مادامت في الدائرة العقلية ، ولابد أن يكون إعلان النتائج حرّا ، فلا قيد يقيده إلا منع الاعتداء على الغير، وإن ذلك من حق المجتمع لأن المجتمع الإسلامي كله يستفيد من الدراسة الحرة لأنها تكشف له عن حقائق هذا الوجود، وعما يجرى فيه، وعلى النواميس التى يجرى عليها الكون، وإنّ ذلك يؤدى إلى خدمة الإنسانية، وتسخير ابن الأرض لهذا الكون الذي سخره ا لله تعالى لعقل الإنسان»[1] .

كما قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[2] .

وكما قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[3] .

من هذا المنطلق يتضح لنا دعوة الإسلام إلى مخاطبة العقل، وإثارة الفكر، حتى يستطيع الإنسان أن يصل بثاقب بصره إلى خالق الكون فيما حوله من الظواهر الدالة على قدرة الخالق من تأمل وفكر وخلاف ذلك ليصل عن طريق العقل إلى إبداء الرأي والوصول إلى الحقيقة ..

يقول الشيخ / عبد العزيز جاويش : «إن القرآن لم يذر وسيلة موصلة إلى إنعاش العقل وتحرير الفكر إلا تذرّع بها، فهو إذا تحاكم فإلى العقل، وإذا حاجّ فبحكم العقل، وإذا سخط فعلى معطلي العقل، وإذا رضى فمن أولى العقل»[4] .

---

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع / ص ١٨٦ .

(٢) سورة الجاثية / من الآية ١٣ .

(٣) سورة الحج / من الآية ٦٥ .

(٤) الإسلام دين الفطرة والحرية / الشيخ عبد العزيز جاويش / ص ١٣٠ / الناشر / دار الهلال .

انظر إلى هذا الاحتفاء الشديد من الإسلام للعقل البشري، ومدى الاعتزاز به، لأنه مناط التكليف، وبه كُرم الإنسانُ عن سائر المخلوقات .. قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾[1] .

ومن ثم نرى تفضيل الإنسان عن سائر المخلوقات بأسمى ملكة منحها ا لله إياه، ألا وهي العقل، ولذلك نرى الإسلام رفع التكليف عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق ، لأن كلا منهما ليس في كامل قواه العقلية ، بل لايدرك بالمرة التمييز بين البدائل، وتلك رحمة من الله بعباده .

فإذا اكتملت مدارك الإنسان ووصل إلى مرحلة النضج العقلي واستطاع أن يميز بين الطيب والخبيث، يأمره الإسلام بأن يعمل فكره وعقله، ومن ثم نرى موقف الإسلام من حرية التفكير، وإبداء الرأى موقفًا رائعًا يشحذ العزائم نحو الوصول إلى ما يريد عن طريق الاستقلال في الفكر في جميع ما يكشفه من أمور، وما يقع تحت إدراكه من ظواهر .. يقول الدكتور / على عبد الواحد وافي : «وقد أقر الإسلام هذا الحق في أوسع نطاق فمنح كل فرد الحق في النظر والتفكير وإبداء رأيه عن أي طريق شاء» .

وعلى هذا المبدأ الجليل سار الرسول - ﷺ - وسار الخلفاء الراشدون من بعده ، فقد كانت حرية الرأى في عهدهم جميعًا مكفولة ومحاطة بسياج من القدسية ، وباستقراء تاريخ هذه المرحلة الذهبية التى تمثل مبادئ الإسلام أصدق تمثيل لانعثر على أية محاولة من جانب أولى الأمر للحجر على حرية الآراء ، بل إن العمل بهذا المبدأ قد ظل مرعيًا في عهد بني أمية وصدر بني العباس، فما كان الخلفاء في هذين العصرين ليحاربوا إلا الآراء التى يعتقدون أنها تهدد سلامة الدولة، أو تنشر الفتنة بين الناس، وكان هؤلاء وأولئك يستوحون ما يسيرون عليه في هذا الصدد من روح الإسلام ومبادئه ، بل إن احترام بعض الخلفاء لحرية الرأى في عصر بني أمية وبنى العباس قد وصل إلى حد جعلهم يتحرجون من وضع أي قيد في هذا السبيل ، فقد كان الناس في عهد عمر بن

---

(١) سورة الإسراء / الآية ٧٠ .

عبد العزيز والمأمون بن هارون الرشيد وغيرهما يتناقشون بكامل الحرية وفي حضرة الخليفة نفسه في شأن الأسرة المالكة ومبلغ استحقاقها للخلافة[1] ... يؤكد هذا الدكتور/ محمد حسين هيكل فيقول وقد كان الاجتهاد بالرأي أصلاً من أصول الشرع منذ العصر الإسلامي الأول: «وقد كان الاجتهاد بالرأى يتناول أصول الفقه في الدين، فطبيعي أن تكون حرية الرأى مطلقة فيما وراء ذلك من شئون الحياة ...

وهذا هو الذي جعل المسلمين الأولين في مقدمة من نقلوا العلوم اليونانية والفلسفة اليونانية، وأقاموا على أساس من تفكير اليونان مذاهب نقلها الأوربيون عنهم من بعد»[2].

وليس معنى هذا أن نطلق العنان للفكر أن يدلى بدلوه في أي قضية تتعلق بأمور الدين أو الدنيا دون ضوابط لذلك الفكر، وقيود على إبداء الرأى ومن ثم أستطيع أن أقول إن الرأى الذي يصطدم مع أمور الحياة، المصلحة العامة والذي يخالف نصًا صحيحًا ، لايعتد به مهما كان قائله ومهما كانت درجاته العلمية، طالما وأن هذا الرأى يناقض نصًا شرعيًا، ويصادف هوى في نفس قائله كأن يحقق مصلحة شخصية لذاته ..

يقول الدكتور/ منيب منيع :« فحرية الرأى وسيلة للفكر لعرضها على الغير وأقناعهم بها ليحمل كل وزره ما دام قد كشف الحق القائم على دليله . وهذه الحرية للجميع مسلمين وأهل كتاب، ما دامت لا تحمل على الفوضى أو تشير إلى الفساد والإفساد »[3] . فإذا وصل الأمر بحرية الرأى إلى حد الفوضى والعبث بحقوق الآخرين، واستشرى الفساد ، وعم الظلم، كان من حق السلطة الشرعية في الرقابة أن تتدخل لتحقق المصلحة العامة التى تعود على الفرد وعلى المجتمع .

ويقوم حقها على أصول ثابتة ومقررة في الشريعة الإسلامية ذكرها الدكتور/ يوسف الشال فقال :

---

(١) الحرية في الإسلام / د. على عبد الواحد وافى / ص ٦٤ ، ٦٥ ، ط وزارة التربية والتعليم.
(٢) الحكومة لإسلامية / د. محمد حسين هيكل / ص ١٣٠ / الناشر دار المعارف سنة ١٩٧٧ م .
(٣) ضمانات الحرية في النظام الإسلامي وتطبيقاتها / ص ٣٦ .

الأصل الأول :

وجوب فعل المعروف والانتهاء عن المنكر، وتحقيق المصلحة من المعروف الذي يجب فعله، والتراخي في تحقيقها من المنكر الذي يتحتم تركه، ومن مسئولية السلطة الشرعية تحقيق ذلك فعلا وتركا .

الأصل الثاني :

تنحية الضّرر والضّرار الذي يقوم في المجتمع من أي فرد فيه، وعلى أي شكل ظهر، ومن مسئولية وليّ الأمر القيام بذلك .

الأصل الثالث:

التبعة التى يحملها صاحب السلطة الشرعية في الدولة، والمقررة بقوله - ﷺ - : «.... الإمام راع وهو مسئول عن رعيته»[1] .

ولاشك في أن المسئولية تقتضى مقابلها، وهو منح الصلاحية الشرعية بإتاحة حق الرقابة والتدخل لإقامة المصلحة ودفع المضرة[2] .

ومن ثم نقول إن حركة الحياة لايمكن أن تسير على نظام دقيق يعم به النفع إلا إذا شارك الجميع برأيه وصولاً إلى الحقيقة المرجوّة ووضعًا لكل شيء في موضعه الصحيح اللائق به .

ونرى قيمة التعبير عن الرأى ومدى حرص الإسلام على الحث عليه وإبدائه دون خوف أو وجل من ذي سلطان، أو صاحب نفوذ ، ودون مبالاة لما يترتب على ذلك للفرد من تضييق في مجالات الحياة، أو حرمان من مكسب مادي، لماذا حرص الإسلام على ذلك؟ .. لأن التعبير عن الرأى كما يقول الدكتور / محمد شامة: «وسيلة من وسائل الوصول إلى الحقيقة، بل هو الوسيلة الرئيسية لضبط مسيرة الحياة وحفظها من الضياع في دهاليز اللامعقول، وصيانتها من التخبط في ظلمات الرأى الواحد، أو

---

(١) زاد المسلم فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم / جـ١ / ص ٣٠٢ ، وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري / جـ٧/ كتاب: النكاح .

(٢) الإسلام وبناء المجتمع الفاضل / د. يوسف عبد الهادي الشال / ص ٢٨ / مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٢م .

متاهات الديكتاتورية ، حيث يقضى على كل صاحب رأى حر بوسائل جهنمية لاتعرف للرحمة طريقًا، ولاتدرك للإنسانية منهجًا .

ولذا كان لزامًا على كل مواطن أن يواجه بشجاعة كل من تسول له نفسه أن يكبت الرأى الآخر، أو يضعفه ، أو يحاول تعكير الجو المناسب لسماع الآراء المتعددة والأفكار المختلفة في جميع مشاكل الحياة، وإلا أصبحت حياتهم عدمًا، ومقامهم في المجتمع لا معنى له لأن المسلم إذا خانته شجاعته عن إبداء رأيه، والتعبير عما يدور في نفسه إزاء الأحداث التى تجرى حوله على مسرح الحياة القومية والدولية، وصار دمية يحركها الغير، وفردًا من قطيع يسوقه من لاهم له إلا استغلال الناس كما يستغل الراعي حيواناته، إذ يقرر مصيرها دون أن يأخذ رأيها أو يستمع لشكواها»(١).

ومن ثم نرى الحكمة من مشروعية الشورى بين المسلمين .. قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾(٢) .

وقال جل شأنه : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم﴾(٣) .

* والشورى كما عرفها الإمام القرطبي : « ألفة للجماعة، ومسبارٌ للعقول، وسبب إلى الصواب، وكان النبي - ﷺ - يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحرب و لم يشاورهم في الأحكام ، لأنها منزلة من عند ا الله .

فأما الصحابة فكانوا يتشاورون في الأحكام ، ويستنبطونها من الكتاب والسنة، وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة، وتشاوروا في قتال مانعى الزكاة، وتشاوروا في ميراث الجد(٤) . وغير ذلك من الأمور التى تشاوروا فيها .

هذا وطبيعة الشورى في الإسلام تبدو معها ظاهرتان لابد منهما لتحقق الغرض الذي من أجله شرعت . وهاتان الظاهرتان هما :

الملاءمة والمشروعية : يقول الأستاذ / محمد موسى عثمان :

---

(١) الاسلام كما ينبغي أن نعرفه / د. محمد شامه / ص ٣٥٤، ٣٥٥/ مكتبة وهبة / الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ .
(٢) سورة آل عمران / من الآية ١٥٩ .
(٣) سورة الشورى / من الآية ٣٨ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي /جـ٢ / ص ٣٥ .

فالملاءمة[1] :

«هي سؤال أهل الخبرة فيما هم خبراء فيه، فنستجمع منهم في شئون الحكم والسياسة عناصر الفهم في نطاق التخصص فإذا كان الأمر يتعلق بشئون المال والتجارة أو الزراعة مثلاً سئل أهل الخبرة في ذلك تطبيقًا لقوله تعالى في كتابه الكريم :

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2] .

والمشروعية[3] : كما عرفها الأستاذ/ محمد موسى عثمان :

«هي عرض أهل الخبرة على مقاييس الشريعة، ومن هنا ندرك أن سلطة رئيس الدولة في قوله تعالى في كتابه الكريم :

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[4] .

ليست مطلقة، بل هي مقيدة بالمصلحة التي تتوخاها الشريعة، فليس له بعد المشاورة أن يختط خطة يراها، بلا مراجع ولا رقيب ، وإنما تحكمه المقاصد الشرعية والالتزام بتحقيقها . وهذا المضمون للشورى في الإسلام يقوم على وحدة المنطق، ووحدة الهدف ..

أما وحدة المنطق: فإن الحكمة فيه تعتنق العقيدة، والشعب يعتنق نفس العقدية، والحاكم يجب أن يكون أكثر الجميع إخلاصا لها، وبذلك يكون المجتمع كله من القاعدة إلى القمة مرتبطًا بمنطلق واحد من العقيدة الراسخة .

وأما وحدة الهدف الذي يتحتم أن يسعى إليه كل من الحاكم والمحكوم : فهو تحقيق مقاصد الشريعة، وبذلك يكون الصف واحدًا ينتفى معه العداء وتصيد الأخطاء ، ويتطلب الأمر الثقة والنصح والإخلاص، ويترتب على ذلك: التكامل والتناسق والتماسك، وليس التربص والتعارض، وهذا المنهج يؤدى إلى السلام، وينفى الصراع

---

(١) نظرية تقويم الفرد وتنظيم المجتمع في الإسلام / الأستاذ / محمد موسى عثمان / ص ١٤٨ مجمع البحوث الإسلامية .

(٢) سورة الأنبياء / من الآية ٧ .

(٣) نظرية تقويم الفرد وتنظيم المجتمع في الإسلام / ص ١٤٨ .

(٤) سورة آل عمران / من الآية ١٥٩ .

والحقد ويصفى القلوب بالمصارحة اللازمة عند تبادل وجهات النظر .

هذا هو مضمون الشورى في الإسلام كمبدأ ، وأما الأسلوب التنظيمي فإن تشكيله لا يتأتى على طبيعة الظروف التى تمر بها الأجيال[١] .

ومن ثم نرى أنه من المعالم الرئيسية للشورى في الإسلام أنها ملزمة للحاكم والمحكومين معًا .. يقول الدكتور / عبد الغنى محمد بركه: «فهى ملزمة للحاكم عليه أن يتقيد بما يراه أهل الحل والعقد ليس له أن يخالف ما انتهت إليه الشورى أو يتجاهله أو يفرط فيه، ثم هي ملزمة للأمة بالطاعة فليس لأحد من الناس أن يخرج على تشريع سنة أهل الشورى وافق هذا التشريع رأيه أم خالفه[٢] طالما أنه يعود بالنفع العام للمسلمين جميعًا» .

ومن خلال هذا العرض لمفهوم الشورى في الإسلام اتضح لنا أن المشاورة في نظام الحكم ذات أهمية بالغة، إذ أنها سبيل معرفة الرأى الصواب .

يقول الدكتور/ عبد الكريم زيدان : « لأن كل مستشار يظهر رأيه ووجهة هذا الرأى ومدى فائدته ، وبعرض هذه الآراء ومقارنتها ومناقشتها يظهر الصواب غالبًا، كما أن بالمشاورة استفادة بلا جهد من خبرات الآخرين وتجاربهم التى اكتسبوها في سنين طوال وبجهود وتضحيات .. ، كما أن المشاورة عصمة لولى الأمر من الإقدام على أمور تضر الأمة ولايشعر هو بضررها، ولاسبيل إلى إصلاح الضرر بعد وقوعه، ولايرفعه كونه حسن النية .. وفي المشاورة أيضا تذكير للأمة بأنها هي صاحبة السلطان، وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة السلطان، وفي هذا وذاك عصمة من الطغيان الذي هو من صفات الإنسان »[٣] .

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾[٤] .

هذا وإذا استبد الحاكم برأيه وأهمل آراء الآخرين فيعزل؛ لأنه لا بقاء لحاكم مستبد

---

(١) نظرية تقويم الفرد وتنظيم المجتمع في الإسلام / ص ١٤٩ .
(٢) الشورى في الإسلام / د. عبد الغنى محمد بركة / ص ٧٩/ مجمع البحوث الإسلامية .
(٣) أصول الدعوة / د. عبد الكريم زيدان / ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ط (٣) / دار البيان .
(٤) سورة العلق / الآية ٦ .

برأيه في دولة الإسلام، فينصح أولا ويوضح له الصواب الذي يعود على الأمة بالنفع العام فإن لم يمتثل للأمر وضرب برأى الجماعة عرض الحائط وخالف الشرع عزل دون تردد أو خوف .

قال الإمام القرطبي في تفسيره : «قال ابن عطية : والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ، ومن لايستشير أهل العلم والدين فعزله واجب»(١) .

ونستطيع أن نقول بعد هذا السرد لحرية الرأى، أن حرية الرأى في نظرى هي أساس لكل الحقوق والحريات الأخرى، سواء كانت مدنية أو سياسية أو اقتصادية، ولا كرامة للإنسان في الحياة بدونها، ومن يسلبها فكأنما فقد حياته، لأنها النعمة الكبرى التى أكرم الله بها الإنسان دون غيره من المخلوقات وهي نعمة الإرادة والتفكير ، ويشاركني في هذا الرأى الدكتور/ عبد المنعم النمر بقوله : « عُني الإسلام بحرية الإنسان عنايته بتكريمه، وأقام تكاليفه وتوجيهاته على أساس أن الإنسان حر الإرادة والتفكير والاختيار .. حتى وجدناه يرفع المؤاخذة والحساب عن كل إنسان سلب حريته ، لأنه في نظره يكون قد سلب إنسانيته ومسئوليته»(٢) .

وإذا كانت هذه نظرة الإسلام إلى الحرية في إبداء الرأى، فليس معنى هذا أنها حرية مطلقة ليس لها قيود ولا شروط، بل هي حرية لها ضوابطها التى تجعل كل فرد في المجتمع قائدًا كان أم مقودًا لايضر بغيره ولايعتدى عليه ..

وهذه الضوابط كما ذكرها الأستاذ/ محمد موسى عثمان :

١ـ عدم مجاوزة الحدود الموضوعية للحق .

٢ـ عدم التعسف في استعمال الحق. معنى التعسف : هو أن يستعمل الفرد حقه على وجه غير مشروع(٣) .

وإذا استعمل الفرد حقه متعسفًا يكون بذلك قد أخلّ بالضّوابط التى وضعتها الشريعة الإسلامية ، وأنه لاضرر ولاضرار في الإسلام .

---

(١) تفسير القرطبي / جـ٤ / ص ٢٤٩ .

(٢) إلى الشباب في الدين والحياة/ د. عبد المنعم النمر / ص ٢٩٥ / مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٤م .

(٣) نظرية تقويم الفرد وتنظيم المجتمع في الإسلام / ص ٤٨ .

٣- أن يبدى الناصح للحاكم نصحه خالصًا للحق ولوجه الله ، ولايقصد بذلك التشهير أو إظهار المساوئ وإغفال المحاسن، وأن يكون نصحه للحاكم قائمًا على أساس من العلم والفقه .

يقول الدكتورر / عبد الكريم زيدان :

٤- لا يجوز للأفراد - في حالة إبداء آرائهم - إحداث الفتنة ومقاتلة المخالفين لهم بالرأى إذا لم يأخذوا برأيهم ما دام الأمر يحتمل رأيهم ورأى غيرهم[١] .

هذه هي الضوابط التى وضعها الإسلام لحرية الرأى للحاكم والمحكومين معًا .

ولكنى أتساءل أين هذه الحرية التى ننشدها؟

لقد وصلنا في القرن العشرين إلى عصر الكهرباء والذرة والعلم، ولكننا لم نصل إلى حرية الرأى والفكر وتحرير العقل من الأوهام والخيالات التى يعيشها والتى لا وجود لها على الساحة المحلية والعالمية .

لقد سئمنا من الدعوة إلى الحرية ولكننا لم نحققها على الوجه الأكمل - كما ينبغي أن تكون - فهل ياترى القُصور فينا، أم في المبادئ التى نطبقها؟

إذا كنا قد تحررنا من الغزو المسلح، فإننا لم نتحرر اقتصاديًا ولا سياسيًا ، رغم أن العسكريين والسياسيين هم الذين يحكمون ويخططون للمسيرة، مع ذلك لم يصلوا بنا إلى بر الأمان .

ثم أتساءل: هل تحررنا ثقافيًا ؟

ويجيب على هذا السؤال الدكتور / يوسف القرضاوي:

«كلا: إن أبرز ألوان الاستعمار وأخطرها أيضا في عالمنا العربي كله هو الاستعمار الثقافي ، هو الغزو الفكري، هو الاحتلال الروحي، ذلك الاستعمار الذي يصنع أفكار الشعوب وأذواقها واتجاهاتها في الحياة على النحو الذي يبغى، ويصبها في القالب الذي يريد، حتى إذا جلا يومًا عن أرضها ظلت تسير في دربه وتمشى على نهجه، وتنفذ مخططه، بكامل اختيارها وبوحي من - وطنيتها - المستقلة، وهذا هو النجاح

(١) أصول الدعوة / د. عبد الكريم زيدان / ص ٢١٥ .

الاستعماري الحق : أن تجعل الشخص أو الشعب يدور في فلك كما تريد، وهو يعتقد في نفسه أنه سيد نفسه وليس لأحد عليه سلطان(١) .

إن ذلك قصور في الشخصية وبعد عن منهج السماء .

رابعًا : الحرية السياسية :

عرف بعض العلماء الحرية السياسية بما يلي :

قال الدكتور / على عبد الواحد وافي : هي « أن تكون الأمة نفسها مصدر السلطان عن طريق مباشر أو عن طريق ممثليهم الحق في اختيار الحاكم، والحق في مراقبته ومحاسبته على أعماله»(٢) .

وقال الدكتور / منيب منيع هي: « إعطاء كل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الدولة، ومراقبة أعمال السلطة التنفيذية عن طريق الاستفتاء»(٣) .

وهذا يعنى أن لكل فرد في المجتمع الحق في إبداء رأيه السياسي بما يعود على المجتمع بالنفع العام ، كما يعنى أيضا أنه لابد من وجود جماعة قائمة على شئون الدولة السياسية، وعلاقاتها بالدول الأخرى وبذلك يكون دورها ليس قاصرًا على الساحة المحلية فحسب، بل تتعداه إلى الساحة العالمية .

ومن ثم نرى دعوة الإسلام إلى الحرية السياسية أفرادًا وجماعات ، فقد أباح للناس أن يبدوا آرائهم في الحكم ماداموا لايخرجون عن طاعة الله ، ولا طاعة الحاكم الذي يسير على أمر الله، ولايسعى في الأرض فسادًا .

وهنا نستطيع أن نقول إن الحرية السياسية تقتضى حتما حكم الشعب نفسه بنفسه، وذلك عن طريق التمثيل الصحيح والمناقشة الصحيحة القائمة على الحرية في إبداء الرأى والتسليم في النهاية برأى الأغلبية طالما وأنه يعود على الأفراد والجماعات بالخير، بشرط عدم الاستبداد بالرأى، وعدم الخروج عن إطار الشرع، والوقوف عند أمر الله .

---

(١) الحلول المستوردة وكيف جنت علينا / د. يوسف القرضاوي / ص ١٩٦ ، ١٩٧ / الطبعة الثالثة / مكتبة وهبة .

(٢) الحرية في الإسلام /د. على عبد الواحد وافى / ص ٧٦ .

(٣) ضمانات الحرية في النظام الإسلامي / ص ١٣٥ .

ثم إن الجماعات الإنسانية تستمد كرامتها وحقوقها من كرامة أفرادها وحقوقهم. يقول الأستاذ/ عبد المنعم محمد خلاف : « فالجماعة التى ليس لأفرادها كرامة مصونة، وحقوق مقررة محترمة، وهي جماعة يسودها السخط والتفرق، وتفشوا فيها خواطر الأنانية والميل إلى الانعزالية والسلبية والتمرد ويذوق بعضها بأس بعض»[1] .

وإن أول حق ينبغي أن يعلمه الجميع ويشارك فيه حق المشرع هو ا لله والقضاء ، بمعنى أن يكون التشريع والقضاء قائمًا على العدل وليس قائمًا على المصلحة الشخصية.

ولن يتحقق ذلك إلا إذا التزمنا بهذه المبادئ العامة التى ذكرها الدكتور محمد شامه وهي:

١ـ أن يكون الحكم بما أنزل الله امتثالا لقوله تعالى :

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم﴾[2] .

٢ـ أن يكون الأمر شورى بين المسلمين تنفيذًا لقوله تعالى :

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾[3] .

٣ـ أن يكون العدل بين الناس هو أساس الحياة في المجتمع الإسلامي[4] قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[5] .

فإذا حققنا هذه المبادئ العامة ـ الثلاث ـ التى أرسى دعائمها الإسلام، ووضع لها ما يكفل سعادة المجتمع أفرادًا وجماعات ، إستطعنا أن نصل إلى الحرية السياسية التى نرجوها والتى لافرق فيها بين غنى وفقير، ولارئيس ولامرءوس ، ولا أبيض ولا أسود ولكن الجميع أمامها سواء ، طالما وأن الحكم نابع من منهج السماء .

---

(١) المادية الإسلامية وأبعادها / عبد المنعم محمد خلاف / ص ١٤٥ / الناشر دار المعارف / ط٢ .

(٢) سورة المائدة / الآية ٤٨ .

(٣) سورة الشورى / الآية ٣٨ .

(٤) الإسلام كما ينبغي أن نعرفه / ص ٣٥٩ .

(٥) سورة المائدة / الآية ٨ .

وإذا اختل مبدأ من المبادئ التى ذكرتها آنفا أصبح الحكم ـ استبداديًا ـ خاضعًا للأهواء والرغبات وليس خاضعًا للشعب ككل ...

يقول الدكتور / محمد حسين هيكل : « فليس من حق فرد بالغة ما بلغت مكانته من السمو، أن يشرع للمجموع على كره منه، أو أن يلزم الشعب قوانين تأباها إرادته الحرة، وليس من حق فرد، بالغة ما بلغت مكانته ، أن يجعل إرادته المطلقة فَيْصَلاً في القضاء بين الناس، بل لابد للقضاة من قواعد يجرى عليها تتفق وإرادة الشعب ، تكفل حقوقه الطبيعية، ولابد للقضاة من استقلال يجعلهم إذ يحكمون، لايرعون في قضائهم إلا القانون وقواعد العدل وما ترضاه ضمائرهم النزيهة الطاهرة»[1] والقانون الذي يعنيه إذا كان القانون الوضعي فالإسلام يرفضه ، لأنه سيخضع للأهواء والرغبات، وإذا كان قانون السماء فهو يعنى العدالة المطلقة .

إذا وصلنا إلى هذه الدرجة من الرقي، استطعنا أن نقيم دولة تعرف مالها من حقوق، وما عليها من واجبات، طالما وأن أفرادها يلتزمون بما رسم لها من منهج يكفل لها السعادة ، وشعرت هي بذلك لما تراه من عدالة ومساواة بين أفراد الشعب .

ومن ثم نستطيع أن نقول أن الحرية في هذه اللحظة حرية للبناء ، لا لهدم الكرامة والعزة لا للذلة والهوان ..

يقول الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي : « إنها الحرية التى لايحدها شئ إلا توجيه الضمير، ورقابة الروح الديني في النفس، ونزعات الفطرة الإنسانية في الإنسان ، حرية عامة شاملة تعم الحاكم والمحكوم ، وتشمل الشعوب الصغيرة والكبيرة، ويطلقها الإسلام لكل مسلم ومسلمة، وتتناول الشعب الفاتح والشعوب المغلوبة على أمرها على السواء»[2] .

فهل وصل الغرب بما زعموه من حريات إلى هذه المبادئ السامية التى تكفل لكل فرد في المجتمع حياة آمنة كريمة ؟

كلا : إننا نرى المتمتعين بالحرية هناك هم القائمون على الأمر، أما الشعوب فهي

(١) الحكومة الإسلامية / ص ٩٦ .

(٢) الرد على الماديين / د. محمد عبد المنعم خفاجى / ص ٨٦ / الناشر / مكتبة جمهورية مصر/ القاهرة .

مستعبدة أشد استعباد ، وإذا تركنا الزمام يفلتُ من أيدينا، سنصل إلى ما وصل إليه هؤلاء ، وأظننا وصلنا إلى هذه الهوة السحيقة، فما المخرج إذًا؟

إن المخرج لن يتأتى إلا بالرجوع إلى منهج الإسلام لنقوم به اعوجاجنا، ونقيم به ميزان العدالة الذي يعطى كل ذي حق حقه، ولن نصل إلى هذه الدرجة إلا إذا أصلح كل منا نفسه، وأصلح من شأنه .. وصدق الله إذ يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(١) .

هذا من جانب، والجانب الآخر يتمثل في معرفة الحكام فيما يخطط من اليهود لهدم الإسلام والقضاء على المسلمين ، فيفيقوا من سباتهم، ويتجهوا اتجاهًا دينيًا يرضى عنه ربنا ـ جل في علاه ـ ويرضى عنه نبينا ـ ﷺ ـ لأننا الآن في أزمة للحكم الإسلامي وهذه الأزمة مترتبة على أزمة الفكر السياسي ، وأزمة الفكر السياسي مترتبة على تخلفنا ، وعدم مواكبتنا للحضارة السامية التى حث عليها الإسلام .

وفي نظرى بأن هذه القضية من أخطر القضايا التى تواجه عالمنا الإسلامي اليوم، فهو في حالة ركود تام، وأزمة سياسية لامثيل لها، وليس ذلك ناتجًا عن ضعف فينا، ولا ناتجًا عن قصور في شخصياتنا، وإنما الأمر بوضوح أننا نساس بأيد خفية تريد القضاء علينا ماديًا معنويًا .

ولكن ليس معنى هذا أننا نقف مكتوفى الأيدي، مُلقين اللوم على الرؤساء والحكام ولانطالب بحقوقنا السياسية، علينا أن نعلم جيدًا أن الإسلام يعهد إلى المسلمين في اختيار الخليفة، ويقوم أهل الحل والعقد بتمثيل الشعب في اختيار من يصلح للخلافة، معبّرين بذلك تعبيرًا صادقًا عن رأي الأمة .

يقول الأستاذ/ توفيق على وهبة : « ولايجوز للسلطة التنفيذية أن تبرم أمرًا هامًا من أمور الدولة إلا إذا رجعت إلى عامة الشعب لأخذ رأيهم»(٢) بشرط أن تكون الآراء نابعة من منهج الإسلام .

---

(١) سورة الرعد / من الآية ١١ .

(٢) حقوق الإسلام بين الإسلام والنظم العالمية / ص ٦٣ .

وعلى هذا الأساس كان مبدأ الإسلام في سن الشورى والأخذ به في كل ما يعن المسلمين من أمور، ولقد حرص على هذا المبدأ الرسول - ﷺ - كما حرص عليه الخلفاء الراشدون من بعده فسعدوا وعمتهم السكينة وغشيتهم الرحمة، ويوم أن نسير على هذا المنهج القويم ونتبع ولانبتدع سنسعد كما سعد أسلافنا من ذي قبل .

خامسًا : حرية التعليم :

أ - تصور الإسلام للعلم :

إن العلم في الإسلام هو أساس رقى الفرد، وسبيل رقى المجتمع، لذا كان العلم بمنزلة السنام في الإسلام، ومن ثم نرى دعوة الإسلام للعلم دعوة مستفيضة مضطردة في شتّى مجالات الحياة، ودعوته إلى البحث في شتى الميادين، وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة سنجدهما حافلان بالدعوة إلى العلم والحث عليه، ورفع مكانة العلماء .

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(١) .

وقال جل شأنه في كتابه الكريم :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٢) .

وقال آمرًا نبيه محمدًا - ﷺ - من الاستزاده من طلب العلم :

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٣) .

فضلا عن ذلك كله نجد الحق - جل في علاه - يوضح لنا الفرق بين العالم والجاهل بقوله تعالى في كتابه الكريم :

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٤) .

---

(١) سورة المجادلة / الآية ١١ .

(٢) سورة فاطر / الآية ٢٨ .

(٣) سورة طه / الآية ١١٤.

(٤) سورة الزمر / الآية ٩.

كما نجد أن أول آية نزلت على رسول الله - ﷺ - تدعو إلى القراءة والعلم .. قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١)خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(٣)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(٤)عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١] .

هذا جانب مما ذكر في القرآن الكريم وهو قليل من كثير، وليس المقام مقام سرد واستقصاء لما ورد في القرآن الكريم بفضل العلم والعلماء .

وإذا تطرقنا إلى السنة النبوية سنجد الدعوة إلى العلم وتكريم العلماء مما ورد على لسان نبينا - ﷺ - لاحصر له ، لذلك أجتزئ بما يلي :

١- عن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ - : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ويلهمه رشده ...»[٢] .

بل إن هناك أحاديث وردت توضح أن قبض العلم مرهون بقبض العلماء ..

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: « سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا ، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[٣].

من خلال سردنا للآيات القرآنية السالفة وهذين الحديثين الشريفين يتضح لنا دعوة الإسلام إلى العلم ومدى الاهتمام به، لأن به سعادة الفرد ورقي المجتمع، وعلى أساسه تقام الحضارات، وتنهض المجتمعات .

ومن ثم حق لنا أن نقول إن حرية التعليم في الإسلام نالت مالم تنله أي حرية أخرى من التمجيد والتمييز، لأنها طريق للعقل الذي ميز الله به البشرية عن سائر المخلوقات، وجعل العلم وسيلة المنطق الموصل إلى الغاية الرشيدة، وإذا رجعنا إلى الوراء قليلا سنجد الدولة الإسلامية كانت منبع إشعاع فكري وثقافي ، حرر العالم مما

---

(١) سورة العلق / الآيات (١ - ٥) .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) أخرجه البخاري / جـ٣ / كتاب العلم / باب : كيف يقبض العلم .

كان فيـه من ظلام فكري وركـود مادي، فصـرف أبصارهم إلى التعـامل مع ا لله أولا لأنه المنعم المتفصل عليهم بالخير ، ثم بالتعامل مع عناصر الطبيعة التى أودع ا لله فيها ما ينفع البشرية جمعاء .

ولقد استغل العلماء الأولون حيـاتهم في استخراج مافي باطن الأرض فبحثوا ونقبوا حتى اهتـدوا إلى مافيه صلاح البشـرية، كما اهتـدوا إلى ظواهر الكون فحللوا ظواهره واستخدموها في خدمـة الإنسـانية كما عمدوا إلى الناحيـة العقليـة فَـأَثْروا عن طريقها العـالم بفكرهم وحملوا مشـعل الحضـارة إلى دول العـالم أجمع، فكـان منهـم الأفذاذ والعباقرة الذيـن نبغوا في تخصصاتهم العلميـة نذكر منهـم على سبيل المثال لا الحصر : «ابن خلدون الذي حمل إلى الإنسـانية لواء فلسـفة التاريخ، وعلم الاجتمـاع والعمران، وأبو بكر الـرازي الذي حمل إلى الإنسانية لواء الطب، والشـريف الإدريسي الذي حمل إلى العالم لواء علم الجغرافية ، وأبو بكر الخُوارزمي الذي حمل لواء الرياضيات والفلك، وعلى بن الهيثم الذي حمـل لواء علم الطبيعة والبصريات ، وأبو القـاسم الزهراوي الذي حمل لواء علم الجراحة، وأبو زكريا العوام الذي حمل علم النبات .

وأبو البناء الذي حمل لواء علم الحساب .

وأبو الريحان البيروني الذي حمل لواء علم التاريخ القديم والآثار .

والإمام الغزالي الذي حمل لواء النقد ومعالجة آفات النفوس .

والأئمـة مالك وأبو حنيفـة والشافعي وابن حنبل الذين حملوا ألويـة الفقه والاجتهاد والقانون»[1] .

وغير هؤلاء من الأفذاذ الذيـن أثروا الحياة العلمية بفكرهم، وسـيظل التاريخ والعالم أجمع يعتـز بفضلهم، ويعتمـد على تأليفـاتهم التـى خلفوهـا، وآثـارهـم الحضاريـة التى تركوها فنالوا بذلك خير الدنيا والآخرة .

كمـا كـان منهـم من أثـرى الحياة الفكريـة بعلمــه: كـابن النفيـس، وابن سـينا، والفارابي، والكنـدى والبيروني، والطوسـي والبغدادي، والرازي، والحكيـم الترمذي،

(١) قصة الهداية / عبد الله ناصح علوان / جـ١ / ص ٥١ ، ٥٢/ دار السلام / الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

والخوارزمي والصوفي، والجاحظ، وابن حيـان، والإدريسي والمسعودي، وابن بطوطة، وابن خلدون، وغيرهم من رجال البحث والتخصص .

ب ـ ما هو العلم النافع وماهي الأصول الإسلامية له؟

وهنا نستطيع أن نسأل هذا السؤال ثم نجيب عليه: ما هو العلم النافع؟

وما هي الأصول الإسلامية للعلم النافع؟

يقـول الدكتور/ إبراهيم الصيـاد: «والعلم النافع هـو كل معرفة تزيـد الإنسـان صلة بـالله ـ سبحانه وتعـالى ـ وتمكّنه مـن القيام بواجبات خلافتـه في الأرض وعمران الحياة فيها وإقامة العدل الإلهي في الأرض»[1] .

إذًا العلـم النـافع في الإسـلام هـو الذي يهدف إلى تكويـن الإنسـان الصـالح، ونظرة الصّلاح في الإسلام ليست قاصرة على الجانب المادي ، بل تشمل جميع الجوانب مادية كـانت أو معنوية ، بشـرط أن ينعكس ذلك على الحياة بكافـة جوانبها، بحيث نستطيع في النهاية أن نُكَون لبنة صالحة في مجتمع صالح .

وهنـا نســتطيع أن نحكم علـى أنـه ليس هنــاك فصل بين الدين والعلم كمـا يزعم البعض، بـل إن العلم والدين في الإسـلام موضوع واحد لاينفصـل أحدهما عن الآخر. إلا أن الدين كما يقول الأستاذ/ عبد المنعم محمد خلاف هو :

«محاولة الكشف عن سر الكون كله والتعرف إلى خالقه، والتعامل معه معاملة تليق بمقامه» .

أما العلم بمعنـاه العصري فهو : «حصيلـة التجارب ونتيجـة المحاولات لمعرفـة أسرار جزئيات الكون المادي، ثم استخدام ذلك وتسخيره للانتفـاع بـه»[2] .

وعلى ضوء هذان التعريفان لكل من العلم والدين يتضح لنا أن العلم جزء من الدين طالما وأنه يبحـث في بعض جزئيات الكون ليصل الإنسان من خلال تلك الجزئيات إلى خالقه فيؤمن بالدين الحق عن طريق العلم الصحيح النافع .

---

(١) المدخل الإسلامي للطب / د. إبراهيم عبد الحميد الصياد / ص ١٥ / مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٧م.
(٢) المادية الإسلامية وأبعادها / عبد المنعم محمد خلاف / ص ١٩/ دار المعارف/ الطبعة الثانية .

يقول الأستاذ/ عبد المنعم خلاف: «وبناء على هذا ينبغي ألا نُحكم العلم بمعناه الضيق ـ وهو العلم بجزئيات المادة والطاقة وقوانينهما عن طريق التجربة ـ في أصول الدين فلا نرفض أمرًا معنويًا يُدرك بالحكم العقلي، لأننا لم ندركه بالتجربة والمشاهدة الحسية، فقضية إثبات وجود الله ووحدانيته، أو قضية وجود عوالم أخرى كالملائكة والجن، أو قضية الحياة الأخرى في دار الجزاء ، لانستطيع إثباتها بالتجربة والمشاهدة الحسية، لكن نستطيع إثباتها عن طريق الحكم العقلي المنطقى المهتدى بالعلم والمستشهد بأسراره، وخاصة أن العلماء العصريين يلجأون إلى الحكم العقلي حين يريدون أن يثبتوا وجود شيء يفرضونه حتمًا لأنهم لم يصلوا إلى إثباته عن طريق التجربة الحسية، ذلك مثل حكمهم بوجود شيء يملأ الكون المادي كله ويتخلله وينفذ إلى كل جزء فيه، وقد سمّوه (الأثير) ذلك ليعللوا به وصول موجات الضوء والصوت والكهرباء عبر المسافات الشاسعة، والجبال، والجدران، والبحار، والسدود في طول الأرض وعرضها بل في الفضاء الكوني كله[1] .

وهذا يقتضينا أن نسلم بأن الحضارات القديمة التى قامت على ضفاف الأنهار في آسيا مثل الحضارات الهندوكية، والصينية، والفارسية ، والفينقية، واليونانية وغيرها من الحضارات ، فضلا عن الحضارة التى وجدت في شرق البحر الأبيض المتوسط تدل على سُمُو العقل البشري ومدى استخدامه للملكات التى وهبها ا لله إياه .

تقول الدكتورة / فتحية سليمان: «ولكل من هذه الحضارات تاريخ شيق، يدل على مدى ما بلغته شعوبها من الرقى الفكري والاجتماعي والروحي، كما تميز كل مجتمع من هذه المجتمعات بمثله العليا، وتقاليده، ونظام حكمه، وطريقة تربيته للنشء، وإعداده للحياة، وفقًا للسائد في المجتمع من عقائد وفلسفات ، ووفقًا لحالته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ووفقًا لظروفه الطبيعية، ولمستواه الثقافي[2] .

وإن الناظر إلى تلك الحضارات في هذه العصور سيجد هناك ترابطًا شديدًا بين كل من العلم والدين، فلم يفصل أحدهما عن الآخر ، وإذا قال البعض إنه لم يوجد في

---

(١) نفس المرجع السابق/ ص ٢١ .

(٢) التربية عند اليونان والرومان / فتحية حسن سليمان / ص (ز) / من المقدمة / سنة ١٩٦٨ / مكتبة مصر .

بعض هذه العصور دين سماوى، فكيف تعمُّمُ الحكم ؟

يقول الأستاذ/ عباس محمود العقاد: «لانقصد بالدين هنا دينًا سماويًا بالضرورة، وإنما نقصد به «فلسفة الحياة بالنسبة إلى الأمم التى تدين به»[1] .

ومن خلال تلك الفلسفة التى رسمها هؤلاء لحياتهم، واصطبغت بها طبائعهم وعاداتهم توفرت لديهم القوة التى : « لاتضارعها قوة العصبية ، ولاقوة الوطنية، ولاقوة العرف، ولاقوة لأخلاق، ولاقوة الشرائع والقوانين ..»[2] .

ومن ثم وجب علينا أن نعلم جيدًا أن العلم والدين صنوان لايفترق أحدهما عن الآخر .. يقول الدكتور / عبد الغنى عبود : « فالعلم والحضارة قاما في العصور القديمة متصلين بالدين والعقيدة الدينية، وفي ظلهما سارا وقطعًا شوطًا بعيدًا في بعض المجتمعات القديمة لم يشذ من هذه المجتمعات القديمة سوى الإغريق .. الذين نما العلم على أيديهم بعيدًا عن الدين، لافى ظله، ولكنه الشذوذ ، ولكل قاعدة شواذ»[3] .

إذا كان هذا حال الأمم والحضارات الغابرة فمن أين نشأت قضيّة الخلاف بين الدين والعلم؟

لقد نشأت هذه القضية ، منذ عصر النهضة الأوربية الحديثة كما ذكر الأستاذ/ خلاف : « أى في القرن الخامس عشر الميلادي وما بعده، عقب بدء ظهور الأسرار العلمية التى كشفت عنها التجربة والمشاهدة . وهو الاختلاف على تفسير بعض ظواهر الكون وتعليلها بين العلم وبعض الأديان، وقد يصل الخلاف إلى حد التناقض بينهما تناقضًا لا يمكن رفعه »[4] .

والغرض من نشأة هذه القضية وإثارتها كامن في : قضية فصل الدين عن الدولة تلك القضية ألتى كانت غريبة عن الإسلام، بل كانت دخيلة عليه ..

---

(١) الفلسفة القرآنية/ عباس محمود العقاد / ص ٧ / دار الإسلام بالقاهرة / سنة ١٩٧٣م .

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه / عباس محمود العقاد / ص ١٥ / الطبعة الأولى / المؤتمر الاسلامي/ سنة ١٩٥٧م .

(٣) الإسلام والكون / د. عبد الغنى عبود / ص ٧٥ / الناشر / دار الفكر العربي/ الطبعة الأولى / سنة ١٩٧٧م .

(٤) المادية الإسلامية وأبعادها / ص ١٩ .

يقول الدكتور / علي جريشة : « ومن ثم فإن الأيدى الأجنبية كانت وراءها .. سواء كانت أيدى الصليبية المتعصبة أو اليهودية الحاقدة .. ذلك أن فقهنا الإسلامي ومن بعده فكرنا الإسلامي لم يعرف مثل هذه الفكرة ولم يتصورها.. بل إنه على العكس من ذلك يعرف أن قرآنه يحرم تجزئة الكتاب ويعتبر ذلك كفرًا .. وفتنة وجاهليّة .. ويعرف أن الوظيفة الأولى لهذ القرآن .. أن يُحَكَّمَ .. لا أن يوضع على الأرفف والمناضد، أو تحشى به الجيوب والتمائم، أو تتغنى به وتتسلى بعض العمائم .. والدولة فيه قسم لاقسيم .. فكما ينظم شئون الفرد وينظم شئون الأسرة ينظم شئون الدولة .. وينظم شئون المجتمع الدولي .. قال تعالى :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1] .

ذلك فقه الإسلام وفكره .. الدولة جزء من الدين قسم له لا قسيم[2] .

وهذه التفرقة التى حدثت لم يعرفها الإسلام على مدى قرونه الطويلة وليس في أحداثه ما يبررها ، بل عرفه الغرب كما ذكر ذلك الدكتور/ علي جريشة :

«كرد فعل لاضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء ، وافتئاتها على عقائد الناس وعقولهم حتى سولت لنفسها أن تصدر صكوك الغفران وقرارات الحرمان عن هوى وتحكم، إذا كان ذلك فإن شرقنا الإسلامي لم يعرف اضطهاد العلم والعلماء بل حفظ لهم الإسلام وحفظت لهم أمته أكرم مكانة وأعز منزلة .. وكيف لا .. ؟ وهم ورثة محمد - ﷺ - على دينه وشرعه وميراثه ؟

ومن ثم فلم يكن هناك محل .. لامن الناحية الفكرية .. ولامن الناحية التاريخية لبث فكرة فصل الدين عن الدولة ..

لكن الأمر كان يُدبَّر بليل، واعتنق حزب الاتحاد والترقي في تركيا الفكرة وعمل على ترويجها ثم عمل عن طريق ضباطه على عزل - السلطان - عبد الحميد .. ذلك الخليفة الذي رفض أن يعطى فلسطين وطنًا لليهود، وبصق في وجه زعيمهم قرصو، وصارت الحكومة المدنية في أنقرة .. هي التى تحكم .. والخليفة في الاستانة بغير

(١) سورة الأنبياء / الآية ١٠٧ .
(٢) أساليب الغزو الفكري / ص ٣٧ - ٣٩ .

سلطان تطبيقًا لفصل الدين عن الدولة ..»[1].

يقول الدكتور/ عبد المنعم النمر: «هذا ولاشك أثر من آثار المفاهيم والأفكار المستوردة الدخيلة علينا وعلى ديننا، فقد سادت في الغرب موجة من تحكم رجال الدين في العقول . وفيما تصل إليه من علوم ومكتشفات، حتى حكموا بقتل العلماء ، لا لشيء إلا لأنهم وصلوا إلى جديد في العلم لم يكن معروفًا من قبل .. فلما انتصرت الثورات في أوربا كان أول شيء فعله رجالها فصل الدين عن الدولة، حتى لا تتحكم الكنيسة فيما تنتجه العقول وتصل إليه من كشوف واختراعات ، ومن هنا ساد في الناس هناك أن الدين شيء والعلم شيء آخر، وأن الدين يعارض العلم، وحينما نقلنا نحن من أوربا علمها وأفكارها نقلنا فيما نقلناه هذه الفكرة دون تمييز، ودون معرفة بحقيقة ديننا، الذي جعل من خصائصه الأولى : احترام العقل والعلم، بل الحث على العلم والدعوة إليه»[2] .

وإن الناظر إلى آيات القرآن الكريم بإمعان سيجد في ثنايا آياته دعوة صريحة إلى إعمال الفكر، استغلال النظر، وشحذ العقول بما يدور حولها في الكون والوصول من خلال ذلك كله إلى خالق الكون : قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾[3] .

فهاتان الآيتان ذكرتا عديدًا من العلوم التى دعا إليها العلم الحديث مثل علوم طبقات الجو، والنبات، والجيولوجيا، والحيوان، وهذه هي العلوم التجريبية التى يبحث فيها العلم الحديث ، وإن الناظر إلى صدر الآية الأولى سيجد في أولها دعوة إلى التأمل والبحث، ولايتّم التأمل والبحث والتحرى والدقة إلا إذا وصل الإنسان إلى دقائق الأشياء ، وعرف خصائصها ، وسبر أغوارها من جميع الاتجاهات .

---

(١) نفس المرجع السابق / ص ٢٩ .

(٢) إلى الشباب في الدين والحياة / د. عبد المنعم النمر / ص ١٧ ، ١٨ / مجمع البحوث الإسلامية / سنة ١٩٧٤م.

(٣) سورة فاطر / الآيتان (٢٧ - ٢٨) .

وتلك هي دعوة القرآن منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، فحق العلم الحديث أن يسلم تسليمًا تامًا بأن كل ما جاء في كتاب ا لله حق وصدق ، وأنه لافصل ولافرق بين العلم والدين، وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد﴾(١) .

ومن خلال سرد هذه الحقائق يتضح لنا أن الأصول الإسلامية للعلم النافع هي:

١ـ استمداد المسلم عقيدته من وحي السماء ، فيعلم أن حياته كلها إنما تسير على منهج الله تعالى . قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾(٢) .

٢ـ عمارة الأرض على أسس علمية ثابتة وحضارة مدنية عالية، يحتاجان إلى فهم الإنسان للحقيقة التى من أجلها خلقه الله . قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُور﴾(٣) .

٣ـ الاكتشافات العلمية تحتاج من المرء إلى تدبر في خلق ا لله ، واستشعار لعظمته، حتى تتحقق لديه الخشية من الله.. قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾(٤) .

بذلك تكون عمارته للكون طريقًا للوصول إلى الله، طالما وأنه وضع أمامه المنهج القويم الذي يحميه من الانحراف في استغلال خيرات الله، بذلك يكون اكتسابه للعلم والمعرفة اكتسابًا لخيرى الدنيا والآخرة(٥) .

وبقدر استغلال الإنسان للكون وتسخيره في خدمة البشرية وسعادتهم، وتمسك

---

(١) سورة فصلت/ الآية ٥٣ .
(٢) سورة الأنعام / الآية ١٦٢ .
(٣) سورة الحج / الآية ٤١ .
(٤) سورة فاطر / الآية ٢٨ .
(٥) سورة آل عمران / الآية ١٩١ .

الإنسـان بدينـه، بقـدر مـا تكون درجـة قربـه مـن ربـه وصدق ا لله إذ يقول في كتابـه الكريم عقب آيات التذكر في عظيم صنعه وعجيب مخلوقاته :

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١) .

ومن ثم نستطيع أن نقول : إن العلم المرغوب فيـه هو العلم النافع للنـاس والبشرية دون العلم الهادف إلى مخالفة أحكام الشريعة الإسلامية، والداعى إلى الانحراف والتردى إلى المعاصي والشر، كعلم السـحر والكهانة والتنجيـم، وغير ذلـك من العلوم الضارة وهي التى قال فيها النبي - ﷺ - : « إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالمًا لم ينفعه الله بعلمه »(٢) .

---

(١) انظر كتاب المدخل للطب الإسلامي /د. إبراهيم الصياد / ص ١٦ ، ١٧ / بتصرف قليل .

(٢) رواه الطبراني .

الفصل الثاني

المـــرأة في الإســـلام

وضع المرأة في الإسلام:

لقد أحدث الإسلام تغييرًا كبيرًا في وضع المرأة في المجتمع، فأحيا حقوقها الطبيعية، ووضعها في المكان اللائق بها، فرفع من شأنها، فلم ير ظلمًا إلا رفعه عنها، ولم يترك لها حقًا إلا أعانها عليه، فاعترف لها بالحرية الاقتصادية، والحرية في التعليم، بل جعله فرضًا عليها، كما أقر لها حقوقها الاجتماعية، وحقوقها الشرعية فاعترف بكامل إنسانيتها ، يقول الأستاذ العقاد:

«دفع عنها لعنة الخطيئة الأبدية ووصمة الجسد المرذول ، فكل من الزوجين قد وسوس له الشيطان واستحق الغفران بالتوبة والندم: قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾(١) .

وكلاهما ظلم نفسه بذنبه .. قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٢) .

وليس على ذرية آدم وحواء من بنين وبنات جريرة تلحقهم بعد أبويهم أو تلحق أحدًا من الأبناء بجريرة الآباء .. قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣) .

وصح مكان المراة في الحياة الجسدية كما صح مكانها في الحياة الروحية بما فرضه

---

(١) سورة البقرة : الآية ٣٦ .

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤١ .

القرآن الكريم على الإنسان من رعاية جسده ، والمتعة الطيبة بخيرات أرضه ورغبات نفسه، فبرئت المرأة من لعنة الجسد، وارتفعت عن الوصمة التى علقت بها فجعلتها في خلقتها قرينة لشهوات الحيوان وحبائل الشيطان ، ينجو من الشيطان من نجا منها ويتنزه عن الحيوانية من تنزه عن النظر إليها[1] .

لقد نادى الإسلام بحقوق المرأة، بعد أن أنصفها واعترف بكامل أهليتها في جميع حقوقها وتصرفاتها، تملكا، وبيعًا، وشراءًا، وزواجًا، من غير وصاية عليها ، أو تحديد في تصرفاتها، كما أجاز لها أن تكون وكيلة عن غيرها، وفضلاً عن ذلك كله فإن الإسلام قد أمر الرجل أن ينفق على زوجته، ويقوم بمطالبها، ويدفع لها مهرًا حين يتزوجها .. إلى غير ذلك من الحقوق التى كفلها الإسلام للمرأة وكلها شاهدة على أن الإسلام أنصف المرأة، ورأف بها ولم يبخسها حقها في أي ميدان من ميادين حياتها سواء كانت بنتًا، أم زوجة أم أمًا أم غير ذلك .

وبذلك استطاع الإسلام بما فرضه من تلك المبادئ أن ينتقل بالمرأة من الحضيض إلى أعلا عليين، بل قفز بها من العدم إلى الوجود ، ومن الشك في إنسانيتها، ومن منتهى المهانة إلى أعلا الكرامة، ومن فقدان الأهلية إلى كامل الأهلية ، لافرق في ذلك بين الذكر والأنثى ، حتى في أهلية الولاية لكل منهما على الآخر فقد قال الله جل في علاه في كتابه الكريم :

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[2] .

وهذا لم يكن معروفًا لدى أي شريعة من الشرائع السابقة ولا لدى أمة من الأمم الغابرة .

ومن ثم وجب عليّ أن أفصّل القول في هذا الموضوع مبينًا الضمانات التى وضعها الإسلام لحرية المرأة، وكيف عالج الإسلام الأوضاع التى كانت عليها المرأة من قبل...

---

(١) المرأة في القرآن / ص ٥٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٧١ .

الضمانات التى وضعها الإسلام لحرية المرأة :

إن الإســلام بمنهجه المتكـامل يستهدف سـعادة الإنسـانية جمعـاء ، ومن ثم فهو لا يحابي الرجل على حسـاب المرأة، كمـا لا يحابي المرأة على حسـاب الرجل ، بل وضع لكل منهما من الحقوق والواجبات ما يكفل لهما السعادة في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وإذا نظرنا إلى المنهج الإسـلامي في تتبعه للفطرة الإنسـانية وتقسـيمه للوظائف التى نيطت بكـاهل كل من الذكر والأنثى سنجد أن الإسلام قد قسـم الأنصبة بين الرجال والنساء لتستقيم بذلك أمور الحياة ، فجعل الرجـل رجلا لِمَالهُ من خصائص تميزه عن المرأة ـ خصائص جسمانية ، وعقلية من ناحية ـ وخصائص عملية ـ من ناحية أخرى .

وليس لأحـد أن ينكر أن الدور الذي تقـوم بـه المرأة ليس هـو الدور الذي يقوم بـه الرجل طالما وأننا نؤمن بأن هناك أمومية وأبوة، فمهمة كل منهما تختلف عن الأخرى، وبالتـالى تكوين كل منهمـا يختلف عـن الآخر، وهذا هـو السـر الـذي من أجلـه وضع الإسلام فوارق بين الرجل والمـرأة، ومن أجله جاءت تعـاليم الإسلام وتشريعاته لتكفل التعاون التـام بين كل منهما حتى يستفيد كل منهما من الآخر بمـا أودعه ا لله من خير لتسير حركة الحياة على نحو ما أمر ا لله .

ومن ثم أستطيع أن أذكر الضمانات التى وضعها الإسلام لحرية المرأة فيما يلي :

أولا : مساواتها للرجل في الإنسانية :

لقد اهتـم الإسـلام بـإبراز الصلـة النفسـية والروحيـة بين الزوجـين ، إذ ربط بينهما برباط متين، وأخذ من كـل منهما ميثاقًا غليظًـا ، وجعل بينهما وشـائج ثابتة وصلات قوية، تجعل كلا منهما يتراحم ويتآلف مع الآخر، كما تعصمهما من البغي والعدوان.

لماذا اهتم الإسلام بذكر كل هذه الصلات النفسية والروحية بين الزوجين؟

للإجابـة عن هذا السـؤال أقول إن الإسـلام فعل ذلك ليوضح لنـا بجلاء أنهما خُلقا من نفس واحدة تلك النفس التـى تربطها هذه الخصـائص حتى لايدعى مدّع أن هناك فـرق بين الرجل والمرأة في أداء العبـادات وفي الخلقة وتلـك الأواصر المتينـة ... ومسألة خلق المرأة مـن ضلع آدم من المسـائل الخلافيـة بين علمـاء الإسـلام على مـا بينـه الفقيه

الأصولي الإمام الماوردي في كتابه أعلام النبوة[1] ..

وصدق الله إذ يقول :

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[2] .

كما قال جل شأنه في كتابه الكريم أيضًا :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[3] .

وقال جل علاه في معرض الامتنان على الانسان بالذرية والحفدة :

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[4] .

كما أوضح ميزان التفاضل بين الناس جميعًا بقوله تعالى :

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[5] .

وهذه الآيات توضح بلا غموض حقائق الفطرة الإنسانية التى أودعها ا لله في نفوس عباده ليتأملوا ويتدبروا ويلقوا بأسماعهم وقلوبهم إلى تلك الحقائق التى أودعها ا لله في نفوسهم، ليعرفوا من خلالها خصائص الفطرة التى منحهم ا لله إياها، فلا يضلوا عن الطريق المستقيم، ولا يجانبوا الصواب في سلوكهم، وهذه الفطرة لها حقائق ثلاث تضمنتها هذه الآيات وذكرها الشيخ / محمد الأباصيري خليفة فيما يلي :

الأولى : «أن المصدر الذي صدر عنه الناس هو الله ـ تعالى ـ فهو الذي منحهم وجودهم ومواهبهم واستعداداتهم ، وقدرتهم على التعامل مع الكون الذي أوجدهم

---

(١) انظر كتاب أعلام النبوة لأبي الحسن على بن محمد الماوردي / ص ٤١ / طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٧٣م .

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٨٨ .

(٤) سورة النحل : الآية ٧٢ .

(٥) سورة الحجرات: الآية ١٣ .

فيه .. وحين ينظر الناس إلى هذه الحقيقة البديهية يدركون أن الله الذي خلقهم هو وحده العليم بما يصلحهم وما يشقيهم» .

﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١) .

الثانيـــة : أن الله ـ تعـالى ـ خلـق النفس الأولى وهـي ـ آدم ـ وخلـق من فطرتهـا وطبيعتهـا المرأة لتكون زوجًـا لهـا، وليبث منهمـا رجـالا كثيرًا ونسـاء، فلا فـارق بين الذكر والأنثى في الأصل والفطرة، إنمـا الفارق بينهما في الاستعداد والوظيفة فحسب، فهمـا ليســا فردين متمـاثلين وإنمـا زوجان متكـاملان كل يتمـم الآخر، وقـاعدة الحياة البشـرية هي الأسرة ، فقد خلق الله ابتداء نفسًا واحدة، ثم خلق منها زوجها، فكانت أسرة من زوجين، بث منهمـا رجالا كثـيرا ونسـاءا .. ويقوم نظام المجتمـع الإنساني ـ كمـا رسمه الله ـ على صلتين: صلـة الربوبيـة لله، وصلة الأسـرة .. والأسـرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع الإنسـاني ، ومن ثـم رعاها الإسـلام رعايـة كاملـة، ووثق بناءها توثيقا مكينا، وحماها من جميع المؤثرات التى توهن بناءها، فلم يجانب الفطرة التى خلق الله عليها الذكر والأنثى ، ولم يتجاهل استعدادات كل منهما وتكاملهما ...

الثالثـة: أن الناس ينتسبون إلى نسـب واحد ، ويتصلون في رحـم احدة والعلم بهذه الحقيقـة يوجب عدم السماح للفوارق في المـال ، أو الجاه، أو الكثرة أو العلم أن تطغى على صلة الرحـم وحقها في الرعايـة، وصلة الربوبيـة وحقها في التقوى ولذلك رأينا أن الله -تعـالى- بعد أن بين خلقه للناس مـن نفس واحدة هي آدم التى خلق منها زوجها وبث منهمـا رجالاً كثـيرًا ونسـاءً يرد النـاس إلى تقواه وإلى تقوى الأرحـام فيقول جل شأنه(٢) :

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٣) .

من هذا العـرض لخصـائص الفطرة التى خلـق الله عليهـا البشـرية جمعـاء يتضـح لنا

---

(١) سورة الملك : الآية ١٤ .

(٢) المرأة والتربية الإسلامية/ الشيخ محمد الأباصيري خليفة / ص ٣٥ ـ ٣٧ / الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م / الناشر/ مكتبة الفلاح / الكويت .

(٣) سورة النساء: الآية ١ .

وحدة النوع والتكوين في أصل الخلقة، لأن الناس جميعًا على اختلاف ألسنتهم، وألوانهم، وأجناسهم جاءوا عن أصل واحد ألا وهو آدم - عليه السلام - فهم أمام الله سواء لافرق بين جنس وجنس ولا لون ولون إلا بالتقوى والعمل الصالح كما أخبرت بذلك آية الحجرات التى سقناها آنفا .

وكما عممت بذلك آية النساء ، فالخطاب في قوله تعالى :﴿يَاأَيُّهَا النَّاس﴾ كما قال الدكتور/ أنور شلبي : «يعم جميع المكلفين الموجودين في عهد النبي - ﷺ - من أهل مكة وغيرهم ، ومن سيوجد بعدهم إلى أن تقوم الساعة، وذلك لأن الـ في (الناس) للإستغراق ، ولأنه - سبحانه وتعالى - علل ذلك بأنه خلقهم من نفس واحدة وهذه العلة عامة في جميع المكلفين من أبناء آدم، وإذا كانت العلة عامة كان الحكم عامًا»[1] .

قال العلامة أبو السعود في تفسيره :

«الخطاب يعم جميع المكلفين عند النزول، ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة ...

ثم قال : ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ .

فإنه مع ما عطف عليه صريح في ذلك هو معطوف إما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لأن تفريع الفروع من أصل واحد يستدعى إنشاء ذلك الأصل لا محالة كأنه قيل: خلقكم من نفس واحدة خلقها أولا وخلق منها زوجها .. الخ . وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ أو بيان كيفية خلقهم منه[2] ...

وذكر الدكتور البهي الخولي هذه الآية التى في صدر سورة النساء ثم قال: وشاهدنا يتعلق من هذه الآية بثلاث جمل :

الأولى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاس﴾ فالنداء متوجه إليهم باعتبار خصوصية الإنسانية فيهم،

---

(١) المجتمع المسلم كما تصوره سورة النساء / د. أنور شلبي / ص ١٠٢ ، ١٠٣/ الناشر/ الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة .

(٢) تفسير أبي السعود / المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ لقاضى القضاة الإمام/ أبي السعود محمد العمادى/ جـ٢ / ص ١٣٧ - ١٣٨ / الناشر دار المصحف بالقاهرة .

تلك الخصوصية التى تجعلهم نوعًا قائمًا بذاته بين «أنواع» كائنات هذه الأرض .. وبما أن المرأة داخلة مع الرجل في مفهوم كلمة الناس فهي مخاطبة معه بتكاليف التقوى، أي أن الخطاب متوجه اليها باعتبار «خصوصية الإنسانية فيها» فهي إذًا إنسان كما هو إنسان .

والجملة الثانية: مما يتعلق به مرادنا قوله تعالى : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ .

فإن دلالة هذا القول على النسبة الروحية أوضح وأوكد من دلالته على أخوة النسب الحسي الذي لابد فيه من نفسين اثنتين ، لا «نفس واحدة» ولاسيما أن النفس في اللغة تدل على الروح، وعلى الصفات المعنوية للمرء ولاتقتصر دلالتها على شخص الإنسان الظاهر للحس .

والجملة الثالثة: قوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ .

فإنها مع سابقتها تسهم في توكيد الدلالة على وحدة المعنى الإنساني، ذلك أن الجملة السابقة ترد الجميع إلى نفس واحدة هي نفس آدم ـ عليه السلام ـ أما هذه الجملة فتنفرد بتقرير نسبة الزوجة ـ أم الجميع ـ حواء ـ عليها السلام ـ إلى نفس المصدر الروحي الذي نسب إليها بنوها .. فالأبناء ـ إذًا ـ وأمهم معهم داخلون في التقويم الإنساني المستمد من خصائص تلك النفس الوحدة[1] .

من ثم يتضح لنا أن الله ـ جل في علاه ـ يقرر الأخوة بين الرجل والمرأة لأنهما خلقا من ذكر وأنثى فكل منهما شقيق الآخر والرسول ـ ﷺ ـ يقرر هذه الأخوة بقوله في الحديث النبوي : « إنما النساء شقائق الرجال»[2] .

ثانيًا : مساواتها للرجل في التكاليف الشرعية:

لقد كلف الإسلام المرأة بالتكاليف الشرعية، والأعمال الدينية التى هي منشأ الأخلاق بين الأفراد، ففرض عليها مثل ما فرض على الرجل من أركان الإسلام الخمسة، من إيمان بالله وإقرار بوحدانيته واعتراف بربوبيته وإقام الصلاة، وإيتاء للزكاة،

(١) الاسلام وقضايا المرأة المعاصرة / ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي ..

أخرجه الدارمي وأبو عوانة في صحيحه عن أنس رضى الله عنه .

وصوم رمضان ، وحج البيت إذا كانت مستطيعة إذاً هي في القيمة والمقام عند ا لله مساوية للرجل، لا فرق بينها وبينه إلا بالتقوى والعمل الصالح، ورب امرأة تقية عند الله خير من ألف رجل بلا تقوى .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الميدان كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١ـ قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١) .

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية :

«هذا وعد من الله ـ تعالى ـ لمن عمل صالحا، وهو العمل المتابع لكتاب ا لله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ـ ﷺ ـ من ذكر أو أنثى من بنى آدم وقلبه مؤمن بـا لله ورسوله، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت »(٢) .

انظر إلى هذه الكرامة الإنسانية التى منحها الله للمرأة إن هي أحسنت في طاعتها لربها ، فإنها بذلك ترتقى حتى تصل إلى أعلى الدرجات في الجنة .

ومن الآيات التى ذكرها الحق ـ تبارك وتعالى ـ في معرض الثواب والعقاب على الأعمال الصالحة والطالحة لكل من الذكر والأنثى قوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾(٣).

وسبب نزول هذه الآية كما ساقه الإمام النيسابوري في أسباب النزول كما يلي: «قالت أم سلمة يارسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ـ فأنزل ا لله

(١) سورة النحل: الآية ٩٧ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ / ص ٣٤٦ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٩٥ .

تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾(١) الآية .

وسبب نزول هذه الآية كما ساقه الإمام النيسابوري في أسباب النزول كما يلي: قالت أم سلمة يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء - فأنزل الله تعالى - ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى...﴾(١) الآية .

وتفسير هذه الآية كما ذكره الشيخ عبد الرحمن السعدى :

« أي أجاب الله دعاءهم دعاء العبادة ودعاء الطلب وقال: ﴿ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملاً موفرًا، أي كلكم على حد سواء في الثواب والعقاب ..(٢) .

وقد ذكر الله ـ تعالى ـ في هذا المعنى آيات قرآنية كثيرة كلها توضح مساواة المرأة للرجل في التدين والعبادة ، وفي تلقى تبعة التكاليف الشرعية وفي الحصول على الثواب ودخول الجنة، والمغفرة في الدنيا بسبب قيامها بواجباتها الدينية، وأقوى آية توضح ذلك قوله تعالى في كتابه الكريم :

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٣) .

إنها آية جامعة لشتى ألوان العبادة .. يقول الأستاذ الشهيد / سيد قطب في تفسيره: «وهكذ يعمم النص في الحديث عن صفة المسلم والمسلمة ومقومات شخصيتهما، بعدما خصص نساء النبي ـ ﷺ ـ في أول هذا الشوط من السورة،

---

(١) أسباب النزول للنيسابوري / ص ١٠٣ .
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / جـ / ص ٢٢٦ .
(٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٥ .

وتذكر المرأة في الآية بجانب الرجل كطرف من عمل الاسلام في رفع قيمة المرأة، وترقية النظرة إليها في المجتمع، وإعطائها مكانها الى جانب الرجل فيما هما فيه ، سواء من العلاقة بالله، ومن تكاليف هذه العقيدة في التطهر والعبادة والسلوك القويم في الحياة.

ولو ذهبنا نستقصى ما كتب عن قيمة المرأة في المحاسبة والتكاليف وأنها مساوية للرجل، حتى نثبت من خلال الكتابة والبحث أنه لا قوام للإنسانية إلا بهما معًا، وأنه لا فرق بينهما في أداء التكاليف والعبادات التى أمر الله بها لاحتجنا في ذلك إلى أسفار ومن أراد المزيد في هذا الموضوع فعليه الرجوع إلى هذه الكتب التى رجعت إليها لاستيفاء هذه المعلومات وتلك المفاهيم(١) .

بقيت كلمة لابد من ذكرها تتمة للفائدة:

« إن الناظر إلى التشريع الإسلامي في نظرته السامية إلى المرأة سيجده، قد أعلا قدرها ورفع مكانتها وساواها بالرجل في أداء التكاليف الشرعية إلا أن هناك حالات تعترى المرأة تجعلها لاتستطيع أداء الصلاة كالحيض والنفاس فتترك بسببها الصلاة ولاتعيدها لكثرتها وحدوث المشقة في ذلك والقاعدة الفقهية العامة تقول المشقة توجب التيسير. فما السر في ذلك؟

يقول الأستاذ/ رشيد رضا في كتابه «حقوق النساء في الإسلام»:

« وأما الصيام فيسقط عنها في زمنها وتقضى ما أفطرته من أيام رمضان لقلتها، وأما حجها فيصح في كل حال ، ولكنها لاتطوف بالبيت الحرام إلا وهي طاهرة»(٢).

وقد وردت أحاديث متعددة في كتب السنة والفقه نجتزئ منها ما يلي :

١ـ عن عائشة أن فاطمة بنت جحش كانت تستحاض، فسألت النبي ـ ﷺ ـ فقال:

---

(١) يرجع إلى ما يلي : المرأة بين الفقه والقانون ص ٢٦، الإسلام والمرأة المعاصرة ص ٢٢ ، ٢٣ ، حقوق النساء في الإسلام ص ٦ ـ ٩ ، المرأة والتربية الإسلامية ص ٦٩ ـ ٧٢ الإسلام الدين الفطري الأبدي جـ٢ / ١٢٤ ـ ١٢٦، المرأة المسلمة للشيخ حسن البنا ص ٧ ـ ٩ ، عمل المرأة وموقف الإسلام منه ص ٢٢ ، ٢٣ ، تنظيم الإسلام للمجتمع ص ٢٨، دستور الأسرة في ظلال القرآن ص ٣٣ ، الأسرة في الإسلام د. مصطفى عبد الواحد ص ٥١ ، ٥٢ ، كتب التفاسير كثيرة لاتذكر .

(٢) حقوق النساء في الإسلام ص ٧ .

ذلك عرق وليست بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة، وإذا أدبرت فاغتسلي وصلي[1] .

٢ـ عن معاذة أن امرأة قالت لعائشة: أتجزي إحدانا صلاتها إذا طهرت؟
فقالت : أحرورية أنت؟ كنا نحيض مع النبي ـ ﷺ ـ فلا يأمرنا به ، أو قالت: فلا نفعله[2] هذه رواية البخاري ـ أما رواية مسلم :

٣ـ عن معاذة أن امرأة سألت عائشة فقالت: أتقضى إحدانا الصلاة أيام محيضها .
فقالت عائشة : أحرورية أنت؟ قد كانت إحدانا تحيض على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ ثم لانؤمر بقضاء[3] .

والمعنى كما ذكره الإمام النووي : « لا يأمرها النبي ـ ﷺ ـ بالقضاء مع علمه بالحيض وتركها الصلاة في زمنه، ولو كان القضاء واجبًا لأمرها به»[4] .
ولقد ساق الشيخ / عبد الله آل بسام معنى الحديث بقوله :
«ومعنى «أحرورية أنت؟ » نسبة إلى بلدة قرب الكوفة اسمها «حروراء» خرجت منها أول فرقة من الخوارج على (عليّ بن أبى طالب) فصار الخوارج يعرفون بالحرورية[5] .

وكان مذهب الخوارج أنهم لايفرقون بين الصلاة والصيام في القضاء بالنسبة للحائض، وهذا المذهب مبنى على الشدة والحرج مما يخالف قواعد الشريعة الإسلامية من التيسير وعدم الحرج والمشقة .
ومن هنا نرى السيدة عائشة تنكر عليها تشددها بقولها :
«أحرورية أنت؟ تعتقدين مثل ما يعتقدون وتشددين كما يشدون»[6] ؟
وحكمة التشريع من ذلك في نظري أن الحائض إذا صلت جميع الفرائض في أيام

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / جـ٢ / ص ٢٢٢ / باب الاستحاضة .
(٢) رواه البخاري / جـ٢ ص ٢٣٩ / باب لاتقضى الحائض الصلاة/ الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٨٧م.
(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه جـ٤/ مجلد (٢)/ ص ٢٧ / باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة.
(٤) نفس المصدر / ص ٢٧ .
(٥) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام / جـ١ / ص ٩٤ ، ٩٥ بتصرف قليل .
(٦) نفس المرجع السابق .

الحيض التى تطول مدتها من ثلاثة إلى عشرة أيام بلياليها، يكون في ذلك مشقة لها ، أما الصيام الذي تقضيه يكون مدته قليلة لأنه يأتى في شهر واحد - شهر رمضان - أما الصلاة في كل يوم، وذلك تخفيف من ا لله ورحمة .

وقد ورد تفصيل تلك الأحكام في كتب الفقه رجعت منها إلى[1] .

وبالنسبة للحج فحكم الحائض والنفساء كما ورد في السنة أنها تقضى كل المناسك ماعدا الطواف بالبيت الحرام حتى تطهر وذلك لما روى «عن عائشة رضى ا لله عنها قالت: خرجنا مع النبي - ﷺ - لانذكر إلا الحج فلما جئنا سرف طمثت فدخل عليّ النبي - ﷺ - وأنا أبكى فقال: مايبكيك ؟ قلت : لو درت وا لله أنى لم أحج العام. قال: لعلك نفست . قلت: نعم. قال: فإن ذلك شئ كتبه ا لله على بنات آدم ، فافعلى ما يفعل الحاج غير أن لاتطوفى بالبيت حتى تطهري[2] .

فقوله - ﷺ - في الحديث الذي معنا ذلك شئ كتبه ا لله على بنات آدم يدل على أن ذلك أمر خارج عن إرادتهن فلا يلمن على ذلك لأن ذلك ثابت عن طريق الشرع وتلك حكمة من الله - تعالى - يجب التسليم بها .

بهذا يتضح لنا يسر الإسلام في معاملته مع المرأة في أداء العبادة وذاك رفعة لشأن المرأة وسمو لمكانتها في الإسلام، وتقرير لأهليتها للتدين وتلقى التكاليف الشرعية وأنه لا فرق بينها وبين الرجل في أداء العبادة، وفي استحقاق الثواب على الطاعة، قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[3] .

ثالثًا : مساواتها للرجل في الحقوق المدنية :

لقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق المدنية: ومعنى الحقوق المدنية كما

---

(١) نيل الأرطار للشوكاني جـ١ / ٤١٨ ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ص ٤٢ - ٤٤ ، فقه السنة/ السيد سابق جـ١ ، ص ، كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار الإمام الشافعي جـ١ / ٨٣ - ٨٧ ، فقه المرأة المسلمة/ محمد إبراهيم الجمل / ص ٢٥ - ٣٦ .

(٢) صحيح البخاري / جـ٢ / ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٢٤ .

يقول الشيخ / محمد متولى الشعراوي: « تصرفات المرأة: ومعنى التصرفات : أن تبيع وتشتري ، أن تملك وأن تهب، أن تؤجر وأن ترهن، أن تتصرف في ملكها بأى تصرف، ملكها الذي يؤول إليها بالميراث أو الهبة[1] .

ويكمل الأستاذ / رشيد رضا باقى حقوقها المدنية بقوله: «ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضى وغيره من الأعمال المشروعة»[2] .

ويقول الشيخ الأباصيري: «وليس للولي - وهي بالغة - ولا للزوج أن يحول بينها وبين التصرف في مالها»[3] .

بهذا يتضح لنا مدى اعتراف الاسلام بحقوق المرأة المدنية بمختلف أنواعها ولقد ساق الدكتور/ على عبد الواحد وافى حقوقها المدنية بقوله :

« لافرق في ذلك بين أن تكون المرأة متزوجة أو غير متزوجة، فالزواج في الإسلام يختلف عن الزواج في معظم أمم الغرب في أنه لايفقد المرأة اسمها ولاشخصيتها المدنية، ولا أهليتها في التعاقد، ولاحقها في التملك بل تظل المرأة بعد زواجها محتفظة باسمها واسم أسرتها وبكامل حقوقها المدنية، وبأهليتها في تحمل الالتزامات وإجراء مختلف العقود من بيع شراء ورهن وهبة ووصية وما إلى ذلك، ومحتفظة بحقها في التملك تملكًا مستقلاً عن غيرها، فللمرأة المتزوجة في الإسلام شخصيتها المدنية الكاملة وثروتها الخاصة المستقلتان عن شخصية زوجها وثروته، ولايجوز للزوج أن يأخذ شيئًا من مالها قل ذلك الشئ أو أكثر قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(٢٠)وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[4] .

وقال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾[5] .

---

(١) دور المرأة المسلمة في المجتمع / لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي / ص ٤/ الناشر / إدارة الشئون المعنوية .

(٢) حقوق النساء في الإسلام / محمد رشيد رضا / ص ١٥ .

(٣) المرأة والتربية الإسلامية / الشيخ محمد الأباصيرى خليفة / ص ٦٣ .

(٤) سورة النساء :/ الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

(٥) سورة البقرة : من الآية ٢٢٩ .

وإذا كان لايجوز للزوج أن يأخذ شيئًا مما سبق أن أتاه لزوجته فإنه لا يحل له من باب أولى أن يأخذ شيئًا من مالها الأصيل إلا أن يكون هذا أو ذاك برضاها وعن طيب نفس منها، وفي هذا يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾[١] .

لايحل للزوج كذلك أن يتصرف في شيء من أموالها إلا إذا أذنت له بذلك، أو وكلته في إجراء عقد بالنيابة عنها، وفي هذه الحالة يجوز لها أن تلغى وكالته وتوكل غيره إذا شاءت، ولم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة في هذه الحقوق إلا حيث تدعو إلى هذه التفرقة مراعاة طبيعة كل من الجنسين وأعبائه في الحياة ما يصلح له وكفالة الصالح العام وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها[٢] .

بهذه النظرية السامية من الإسلام لحقوق المرأة المدنية، اتضح لنا أن الإسلام كما ذكر صاحب المنار الشيخ / محمد عبده، والشيخ / رشيد رضا :

« قد رفع النساء إلى درجة لم يرفعهن إليها دين سابق، ولا شريعة من الشرائع بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده ... وهذه الأمم الأوربية التى كان من تقدمها في الحضارة أن بالغت في احترام النساء وتكريمهن، وعنيت بتربيتهن وتعليمهن الفنون والعلوم، ولاتزال دون هذه الدرجة التى رفع الإسلام النساء إليها، لاتزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها، وغير ذلك من الحقوق التى منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنًا ونصف قرن، وقد كان النساء في أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الأرقاء في كل شئ ، كما كن في عهد الجاهلية عند العرب، بل أسوأ حالاً»[٣] ومن أراد المزيد في هذا الموضوع فليرجع إلى[٤] .

---

(١) سورة النساء: لآية ٤ .

(٢) حقوق الإنسان في الإسلام / د. على عبد الواحد وافى / ص ٢٣ ، ٢٤ / الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر/ الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٩م .

(٣) تفسير المنار .

(٤) يرجع في تفصيل هذا الموضوع إلى هذه الكتب التى رجعت إليها :

ولعلنا نعلم بعد ذلك فضل الإسلام وتكريمه للمرأة واعترافه بكامل حقوقها وإنصافه لها في جميع المجالات، فنتبع هذا المنهج القويم، ونغرسه في نفوس شبابنا، ونعلنه لنسائنا، وبناتنا حتى يعلمن أن ما يعشن فيه الآن من ظلم وانتقاص لبعض حقوقهن - كما نرى ذلك في بعض البلاد الإسلامية - ليس ناتجًا عن الإسلام، ولكنه القصور التام في فهم تعاليم الإسلام، وإنني أود أن أقول: إن الإسلام لا يؤخذ من واقع المسلمين؛ لأن الناظر إلى واقع المسلمين سيرى هناك عادات رسخت في عقول الناس، وحلت محل القيم الإسلامية حتى ألبسوها ثوب الدين، والدين منها براء ، فمن أراد الوصول إلى الحقيقة في أي قضية من قضايا المجتمع فعليه أن يرجع إلى الأصول الشرعية ليعلم موقف الإسلام من هذه القضايا، ثم يحكم بعد ذلك على المسلمين هل هم متبعون لتعاليم الإسلام أم لا ؟

إننا سنجد بونا شاسعًا حين نقرأ تعاليم الإسلام وما فيها من يسر وسماحة وحين ننظر إلى ما نحن عليه من واقع مرير وبعد عن تعاليم ربنا، وسنة رسولنا - ﷺ - .

وإنني من هذا المنطلق أنادى كل إنسان أن يحكم شرع الله فيما بينه وبين رعيته الذين هم تحت يديه ، فلو صلح حال الفرد لصلح حال المجتمع وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(١) .

أما لو سرنا على هذا الحال وتركنا الفساد يستشرى في المجتمع، وسكت كل منا عن أن يقول كلمة الحق لظللنا في هذا التيه، وذاك الضيق من العيش ولساء حالنا عما نحن عليه أكثر وأكثر طالما وأننا مستسلمون بهذا الواقع الأليم ، وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

- المرأة بين الفقه والقانون ص ٢١١ - ٢١٨ ، دستور الأسرة في الإسلام ص ٤١ ، ٤٢ الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ص ٢٤ - ٢٦ ، المرأة والتربية الإسلامية ص ٦٣ ، حقوق النساء في الإسلام ص ١٥ ، الإسلام الدين الفطري جـ٢ / ٢٦ ، ١٢٧ ، المرأة والإسلام ص ٣٩ ، دحض شبهات مفتريات حول الإسلام ص ١١٠، الأسرة بين الشرع والقانون ص ٣٢ ، ٣٣ .. وغير ذلك من كتب الفقه .

(١) سورة الرعد : الآية ١١ .

﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[1] .

والله أسأل أن يوفقنا جميعًا لاتباع تعاليم الإسلام حتى نسعد في المجتمع ونثبت للعالم أجمع أن تعاليم ديننا صالحة لقيام مجتمع مثالي يعيش أبناؤه جميعًا في وئام وتآلف كما كان عليه سلفنا الصالح من قبل .

رابعًا : تكريم الإسلام لها بنتًا وزوجة وأمًا :

إذا كانت نظرة الإسلام للمرأة نظرة تكريم وإنصاف في الحقوق الإنسانية المدنية، والقانونية، كما ذكرنا ذلك آنفا، فإن نظرته إليها على أنها عماد المجتمع، وينبوعه المتدفق بالحنان أشد تكريمًا وأعظم رفعة .

ومن ثم لم يغفل الإسلام حقها الأوفى من التكريم في جميع مراحل حياتها بنتًا وزوجة ، وأمًا .

وها أنذا أفصّل القول في ذلك :

أ ـ تكريم الإسلام للبنت :

لقد جاء الإسلام والبنت في حالة لا يرضى عنها أحد لديه ذرة من إيمان، إذ كان حق الحياة للبنت مهضومًا، وتمثل ذلك في وأدها تارة، والغيظ منها إذا أمسكها تارة أخرى، فإذا بالإسلام ونظرته السامية إلى البنت يغير من تلك المواريث الجاهلية، وهذه العادات القبيحة، التي كان لها أثرها في النفوس، فإذا به يعالج تلك العادة وهو يصور مدى الجرم الذي يرتكبه فاعل تلك العادات القبيحة بقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ(٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ألا سَآءَ مَايَحكُمُونَ﴾[2] .

فإذا بالإسلام يهذب تلك النفوس التى جبلت على القسوة والغلظة ويصقل تلك الطباع التى ران عليها الظلمة، فيقرر للبنت حقها في الحياة .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١٦ .

(٢) سورة النحل: الآيتان ٥٨، ٥٩ .

فضلا عن أنه ألقى المسئولية التامة على أبيها وحقها عليه من الرعاية والحفاظ عليها، وتربيتها تربية إسلامية، والإحسان اليها، وجعل الإسلام ثواب ذلك كله دخول الجنة ..

قال رسول الله - ﷺ - :

« من كانت له أنثى، فلم يئدها، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده - الذكور - عليها أدخله الله الجنة»[1] .

أي تكريم بعد ذلك؟ إنه تكريم ما بعده تكريم ، إذا اعترف الإسلام بحقها في الحياة ، وبتربيتها وإكرامها كالولد سواء بسواء، لاتقل عنه في حق الإعداد للحياة فضلا عن حقها في النفقة والتربية والتعليم فمن أنقصها حقها في ذلك كله كانت فيه نزعة جاهلية، وبقية من بقايا الجاهلية .

هذا وتعليم المرأة - البنت - بالذات فرض عين، وأعنى بتعليمها معرفتها القراءة والكتابة وأمور الدين لماذا؟ يجيب على هذا السؤال الأستاذ الدكتور أحمد الأهواني بقوله: «لأن المؤمنين والمؤمنات مكلفون جميعًا بنص القرآن ولاتتيسر معرفة الدين إلا بنوع من التعليم »[2] .

والتعليم لهن ليس بدعة فإن الناظر إلى تاريخ العصور السالفة سيجد على مر الأزمان والعصور اختلافًا بينًا في النظرة إلى تعليم المرأة .

يقول العميد ركن / محمد ضاهر:

«فمنذ فجر التاريخ والمرأة دون الرجل في التعليم ، فلا تهتم الأقوام والمجتمعات القديمة بتعليم المرأة إلا ما كان منه متصلا بعملها الضيق، كتدبير المنزل، وإعداد الطعام، ومبادئ القراءة والحساب فقط، وبعض المبادئ القتالية واللغة والدين فالعرب في جاهليتهم يعلمون الفتاة التدبير المنزلي، وإعداد الطعام، كما يعلمونها الأدب والعفة، خوفًا من العار، وإن فعلت فإنها تسام سوء العذاب، أما المصريون فقد كانوا يعلمونها

(١) رواه أبو داود والحاكم .

(٢) التربية في الإسلام / د. أحمد فؤاد الأهواني / ص ١٠٦ / الناشر / دار المعارف بمصر/ سنة ١٩٦٨ .

مبادئ القراءة والكتابة، وأما اليونانيون فقد كانوا يعلمونها المبادئ الأولية للتدبير المنزلي، وهم ساخطون عليها، أما الإسبارطيون فقد كانوا يعلمونها أصول التربية العسكرية وإتقان استعمال الأسلحة المستخدمة آنذاك لتكون عونًا لهم في القتال، ولتستطيع بنفس الوقت أن تربي جيلا من الشباب قادرًا على الدفاع عن الوطن، وأما الرومانيون فقد كانوا يعلمونها اللغة القومية والأدب والدين، ويحرمون عليها التمثيل، والرقص، والغناء، وقد اقتصر التعليم المحدود فيما بعد على النبلاء ، وقد أمر أفلاطون بتعليم المرأة واعتبر جهلها هبوطًا إلى مستوى الحيوانات، وكذلك سار على طريقه أتباعه فيما بعد، وفي القرن الثاني عشر أعطى للمرأة حق التعليم الجزئي ، وأقر المجلس الكنسي بذلك بأغلبية، وفي القرن السادس عشر تأسست بعض المدارس للبنات ، ولكن هذه المدارس بقيت وقفًا على الأغنياء ، واقتصر تعليم المرأة على تعليمها أمور بيتها، وفي القرن الثامن عشر فترت حركة تعليم المرأة، وفي القرن التاسع عشر انتشر تعليم المرأة بين الفقراء والأغنياء في الريف والمدينة ، ولم يعد وقفًا على فئة دون فئة أو طبقة دون طبقة[1] .

هذه هي نظرة الأمم والحضارات السالفة إلى تعليم المرأة، وتكاد كلها أن تكون نظرات ضيقة، لأن البعض يمنع إلا في حدود ضيقة، والبعض الآخر يجيز لطبقات معينة من الناس ليكون تعليم البنت حكرًا عليهم فحسب .

أما نظرة الإسلام السامية لتعليم البنت لا تجعلها في أضيق الحدود من الناحية العلمية، بل تفتح لها المجال لأن تتلقى من العلم ما يقوّم سلوكها ويهذب نفسها، وما يجعلها ترتقي في أعلى الدرجات العلمية، ومن ثم نرى دعوة رسول الله - ﷺ - إلى العلم وفرضه على كل مسلم، وإذا كان الحديث لم يذكر المسلمة إلا أنها داخلة معه في طلب العلم وتلقيه .

ولكن ماذا تتعلم البنت؟ يقول الدكتور/ البهي الخولي:

«لا نزاع في أن أول ما يجب أن يهدف إليه التعليم هو تهذيب نفسها وخلقها

(١) مكانة المرأة في الشئون الإدارية والبطولات القتالية / عميد ركن/ محمد ضاهر ص ١٥٩ ، ١٦٠ / مؤسسة الرسالة / سنة ١٩٧٩م .

ووجدانها بالعقائد الصحيحة، والتعاليم الدينية الراشدة، والمعارف التى تنير ذهنها وتوثق رابطتها بما حولها من شئون الحياة[1] .

ومن ثم نستطيع أن نقسم تعليم المرأة إلى قسمين:

القسم الأول: فرض عين: وهو كما قال الأستاذ/ عبد المتعال الجبري:

«وهو الذي به تصح عبادتها وعقيدتها وسلوكها وتحسن به تدبير منزلها وتربية أولادها إن كان العرف يلزم أمثالها التدبير والتربية »[2] .

القسم الثاني : فرض كفاية: وهو كما ذكره الأستاذ / عبد المتعال الجبري :

« وهو ما تحتاج إليه الأمة ونحن الآن في حاجة إلى طبيبات لأمراض النساء والطفولة تكفين حاجة المجتمع، فلزم إعداد عدد كاف من الطبيبات كذلك وهكذا قل في تمريض النساء، وفي تعليم الفتيات بمدارسهن، فنحن نحتاج ممرضات ومدرسات»[3] .

ومن ثم نقول إن تعليم البنت طالما ارتبط بتهذيب سلوكها، ومعرفتها لأمور دينها أصبح فرضًا عليها، من ناحية أخرى وجب عليها أن تتعلم ثقافة عامة تتلاءم مع طبيعتها كأنثى مع دورها في الحياة كربة بيت، ويتمثل ذلك فيما يلي : تعليمها كل ما يتصل بواجبات البيت الضرورية كالطهى والحياكة، والحضانة، وعلم التغذية، والمبادئ العامة للصحة والوقاية، وجانب من علم النفس التربوي، وجانبًا من الفنون يعينها على تنسيق بيتها وتربية أطفالها، لأن الوظيفة الأساسية لها هي إعداد النشء وتربيتهم تربية إسلامية تتوافق مع تعاليم الإسلام ومبادئه ..

فإذا لم تنل قسطا من التعليم فكيف توجه أو تربي؟ إنه لايستقيم الظل والعود أعوج، وكما يقال: فاقد الشيء لا يعطيه .

ومن ثم نجد المسئولية على الأبوين صعبة تجاه تربية أبنائهم ولاسيما تربية البنات

---

(١) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة / ص ٢١٢ .

(٢) المرأة في التصور الإسلامي / الأستاذ/ عبد المتعال الجبري / ص ٦٥ / الناشر/ مكتبة وهبة / الطبعة الأولى / سنة ١٩٧٥م .

(٣) نفس المصدر السابق / ص ٦٥ .

اللائي يحتجن دائمًا إلى عناية فائقة ورعاية كاملة حتى لاتنحرف يمنه أو يسرة وصدق الله ـ جل في علاه ـ إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾(١) .

وصدق الرسول ـ ﷺ ـ إذ يقول:

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالرجل راع ومسئول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته»(٢) .

ومن خلال هذه الآية القرآنية وذاك الحديث الشريف يتضح لنا دور الآباء في توجيه أبنائهم والأخذ بأيديهم نحو الجادة حتى لاينحرفوا تحت تأثير التيارات الوافدة من هنا أو هناك .

يقول الدكتور/ عمارة نجيب: « إن مسألة التربية تحتاج إلى تخصيص أحد الأبوين في توفير الوسائل والحاجات الأساسية للحياة والتربية، وإلى تخصيص الآخر في حضانة واستغلال وتوجيه قدرات الأطفال، ليس ذلك من أجل الإتقان الوظيفى لدورى الأبوين فحسب ، بل لأن حسن توزيع الأدوار والمسئوليات والتخصص فيها بالعلم والسلوك مع سلامة العلاقة الزوجية من الصراع والتنافر يحدد لدى الطفل منهجه في الحياة، ويكوّن لديه روح الإخلاص للحياة الأسرية والصلات الاجتماعية، ويخدم القسمة الطبيعية التى تعيّن الرجولة وتمنح الطفل الذكر خصائصها، وتعين الأنوثة وتمنح الطفل الأنثى خصائصها، ومن خلال الاقتداء والتأسي بالأبوين، وتذوق طعم الأسرة السليمة »(٣) .

إذا استطعنا أن نصل إلى هذه الدرجة من تحديد المسئولية لكل من الأبوين وقيامهما بأدوارهما تجاه أبنائهم على نحو ما يرضى الله استطعنا أن نقيم مجتمعًا خاليًا من الصراعات، والبحث عن أسباب الترف ووسائل الترفيه لأن أبنائنا قد ربوا على فضائل

(١) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) محاضرات في النظم الإسلامية : د. عمارة نجيب/ ص ١١٥ / الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ .

الإسلام، وأخذ على أيديهم منذ نعومة أظفارهم .

ومن أراد الوقوف على حقيقة التربية الصحيحة للأولاد فليرجع إلى هذه الكتب لزيادة المعرفة(١) .

من خلال هذا العرض اتضح لنا مدى رعاية الإسلام للبنت وصيانته لها، وإكرام حياتها، والحرص على تعليمها وتهذيبها ، وبنظرة متأنية إلى آيات القرآن الكريم نجد أن الأنثى لدى أناس كثيرين ممن كانوا قبل الإسلام كانت بغيضة مستهانة فعلى سبيل المثال يحكي الله لنا قصة حنة بنت قاقوذ زوجة عمران ـ عليه السلام ـ وهي تقول :

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾(٢) .

إنها أنثى وترفضها أن تكون أنثى لأنها كانت تتمنى الذكر .. يقول الأستاذ/ سليمان يحفوفي : « ولكن حكمة الإبداع أبت إلا إكمال المسيرة في فطرتها الأبدية ، لأن استجاباتها لأدعية الداعين وتلبيتها رغبات المؤملين ، سيفرغ العالم من مقومات بقائه»(٣) .

فقد قضت حكمة الله أن يخلق ما يشاء، لأن الأمر والخلق بيده .. قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُور ...﴾(٤) .

فحكمة الله في خلق الذكر والأنثى راعت وجود الإنسان في الحياة وبقاء النوع الإنساني الذي لايتم إلا عن طريق الذكر والأنثى معًا وتفاعلهما على نحو ما أمر ا لله

(١) عمل المرأة وموقف الإسلام ص ٨٦ ، ٨٧، التربية في الإسلام ص ١٠٦ ، ١٦٤ ، الإسلام والأسرة / محمود ابن الشريف ص ٣٢ ، إلى الشباب في الدين والحياة ص ١٦٨ ـ ١٧٣ ، رسالة آداب المعلمين لابن سحنون ص ٣٥١ ـ ٣٧١ ، التربية الأساسية وضعها ومنهجها ص ١١ ـ ١٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) ضمان الجنس في الإسلام / ص ٩٢ .

(٤) سورة الشورى: الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

وعندما يستجيب القدر لدعاء الآباء والأمهات تنتهي بذلك سنة الحياة لماذا؟ لأن «الأنثى في منطق الإبداع ، ضرورة تحتمها سنة التكامل وإبقاء التوازن لاستمرار التفاعل بين السلب والإيجاب ، ومظاهر الأنوثة فيها، كمظاهر الرجولة في الذكر، عاملان رئيسيان للتكامل والتفاعل، واختفاء أحدهما من المجتمع يحيجنا إلى خلق جديد»[1] .

ومن ثم نرى أن البنات عند الخالق المبدع حسنة منه للإنسان ، أما البنون فهم نعمة، والإنسان يثاب على الحسنة ويؤجر عليها من الله ، أما النعمة فيسأل عنها .

وإن الناظر بدقة إلى آيات القرآن الكريم سيجد أن الولد إذا كان سبب إرهاق وكفر لوالديه ، يستأصله الله من الوجود، وأبدلهما الله بأنثى تكون سببًا في سعادة أبويها، وانجاب الذرية الصالحة من الأنبياء وقد قص الله علينا ذلك حين قال :

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا(٨٠)فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[2] .

ب ـ تكريم الاسلام لها زوجة :

لقد أعطى الإسلام المرأة كامل حريتها في حياتها الزوجية بما يتفق ومصالح الأسرة ، بدءًا من اختيارها لشريك حياتها وانتهاءًا بمتطلبات حياتها من نفقة ورعاية وخلاف ذلك مما يجرى عليه العرف العام وتضبطه قواعد الشريعة الإسلامية . ولما كان الزواج سنة من سنن الكون التى أرادها الله لمخلوقاته ليسير ركبُ الحياة على نحو ما أراد الله، وتلك السنة لايشذ عنها عالم الإنسان أو الحيوان قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3] . يقول إبراهيم الجمل :

«ولم يشأ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن تظل المعمورة على حالها تتكاثر أيما أرادت، ولكن نظم الغرائز، ووضع لها أصولا وقواعد حتى يحافظ على آدمية الإنسان، ويربى في نفسه الفضيلة والطهر والعفاف»[4] .

---

(١) ضمان الحس في الإسلام / ص ٩٢ / بتصرف قليل .

(٢) سورة الكهف : الآيتان ٨٠ ، ٨١ .

(٣) سورة الذاريات: الآية ٤٩ .

(٤) فقه المرأة المسلمة / قسم العبادات والمعاملات / إبراهيم الجمل / ص ٢٣٣ / مكتبة القرآن .

ومن ثم نرى الإسلام يُرَغِّبُ في الزواج في كثير من آيات القرآن الكريم، وكثير من أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ .

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ :

«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[2] .

يقول الدكتور/ على حسب الله : « اختلف العلماء في المراد بالباءة، والأصح بها الجماع، فتقديره ـ من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنة النكاح فليتزوج، ومن لم يستطيع الجماع لعجزه عن مؤنته فلا يتزوج ..»[3] .

هذا والنكاح في ضوء آيات القرآن الكريم له أحكام خمسة :

إما أن يكون مباحًا، أو مندوبًا، أو واجبًا، أو حرامًا، أو مكروهًا ...

ويرجع ذلك إلى حالة الشخص نفسه .. قال ابن رشد:

« فأما حكم النكاح فقال قوم: هو مندوب إليه وهم الجمهور، وقال أهل الظاهر هو واجب، وقالت المتأخرة من المالكية : هو في حق بعض الناس واجب، وفي حق بعضهم مندوب إليه، وفي حق بعضهم مباح، وذلك عندهم بحسب ما يخاف على نفسه من العنت »[4] .

هذا وكلمة الزواج في اللغة تطلق ولها عدة معان منها :

---

(١) سورة الروم : الآية ٢١ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٣ / ص ٥٤٦ / كتاب النكاح / باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه.

(٣) الزواج في الشريعة الإسلامية / د. على حسب الله / ص ١١/ دار الفكر العربي القاهرة .

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد / لابن رشد القرطبي ٩/ جـ٢ ص ٣/ الناشر / المكتبة التجارية الكبرى بمصر، راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ١٩/ ١٣٣ والمبدع في شرح المقنع لابن اسحاق الحنبلي جـ٧ ص٤، والأحوال الشخصية لأبى زهرة / ص ٢٣ ـ ٢٨ .

١ـ الاقتران:

ومنه قوله تعالى :

﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[١] .

ويكون المعنى كما يقول ابن كثير: «أي وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حسان من الحور العين »[٢] ... ومنه قوله تعالى :

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾[٣] .

أي «يقرنهم»[٤] كما في لسان العرب .

٢ـ التناظر والتماثل والتشابه :

ومنه قوله تعالى :

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[٥] .

قال الحافظ بن كثير في تفسير هذه الآية :

« قال شريك عن سماك بن النعمان قال: سمعت عمر يقول: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قال: أشباههم قال: يجيئ صاحب الربا مع أصحاب الربا وصاحب الزنا مع أصحاب الزنا، وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر[٦] .

وقال ابن منظور في لسان العرب : في تقرير هذا المعنى:

«معناه: نظراءهم وضرباءهم، تقول: عندى من هذا أزواج أي أمثال وكذلك زوجان من الخفاف أي كل واحد نظير صاحبه، وكذلك الزوج المرأة، والزوج المرء قد تناسبا بعقد النكاح »[٧] .

---

(١) سورة الدخان: الآية ٥٤ .

(٢) تفسير ابن كثير حـ٤ / ١٤١ وانظر روح المعاني للألوسي حـ٢٧ ص٣٢، الكشاف للزمخشري حـ٤ ص ٣٤.

(٣) سورة الشورى: الآية ٥٠ .

(٤) لسان العرب: حـ٣ ص ١٨٨٦ / طبعة دار المعارف.

(٥) سورة الصافات: الآية ٢٢ .

(٦) مختصر تفسير ابن كثير حـ٣/ ص ١٧٦/ ط٧/ دار القرآن بيروت .

(٧) لسان العرب حـ٣ / ص ١٨٨٦ / ط دار المعارف ، انظر: روح المعاني للألوسي حـ ٢٣/ ص ٧٩، ٨٠ .

٣ـ النكاح :

يقول الدكتور / على حسب الله : « وتستعمل كلمة النكاح في معنى الزواج وهو الكثير في لغة القرآن الكريم»[١] .

ومنه قوله تعالى :

﴿وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَه﴾[٢] .

أي عقد الزواج ..

ومنه قوله تعالى :

﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاع﴾[٣] .

والمعنى: أي فتزوجوا ما طاب لكم ..

ومنه قوله تعالى :

﴿وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَات﴾[٤] .. أي لاتتزوجهن .

إلى غير ذلك من الآيات التى استعملت لفظ النكاح بمعنى الزواج .

وعلى كلمة الزواج لدى علماء اللغة العربية ويكون المقصود بها :

«الاقتران أو التماثل والتناظر والتشابه أو النكاح» .

أما كلمة الزواج لدى علماء الشريعة الإسلامية فتطلق ويكون لها معنى خاصا ويتضح لنا ذلك من خلال عرضنا لتعريف الزواج لدى الفقهاء :

تعريف النكاح عند الشافعية: يقول الإمام الشربيني الخطيب الشافعي:

«عقد يتضمن إباحة وطء بلفظ إنكاح أو تزويج أو وترجمة»[٥] .

تعريف النكاح لدى الحنفية: يقول ابن عابدين في حاشية الدر المختار:

---

(١) الزواج في الشريعة الإسلامية / د. على حسب الله / ص ٧ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٥ .

(٣) سورة النساء: الآية ٣ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٢١ .

(٥) مغنى المحتاج / للشربيني الخطيب / جـ٣ ص ٢٣ / طبعة مصطفى البابي الحلبي .

«عقد يفيد ملك المتعة قصدًا »[1] .

تعريف النكاح لدى الحنابلة: يقول ابن قدامة في المغنى:

«عقد التزويج فعند إطلاق لفظه ينصرف إليه مالم يصرفه عنه دليل»[2] .

تعريف النكاح لدى المالكية: يقول الإمام الصاوى المالكي :

«عقد لحل تمتع بأنثى غير محرم أو مجوسية أو أمة كتابية بصيغة»[3] .

من خلال هذا العرض اللغوى والفقهي لمعنى كلمة الزواج نستطيع أن نقف على تعريف جامع مانع للزواج ألا وهو :

«عقد بنية الدوام يفيد ملك المتعة او إباحتها بأنثى لم يمنع من نكاحها مانع شرعي بصيغة» .

ولكن بعض من يدعى الحضارة والمدنية من أمثال «قاسم أمين» يلجأ إلى مفهوم ضيق وقصور في الفهم لتعريف الزواج لدى الفقهاء فيعترض عليهم قائلا:

« رأيت في كتب الفقه أنهم يعرفون الزواج بأنه: عقد يملك به الرجل بضع المرأة»[4] ثم يمضى قائلا : «وماوجدت فيها كلمة واحدة تشير إلى أن بين الزوج والزوجة شيئا آخر غير التمتع بقضاء الشهوة الجسمانية كلها خالية عن الإشارة إلى الواجبات الأدبية التى هي أعظم ما يطلبه شخصان مهذبان كل منهما من الآخر وقد رأيت في القرآن الشريف كلامًا ينطبق على الزواج، ويصح أن يكون تعريفًا له ولا أعلم أن شريعة من شرائع الأمم التى وصلت إلى أقصى درجات التمدن جاءت بأحسن منه. قال تعالى :

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

---

(١) حاشية رد المحتار على الدر المختار/ لابن عابدين : جـ٣ / ص ٣ / طبعة مصطفى البابي الحلبي .

(٢) المغنى لابن قدامة : جـ٦ ص ٤٤٥ / تصحيح الدكتور/ محمد خليل هراس/ الناشر مكتبة ابن تيمية لنشر الكتب السلفية .

(٣) بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك / للصاوي المالكي / جـ١ / ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ / الطبعة الأخيرة سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م .

(٤) تحرير المرأة / قاسم أمين / ص ١١٩ .

﴿وَرَحْمَةً﴾[1] .

والذي يقارن بين التعريف الأول الذي فاض من علم الفقهاء علينا والتعريف الثاني الذي نزل من عند الله يرى بنفسه إلى أي درجة وصل انحطاط المرأة في رأي فقهائنا وسرى منهم إلى عامة الناس »[2] .

وإن من يعلم هوية «قاسم أمين» ويقرأ له كتبه لاينكر عليه قوله هذا وهجومه على علمائنا الأجلاء طيب الله ثراهم، ولكننا لانسلّم بما قاله بل ندمغ كلامه بما قاله سادتنا الفقهاء .. يقول السرخسي في كتابه «المبسوط» : « وليس المقصود بهذا العقد قضاء الشهوة وإنما المقصود ما بيناه من أسباب المصلحة، ولكن ا لله ـ تعالى ـ علق به قضاء الشهوة أيضا ليرغب فيه المطيع العاصي، المطيع للمعاني الدينية والعاصي بقضاء الشهوة[3].

والسرخسي من العلماء القدامي، وأما العلماء المحدثين فعرفوا الزواج بما يناقض كلام قاسم أمين فلقد قال الإمام «محمد أبو زهرة» في تعريفه للزواج أنه : «عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة وتعاونهما ويحد ما لكليهما من حقوق وما عليه من واجبات» والحقوق والواجبات التى تستفاد من هذا التعريف هي من عمل الشارع ولا تخضعه لما يشترط العاقدان ولذلك كان عقد الزواج عند أكثر الأمم تحت ظل الأديان لتكتسب آثاره وقدسيتها ليخضع لها الزوجان عن طيب نفس ورضا بحكم الأديان»[4].

أو بعد هذا البيان بيان؟

إن أمثال قاسم أمين ما هم إلا ناقمين على الإسلام وعلى شرعه الحكيم، ومن ثم نراهم يهرفون بمالا يعرفون، وهم بذلك آثمون .

من هذا العرض نستخلص أن الزواج في الإسلام له قدسيته ومكانته السامية ومن

---

(١) سورة الروم: الآية ٢١ .

(٢) تحرير المرأة/ قاسم أمين / ص ١١٩ .

(٣) المبسوط للسرخسي الحنفى / جـ٣ / ص ١٩٤ / الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت. لبنان .

(٤) الأحوال الشخصية للإمام / محمد أبو زهرة / ص ١٩ / طبعة دار الفكر العربي .

ثم لم يأمر الولي أن يختار لكريمته أي شخص كما يقول الشيخ الدكتور/ محمود بن الشريف: بل «ألزم الإسلام والد كل فتاة يتقدم لخطبتها خاطب، أن يبحث عن خلق ذلك الخاطب وعن أصله ونفسيته، ليتقدم لابنته الكفء الصالح الذي تسعد به ويسعد بها ... »[1] .

هذا هو دور الوالد أو ولي الأمر عند الاقتراب لخطبة الفتاة فما دورها الذي كفله لها الإسلام ؟

١ـ حقها في اختيار زوجها :

يقول الأستاذ/ حسين محمد يوسف : «لقد بلغ من حرص الإسلام على توفير كل الضمانات اللازمة لسعادة المرأة واستقرار الأسرة بأن جعل للمرأة الرأى الأخير في القبول أو الرفض فليس لأحد أن يكرهها على الزواج بمن يزكيه لها، لأن الحياة الزوجية لايمكن أن تقوم على القسر والإرغام ، والله يقول في كتابه الكريم :

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[2] .

وهيهات أن تتحقق المودة والرحمة مع البغض والإكراه[3] .

ومن ثم نرى رسول الله ـ ﷺ ـ يترك للمرأة كامل حريتها في اختيار الزوج الصالح، فلها الحق في الرفض أو القبول :

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا يارسول ا لله وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت»[4] .

والأيم هي الثيب التى مات عنها زوجها أو طلقها، والاستئمار: طلب الأمر أي أخذ أمرها قبل العقد .

---

(١) الإسلام والأسرة / د. محمود بن الشريف / مجمع البحوث الإسلامية / ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢م .

(٢) سورة الروم: الآية ٢١ .

(٣) اختيار الزوجين في الإسلام/ حسين محمد يوسف/ ص ٩٤ / دار الاعتصام .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / جـ٩ ص ٢٣٠، ٢٣١ / باب : لاينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاهما .

وبهذا يتضح لنا أن الواجب على ولي الأمر أن يأخذ رأى الفتاة ثيبا كانت أم بكرا.
يقول الشيخ / سيد سابق موضحا إبطال تصرف الولي بدون رضا الزوجة :

«وجعل العقد عليها قبل استئذانها غير صحيح، ولها حق المطالبة بالفسخ إبطالاً لتصرفات الولي المستبد إذا عقد عليها[1] بدون رضاها .

يقول ابن منظور : « وولي المرأة: الذي يلي عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح دونه، وفي الحديث : «أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل[2].. وفي رواية وليها أي متولي أمرها »[3] .

بهذا يتضح أن الأمر شورى بين ولي الأمر وبين المخطوبة ـ بكرًا كانت أم ثيبًا ـ بشرط ألا يتعدى الولى حقه فيرغمها على الزواج ممن لاتريده ، فإذا أرغمت فعليها أن تفسخ العقد .

ولقد حدث هذا على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ :

« عن خنساء بنت خذام الأنصارية: أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ـ ﷺ ـ فرد نكاحها »[4] .

«وموجب هذا الحكم أنه لاتجبر البكر البالغ على النكاح ولاتزوج إلا برضاها، وهذا قول جمهور السلف ومذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايات عنه، وهو القول الذي ندين الله به ولانعتقد سواه، وهو الموافق لحكم رسول ا لله ـ ﷺ ـ[5] .

قال ابن رشد : «الإذن في النكاح على ضربين: فهو واقع في حق الرجال والثيب من النساء بالألفاظ، وهو في حق الأبكار المستأذنات واقع بالسكوت، أعنى الرضا، وأما الرد فباللفظ ولاخلاف في هذه الجملة إلا ما حكى عن أصحاب الشافعي، إن

---

(١) فقه السنه / جـ٢ ص ١١٥ .
(٢) سنن أبى داود / جـ٢ / ص ٢٨٠ ، ٢٨١ / طبعة المدينة المنورة / كتاب النكاح باب: ما جاء لانكاح إلا بولي.
(٣) لسان العرب/ جـ٦ / ص ٤٩٢١ .
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / جـ١٩ / ص ٢٢٤ / كتاب النكاح / باب إذا زوج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود .
(٥) زاد المعاد في هدى خير العباد / للإمام ابن قيم الجوزية / جـ٤ / ص ٢ المطبعة المصرية ومكتبتها .

إذن البكر إذا كان المنكح غير أب ولا جد بالنطق، وإنما صار الجمهور إلى أن إذنها بالصمت[1] للثابت من الحديث الذي سقناه آنفًا .

يقول الشيخ / رشيد رضا: قال بعض المحققين :

«لا يكون سكوت البنت إذنا للأب بتزويجها إلا إذا كانت تعلم ذلك، فإن كانت لاتعلم فينبغي إعلامها»[2] .

ونخلص من ذلك كله إلى أن الإسلام بوّأ للمرأة مكانة مرموقة في اختيارها لشريك حياتها فأعطى كلاً من الثيب والبكر حق الاختيار بشرط أن يكون كفأ، وإلا فللولي أن يتدخل لأنه أشفق بها من الوقوع في العداوة والشقاق وحدوث مالا تحمد عقباه مستقبلاً، وهو أدرى بمصلحتها من غيرها فضلا عن أن له خبرة في الحياة ونظرة ثاقبة تخالف نظرتها العاطفية .

أي حرية بعد ذلك؟ إنه اعتراف تام بإنسانية المرأة ورفع الحرج عنها، إذ كانت تعامل من قبل كالرقيق، فأتى الإسلام ورفع من شأنها ، واعترف بكامل إنسانيتها .

٢ـ حقها في المهر «الصَّداق» :

لقد أوجب الإسلام المهر على الرجل يقدمه طوعًا دون كراهية طالما وأنه قد رغب الزواج ممن تقدم إليها، ومن ثم جعل الإسلام المهر حقًا واجبًا للمرأة تطييبًا لنفسها، وارضاءً لها بقوامة الرجل التى تجعله يبادر إلى بذل أغلى مايمتلك من متع الحياة في سخاء ورفعة، حتى يرفع بذلك من شأن زوجته، ويظهر شرفها، وأنه هو الذي طلب يدها لأنها مطلوبة لا طالبة ، مرغوبة لا راغبة، وبذلك يبالغ الرجل في صيانة المرأة والحرص عليها بعد أن قدم لها كل غال ونفيس في حياته ألا وهو جزء من المال متقوم نظير استعداده لرحلة سعيدة يعيشها مع زوجته في عش سعيد .

وسواء قدّم الزوج المهر قبل الدخول أو قدّم بعضه وأخّر البعض الآخر فهو ملزم بأدائه ، لأنه أصبح أمانة في عنقه يقدمه متى شاء في مظهر لائق كريم لمن أخضعت

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد/ لابن رشد / جـ٢ / ص ٤ .

(٢) حقوق النساء في الإسلام / محمد رشيد رضا / ص ٢٠ / مكتبة التراث الإسلامي/ سنة ١٩٨٤م .

لطاعته ورضيت بسلطانه عليها .

وهذا من يسر الإسلام ورفع الحرج والمشقة وعدم التعقيد في أمر الزواج إذ جعل قيمة المهر راجعة كما يقول الدكتور/ عمارة نجيب: «لاتفاق الطرفين ورضا المرأة صاحبة المنفعة، وقَصَرَ الإسلام تدخله على تحبيب التيسير ومراعاة حال الزوج، والنظر إليه ـ أي المهر ـ على أنه حق المرأة لايصح هضمه مهما كانت قيمته(١) .

ومن ثم نرى سماحة الإسلام ويسره إذ لم يجعل للصداق حدا قل هذا الحد أم كثر: لأن الناس يختلفون فمنهم الفقير والغني فيعطى كل واحد على قدر استطاعته ويسر حالته أو عسرها ، بشرط أن يكون شيئا ذا قيمة يقول د. على حسب الله : «يصلح مهرًا مالا مقوما معلوما، نقدًا كان أو عقارًا أو منقولاً .. أو كل منفعة تقابل بمال»(٢).

تعريف الصداق لغة : يقول ابن منظور :

«مهر المرأة وجمعها في حد أدنى العدد وأصدقه والكثير صدق، وهذان البناءان إنما هما على الغالب، وقد أصدق حين تزوجها أي جعل لها صداقًا وقيل أصدقها سمى لها صداقًا»(٣) .

هذا في اللغة أما في الموضوع فهو كما ذكره الشيخ/ عبد الرحمن بسام:

«العوض الذي في النكاح أو بعده، للمرأة بمقابل استباحة الزوج بضعها »(٤) . وسمى صداقًا دلالة على صدق باذله، أي الزوج ورغبته الأكيدة في الزواج .. هذا وله أسماء كثيرة ذكرها ابن قدامة في المغنى وحصرها في تسعة أسماء: «الصداق، والصدقة، والمهر، والنحلة، والفريضة، والأجر، والعلائق، العقر، والحباء»(٥) .

وللعلماء كلام جميل في معاني هذه الكلمات الدالة على الصداق يضيق المقام

---

(١) محاضرات في النظم الإسلامية / د. عمارة نجيب/ ص ٧٨ / الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م .
(٢) الزواج في الشريعة الإسلامية /د. على حسب الله / ص ١٥٧ .
(٣) لسان العرب/ لابن منظور/ جـ٤ / ص ٢٤٢٠ .
(٤) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام /جـ٣ / ط٦ / ٤٦ .
(٥) المغنى لابن قدامة /جـ٦ / ص ٧٦٩ .

لذكرها .

دليله من الكتاب السنة: قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[1] .

وقال جل شأنه :

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[2] .

وقال عز شأنه :

﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[3].

فالآية الأولى والثانية توجبان الصداق، فالأولى تجعله نحلة والثانية تجعله فرضًا، أما الآية الثالثة أباح الإسلام فيها الطلاق قبل فرض المهر، والطلاق لا يكون إلا من زواج صحيح فدل هذا على أن العقد جائز بدون تسمية مهر .

الدليل من السنة:

١ـ عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة على وزن نواة من ذهب[4] .

٢ـ عن سهل بن سعد أن النبي ـ ﷺ ـ قال لرجل : «تزوج ولو بخاتم من حديد»[5].

٣ـ عن عقبة عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا ما استحللتم به الفروج»[6] .

يقول ابن رشد موضحًا قيمة الصداق بالنسبة لعقد النكاح :

«الصداق شرط من شروط صحة النكاح باتفاق الفقهاء ولايجوز التواطؤ على

---

(١) سورة النساء : الآية ٤ .

(٢) سورة النساء: الآية ٢٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٣٦ .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / جـ١٩/ ص ٢٤٥ / باب : قوله تعالى ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ .

(٥) نفس المرجع / ص ٢٦٠ / باب: المهر بالعروض وخاتم من حديد .

(٦) نفس المرجع / ص ٢٦١ / باب: الشروط في النكاح .

تركه[1] وذلك لثبوته في الكتاب والسنة .

قال ابن حجر في فتح الباري:

« وقد أجمعوا على أنه لا يجوز لأحد أن يطأ فرجًا وُهب له دون الرقبة بغير صداق، والأولى أن يذكر الصداق في العقد لأنه أقطع للنزاع وأنفع للمرأة فلو عقد بغير صداق وصح ووجب لها مهر المثل بالدخول على الصحيح »[2] .

بهذا يتضح لنا أن الصداق لاحد لأقله، كما أنه لاحد لأكثره، إلا أن هناك أحاديث تثبت أن أكثر النساء بركة أيسرهن مهورًا، وأن من شؤم المرأة كثرة مهرها ونجمع بين الروايات الواردة بذكر الشئ القليل وعدم ارتفاع المهور وبين معارضة المرأة لعمر - رضى الله عنه - حين قال : «لاتغالوا في مهور النساء، فقالت امرأة ليس ذلك لك يا عمر : إن الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ قال - أي الراوي - : وكذلك هي في قراءة ابن مسعود فقال عمر : امرأة خاصمت عمر فخصمته»[3] .

وللجمع بين ذلك نقول: إن الشريعة الإسلامية قائمة على اليسر وعدم الحرج والمشقة فكان علينا أن نتبع ما كان عليه رسول الله - ﷺ - ولا نغالى في المهور حتى نفسح المجال للشباب بأن يتزوجوا وحتى لاتشيع الفاحشة في المجتمع ، وبذلك نكون متبعين لامبتدعين لأننا لسنا أكرم من رسول الله - ﷺ - لما ورد عن عائشة - رضى الله عنه - قالت : «كان صداق النبي - ﷺ - لأزواجه ثِنتي عشرة أوقية ..»[4] .

وتُحمل معارضة المرأة لعمر - رضى الله عنه - على وجهين:

الوجه الأول: ربما أن تكون المرأة من قبيلة لها مركزها الاجتماعي فهي لاتريد أن تحد من المهور لأن العرف لديهم كثرة المهور .

الوجه الثاني: « أن المال بعد فتح الأمصار قد تدفق على المسلمين فربما أن يكون

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد / جـ٢ / ص ١٦ .
(٢) فتح الباري / جـ١٩ / ص ١٦ .
(٣) أخرجه عبد الرازق من طريق أبي عبد الرحمن السلمي، وكذا أخرجه الزبير بن بكار من وجه آخر منقطع . انظر: فتح الباري / جـ١٩ / ص ٢٤٥ .
(٤) زاد المعاد في هدى خير العباد /جـ٤ / ص ٢٨ .

قد أصابها جانب كبير وتظن أن الحياة ستسير على هذا الحال، ومن ثم عارضته .

وقد يكون نزول عمر عن رأيه مع ورود الأحاديث التى تسانده دليلا على الشورى في الإسلام وعدم الاستبداد بالرأى .

ونستخلص مما سقناه آنفا أن الصداق كما يقول ابن القيم في زاد المعاد:

«لايتقدر أقله وأن قبضة السويق وخاتم الحديد والنعلين يصح تسميتها مهرا، وتحل بها الزوجة ، وتضمن أن المغالاة في المهر مكروهة في النكاح وأنها من قلة بركته وعسره، وتضمن أن المرأة إذا رضيت بعلم الزوج وحفظه للقرآن ، أو بعضه من مهرها جاز ذلك وكان ما يحصل لها من انتفاعها بالقرآن والعلم هو صداقها .. وهذا هو الذي اختارته أم سليم من انتفاعها بإسلام أبى طلحة وبذلها نفسها له إن أسلم، وهذا أحب إليها من المال الذي يبذله الزوج فإن الصداق شرع في الأصل حقًا للمرأة تنتفع به فإذا رضيت بالعلم والدين وإسلام الزوج وقراءته للقرآن كان هذا أفضل المهور وأنفعها وأجلها ..»[1] .

لأن الجانب المعنوى أولى بالرعاية من الجانب المادي، إذًا الصداق ليس كما يقول بعض الفقهاء نظير استحقاق البضع فحسب بل هناك ما هو أسمى وأغلى من ذلك ومما يوضح هذا قول الشيخ الإمام محمد عبده في تفسيره المنار : «وينبغي أن يلاحظ في هذا العطاء معنى أعلى من المعنى الذي لاحظه الذين يسمون أنفسهم الفقهاء من أن الصداق والمهر بمعنى العوض عن البضع والثمن له ، كلا: إن الصلة بين الزوجين أعلى وأشرف من الصلة بين الرجل وفرسه أو جاريته ولذلك قال : (نِحْلة) فالذي ينبغي أن يلاحظ هو أن هذا العطاء آية من آيات المحبة وصلة القربى ، وتوثيق عرى المودة والرحمة، وأنه واجب حتم لاتخيير فيه كما يتخير المشترى والمستأجر. وترى عرف الناس جاريًا على عدم الاكتفاء بهذا العطاء بل يشفعه الزوج بالهدايا والتحف[2] .

---

(١) المرجع السابق/ جـ٤/ ص ٢٩ .

(٢) تفسير المنار/ للإمام محمد عبده / تأليف السيد محمد رشيد رضا / جـ٤ / ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣م ، ويراجع : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري / جـ٤/ ص ١٧٤ / ط مصطفى الحلبي، حقوق النساء في الإسلام للشيخ / محمد رشيد رضا / ص ١٧ / طبعة مكتبة التراث الإسلامي .

إذًا : فما الحكمة من وجوب المهر على الرجل؟

إن وجوب المهر على الرجل له أسباب كثيرة منها ما هو خلقي وكسبي . فإذا نظرنا إلى الرجل من الناحية الخِلقية وجدنا لديه الجلد والقوة في مواصلة رحلة الحياة والضرب في الأرض لأن يأتي برزقه من طريق الحلال، مما يصعب على المرأة السعي مثله .

ومن ناحية أخرى نجد أن الشريعة الإسلامية قد أعطت الرجل ضعف نصيب المرأة في الميراث نظرًا لأعبائه الاقتصادية التى نيطت به من رعاية للبيت وعناية بزوجته وقيامه على شئونها .

كما أن المرأة تخرج من بيتها إلى بيت زوجها فتخضع لسيطرته، وتجب عليها طاعته ومن ثم وجب على الرجل الصداق تطيبيًا لخاطرها وإرضاءً لها إلى غير ذلك من المعاني السامية .

يقول الدكتور/ على حسب الله : « تدخل المرأة بعقد الزواج في طاعة الزوج، وتخضع لرياسته، وتنتقل من البيت الذي ألفته إلى بيته، وبهذا تمكله من أمرها ما لم يكن له، فكان عليه هو أن يقدّم لها ما يرضيها بطاعته، ويطيب نفسها برياسته، وقد اقتضت سنة الله في الكون أن تكون المرأة سكنًا للرجل، وحرثًا للنسل، يأوى إليها فتسّرى همومه وتخفف متاعبه، وتعنى ببيته، وتربى أولاده، وهي تتطلع لقاء ما أعدت له من ذلك ـ إلى أن تجد من يتكفل بالأعباء المالية للحياة الزوجية، فيكفيها مؤنة السعى لكسب القوت، ويمدها من المال بما يسد حاجتها، ويمكنها من التفرغ لأداء وظيفتها ، فكان وجوب المهر لها على الزوج لإشعارها بأنها موضع بره وعطفه ورعايته، وأنه الكفيل بحاجتها ، والمعين لهــا على أداء وظيفتها فلذلك كان المهر واجبًا عليه لا عليها»(١) .

وذلك تكريم من الإسلام للمرأة ورفعة لشأنها إذ كانت :

«مهور النساء في الجاهلية تصير إلى أوليائهن دون أن يكون لهن فيها شئ فلما جاء

---

(١) الزواج في الشريعة الإسلامية/ د. على حسب الله / ص ١٥٦ .

الإسلام جعل المهر حقًّا خالصًا لها، فقال سبحانه :

﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾(١) .

فأضاف الصدقات إلى ضمير النساء لا إلى ضمير الأولياء وعلى هذا فليس لأبيها أو وليها أن يأخذه منها كله أو بعضه على نحو ما كان في الجاهلية ...

ومما تحسن الإشارة إليه في هذا المقام أن المرأة الغربية لم تظفر بمثل ذلك إلى اليوم، وأن العرف مازال يجرى عندهم على ما كان عليه أيام الرومان واليونان القدامي، إذ يوجب العرف على والد الفتاة أن يعد لها مهرًا «دوتة» تقدم لمن يخطبها، إذا ما تم الزواج، فتصير تلك الدوتة حقًا خالصًا للزوج، ولاحق لها هي فيه، وفي بعض النظم هي أمر مشترك بينهما»(٢) .

وإذا لم يكن لها ولي أمر يدفع لها تلك الدوتة فتضطر إلى العمل كما يقول الأستاذ/ رشيد رضا: «تضطر إلى الكد والكدح لأجل أن تجمع مالا تقدمه لمن يقترن بها إذا لم يكن لها ولي من والد أو غيره يبذل لها هذا المال، وكثيرًا ما تركب الأوانس الناعمات أخش المراكب وتتعرض للعنت، والتفريط في العرض والشرف، في سبيل تحصيل هذا المال »(٣) .

فأي شرع أرأف بالمرأة من شرع الإسلام الذي كفل لها حقوقها وصانها من الابتذال والتردى في مهاوى الرذيلة، فإيجاب الصداق عليها ظلم لها وإجحاف بحقوقها فضلا عن أنه كما يقول الدكتور/ على حسب الله :

«قلب للأوضاع الفطرية، وصرف للراغبات في الزواج عما خلقن من أجله وزج بهن إلى مهاوي السقوط والفساد»(٤) .

أما الإسلام فقد حرص كل الحرص على إرضاء المرأة والاعتراف بأنوثتها وطبيعتها ففرض المهر على الزوج لأن كلا منهما محتاج إلى الآخر لتسير بذلك دفة الحياة على

---

(١) سورة النساء : الآية ٤ .

(٢) الاسلام وقضايا المرأة المعاصرة / ص ٦٠ .

(٣) حقوق النساء في الإسلام : ص ١٧ .

(٤) الزواج في الشريعة الإسلامية / ص ١٥٦ .

نحو ما أراد الله . قال الأستاذ / محمد إبراهيم إسماعيل:

«وقد فرض الإسلام المهر على الرجل دون المرأة لأن من سنن الحياة أن الرجل هو الذي يكد ويكدح لكسب المال والإنفاق على أهله، وأما المرأة فعملها أن تقوم على رعاية شئون البيت، وخدمة الزوج وتربية الأولاد، وهذا هو الوضع الطبيعي لكل بيت»[1] .

أوبعد هذا العرض يدّعى مُدّع أن الإسلام أنقص المرأة حقها، وظلمها في حقوقها، إنه إنصاف ما بعده إنصاف أن يعترف الإسلام بحق المرأة في الصداق ويجعله حقًّا لها وفرضًا واجبًا على الزوج لابد أن يقوم به لها .

فهل يقدر المسلمون دينهم ويقفون على معالم الحقيقة ويقدرون الأمور قدرها، حتى نثبت للناس أننا متبعون لامبتدعون ، وحينئذ سنسعد وستسعد بنا الحياة، ولو ابتعدنا عن طريق ربنا وسنة رسولنا ـ ـ لضللنا في الحياة وصدق ا لله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2].

٣ـ حقها في النفقة :

إن من الحقوق المالية الواجبة للزوجة على زوجها أن ينفق عليها لأنه هو القائم على أمرها، وهذا الحق واجب عليه بمقتضى عقد الزواج الصحيح ..

يقول الشيخ / سيد سابق :

والمقصود بالنفقة : «توفير ما تحتاج إليه الزوجة من طعام، ومسكن، وخدمة ودواء، وإن كانت غنية »[3] .

قال صاحب سبل السلام: «النفقات: جمع نفقة، والمراد بها الشيء الذي يبذله

---

(١) من شريعة الإسلام وسنته الزواج / للأستاذ / محمد إبراهيم إسماعيل / ص ٩٥ ، ٩٦ / الناشر / دار الفكر العربي .

(٢) سورة طه : الآية ١٢٤ .

(٣) فقه السنة / جـ٢ / ص ١٤٧ .

الإنسان فيما يحتاجه هو أو وغيره من الطعام والشراب وغيرهما»[1] . وهذا التعريف جامع مانع كما يقول علماء الأصول، ولاسيما وأنه بدأ فيه بنفقة الزوج على زوجته وما يبذله لها قبل الزواج من مهر وخلافه، كما جمع فيه الطعام والشراب وغيرهما من متطلبات الحياة اليومية للزوجة والأولاد .

هذا والنفقة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع .. فمن الكتاب قوله تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[2] .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره :

« أي وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف أي بما جرت به عادة أمثالهن في بلدهن من غير إسراف ولا إقتار كما قال في كتابه الكريم :

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[3] .

قال الضحاك إذا طلق زوجته وله منها ولد فأرضعت له ولده وجب على الوالد نفقتها وكسوتها بالمعروف[4] .

ولقد ثبت بنصوص الإسلام الصريحة وجوب النفقة على المطلقة في فترة العدة، وتلك حكمة عليا من الله ـ تعالى ـ فما بالك بمعاملة الزوجات اللاتي في العصمة .

يقول الأستاذ/ عبد الرب نواب الدين : «ومن أحكام الإسلام أن الزوج إذا لم يجد ما ينفقه على زوجته فعليه أن يطلقها ولايمسكها ضرارًا، فإن لم يفعل خرج عن حد

---

(١) سبل السلام / الإمام محمد بن اسماعيل الصنعاني/ حـ٣ / ص ٢١٨ / الطبعة الرابعة/ سنة ١٩٦٠م / الناشر مصطفى البابي الحلبي / تحقيق الشيخ / محمد عبد العزيز الخولي .

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٣٣.

(٣) سورة الطلاق :الآية ٧ .

(٤) تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير/ حـ١ / ص ٤١٨ / ط الشعب، راجع الفخر الرازي حـ٦ / ص ١٢٥، ١٢٩ ، روح المعاني/ حـ٢ / ص ١٤٦ ، تفسير المنار / حـ٢ / ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي / حـ٢ / ص ٩٧١ ط الشعب .

المعروف المشار في قوله تعالى[1] :

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[2] .

ومن السنة وردت أحاديث كثيرة توجب نفقة الزوجة على زوجها منها :

١- روى البخاري بسنده عن عائشة - رضى الله عنها - أن هند بنت عتبة قالت: يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدى إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ، فقال : خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[3] قال ابن حجر في الفتح: «وفيه وجوب نفقة الزوجة وأنها مقدرة بالكفاية وهو قول أكثر العلماء»[4] .

٢- قال النبي - ﷺ - في خطبة يوم عرفة في حجة الوداع : «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف[5] .

قال النووي في الشرح : «وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالإجماع»[6] .

يقول ابن قدامة في المغنى : « وأما الإجماع فاتفق أهل العلم على وجوب نفقات الزوجات على أزواجهن إذا كانوا بالغين إلا الناشر منهن، ذكره ابن المنذر وغيره، وفيه ضرب من العبرة وأن المرأة محبوسة على الزوج يمنعها من التصرف والاكتساب فلابد من أن ينفق عليها كالعبد مع سيده »[7] .

---

(١) عمل المرأة وموقف الإسلام منه/ عبد الرب تواب الدين / ص ٨٠ / الطبعة الأولى / دار الوفاء .

(٢) سورة النساء / من الآية ١٩ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / جـ٢٠ / ص ١٩٧ / كتاب النفقات / باب: إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف .

(٤) فتح الباري جـ٢ / ص ١٩٨ ، انظر / بداية المجتهد ونهاية المقتصد / جـ٢ / ص ٤٦ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى / جـ٣ / ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ / كتاب الحج / باب: حجة النبي - ﷺ - .

(٦) النووى على مسلم / جـ٣ / ص ٣٤٥ .

(٧) المغنى لابن قدامة / جـ٧ / ص ٥٦٤ ، راجع: الفتح/ جـ ٢٠ / ص ١٨٧ .

سبب وجوبها :

يقول الشيخ / سيد سابق في فقه السنة:

«وإنما أوجب الشارع النفقة على الزوج ، لأن الزوجة بمقتضى عقد الزواج الصحيح تصبح مقصورة على زوجها، ومحبوسة لحقه، لاستدامة الاستمتاع بها، ويجب عليها طاعته، والقرار في بيته، وتدبير منزله، وحضانة الأطفال وتربية الأولاد، وعليه نظير ذلك أن يقوم بكفايتها والإنفاق عليها، مادامت الزوجية بينهما قائمة، ولم يوجد نشوز، أو سبب يمنع من النفقة عملا بالأصل العام: كل من احتبس لحق غيره ومنفعته فنفقته على من احتبس لأجله »[1] .

قال الإمام الشافعي في كتابه «الأم» عن سبب وجوب النفقة على الزوج:

«وينفق على امرأته غنية كانت أو فقيرة بحبسها على نفسه للاستمتاع بها وغير ذلك فعليه نفقتها ما كانت له زوجة مريضة وصحيحة وغائبًا عنها وحاضرًا لها، وإن طلقها وكان يملك الرجعة فعليه نفقتها في العدة، لأنه لايمنعه من أن تصير حلالا له يستمتع بها إلا نفسه إذا أشهد شاهدين أنه راجعها فهي زوجته وإذا لم يفعل فهو منع نفسه من رجعتها ولاينفق عليها إذا لم يكن يملك الرجعة لأنها أحق بنفسها منه ولا تحل له إلا بنكاح جديد»[2] .

ومن ثم لا تجب النفقة للناشز «والمفهوم من أن النفقة هي في مقابلة الاستمتاع يوجب ألا نفقة للناشز»[3] .

من خلال هذا العرض يتضح لنا أن الزوج يجب عليه أن ينفق على زوجته على قدر استطاعته ويشترط لاستحقاقها ـ النفقة ـ هذه الشروط التى ذكرها الشيخ / سيد سابق في فقه السنة هي :

١ـ أن يكون عقد الزواج صحيحًا .

---

(١) فقه السنة /جـ٢ / ص ٤٨ .

(٢) الأم/ للإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعي / جـ٥ / ص ٧٨ / الطبعة مصورة عن بولاق سنة ١٣٢١هـ الناشر / الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد / جـ٢ / ص ٤٧ .

٢ـ أن تسلم نفسها إلى زوجها .

٣ـ أن تمكنه من الاستمتاع بها .

٤ـ ألا تمتنع من الانتقال حيث يريد الزوج .

٥ـ أن يكون من أهل الاستمتاع .

فإذا لم يتوفر شرط من هذه الشروط فإن النفقة لاتجب(١) .

هذا هو موقف الإسلام من وجوب النفقة على الزوج، وضمانها لحقها المالي من زوجها، فهل يستساغ عقلا ومنطقًا أن تخرج المرأة المسلمة من بيتها حتى تنفق على نفسها، وتزاحم الرجال بالمناكب والأقدام، كما ينادى بذلك دعاة التحرر؟ .

جـ ـ تكريم الإسلام لها أمًا :

لقد كرم الإسلام الأم أيما تكريم فوضعها موضع التبجيل والتكريم وذلك لما تعانيه من مصاعب ومتاعب وآلام في حمل وليدها في بطنها على مدار تسعة أشهر .

يقول الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق : « فالأم تحمل الإنسان جنينًا يتربى في بطنها وبين أحشائها، ويمر بأطوار التخلق التى أرادها الله ـ سبحانه ـ حملته في مشقة ومحبة، سعيدة بهذا الحمل، تشقى به وهي راضية قريرة العين، شديدة الحفاظ عليه، تبغى تمام الحمل وكماله، لاتبالى بأوجاعه وآلامه، والإسلام في أحكامه التشريعية يقوى من عزيمتها، ويشد من أزرها مدة حملها، فيخفف عنها في العبادات ، إذ يبيح لها الفطر في شهر رمضان، عونًا لها على مشقات الحمل ، وإمدادًا لها بغذائه، وبعد الولادة أيضا رخص لها الفطر في شهر رمضان متى خافت ضررًا على نفسها وولدها أو على نفسها فقط، رعايةً لأمومتها وما تتحمل من مشاق وآلام الحمل وجهد الإرضاع والسهر على الوليد والقيام على شئونه، ولقد خففت عنها الشريعة أيضًا في الصلاة وشروطها فاعتبرتها من أصحاب الأعذار، وأجرى عليها الفقهاء أحكام وضوء المعذور وصلاته اعتبارًا لمتاعب الحمل ومشقاته(٢) .

---

(١) فقه السنه / جـ٢ / ص ١٤٨ ، وانظر : كتاب الأحكام الأساسية للأسرة الإسلامية في الفقه والقانون / د. زكريا البري ص ١٣١ ، كتاب الزواج في الشريعة الإسلامية د. على حسب الله / ص ١٨٣ .

(٢) الأمومة في الإسلام/ سجل المؤتمر الذي أقيم من ١١ ـ ١٣ من المحرم سنة ١٣٩٩هـ / المركز الدولى الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية جامعة الأزهر مقالا لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق / ص١٠.

ولم يقتصر على ذلك بل كرم الإسلام الأم الحامل إذا طلقها زوجها، فعليه الإنفاق عليها نفقة شاملة للسكنى.. قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(١) .

قال القرطبي في الجامع: « لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثًا أو أقل منهن، حتى تضع حملها»(٢) .

وإذا وضعت حملها فعلى مطلقها ـ والد طفلها ـ أجره رضاعها إياه ..

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾(٣) .

قال ابن رشد: « وأما المطلقة فلا رضاع عليها إلا أن لايقبل ثدى غيرها فعليها الإرضاع وعلى الزوج أجر الرضاع، هذا إجماع »(٤) واستدل بالآية السابقة.

هذا جانب مما ذكره الفقهاء في تكريم الأم في حالة حملها وإرضاعها لوليدها أما عن تكريم الأم من أولادها فقد أفاض القرآن الكريم في الحث على ذلك كما تضافرت الأحاديث النبوية الدالة على إكرامها والإحسان إليها وحسن صحبتها .

فمن الآيات القرآنية قوله تعالى في سورة النساء:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(٥) .

وقال جل شأنه :

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾(٦) .

هذا في جانب الإحسان إليهما معًا، أما في جانب الوصية بهما مع إظهار شرف

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٧ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم/ الإمام القرطبي / جـ٧ / ص ١٦٨ .
(٣) سورة الطلاق : الآية ٧ .
(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد / جـ٢ / ص ٤٨ .
(٥) سورة النساء: الآية ٣٦ .
(٦) سورة الإسراء / الآيتان ٢٣، ٢٤ .

الأم وإكرامها لما تلاقيه من متاعب الحمل قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(١) .

يقول الشهيد / سيد قطب في الظلال : « وإفراد الأم بالحمل في قوله تعالى : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ يدل على أن الأم بطبيعة الحال «تحتمل النصيب الأوفر وتجود به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق»(٢) .

ومن ثم نرى تضافر الأحاديث التى توصى بإكرام الأم والإحسان إليها :

« عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال : يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» ثم قال من ؟ قال: «أمك» قال ثم من ؟ قال : «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»(٣) .

قال العلماء : «وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك »(٤) .

بل جعل الإسلام بر الأم والإحسان إليها والقيام على رعايتها يعدل الجهاد في سبيل الله، فضلا عن أنه سبب في دخول الجنة :

« عن معاوية بن جاهمة السلمي رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال : يارسول الله : « أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال هل لك من أم؟ قال: نعم . قال : « فالزمها فإن الجنة تحت رجليها»(٥) .

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على برها وإكرامها والإحسان إليها وأن في ذلك

---

(١) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب / جـ٢١ / مجلد (٥)/ ص ٢٧٨٨/ دار الشروق .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ٨ / ص ٢ ، ومسلم عن أبى هريرة جـ٤ / ص ١٩٧٤ ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ٣ / ص ١٨٥ .

(٤) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان / وضعه / محمد فؤاد عبد الباقى / جـ٣/ ص ١٨٥ / دار الريان للتراث .

(٥) أخرجه النسائي/ جـ٦/ ص ١١ .

سعادة المرء في دنياه وأخراه .

ونتساءل : هل بعد ذلك التكريم للمرأة بنتًا وأمًا وأختًا وفي جميع مراحل حياتها من تكريم ؟

ثم لماذا تعقد الندوات؟ وتبرمج التوصيات، وتسن القرارات، زاعمين من وراء ذلك أنهم يبحثون عن حقوق المرأة ليرفعوا بذلك مكانتها في المجتمع وليمحوا عنها سمات الجاهلية، وماهم إلى الحقيقة سائرون، ولا على طريق الصواب جادون، لأنهم حادوا عن الطريق المستقيم ورغبوا عن هدى السماء إلى غثاء النظريات التى أتوا بها من الشرق تارة ومن الغرب تارة أخرى، ونسوا أو تناسوا بذلك منهج السماء، وتشريع الله العليم بالنفوس الخبير ببواطنها وما يسعدها ويشقيها وصدق ا لله إذ يقول :

﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرِ﴾[1] .

إننى أرى هذه الدعوات الحارة من هؤلاء المناصرين للمرأة، والمنادين بحقوقها ماهي إلا مخطط أثيم يسير عليه هؤلاء الأفاكون الآثمون، لأنه لاتشريع بعد تشريع السماء، فإذا ظلوا على سيرهم هذا فإنهم ضالون مضللون ويصدق عليهم قول الحق ـ جل في علاه ـ إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2] .

هذه هي الضمانات التى وضعها الإسلام لحرية المرأة فضلا عن أنه لم يبخسها حقها في الميراث .. يقول د. مصطفى السباعي : «فقد» أعطاها حق الإرث أُمًّا وزوجة وبنتا، كبيرة كانت أو صغيرة أو حملاً في بطن أمها[3] .

كما نظم حقوقها مع زوجها وجعل لها حقوقًا خاصة بها سقناها آنفا وحقوقًا مشتركة بينها وبين زوجها ذكرها د. محمد رأفت عثمان :

١ـ حق الاستمتاع والاتصال الجنسي .

---

(١) سورة الملك : الآية ١٤ .

(٢) سورة القصص : الآية ٥٠ .

(٣) المرأة بين الفقه والقانون / د. مصطفى السباعي / ص ٢٩ .

٢- حق العشرة بالمعروف .

٣- حق ثبوت نسب الأولاد .

٤- حق التوارث[1] .

إلى غير ذلك من الضمانات التى كفلها الإسلام لحريتها ..

هذا موقف الإسلام من حرية المرأة . فما موقف دعاة التحرر من حريتها؟ هذا ما سنعقد له فصلاً خاصًا عقب هذا الفصل بمشيئة الله تعالى .

﴿ والله أعلم ﴾

(١) الحقوق الزوجية المشتركة في الفقه الإسلامي / د. محمد رأفت عثمان / ص ١٥ / طبعة أولى سنة ١٩٨٠م .

الفصل الثالث

حرية المرأة عند أدعياء التحرر في العصر الحديث

إباحة الاختلاط وحرية المرأة :

إن كرامة المرأة وعزتها في تمسكها بتعاليم دينها، وذلتها وإهانتها في بعدها عن دينها، ولقد علم أعداء الإسلام ذلك فأرادوا أن يسلخوا المرأة المسلمة من تقاليدها الإسلامية ويصبغوها بصبغة غربية، ليستطيعوا من خلال ذلك السيطرة عليها وإغوائها بمفاتن المرأة الغربية، فكان مما حرص عليه أعداء الإسلام وخططوا من أجله خروج المرأة إلى العمل واختلاطها بالرجال .

وأود في هذا الفصل الخاص بالمناداة من أعداء الإسلام بحرية المرأة وإباحة الاختلاط أن أعرض أفكارهم وما ترمي إليه تلك الأفكار ثم أدلي بدلوى موضحًا النظرة الإسلامية في إباحة الاختلاط ، ثم أعقب بعد ذلك على مساوئ المجتمع المختلط، مدعمًا كلامي بمناداة الغربيين أنفسهم بمنع الاختلاط لما حدث في مجتمعاتهم من فساد وانحلال .

وأولا: وجهة نظر أعداء الإسلام في إباحة الاختلاط :

يقول قاسم أمين: « إن نساء العرب ونساء القرى المصرية، مع اختلاطهن بالرجال على ما يشبه الاختلاط في أوربا تقريبا، أقل ميلا للفساد من ساكنات المدن اللائي لايمنعن الحجاب من مطاوعة الشهوات والانغماس في المفاسد، وهذا مما يحمل على الاعتقاد بأن المرأة التى تخالط الرجال تكون أبعد عن الأفكار السيئة من المرأة المحجوبة»[1] وهذا القول ثبت خطؤه من واقع المجتمعات المختلطة، والتى تنادى الآن بمنع الاختلاط لما حدث بينهم من مفاسد وانحلال خلقى .

---

(١) الأعمال الكاملة لقاسم أمين/ تأليف / د. محمد عمارة / ص ٦٣ / جـ١ الناشر/ الموسسة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٦م ، وانظر الجزء الثاني من الأعمال الكاملة ص ٥٩ .

ثم يمضي قاسم أمين في سرده لمضار احتجاب المرأة عن المجتمع وما يحيق بها من أمراض بسبب ذلك فيقول: « أما الحجاب فضرره أنه يحرم المرأة من حريتها الفطرية، ويمنعها من استكمال تربيتها، ويعوقها عن كسب معاشها عند الضرورة، ويحرم الزوجين من لذة الحياة العقلية والأدبية، ولا يتأتى معه وجود أمهات قادرات على تربية أولادهن، وبه تكون الأمة كإنسان أصيب بالشلل في أحد شقيه »[1] .

ولم يكتف قاسم أمين في دعوته إلى خروج المرأة إلى العمل واختلاطها بالرجال الأجانب عنها بل أخذ يعدد محاسن هذا الصنيع من المرأة وأن حريتها تكمن في تمزيقها للحجاب ومحو آثاره ، ويقصد بالحجاب كما ذكرنا آنفا قرارها في بيتها وعدم خروجها للمجتمع، ومن ثم تراه يندد بهذا الصنيع من المرأة، ويربط تعليمها بمخالطتها للرجال واكتسابها الخبرات منهم، وأن اختلاطها هذا يولد نوعًا من الألفة بين الجنسين.. يقول قاسم أمين:

« واختلاط الرجل بالمرأة اختلاطًا شريفًا يولد نوعًا من الألفة لا يكون للشهوة أثر فيه، لذلك كانت المرأة في أمريكا أشدهن عفة ولذلك كانت المرأة في القرية المصرية وفي البادية أقوى مراسًا من المرأة في المدينة المصرية، ثم إنه لا غناء في عفة تشترى بالأقفال والأحباس، فالعفة دائمًا شيء خارج من النفس لا شيئًا مفروضًا على النفس»[2].

ثم يناقش قاسم أمين بعد ذلك فكرة عمل المرأة يُرى أهليتها لإجادة كل الأعمال المدنية التى تجيدها المرأة الغربية، وعلق ذلك كله على تعليمها واكتسابها المعارف والخبرات من مخالطتها بالرجال وإن لم تصل المرأة المصرية في نظره إلى تلك الحالة ستظل طاقة معطلة، وعالة على عمل غيرها.. يقول قاسم أمين في ذلك: «ولاشيء يمنع المرأة المصرية من أن تشتغل، مثل الغربية، بالعلوم والآداب والفنون الجميلة والتجارة والصناعة إلا جهلها وإهمال تربيتها، ولو أخذ بيدها إلى مجتمع الأحياء ،

---

(١) قاسم أمين: المرأة الجديدة / دارسة الدكتورة / زينب محمود الخضيري / ص ٧٣ دار سينا للنشر .

(٢) قاسم أمين / تاريخ حياته الفكري/ أحمد خاكي/ ص ٩٧ / الناشر مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٣م / الطبعة الأولى .

ووجهت عزيمتها إلى مجاراتهم في الأعمال الحيوية، واستعملت مداركها وقواها العقلية والجسمية لصارت نفسًا حية فعّالة تنتج بقدر ما تستهلك، لاكما هي اليوم عالة لاتعيش إلا بعمل غيرها، ولكان ذلك خير لوطنها، لما ينتج عنه من ازدياد الثروة العامة والثمرات العقلية فيه ....»[1] .

ولم يكتف قاسم أمين بتلك الدعوة العلنية إلى خروج النساء واختلاطهن بالرجال بل أخذ يسرد الأدلة ويسوق البراهين على صدق كلامه من واقع المجتمعات المختلطة تارة ومن واقع المرأة المتعلمة وغيرها ممن لم تنل قسطًا من التعليم .. يقول قاسم أمين:

«وإذا أراد القارئ أن يتبين صحة ما أسلفته من مضار الحجاب على وجه لايبقى للريب معه مجال فما عليه إلا أن يقارن بين امرأة من أهله تعلمت وبين أخرى من أهل القرى أو من المتَّجِرَات في المدن لم يسبق لها تعليم، فإنه يجد الأولى تحسن القراءة والكتابة وتتكلم بلغة أجنبية وتلعب البيانو، ولكنها جاهلة بأطوار الحياة، بحيث لو استقلت بنفسها لعجزت عن تدبير أمرها وتقويم حياتها، وإن الثانية مع جهلها قد أحرزت معارف كثيرة اكتسبتها من المعاملات والاختبار وممارسة الأعمال والدعاوى والحوادث التى مرت عليها، وإن كل ذلك قد أفادها اختبارًا عظيمًا، فإذا تعاملنا غلبت الثانية الأولى، ومن هذا نرى أغلب نساء نصارى الشرق، وإن لم يتعلمن في المدارس أكثر مما يتعلمه بعض بناتنا الآن، فهن يعرفن لوازم الحياة، لكثرة ما رأين وسمعن باختلاطهن بالرجال، فقد ورد على عقولهن معان وأفكار وصور وخواطر غير ما استفدنه من الكتب، فارتفعن بفضل هذا الاختلاط إلى مرتبة أعلى من المرأة المسلمة المواطنة لهن مع أنهن من جنس واحد وإقليم واحد .. وقد جرنا حبنا للحجاب النساء إلى إفساد صحتهن فألزمناهن القعود في المساكن حرمناهن الهواء والشمس وسائر أنواع الرياضة البدنية والعقلية»[2] يم يمض قاسم في استدلاله على صدق كلامه بما يلي:

(١) الأعمال الكاملة لقاسم أمين / حـ٢ / ص ٢٠ ، ٢ ، وانظر: قاسم أمين وتحرير المرأة د. محمد عمارة / ص ٨٦.

(٢) الأعمال الكاملة لقاسم أمين/ حـ٢ / ص ٥٧ ، ٥٨ دراسة وتحقيق / د. محمد عمارة .

« ليس فينا من لايعرف أن نساء كثيرة عشن عليلات الجسم والروح و لم يذقن شيئا من لذة هذه الحياة الدنيا، لذلك كان أغلب نسائنا مصابا بالتشحم وفقر الدم، ومتى ولدت المرأة مرة تداعت بنيتها وذبل جسمها وظهرت عجوزًا وهي في ريعان شبابها ، كل ذلك منشأة خوف الرجال من الإخلال بالعفة .. وبدهى أن المرأة التى تحافظ على شرفها وعفتها وتصون نفسها عما يوجب العار وهي مطلقة غير محجوبة لها من الفضل والأجر أضعاف ما يكون للمرأة المحجوبة ، فإن عفة هذه قهرية أما عفة الأخرى فهي اختيارية والفرق كبير بينهما، ولا أدرى كيف تفتخر بعفة نسائنا ونحن نعتقد أنهن مصونات بقوة الحراس واستحكام الأقفال وارتفاع الجدران»(١) .

ثم يصور قاسم أمين بعد ذلك أن الحجاب لم يمنع المرأة أن ترتكب من الآثام ما ينهى عنه الشرع الحنيف فيقول : « ومع ذلك، ما الذي يفعله الحجاب؟ ألم نسمع بما يجرى في داخل البيوت مما ينافى العفة ويخل بالشرف؟ هل منع البرقع وقصر النساء وراء الحجاب والأقفال سريان الفساد إلى ما وراء تلك الحجب؟ كلا »(٢) .

تلك أفكار قاسم أمين عن المرأة وإباحة اختلاطها بالرجال، و لم يكن قاسم أمين قد أتى بكل تلك الأفكار من عندياته بل تضافرت معه أيد عديدة ممن لهم باع طويل في الثقافة الغربية من ناحية، وممن تزعّموا الدعوة إلى الماسونية والبهائية والصهيونية وغير ذلك من الدعوات الهدامة التى كان همها الأول إفساد المرأة المسلمة، وتقليدها للمرأة العربية في كل أفعالها لأنهم علموا أن معنى حجاب المرأة المسلمة حفاظها على دينها وعقيدتها ، ومادامت متمسكة بذلك فإنه يعنى فشل خططهم وإفساد ما دبروه للقضاء عليها، ومن ثم نراهم يشجعون خروجها سافرة واختلاطها بالرجال، كل ذلك تحت شعارات زائفة من التقدم والحرية .

يقول سلامة صبرى : «إن من علامات التحضر أن يعرف الرجل وأن تعرف المرأة الرقص الغربي وأن يمارساه بالفعل ... ولقد ذكر الدكتور/ عبد الودود ـ شلبي عديدًا من الأدلة التى تبرهن مدى حقد أعداء الإسلام على تمسك المرأة المسلمة بدينها

---

(١) نفس المرجع السابق / جـ٢ / ص ٥٨ ـ ٦٠ .

(٢) نفس المرجع السابق / جـ٢ / ص ٦ .

وعقيدتها .. يقول د. شلبي : ويقول آخر منهم طبعًا : «العفة والبكارة وأمثال هذه المفاهيم إنما هي من علامات التأخر»[1] . انظر إلى أي مدى يصورون العفة بأنها ردة وعلامة من علامات التأخر ، إنهم عملاء ذوي صبغة واحدة، هدفهم الأول والأخير تنصير المرأة المسلمة وصبغتها بالصبغة الغربية، وتحطيم بكارتها ودفعها لقمة سائغة للذئاب البشرية، واستخدامها حربًا شعواء على دينها، كل ذلك تحت شعار حرية المرأة .

ويقول الدكتور / عبد الفتاح بركة : «ولما كانت المرأة هي الركن الركين في هذه المؤسسة الاجتماعية وعلى محورها تدور أقطارها وتتلاقي أطرافها، وتجتمع أقطابها، فقد كان العمل على صبغها بالصبغة الغربية وتحويل فكرها وعواطفها في اتجاه التغريب من أكثر أعمال الاستشراق نشاطًا ودؤبًا »[2] .

إذا كان همُّ المستشرقين ودعاة التغريب ومن هم على شاكلتهم في المقام الأول السيطرة على المرأة المسلمة فكرًا وسلوكًا، ومن ثم نراهم يرفعون شعارات براقة للوصول إلى مآربهم وتحقيق أمانيهم .

يقول المرحوم / محمد طلعت حرب في كتابه المرأة والحجاب : « إن رفع الحجاب والاختلاط ، كلاهما أمنية تتمناها أوربا من قديم الزمان لغاية في النفس، يدركها كل من وقف على مقاصد أوربا بالعالم الإسلامي .

ويقول في موضع آخر من الكتاب : « إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في الشرق ـ لا في مصر وحدها ـ إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل .. بل الفساد الذي عم الرجال في الشرق »[3] .

لقد كان العداء مستحكمًا لدرجة أنهم كانوا يريدون القضاء على الإسلام في عقر داره، ولم يستهدفوا المرأة فحسب، بل كانت نواياهم تكمن في استعباد المرأة أولاً ثم

---

(١) مسألة السفور والحجاب / د. عبد الودود شلبي / ص ٢٦ .

(٢) دور الاستشراق في تغريب المرأة المسلمة / د. عبد الفتاح بركة/ ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣) المرأة والحجاب/ محمد طلعت حرب/ نقلا عن كتاب الحركات النسائية في الشرق / محمد فهمى عبد الوهاب / ص ١١ / الناشر دار الاعتصام .

استعباد الشعوب الإسلامية ثانيا، وذاك شأنهم في كل شأن ، ومن ثم تراهم يعدّون العدة لاقتحام أي معركة ضد الإسلام والمسلمين مهما كلفهم ذلك من عتاد وعدّة ، وإذا وجدوا فشل خططهم وانكشاف مؤامرتهم تراهم يلبسون ثوب المرشد والناصح الأمين، الباحث عن الحقيقة والداعي إليها في كل مكان، فإذا بهم بعد أن يئسوا من محاربة الإسلام بالسلاح،ركنوا إلى محاربته بالكلمة، فنراهم يرفعون شعار الحرية والإخاء والمساواة ، وغير ذلك من الشعارات التى في ظاهرها الرحمة وفي باطنها السمّ الزّعاف ، فنرى دعاة تحرير المرأة يرددون هذه الشعارات ترديدًا لأقوال أسيادهم من المبشرين والمستشرقين والغربيين.

يقول الأستاذ/ أحمد عبد العزيز الحصين: «ونشط لدعوة الحرية عامة ـ وتحرير المرأة خاصة ـ الشاميون والمسيحيون المقيمون في مصر، واشتغل أدباؤهم ومفكروهم في هذا الجانب، ودعوا إلى اقتفاء أثر أوربا، وصدرت لهم صحيفة مصر، وكانت صحيفة الديلي نيون البريطانية تنقل ما يُكتب في هاتين الصفحتين ، ولمع من كتّابهم آنذاك ميخائيل عبد السيد، ومي زيادة، وجرجي زيدان ، أما كتاباتهم في تحرير المرأة فكانت ضمن خطة وضعوها لإبعاد المسلمين عن جوهر دينهم، وفي الحديث منهم سعيد عقل، ولويس عوض، وسلامة موسى، أما في المجال الفكري السياسي فقسطنطين رزيق، ميشيل عفلق، وجورج حبش، وأنطون سعادة ... »[١] .

وكان على رأس هؤلاء جميعًا: « مرقص فهمي المحامي» الذي ألف كتابه «المرأة في الشرق» ودعا فيه إلى نفس المطالب التى دعا إليها قاسم أمين، أما قاسم فكانت هويته كما يقول الأستاذ/ أحمد عبد العزيز الحصين: «فقد نال شهادة الحقوق من فرنسا، وتتلمذ على أيدي المبشرين وكان من هواة الأدب الفرنسي، وقد أحب الثقافة الفرنسية وتعلق بأفكار ثورتها التى شعارها نفس شعار الماسونية: حرية ـ إخاء ـ مساواة»[٢] .

---

(١) المرأة ومكانتها في الإسلام / أحمد عبد العزيز الحصين / ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ / الطبعة الثالثة: مكتبة الإيمان سنة ١٩٨٣ .

(٢) نفس المرجع / ص ٢٠٩ .

ولا داعى لسـرد أفراد هذه السلسـلة التحررية طالما وقد عقدنا فصلا خاصًا عن أتباع النفوذ الاستعماري لحركة تحرير المرأة ولكن كل ما يهمنا الآن مناقشة أفكار هؤلاء من وجهة إسلامية وما جنته دعوتهم تلك لمجتمعنا الآن من تفكك وانحلال للأسرة المسلمة تحت شعار الحرية .

هذا ما أود معالجته من خلال الصفحات التالية فأقول وبا لله - تعالى - التوفيق ...

ثانيًا : الرد على أدعياء حركة تحرير المرأة:

ارتبطت حركة تحرير المرأة في نظر أدعياء التحرر بعدة مطالب أهمها :

١- إباحة الاختلاط .

٢- خروج المرأة للعمل ومساواتها للرجل في الأعمال المدنية .

٣- الدعوة إلى تقليد المرأة الغربية .

تلك أهم المطالب التى أثارها أدعياء التحرر استقيتها من خلال النصوص التى نقلتها من المصادر التى تعرضت لحركة تحرير المرأة ، وها أنذا أعرض لتلك المطالب مبينا نوايا هؤلاء الأدعياء، وما انطوت عليه صدورهم من حقد دفين على الإسلام والمسلمين، ولاسيّما تمسك المرأة المسلمة بدينها وعقيدتها .

المطلب الأول: إباحة الاختلاط وموقف الإسلام منه :

«تعريف الاختلاط»

جاء في المعجم الوسيط تحت مادة خلط ما يلي :

«خلط الشيء بالشيء خلطًا : ضمه إليه - وخالطه مخالطة وخلاطا مازجه . وخلّط - بتشديد اللام - خلط في أمره أفسد فيه، واختلط «عقله» فسد. والخلطة اسم من الاختلاط والشركة»(١) .

وقد اتفق معه صاحب مختار الصحاح في سياقه لمادة خلط » وكذا مادة اختلط(٢).

ومن ثم يتضح لنا أن مادة خلط تدور حول عدة معان فتكون بمعنى الضم تارة،

(١) المعجم الوسيط / جـ١ / ص ٢٥٠ .

(٢) مختار الصحاح/ محمد بن أبى بكر الرازي / ص ١٨٤ ، ١٨٥ / الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وبمعنى فساد العقل والرأى تارة أخرى، وتكون بمعنى الامتزاج والتحويل والصيرورة.

وعلى هذا يتضح لنا أن معنى الاختلاط في الشرع هو الابتعاد عن كل شيء ينافى الفطرة الإنسانية ، مما يترتب عليه ضرر بالنسبة للفرد أو المجتمع، هذا بمفهومه العام، وإذا قصرناه على اختلاط الرجال بالنساء فيكون كما يلي :

يقول الأستاذ / عبد الباقي رمضون في تعريف الاختلاط :

« هو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر أو الإشارة أو الكلام أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد وهو محرم ..»[1] .

كما عرفه الأستاذ الشيخ/ محمد الأباصيري خليفة بقوله :

« والاختلاط هو اجتماع الرجل بالمرأة التى ليست بمحرم اجتماعًا يؤدى إلى ريبة، وهو محرم ، والأمر بالقرار في البيت، وتحريم الخلوة بالأجنبية يعتبران نهيًا عنه ..»[2] .

(إذًا هدف الإسلام من منع الاختلاط وتحريمه ـ إذا إلى ريبة ـ ضمان للمجتمع من التحلل، وضبط للغريزة الجنسية، وتنظيمها في نطاقها المحدد). ومن ثم يتضح لنا كذب أدعياء التحرير من قولهم أن الإسلام يقف حجرة عثرة في قضاء الإنسان لغريزته إذ إنه يحرم الاختلاط ويمنع اللذة العقلية والأدبية للإنسان كما ادعى قاسم أمين وغيره.

والرد عليهم سهل ميسور، إن ضبط الغريزة الجنسية وتنظيمها في نطاق الأسرة لايعنى كبتها، لأن الضبط تنظيم للغريزة ، أما الكبت فهو إنكار لها ، وبالتالي كل قوة أو غريزة في الإنسان إن لم تضبط كانت أداة للتخريب، والأمثلة على ذلك متعددة من واقع الجرائم التى تُرتكب والتى سنفسح لها المجال بعد قليل .

وقبل أن أسرد الأدلة والبراهين على تحريم الاختلاط والخلوة بالأجنبية ، أود أن أطرح هذا السؤال ثم أجيب عليه كي تقف على حقيقة الاختلاط .

---

(١) خطر التبرج والاختلاط / الأستاذ/ عبد الباقي رمضون / ص ٦٢ / الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م/ مؤسسة الرسالة .

(٢) المرأة والتربية الإسلامية / للشيخ / محمد الأباصيري خليفة / ص ٤٧ .

متى بدأت فكرة الاختلاط ؟

ويجيب على هذا السؤال الشيخ/ عبد الله بن زيد آل محمود بقوله :

(إن مبدأ بدعة الاختلاط إنما نشأت من النصارى الأوربيين ، وكان في شريعتهم تحريم الزنا ودواعيه، لكنهم من أجل غلوّهم في نسائهم اخترعوا بدعة الاختلاط بين الشباب والشابات، تمشيا مع شهوة نسائهم ليزيلوا بها الحياء والحشمة والنفرة بين الجنسين ، ثم استرسلوا معهن في توسيع النطاق في الانطلاق في مساوئ الأخلاق، فأعطوا المرأة كمال حريتها تتصرف في نفسها كيف شاءت ليس لزوجها ولا لأبيها عليها من سلطان ، فلها أن تعاشر من شاءت من الأخدان وعلى أثر هذا جرى القانون في عرفهم بإباحة الزنا واللواط ، وصار كالشيء العادي التى لاتعاب به المرأة، إلى حالة أنهم يمدحُون المرأة المجرية أي التى تأتى بولد أو لدين من غير زوج، فهذه كمال الحرية التى يُنوه بمدحها النصارى، وهي تفرق شمل أهل البيت وتلطخهم بالتهمة لمخالفتها لشرف الصيانة الإسلامية الجامعة بين الكمال والجمال)[1] .

وهذا القول يؤيد ما ذكرناه آنفًا من أن الاختلاط والدعوة إلى تحرير المرأة قام على نشره كثير من الكتّاب المسيحين من أمثال جرجي زيدان، ولويس عوض، وسلامة موسى وغيرهم من أذناب اليهود والمستعمرين ، وهدفهم من وراء ذلك تنصير المرأة المسلمة وتقليدها للمرأة الغربية تقليدًا أعمى، حتى يصير مجتمعنا إلى ما صار إليه المجتمع الغربي ، الذي يشكو من وضعه الآن، ويجنى رجاله ونساؤه قبل شبابه الحصاد المرّ للاختلاط والتبرج وعواقبه الوخيمة التى حلت بتلك المجتمعات من جرّاء تسيبها في حقوق المرأة وإطلاق العنان لها، والفضل ما شهدت به الأعداء .

دعوة صارخة من علماء الغرب ومفكريه لمنع الاختلاط والتبرج :

نشرت جريدة الجمهورية القاهرية مقالاً لكاتبه أمريكية مختصة في شئون الأحداث دون العشرين، وقد زارت القاهرة عام ١٣٨٢هـ وساءها ما رأته من اختلاط في المجتمع الإسلامي فكتبت تقول :

---

(١) الاختلاط وما ينجم عنه من مساوئ الأخلاق/ عبد الله بن زيد آل محمود / ص ٩ / الطبعة الثامنة سنة ١٤٠٧هـ / الناشر / المكتبة القيمة .

« امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، ولقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا معقدًا مليئًا بكل صور الأباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية .. إن الحرية التى أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات أحداث عصابات «جيمس دين» وعصابات للمخدرات والرقيق .

إن الاختلاط والإباحية والحرية في المجتمع الأوربي والأمريكي هددت الأسر وزلزلت القيم والأخلاق، فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث تخالط الشبان وترقص التشاشتا، وتشرب الخمور والسجائر .. بل وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية . والعجيب في أوربا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تحت سن العشرين تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها بل وتتحدى والدها ومدربيها والمشرفين عليها باسم الحرية والاختلاط والانطلاق وتتزوج في دقائق وتطلّق بعد ساعات، ولايكلفها هذا أكثر من إمضاء فرشا وعريس ليلة أو بضع ليال وهكذا زواج وطلاق مرات ومرات» .

ثم تمضى تلك الكاتبة في حديثها مرشدة المجتمع العربي بأن يظل متمسكا بتعاليم دينه، وتقاليده التى تضمن له السعادة فتقول :

« إن المجتمع العربي مجتمع متكامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشباب في حدود المعقول، وإن هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربي والأمريكي، ففي المجتمع العربي تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم احترام الأب والأم، بل وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوربا وأمريكا، ولذلك فإن القيود التى يفرضها المجتمع الإسلامي على الفتاة الصغيرة صالحة ونافعة، ولهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحية انطلاق ومجون أوربا وأمريكا»[1] .

---

(١) نقلا عن كتاب : المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام/ محمد محمود الصواف ص ٢٢٧، ٢٢٨ / الناشر دار الاعتصام / الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٩م .

ما الذي دعـا هذه الكاتبـة لسرد هـذه الأحداث وإسـداء النصيحة للمجتمع العربي عامة والمصري على وجه الخصوص؟

إن الذي أدى بها إلى أن تقول ما قالت شعورها التام بأن قوانين الغرب قاصرة تمامًا عن حماية عِرض الفتـاة وحمايتها من الاعتداء عليها ولاسيما إذا كان قضاء الغريزة يتم عن تراض بين الشاب والفتاة، ولا نجاة من ذلك إلا باتباع تعاليم الإسلام .

ولم تكن تلك الكاتبـة وحدها هي التي دافعـت عن الإسلام ونظرتـه السامية للمرأة بل كثير من كتـاب الغرب ومفكريـه ندّدوا بوضع الحيـاة الغربيـة، ونـادوا بالعودة إلى تعاليم الإسلام كحل لمشاكل المجتمع الغربي .

يقول العالم الفرنسي «جوبستاف ليبون» : «إن الإسلام قد أثر تأثيرًا حسنًا في رفع مقـام المرأة أكثر من كثـير من قوانينا الأوربيـة، وخير طريقـة لنقدر التأثـير الذي أحدثه الإســلام في تحسين حـال المرأة في الشــرق أن نبحث عمـــا كـــان عليـه حالها قبل القرآن»[1].

ويقـول الفيلسـوف الأيرلندي الذائع الصيت «برنـارد شـو» في المسـتقبل العاجل: «عندمـا يريد الرجال المفكرون أن يلجأوا إلى دين يحمي الفضيلة ويقى المجتمع، ويكون سببًا للحياة السـعيدة في البشـر سيجدون الإسـلام هو الدين الوحيد الذي يضمن لهم ذلك مع التقدم والنجاح، إن الإسلام هو الدين الـذي نجد فيه حسنات الأديان كلها، ولانجد في الأديـان حسـناته، ومن الممكن أن يصـل الرجل إلى أعلا درجـة في الفلسـفة والعلوم ، ويكون مع ذلك مسلمًا تقيًا »[2] .

وهذه الكاتبة الغربية «مس أنى رود» تقول:

«ألا ليت بلادنـا كبلاد المسـلمين فيها الحشـمة والوقار، وفيها الخدم والرقيق ينعمن بأرغد العيش، ويعـاملان كمـا يعامل أولاد البيت، ولاتمـس الأعراض بسـوء، إنـه لعار علـى بلاد الفرنج أن نجعل بناتنـا مثلا للرذائل بكثـرة مخالطـة الرجال، مـا بالنا لانسـعى

---

(١) الإسلام والحضارة العربية / محمد كرد على / جـ١/ ص ٨٦ / نقلا عن كتاب : أهداف الأسرة في الإسلام / حسين محمد يوسف / ص ٣٧ / الناشر دار الاعتصام .

(٢) مجلة الوعى/ من مقال عالمية الإسلام/ للأستاذ أنور الجندى / عدد يونيه ١٩٦٩م .

وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت، وترك أعمال الرجل سلامةً لشرفها »[1] .

لقد استقرأ هؤلاء الكتاب الغربيون أوضاع الأمم الغابرة فعلموا أن سبب هلاكهم وتقويض علاقات التراحم والانسجام العائلي بينهم ناتج عن الاختلاط المستهتر .

يقول الدكتور/ مصطفى السباعي : « فمن المعلوم تاريخيًا أن من أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة ومخالطتها للرجال ومبالغتها في الزينة والاختلاط، ومثل ذلك تمامًا حَصَل للرومانيين، فقد كانت المرأة في أول حضارتهم مصونة، محتشمة، فاستطاعوا أن يفتحوا الفتوح ويُوطّدوا أركان امبراطوريتهم العظيمة، فلما تبرجت المرأة وأصبحت ترتاد المنتديات والمجالس العامة وهي في أتم زينة وأبهى حلة فسدت أخلاق الرجال، وضعفت ملكتهم الحربية، وانهارت حضارتهم انهيارًا مريعًا».

ثم يسوق الدكتور/ مصطفى السباعي أدلة على ذلك من دائرة معارف القرن التاسع عشر قائلا: «كان النساء عند الرومانيين محبات للعمل مثل محبة الرجال له، وكن يشتغلن في بيوتهن ، أما الأزواج والآباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب وكان أهم أعمال النساء بعد تدبير المنزل الغزل وشغل الصوف ثم دعاهم بعد ذلك داعي اللهو والترف إلى إخراج النساء من خدورهن ليحضرن معهم مجالس الأنس والطرب، فخرجن كخروج الفؤاد من بين الأضالع، فتمكن الرجل لمحض حظ نفسه من إتلاف أخلاقهن وتدنيس طهارتهن وهتك حيائهن حتى صرن يحضرن المراقص ويغنين في المنتديات ، وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الأول في تعيين رجال السياسة وخلعهم ، فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدرى ولاتدرى، قد قام في اليونان حكماء نبهوا أمتهم أخطار التهاون في تبرج المرأة واختلاطها بالرجال »[2] .

انظر إلى أى مدى استطاعت المرأة أن تكون معول هدم وأداة تخريب لحضارة بلدها

---

(1) أهداف الأسرة المسلمة: حسين محمد يوسف / ص ٣٨ .

(2) المرأة بين الفقه والقانون / د. مصطفى السباعي / ص ١٨٧ ، ١٨٨ / الطبعة السادسة. الناشر المكتب الإسلامي .

بسبب إسرافها في الزينة وخروجها عن الفطرة التى فطرها الله عليها، ومخالطتها للرجال في كل ميدان من ميادين العمل، مما ترتب عليه فساد المجتمعات لأنه كلما ازداد الإنسان تحررًا من قيوده الفكرية كلما ازداد تمسكًا بغرائزه ، وهذا ما دفع الغربيين إلى الرذيلة لأنهم فهموا الحرية فهمًا خاطئًا فأطلقوا العنان للغرائز ، وقيدوا العقل ومن ثم كانت أوضاعهم مرببة للغاية، إذ انتشر البغاء بينهم علنًا، كما ازدادت نسبة الحوادث والاغتصابات للفتيات حتى أصبحت العفة هناك في خبر كان فإذا تزوج الشاب بالفتاة فوجدها ليلة زفافها عذراء سقطت من نظره لأن ذلك يدل على سذاجتها ورجعيتها فضلاً عن عزوف الشباب وزهدهم فيها، هذا ما أدى بليوبولد فايس أن يقول :

« إن العفاف والإحصان يصبحان مع الأيام خبرًا ماضيًا في الغرب الحديث»(١) .

ولقد ترتب على ذلك إشباع الغريزة الجنسية بطرق غير مشروعة مثل اتخاذ الأخدان والخليلات، والبغاء، والشذوذ الجنسي بما يندرج تحته من لواط وسحاق واستمناء ، وغير ذلك من الطرق التى ألفها أهل تلك البلاد الغربية ومن هم على شاكلتهم .

ولقد شجعهم على ذلك وجود الكتب الجنسية بين أيديهم، وكلها كتب تدعو إلى الجنس الرخيص وممارسته بأي الطرق المعلن عنها - في تلك الكتب - حتى لو كان ذلك على حساب صحة الأفراد وأخلاق المجتمعات، ونتج عن ذلك شيوع وانتشار الأمراض السرية التالية :

١- مرض السيلان :

وينتقل عن طريق الاتصال الجنسي المحرم أو المشبوه ينتج عنه التهاب حاد في الرحم والخصيتين، كما يؤدى إلى العقم والتهاب في المفاصل، كما يؤثر على المولود فيحدث في عينيه التهابات تؤدى إلى العمى .

يقول الدكتور/ نبيل صبحى الطويل عن سبب انتشار هذا المرض : « ويكثر عادة -

---

(١) المرأة والأسرة في الحضارة الغربية الحديثة / محمد عطية خميس/ ص ١٨ / دار الاعتصام .

السـيلان ـ في الأماكن التى يكـثر فيها الاتصـال الجنسـي المحرم ـ الزنـا ـ ولقد ارتفعت نسبة المرض في أوربا وأمريكا[1] ارتفاعًا كبيرًا في السنوات الأخيرة بالنسبة لما كانت عليه من خمسة عشر عامًا وذلك ناتج عن عدة عوامل:

أولها : ازديـاد نسبة الزنا خصوصًا في سنى المراهقة، وازديـاد الشذوذ الجنسي ومع أن البغاء مسئول عن نسـبة كبرى من الإصابات إلا أن الصلات الجنسية المحرمة السهلة الآن بين الهواة من الشباب والفتيات في سن مبكرة هي المسئولة الأولى عن ازدياد عدد الإصابات .

ثانيهما : ازديـاد نسـبة المصابات من النسـاء اللواتي يحملـن الجرثومة دون أن تظهر عندهن عوارض المرض .

ثالثهـا : ظهـور المقاومـة في جرثومـة السـيلان ضد الأدويـة المسـتعملة وخصوصًا البنسلين والمضادات الحيوية الأخرى[2] .

٢ـ مرض الزهري : «الأفرنجي» :

يقول الأسـتاذ / عبـد البـاقي رمضون : «وسمـى عاميًـا بـالأفرنجي لصـدوره عن المجتمعات الأفرنجية المختلطة المتبرجة، وينتقل بالاتصال الجنسي ـ الزنا أو التقبيل ـ المحرم ويسـبب التهابات جلديـة ومفصليـة وعظميـة وعضلية وقلبيـة وبطنيـة ورئويـة وكبدية وعينية وعصبية، وتخريبات في الجلد والوجه والأظافر واللسان»[3] .

يقول الطبيب الفرنسـي : «ليريـه»: « إنـه يموت في فرنسـا ثلاثون ألف نسـمة بـالزهرى ومـا يتبعـه من الأمـــراض الكثيرة كل عـام وهذا المـرض هو أفتك الأمراض بالأمة الفرنسية» [4].

---

(١) كان عـدد الإصابات في انجلترا عـام ١٩٥٤م (١٧٥٣٦) إصابة وأصبح في عـام ١٩٦٢م (٣٥٤٣٨) إصابة / عن كتاب التقدم الحديث في علوم الأمراض الزهرية ص ٢٢١ / تأليف امبروز كينغ نقلا عن الأمراض الجنسية / د. نبيل الطويل / ص ١٧ .

(٢) الأمراض الجنسـية / د. نبيل الطويل / ص١٨ / الناشر دار القادسية موسسة الرسالة .

(٣) خطر التبرج والاختلاط / عبد الباقي رمضون / ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٤) انظر دستور الأسرة في ظلال القرآن / أحمد فايز / ص ٢١٠ / الطبعة الأولى / موسسة الرسالة .

٣- مرض التقرحات الجنسية :

يقول الأستاذ / عبد الباقي رمضون: «ينتقل - هذا المرض - بالاتصال الجنسي المحرم ويسبب التهابات في العقد البلغمية القريبة من الأعضاء الجنسية قد يؤدى إلى خراجات قيحية مزمنة، والتهابات في المجارى البولية، وآلامًا مفصلية وتورمات في الأطراف»[١].

٤- مرض القرح اللين :

«ينتقل بالاتصال الجنسي المُحرم ، ويسبب تقرحًا مؤلمًا في الجهاز التناسلي قد ينتشر ليكتسح الجلد»[٢] .

٥- مرض النمو الحبيبي الالتهابي المغبني :

«ينتقل بالاتصال الجنسي المحرم، ويسبب التهابات في الجلد قريبًا من العانة، ويحدث تقرحات ذات إفرازات كريهة الرائحة ، وآلامًا وتشويهات في مكان الإصابة»[٣] .

٦- مرض «الاستافيلوكوك» :

ويصاب بهذا المرض أعضاء إدارة هيئة مستشفيات الأطفال ودور الحضانة وخاصة الممرضات وينتقل إلى الأطفال الذين يدخلون المستشفى ، وهؤلاء ينقلونه بدورهم إلى البيت لبقية أفراد الأسرة[٤] .

٧- مرض قئ الصباح:

«يصاب به الحُبالى من الزنى»[٥] .

٨ - مرض النفور من الأنوثة :

«يصاب به بعض الفتيات ، فتجدهن ينفرن من أنوثتهن، ويتمنين لو كنّ ذكورا، ويخشين ويشمأززن من اقتراب المرحلة النسوية (البلوغ) وهذا المرض يسبب اضرابات جسمية ونفسية وعصبية»[٦] .

---

(١) خطر التبرج والاختلاط / ص ١٢٢ .

(٢، ٣) نفس المرجع ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٤، ٥، ٦) نفس المرجع السابق ص ١٢٢، ١٢٣ .

٩- مرض الشذوذ الجنسي :

اللواط، السحاق، «واللواط شذوذ جنسي أصاب قديمًا قوم لوط وأطلق عليه اسم الحب الشاذ وقد حكم على مرتكبيه في إنجلترا أن يدفن حيًا أو يلقى في مخزن الحطب المستعر »[١] .

«وهذا المرض منتشر في عصرنا أكثر مما يخطر ببال الكثير من الناس، فهناك نصف مليون من الرجال والنساء المصابين بهذا الشذوذ في مدينة «نيويورك» إحدى مدن أمريكا وحدها، وهؤلاء علنيون مجاهرون محترفون، أما المستترون والمتخفيون فلا يعلم عددهم إلا الله ...»[٢] .

يقول الدكتور/ على مطاوع : « أما الشذوذ الجنسي في الرجال أو اللواط نسبة إلى قوم لوط فهو إتيان الرجل شهوة من دون النساء ، وقد أثبتت الأبحاث الطبية أن أكثر من ٧٠٪ من هؤلاء الناس يصابون بمرض «نقص المناعة المكتسبة»[٣] .

ويؤثر هذا المرض في نفسية فاعليه إذ أنهم يشعرون بأنهم تعساء في واقعهم الاجتماعي وفي حياتهم الزوجية فضلا عن أنه يجعلهم عكس غيرهم من عامة الناس ومن ثم يتضح لنا الحكمة التشريعية من تحريم اللواط والشذوذ الجنسي.

١٠- مرض النضج الجنسي المبكر:

يصاب به بعض الأولاد نتيجة لتهيّج الغريزة قبل أوانها واستثارة الغريزة قبل اكتمال غددها وأعضائها ، ويسبب تشوهات بدنية، وأمراضًا عصبية ونفسية، وينتج عن كثرة مشاهدة الأفلام الجنسية مما يؤدى إلى تهييج الغريزة في غير موعدها الطبيعي، ومن ثم يضطر الأولاد الصغار يبحثون عن سبب نشأتهم وكيف أتوا إلى الحياة، وبأى طريقة .. إلى غير ذلك من الأسئلة الجنسية الحرجة التى ربما لا يجدون لها جوابًا فعييهم الحل فلا يجدون بديلاً غير خوض التجربة وهم في حالة لا تمكنهم من ممارستها، والأدهى في الأمر أنهم يجدون الملاذ والطريق أمامهم ميسورًا في كل مكان يحلون فيه،

(١) انظر كتاب ضمان الجنس في الإسلام / سليمان يحفوفي / ص ٤٩ .
(٢) نفس المرجع السابق/ ص ١٢٣ .
(٣) مدخل إلى الطب الإسلامي / أ. د. على محمد مطاوع / ص ١٥٧ / الناشر مطبعة نهضة مصر .

في الشارع ، وفي المدرسة المختلطة، وفي الجامعة، وفي المنتديات ، وأينما حلوا ورحلوا يجدون مرتعًا خصبًا لتهيج الغريزة الجنسية فيهم، وترتب على ذلك انتشار الجرائم المتعددة في الأوساط التعليمية وغيرها ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١ـ في بريطانيا :

وافق مجلس العموم البريطاني على قانون يبيح الشذوذ الجنسي وارتكاب الزنا بين أفراد الشعب، ولم ير المجلس غضاضة في ذلك ولا عار، حتى ولو كان هذا الأمر بين كبار رجال الدولة .

يقول الأستاذ/ حسين محمد يوسف: «لقد زادت حالات الحمل بين طالبات المدارس زيادة كبيرة مما اضطر المستر «كيث جوزيف» وزير الخدمات الاجتماعية أن يعلن أن الحكومة البريطانية قد اعتمدت مبلغ مليون ونصف مليون جنيه استرليني لتقديم الوسائل المجانية لمنع الحمل لطالبات المدارس البريطانية، بعد تزايد الحمل بينهن واشترطت الوزارة للمستفيدة من هذ الاعتماد تقديم موافقة ولي الأمر»[1] .

٢ـ في ألمانيا الغربية :

لقد حاول الإنجليز والأمريكان بصبغ المجتمع الألماني بظاهرة الإباحية والتحلل والعمل على تحطيم الأسرة الألمانية ، وذلك بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية مما اضطر البرلمان الألماني في ألمانيا الغربية إلى الموافقة على ما يلي :

سن قانون بإجراء تعديلات خطيرة في القوانين المتعلقة بالجنس وكان ذلك في يونية سنة ١٩٧٣م وتضمن هذا القانون ما يلي :

١ـ «رفع الحظر عن تبادل الزوجات» .

٢ـ إباحة ممارسة الشذوذ الجنسي بموافقة الطرفين بين الرجال ابتداء من سنة ١٨ سنة بدلا من ٢١ سنة .

٣ـ السماح ببيع مطبوعات الجنس الفاضحة لأي مواطن جاوز عمره ١٨ سنة[2] .

٤ـ «موافقة البرلمان الألماني على أباحة عمليات الإجهاض واستخدام أحدث

---

(١) أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة / حسين محمد يوسف / ص ١٢٤ ، ١٢٥، وقد نشر هذا المقال في جريدة الجمهورية بتاريخ ٢٦ / ٢ / ١٩٧٢ .

(٢) جريدة الجمهورية ٢٦/ ٢ / ١٩٧٢م نفس المرجع السابق .

وسائل منع الحمل »[1] .

٣ـ في أمريكا :

قرر الأستاذ / بتريم ساروكين مدير مركز الأبحاث بجامعة هارفارد في كتابه الذي صدر أخيرًا تحت عنوان «الثورة الجنسية» ما يلي :

« إن أمريكا سائرة بسرعة إلى كارثة في الفوضوية الجنسية، كما أنها متجهة إلى الإتجاه الذي أدى إلى سقوط الإمبراطورية الإغريقية ، ثم الإمبراطورية الرومانية في الزمان القديم، كما يقول في هذا الصدد إننا محاصرون من جميع الاتجاهات بتيار مطرد من الجنس يغرق كل غرفة من بناء ثقافتنا وكل قطاع من حياتنا العامة»[2] .

ولقد نجم عن ذلك ما يلي :

١ـ إن ٩٠ في المائة من الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي ، وأن ٤٠ في المائة من الرجال مصابون بالعقم، وقال الدكتور / جون كيشلر ـ أحد علماء النفس الأمريكيين ـ إن الإعلانات التى تعتمد على صور الفتيات العارية هي السبب في هبوط المستوى الجنسي للشعب الأمريكي .

ومن شاء المزيد فليرجع إلى تقرير لجنة الكونجرس الأمريكي لتحقيق جرائم الأحداث في أمريكا ، والذي نقلته مجلة التحرير العدد ٢٣٤ تحت عنوان «أخلاق المجتمع الأمريكي منهارة» وهو يشير إلى ارتفاع نسبة تعاطي المخدرات بين الأحداث، وانتشار الحانات التى تقدم الخمور وكتب الجنس وقصص الجنس وأفلام الجنس، وانتشار نوادي العراة بكثرة على الشواطئ الشرقية خاصة .

وانتهت اللجنة إلى إباحة الشذوذ الجنسي بعد الواحدة والعشرين[3] .

(٢) ذكر الشهيد سيد قطب في كتابه «الإسلام والسلام العالمي» :

أن نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في أمريكا بلغت في إحدى المدن ٤٨

---

(١) جريدة الأهرام ٢ / ٦ / ١٩٧٤م نفس المرجع السابق .

(٢) المرأة المسلمة/ الشيخ حسن البنا / رسالة المجتمع المختلط / د. محمد محمد حسين / ص ١٤٥ .

(٣) نفس المرجع السابق/ ص ١٤٥ .

في المائة » .

يقول الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان في كتابه « تربية الأولاد في الإسلام» : «نقلت جريدة الأحد اللبنانية في العدد (٦٥٠) عن الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية ما يلي : «الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية بين الطلاب والطالبات تتجدد وتزداد كل عام، إن الطلاب يقومون بمظاهرة في جامعات أمريكا يهتفون فيها نريد فتيات .. نريد أن نرفه عن أنفسنا، هجوم ليلى من الطلاب على غرف نوم الطالبات ، وسرقة ثيابهن الداخلية، وقال عميد الجامعة معقبًا على الحدث: إن معظم الطلاب والطالبات يعانون جوعًا جنسيًا رهيبًا، ولاشك أن الحياة العصرية الراهنة لها أكبر الأثر في تصرفات الطلاب الشاذة .

وتمضى الجريدة في سرد الإحصائيات قائلة : «ودلت الإحصائيات في العام الماضى على أن ١٢٠ ألف طفل أنجبتهم فتيات بصورة غير شرعية لا تزيد أعمارهن على العشرين، وأن كثيرات من طالبات الجامعات والكليات ، كما نقلت الجريدة عن المربية الاجتماعية «مرغريت سميث» حديثًا قالت فيه : « إن الطالبة لا تفكر إلا بعواطفها، والوسائل التى تتجاوب مع هذه العاطفة، إن أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في الامتحانات، وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن ، وإن ١٠ بالمئة منهن فقط مازلن محافظات »[١] .

ولقد ذكر جورج بالوشى في كتابه «الثورة الجنسية» ما يلي :

«وفي سنة ١٩٦٢م صرح كينيدى بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لايقدر المسئولية الملقاة على عاتقه، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التى أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية»[٢] .

ولو أردنا حصرًا واستقصاءً للجرائم التى تنجم بسبب الاختلاط والإباحية المطلقة لاحتجنا في سردها إلى أسفار طوال، ومن ثم أكتفى بهذا القدر الذي يبرهن بلا ريبة

(١) نقلا من كتاب / تربية الأولاد في الإسلام / عبد الله ناصح علوان / جـ١ / ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .
(٢) نفس المرجع السابق/ ص ٢٨٢ .

أن الفساد في المجتمعات الغربية ناجم عن الاختلاط وإطلاق العنان للغرائز والشهوات تحت ستار حرية المرأة ، وتلك حرية مزيفة، لأنها أدت إلى استعباد المرأة وليس إلى حريتها، وهذا ما حاول دعاة التحرر وأعداء الفضيلة أن يُوقعوا فيه المجتمع العربي عمومًا، والمصري على وجه الخصوص .

ومن ثم نستطيع أن نرد على أدعياء التحرر من قولهم :

« إن الاختلاط يولد نوعا من الألفة لايكون للشهوة أثر فيه .... »(١) .

وغير ذلك مما سقناه آنفا في صدر هذا الفصل، بما سقناه من أدلة من واقع المجتمعات المختلطة وما جناه الاختلاط عليهم من بلاء وأمراض لاتحمد عقباها .

ولو كان الاختلاط يحد من الشهوة كما يزعمون، لكان أولى بتلك المجتمعات أن لا يحدث فيها ما حدث، ولكن ماذا نقول لمن امتلأت صدورهم حقدًا وكراهية للإسلام والمسلمين؟ ليس لنا من سلوى سوى أن نردد قول الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٢) .

موقف الإسلام من الاختلاط:

لما كانت المرأة مطمع الأنظار ومظنة الشهوة، حرص الإسلام على صيانتها من أن تلوكها الألسنة، أو تقع فريسة في أيدي الذئاب البشرية، فمنع اختلاطها بالرجال حفاظًا على الفروج والأعراض وصيانة للمجتمع من التحلل الخلقي، والسقوط في مهاوى الرذيلة ، وأغلق المنافذ أمام كل ذي غرض أو هوى دنيء، اتقاءً للأضرار التى تنجم عن تيار الإباحية المطلقة الذي يجتاح شباب الأمة ونساءها فإذا بهم لا يقيمون للأخلاق وزنًا ولا للفضيلة اعتبارًا، فاندثرت أخلاقهم، وضاع حياؤهم ، وتهدم بنيانهم من أساسه، وكما أثبتنا في خلال الصفحات السابقة كيف استبد الجنس بالغربيين؟ فأدى إلى تشرد الأطفال وتهتك النساء، وفجر الشباب، وضياع القيم الإنسانية لدى الشعب الذي أضحى متبلدًا .

---

(١) قاسم أمين / المرأة الجديدة / ص ٧٣ .

(٢) سوررة الصف الآية (٨) .

وما قيمة هذا المجتمع الذي استبدت به نار الشهوة، واستحوذ عليه سُعار الغرائز ، فلا يعرف غير الجنس واللذة المحرّمة ، ولاهمّ له سوى الغريزة والشهوة الهابطة؟

إنه مجتمع منحل متفكك مهدد بالزوال والفناء لاشك في ذلك ..

وصدق العليم بخفايا النفوس والخبير ببواطن الأمور، إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[1] .

ومن ثم يتدخل الإسلام بالعلاج الناجع، ووضع الضوابط التى تكفل للمجتمع الأمن والأمان ، وتصونه من الوقوع في مهاوى الرذيلة .

فماهي تلك الضوابط التى وضعها الإسلام منعًا للاختلاط وصيانة للمجتمع من اختلاط الأنساب وضياع النسل؟ إنها تتمثل فيما يلي :

١ـ الأمر بالزواج :

لما كان الزواج حصنا للإنسان من الوقوع في العنت وسببًا في الحفاظ على النوع الإنساني والحفاظ على الأنساب والحفاظ على المجتمع من التحلل الاجتماعي وحفاظًا للمجتمع من الأمراض السارية والأوبئة الفتاكة أمر الإسلام من تاقت نفسه إليه ووجد مؤنته أن يُقدم عليه دون تردد، قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] .

وقال ﷺ : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[3] .

٢ـ الأمر بغض البصر والعفة:

لما كان النظر بريد الشهوة والوقوع في الزنا، أمر الإسلام بغض البصر من كلا

---

(١) سورة الاسراء : الآية ١٦ .

(٢) سورة الروم: الآية ٢١ .

(٣) صحيح البخاري/ جـ٢ / ص ٩/ باب: من لم يستطع الباءة فليصم / كتاب النكاح طبعة الشعب، صحيح مسلم ، جـ٢ / ص ١٠١٨ / جـ٢ / ١٠١٨ ، ١٠١٩ / كتاب النكاح / باب استحباب لمن تاقت إليه نفسه ووجد مؤنه .

الطرفين ـ الذكر والأنثى ـ قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[١] .

وقال ـ جل شأنه ـ في نفس السورة :

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٢] .

قال ﷺ لعلي بن أبى طالب رضى ا لله عنه :

« يا علي لاتتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»[٣] .

٣ـ الأمر بستر العورات مع عدم إبداء الزينة :

لما كانت المرأة مطمع الأنظار من الآخرين لما رُكب في جسدها من عناصر الإغراء والجذب، أمرها الإسلام بستر جسدها، وعدم إبداء زينتها، والاستحياء من ا لله في معاملاتها وعدم الخنوع والتصنع بالحركات أو الكلام مع الآخرين .

قال تعالى في كتابه المجيد :

﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[٤] .

كما قال جل شأنه :

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ﴾[٥] .

كما قال عز وجل :

﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ

---

(١) سورة النور: الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

(٢) سورة النور: من الآية ٣٣ .

(٣) صحيح مسلم / حـ٣ / ص ١٦٩٩ .

(٤) سورة النور : من الآية ٣١ .

(٥) سورة الأحزاب: من الآية ٥٩ .

﴿الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا﴾[1] .

- روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أن النبي - ﷺ - قال : «المرأة عورة »[2] . ولاشك أن هذا الحديث عام لجميع النساء وليس خاصًا بنساء النبي - ﷺ - وكذ الآيات السابقة .

٤- تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية ومنع الاختلاط بها :

حرم الإسلام الخلوة بالمرأة الأجنبية سدًا للذريعة ومنعًا للفساد، لأن الغريزة دائمًا تستيقظ في الخلوة ، ومن ثم نرى القرآن الكريم يحدثنا عن تلك التجربة التى تعرّض لها سيدنا يوسف عندما كان في بيت عزيز مصر، إذ تعرض للفتنة المغرية من زوجته ..

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾[3] .

قال - ﷺ - :« ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما» .

كما حرم الإسلام اختلاط المرأة بالرجال في الحفلات العامة أو المنتديات وغيرها من الأماكن التى تدعو إلى الريبة ووقوع الفتنة .

عن أسامة بن زيد - رضى الله عنه - قال: قال رسول ا لله - ﷺ - « ما تركت بعدى فتنة هي أضر على الرجال من النساء »[4] .

كما منع الرسول - ﷺ - الدخول على النساء، إذا أدى إلى الخلوة أيضًا حتى ولو كان ذلك من أقارب الزوج .. قال - ﷺ -: « إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: يارسول الله أفرأيت الحمو؟ قال - ﷺ - الحمو الموت»[5] .

---

(١) سورة الأحزاب : من الآية ٣٢ .
(٢) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة الحنبلي /جـ١ / ص ٦٢٣ / ط دار المنار سنة ١٣٤٨هـ .
(٣) سورة يوسف : الآية ٢٣ .
(٥) رواه مسلم / جـ٤ / ص ٢٠٩٧ .
(٦) أخرجه البخاري / جـ٧ / ص ٤٨ ، ومسلم / جـ٤ / ص ١٧١١ عن عاقبة بن عامر .

والحمو أخ الزوج وما أشبهه من أقاربه .

كما نهى الإسلام أن تسافر المرأة إلا مع ذي محرم .. عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذو محرم »(١) .

قال الشيخ / عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام : « والرجل حينما يخلو بالأجنبية يكون معرضًا لفتن الشيطان ووساوسه .. وقد أجمع المسلمون أنه لا يجوز السفر للمرأة بدون محرم، إلا على وجه تأمن فيه ، ثم ذكر كل منهم الأمر الذي اعتقده، صائنا لها وحافظًا، من نسوة ثقات، أو رجال مأمونين، ومنعها أن تسافر بدون ذلك»(٢) .

كما نهى النبي - ﷺ - المرأة عن أن تختلط بالرجال حتى في أماكن العبادة فإذا أجاز لها الإسلام أن تحضر صلاة الجمعة والجماعات اشترط في ذلك أن يكون مكانها منفصلاً عن الرجال ..

عن أبي أسد الأنصاري أنه سمع النبي - ﷺ - يقول وهو خارج المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء : « استأخرن فإنه ليس لكنّ أن تحققن الطريق - أي تسرن في وسطها - عليكن بحافات الطريق، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به »(٣) .

يقول الأستاذ / أبو الأعلى المودودي : « وإنه ليتضح من هذه الأحكام أن المجالس المختلطة من الرجال والنساء لا تتفق بحال مع طبيعة الإسلام ومزاجه، فالدين الذي لايسمح باختلاط الجنسين للعبادة في مواضعها، هل لأحد أن يتصور أنه يبيح الاختلاط بينهما في الكليات والمكاتب والمجالس والنوادي الساهرة؟»(٤) .

إلى غير ذلك من مواطن الريبة والفساد وما أكثرها في زماننا هذا .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه / جـ٢ / ص ٩٨٥ .
(٢) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام / عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام / جـ٢ / ص ٣٠ - ٣٢ الطبعة السادسة سنة ١٩٨٤م / مكتبة النهضة الحديثة بمكة .
(٣) مختصر سنن أبي داود / جـ٨٢ / ص ١١٧ .
(٤) تفسير سورة النور / الأستاذ / أبو الأعلى المودودي / ص ١٧٧ - ١٧٨ / دار الاعتصام .

٥- النهى عن الاستعطار ونعت المرأة للمرأة :

قال - ﷺ - : « إذا ستعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي كذا وكذا قال قولاً شديدًا » ولفظ النسائي: فهي زانية(١) .

يقول الدكتور / عمارة نجيب:« وليس ذلك اعتداءً على حقها في الحرية ، فالحرية للعقل لا للحيوان ، للفضيلة لا للرذيلة ، ولا شك أن ريح المرأة يثير لدى الشباب الرغبة الحيوانية في ممارسة الجنس، ويحيي فيهم مانام من الشهوة»(٢) .

كما نهى النبي - ﷺ - أن تصف المرأة لزوجها امرأة أخرى وتظل تعدد محاسنها حتى ليبدو له صورتها أمامه فيقع في ارتكاب الإثم، أو يقع حبها في شغاف قلبه .

قال - ﷺ -: « لاتباشر المرأة المرأة لتنعتها لزوجها، كأنما ينظر إليها»(٣) .

انظر إلى هذا الضمان الذي وضعه الإسلام لسعادة الزوجين وصدق ا لله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(٤) .

وقارن بينه وبين نظام الزواج الجماعي في الغرب أو اتخاذ الخليلات أو زواج التجربة ستجد البَوْن شاسعًا بين تعاليم الإسلام التى توصد الأبواب أمام كل مُحَرَّم يؤدى إلى الفرقة وشتات الأسرة، وتحلل المجتمع وضياع الكرامة والمروءة وبين تعاليم الغرب التى تبيح هذا الصنيع الذي وقف أمامه الإسلام بالمرصاد، ثم قارن بين حياة الأسرة لدينا بما وضع لها الإسلام من ضمانات، وحياة الأسرة لدى الغرب المتحلل الذي ترك لها الحبل على الغارب، ستجد لسان حالك يقول : الحمد لله الذي جعلنا مسلمين .

---

(١) مختصر سنن أبى داور / جـ٦ / ص ٦٠ .

(٢) محاضرات في النظم الإسلامية / د. عمارة نجيب / ص ٢٢٣ / الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ م .

(٣) مختصر أبي داود /جـ٢ / ص ٢٤٦ ، أخرجه البخاري والترمذي والنسائي .

(٤) سورة الروم: من الآية ٢١ .

٦ـ الأمر بالاستئذان عند دخول البيوت :

قال تعالى :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١) .

وقال ـ ﷺ ـ :«من أُطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه»(٢).

والحكمة من الاستئذان ، منعا لشيوع الفاحشة في المجتمع، وسد باب الذرائع.

يقول الأستاذ/ محمد على الصابوني: « ولما كان الزنى طريقه النظر، والخلوة، والاطلاع على العورات.. وكان دخول الناس في بيوت غير بيوتهم مظنة حصول ذلك كله، أرشد الله ـ عز وجل ـ عباده إلى الطريقة الحكيمة التى يجب أن يتبعوها إذا أرادوا دخول هذه البيوت حتى لا يقعوا في ذلك الشر الوبيل ، والخطر الجسيم، الذي يقضى على أواصر المجتمع، ويدمر الأسر، ويشيع الفحشاء بين الناس »(٣) .

٧ـ النهى عن إشاعة الفاحشة :

يحرص الإسلام على سلامة بنيان أفراده من الوقوع في محرم، حتى لا تشيع الفاحشة في المجتمع، ومن ثم نراه يصور لنا العقاب الشديد لأمثال هؤلاء الذين يقومون على إشاعة الفاحشة، ونشر التحلل الخلقي في المجتمع .

قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٤) .

---

(١) سورة النور: الآية ٢٧ .

(٢) صحيح مسلم / جـ ٣ / ص ١٦٩٩ .

(٣) تفسير آيات الأحكام / محمد على الصابوني / جـ٢ / ص ١٢٩ / الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٠م / الناشر / مكتبة الغزالي / دمشق .

(٤) سورة النور الآية ١٩ .

وأي طريق لإشاعة الفاحشة حرمه الإسلام، سواء كان عن طريق الكلمة أو الفرج، أو نشر الصور العارية عن طريق المجلات والسينما وغير ذلك باسم الفن .

يقول الشيخ أبو الأعلى المودودى بعد أن ساق هاتان الآيتان اللتان نزلتا بخصوص من يشيع الفاحشة في الذين آمنوا :

« إن المفهوم المباشر لهاتين الآيتين باعتبار سياقهما هو أن الذين يختلفون مثل هذه الاتهامات الكاذبة ويعملون بنشرها على إشاعة الفاحشة في المجتمع ووصم أخلاق الأمة المسلمة يستأهلون العقاب، إلا أن ألفاظ القرآن شاملة لجميع صور الفاحشة والانحلال الخلقي، فهي تنطبق كذلك على إنشاء دور للفاحشة والبغاء، وما يرغب الناس فيها ويثير غرائزهم الدنيئة من القصص والروايات والأشعار والغناء والصور والألعاب والمسارح والسينما، كما هي تنطبق كذلك على المجالس والنوادي والفنادق التى يعقد فيها الرقص والطرب، يشترك فيه الرجال والنساء على صورة خليعة مختلطة، فالقرآن يصرح بأن هؤلاء جميعًا من الجناة يجب أن لاينالوا عقابهم في الآخرة فقط بل في الدنيا كذلك، فمن واجب كل دولة إسلامية أن تبذل جهدها في استئصال جميع هذه الوسائل والأسباب لإشاعة الفاحشة، وتقرر جميع هذه الأفعال ـ التى يعدها القرآن جرائم بالنسبة لعامة الناس ويحكم بالعذاب على الذين يأتونها ـ جرائم مستلزمة للعقوبة تؤاخذ عليها الناس محكمتها وشرطتها[1] ... أي على رجال الأمن والقانون أن يطبقوا عليهم تعاليم الإسلام حتى لايستشري الفساد في المجتمع .

أو بعد هذا البيان بيان ؟

إنه الإسلام الذي يضع الضوابط والضمانات التى تكفل للمجتمع سلامته وللأفراد سعادتهم إذا عاشوا تحت ظلاله الوارفة ، وإذا حدث خلل في المجتمع وارتكب أحد أفراده جريمة فما موقفه؟ إن الإسلام يتدخل أيضًا في تحديد العقوبة حتى لايترك المجال للفساد ينخر في عظم الأمة، فيعم البلاء وآنذك لانستطيع استئصال الداء من منبعه الأساسي .

أرأيت كيف وضع الإسلام الضمانات التى كفلت للمجتمع المسلم أمنه

---

(١) تفسير سورة النور / أبو الأعلى المودودي / ص ١٣٢ ـ ١٣٣ / الناشر دار الجهاد .

واستقراره؟ فما هي العقوبات التى وضعها لمن يرتكب جرما نهى عنه الإسلام؟

إن الإسلام وضع لكل جريمة قدرها من العقاب، فأمر بقطع يد السارق وجلد شارب الخمر، ورجم الزاني المحصن ، وجلد غير المحصن وتغريبه ، وجعل حد القذف -الرمي بالزنا للمحصنة - ثمانين جلدة ، .. إلى غير ذلك من العقوبات التى وضعها الإسلام لمرتكبي الجرائم .

ولسائل أن يسأل لماذا وضع الله تلك العقوبات بعد أن وضع الضمانات التى تكفل للمجتمع أمنه وسلامته؟

وللإجابة على هذا التساؤل أقول: « إن الإسلام عندما يحرم شيئا لايكتفى بتحريمه فحسب، بل إنه يغلق الأبواب الموصلة لارتكاب الجرم ذاته، ومن ثم فإننا نرى الشريعة الإسلامية عندما تحرم الجريمة تحرم معها أسبابها، ودوافعها ، ووسائلها، ولاتكتفى الشريعة بذلك، حتى لايقف الناس أمامها مكتوفى الأيدى، بل إنها تنصح الفرد قبل أن يقترب من ارتكاب الإثم، وتساعده على إيجاد الحلول لكل مشكلة تعتريه، حتى لايقع فريسة للأهواء، ومن ثم يتضح لنا موقف الشريعة الإسلامية من الجرائم، فهي إذ تضع العقوبات بعد الضمانات فهدفها مصلحة الفرد والمجتمع حتى لايشيع الفساد، ويعم البلاء ولاينفع الدواء، وآنذاك إذا وصلنا إلى تلك الهوة السحيقة التى وصل إليها الغربيون لن نجد حلا ينقذنا ، كما لم يجد هؤلاء الحل الذي ينقذهم من البلاء الذي حل بهم ، ونندم كما ندم غيرنا ولات ساعة مندم، وإنني قبل أن أنتقل إلى نقطة تالية أهمس في أذن كل أب أن يحافظ على أسرته من التحلل وأهيب بكل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي أن يحافظ على كرامته فلا يدع الطريق معبدًا لانتشار الفساد، بل يأخذ بيد أخته وابنته وزوجه على طريق الجادة وصدق ربنا إذ يقول جل في علاه :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾(١).

ولن يصلح الله أحوالنا إلا إذا أصلحنا أنفسنا، ولن يغير الله من حالنا إلا إذا غيرنا من حال مجتمعنا وصدق الله إذا يقول أيضًا:

---

(١) سورة التحريم : الآية ٦ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾(١) .

ب ـ **المطلب الثاني:** خروج المرأة للعمل وتقليدها للمرأة الغربية :

انتقل أدعياء التحرر من دعوة المرأة لرفع الحجاب، وكشف وجهها واختلاطها بالرجال في كل مكان بحجة التعليم ومساواتها بالرجال إلى غير ذلك من الدعوات الهدامة التى أثاروها، والتى سقنا طرفًا منها آنفًا في المطلب الأول، ليصلوا بعد ذلك إلى السيطرة التامة على المرأة حتى تصبح لقمة سائغة في أيديهم، فإذا بالدعوة إلى العمل وتقليد المرأة الغربية، على أن ذلك قمة التقدم والتحضر، فضلا عن أنه لاسبيل لحل مشاكلنا الإجتماعية إلا بمساواة المرأة بالرجل، وإخراجها من ظلمات العصر القديم إلى نور عصر المدنية والتقدم وقد تمثلت مطالبهم فيما يلي:

١ـ أن المرأة نصف المجتمع، فكيف نعطل هذا النصف من الإنتاج؟

٢ـ أن عمل المرأة يوسع آفاقها وينمي شخصيتها ويقيها من السأم الذي يحدث لها نتيجة فراغها الطويل وجلوسها بين أربعة جدران ، فضلا عن أن عمل المرأة يجد للأمة وعدم عملها لايتمشى مع روح العصر، وذلك يعنى قصر حرية المرأة .

تلك بعض الشبهات التى أثارها أدعياء التحرر بالنسبة لعمل المرأة ...

وأود بشيء من التعقل والتروي أن أناقش تلك الشبهات مبينًا مدى صحتها من عدمه شافعًا كلامي ما أمكن بالدلائل العقلية والنقلية حتى نقف على سبر أغوار هذا الموضوع الخطير الذي يهدف الأدعياء من ورائه ذل المرأة المسلمة، وتحطيم بكارتها، إنهم يريدونها ذليلة مهانة والإسلام يريدها كريمة مصانة، فهل ياترى إلى أي المسلكين تسير إلى الإسلام أم إلى الدعوات الهدامة؟ هذا ما سنكشف عنه من خلال سردنا لواقع المرأة على مر العصور والأزمان .

وقبل مناقشة هذه الشبهات أود أن أذكر شيئًا يسيرًا عن تعليم المرأة ، طالما أنهم قد ربطوا تعليمها بحريتها وخروجها للعمل .

---

(١) سورة الرعد : الآية ١١ .

فما موقف الإسلام من تعليم المرأة ؟

إن الإسلام نظر إلى العلم على أنه وسيلة من وسائل التهذيب، وطريق لرقى المجتمعات والأمم، ومن ثم نراه يجعل العلم فريضة من الفرائض الأساسية التى لا قيام لحياة الإنسان بدونها .

إلا أن ديننا الإسلامي قسم العلم إلى قسمين قسم جعله فرض عين على كل إنسان رجلا كان أو امرأة صغيرًا كان أو كبيرًا، عاملاً أو موظفًا إلى غير ذلك من أفراد الأمة الإسلامية . ويندرج تحت هذا القسم تعليم أفراد الأمة تلاوة القرآن ، وأحكام العبادات ، ومبادئ الأخلاق الأساسية، ومسائل الحلال والحرام وقواعد الصحة العامة، وكل ما يحتاجه المسلم في أمر دينه ودنياه ويأثم الجميع إذا لم يحرصوا على هذا العلم.

والقسم الثاني : وهو فرض الكفاية إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين وإذا لم يقم به أحد فالمجتمع كله آثم .. ويندرج تحته علم الزراعة ، والصناعة والتجارة، والطب، والهندسة، والكهرباء، والذرة، ووسائل الدفاع، وغيرها من العلوم التى تعود على المجتمع بالنفع العام .

وهذا العلم من قبيل فرض الكفاية، بمعنى أنه يكفى أن يكون هناك طبيب في كل بلد، وكذا مهندس وغير ذلك.. ولكن لايكفى أن يكون في كل بلد عالم واحد بالحلال والحرام ...

ومن ثم يطفو على ساحة البحث هذا السؤال :

ماذا تتعلم الفتاة ـ المرأة ـ من هذه العلوم كلها ؟

إن أول واجب عليها أن تتعلم ما يهذب خلقها، ويصفى نفسها، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفتها العقائد الصحيحة والتعاليم الدينية الرشيدة ، وكل ما ينير ذهنها، ويوثق رابطتها بما حولها من شئون الحياة.

هذا والمرأة أمام العلم لها مهمتان: يقول الأستاذ/ عبد المتعال الجبري: ما تتعلمه المرأة نوعان :

الأول: فرض عين: وهو الذي به تصح عبادتها وعقيدتها وسلوكها، وتحسن به

تدبير منزلتها وتربية أولادها إن كان العرف يلزم أمثالها التدبير والتربية(١) .

الثاني : فرض كفاية: وهو ما تحتاج إليه الأمة من طبيبات لأمراض النساء والطفولة وغير ذلك من التخصصات التى لا غنى عنها بالنسبة لمعالجة المرأة للمرأة حتى لاتضطر إلى الذهاب إلى طبيب، وكذا عليها أن تتعلم وسائل التربية لتقوم بمهمة تربية النشئ ولاسيما تعليم البنات في مدارسهن، كما يجب عليها أن تتعلم ما يمكنها من أمور التعبئة العامة حتى إذا استدعى الأمر لاحتياجها وقت الحرب تكون مجهزة بما يمكنها من القيام بواجب الدفاع عن دينها أولا ووطنها ثانيًا .

وليس هذا الأمر بغريب على الإسلام، فلقد كان عصر النبوة وما تلاه من عصور الصحابة عصر جهاد وغزوات متتالية لرفع راية الإسلام، وكان للمرأة دور بارز إبّان تلك الحروب والغزوات في صدر الإسلام، فضلا عن دورها في مجال الدعوة والعلم والتعلم والمعاملات والحرف وغير ذلك مما قامت به المرأة .

ولنمض مع تلك العصور المشرقة التى أبلت بلاءً حسنًا في صدر الإسلام لنتعرف على دور المرأة في زمن رسول الله ـ ﷺ ـ .

ونترك المجال لسنة رسول الله ـ ﷺ ـ لتكشف لنا اللثام عن هذ الأمر الجد :

أولا: مجال المرأة في الدعوة إلى الإسلام :

لقد تحملت المرأة في صدر الإسلام أعباء الدعوة إلى الله وتمثل ذلك في إيمانها بالرسالة من جانب ومواساتها بالمال من جانب آخر ويبرز هذا الأمر جليًا في موقف السيدة خديجة ـ رضوان الله عليها ـ مع رسول الله ـ ﷺ ـ حين قال في فضلها : «آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستنى بمالها إذ حرمني الناس»(٢) .

وننتقل من زوجته إلى ابنته رقية لنرى موقفها من الهجرة هي ومن معها من نساء المؤمنين :

---

(١) المرأة في التصور الإسلامي / عبد المتعال الجبري / ص ٦٥ / الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥م/ الناشر مكتبة وهبة.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة / شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني / جـ٤ / ص ٣٢٢ الناشر دار الكتاب العربي بيروت .

يقول ابن هشام : « وهذه رقية بنت رسـول ا لله كانت من أوائـل من هاجر من المدينة المنورة إلى الحبشة وكان معها جملة من نساء المؤمنين»[١] .

وعندمـا أراد النبي ـ ﷺ ـ أن يهـاجر من المدينـة المنورة إذ كانت الهجـرة فاتحة عهد جديد للإسلام والمسلمين، كان للمرأة دور بارز أيضا في مؤازرتها لرسول ا لله ـ ﷺ ـ.

فهـا هو التـاريخ يقص لنـا مـا حدث من أسماء بنت أبـى بكر الصديق ـ رضى ا لله عنهما ـ عندما وضعت الطعام لأبيها ولرسول ا لله ـ ﷺ ـ فقال: فشقيه فاربطي بواحد السقاء وبالآخر السفرة ففعلت، فلذلك سميت بذات النطاقين[٢] .

ولقد كان للمرأة قصب السبق في مبايعة النبي ـ ﷺ ـ ودخولهن الإسلام .

يقول ابـن سـعد فيما روتـه أم عـامر الأشـهلية : « أنهـا جاءت وفلانـة .. ملفعات بمروطهن بين المغرب والعشاء قالت: فسلمت : أي على النبي ـ ﷺ ـ ونسبني فانتسبت ـ ونسـب صاحبتي فانتسـبن ، فرحب بنا ، ثم قال: مـا حاجتكن؟ فقلنا: يارسول الله : جئنـا نبايعك على الإسـلام ، فقال : « الحمد لله الذي هداكـن للإسـلام » ثم قال : «قد بايعتكن»[٣] .

ولقـد كان النـبي ـ ﷺ ـ يبـايع النسـاء فمـا تمس يده امـرأة قط ولكن السـلام كان بتحيـة الإسـلام حتى لا يظـن ظان أن المصافحـة للنسـاء الأجنبيـات حلال أخذًا بهذا الحديث، ولكن المقصود بالسـلام التحية وليست المصافحـة كما روت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ .

وإذا انتقلنا من دور المرأة في نشـر الدعوة الإسـلامية سـواء كـان ذلك بالفعل ـ أي بدخولها الإسـلام ـ أو بالكلمـة ـ حثها الأخريات علـى دخولهن الإسلام، سـنجد أيضًا مجالها في إسداء النصيحة للحكام واضحًا جليًا .

يقول ابن العربـي : « روى أن خولة بنت ثعلبـة جـاءت إلى عمر بن الخطاب وهي عجوز كبيرة ـ وهـو خليفة ـ والنـاس معـه وهو على حمـاره فجنح إليهـا وتنحى الناس

---

(١) نفس المرجع السابق / جـ٤/ ص ٢٩٧ ، ٣٦٥ ، وسيرة ابن هشام / جـ١ / ص ٤٣٥ .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد / جـ٨ / ص ٢٥٠ / دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٧٨م .
(٣) المرجع السابق / جـ٨/ ص ١٢ .

عنها فناجاها طويلاً، ثم انطلقوا فقالوا : يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز! قال: أتدرون من هي؟ هذه خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من سبع سموات، فوالله لو قامت هكذا إلى الليل لقمت معها إلى أن تحضر الصلاة وأنطلق أصلي ثم أرجع إليها»[1] .

ولقد كانت خولة في مناجاتها مع عمر تنصحه وتراجعه في كثير من أمور المسلمين وكان عمر يتقبل منها النصيحة، ولم تستنكف عن ذلك خولة بنت ثعلبة طالما وأن ذلك في صالح الدعوة إلى الله والإسلام .

ثانيًا : مجال المرأة في العلم :

لقد علمت المرأة في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ أن العلم هو سر سعادتها فنهلت منه ما يثلج صدرها، وما ينفعها في أمور دينها ودنياها، ونأخذ على سبيل المثال السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ إذ كانت ملاذًا يرجع إليه الحائر عند معضلات الأمور الدينية .

يقول ابن سعد : «وكانت عائشة ـ رضى الله عنها ـ يلجأ إليها كبار الصحابة يسألونها عن الفرائض»[2] .

«فضلا عن مكانتها المرموقة في مجال حفظ الشعر إذ ربما روت القصيدة ستين بيتًا والمئة بيت، وكانت قارئة للقرآن عالمة به تؤم النساء في الصلاة فتقوم وسطهن »[3] .

ولم يكن الأمر قاصرًا عليها بل كانت المرأة تتعلم بجوار الرجل وتتفقه في الدين ولايثنيها ذلك عن عملها في بيتها، وليست قصة إسلام عمر بن الخطاب بمستبعدة علينا، يقول ابن هشام في قصة إسلام عمر: «أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت تتدارس القرآن مع زوجها سعيد بن زيد بمعاونة خباب بن الأرت»[4] .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي / حـ٤ / ص ١١٤٧ / تحقيق على محمد البجاوي / الطبعة الثالثة / الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد / حـ١ / ص ٦٦ .
(٣) المرجع السابق / حـ٤ / ص ٧٣ ، ٧٤ .. وانظر: صفوة الصفوة / ابن الجوزي / حـ٢ / ص ١٥ / الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩م .
(٤) سيرة ابن هشام / حـ١ / ص ٢٨٤ / تحقيق مصطفى السقا .

وكان النبي - ﷺ - يأمر صحابته ألا يمنعوا نساءهم من حضور مجالس العلم .

روى البخاري عن سالم عن أبيه : « كان النبي - ﷺ - يقول لأصحابه : إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها »(١) .

ولقد كانت المرأة في عهد النبي ﷺ تحرص على تلقي العلم من منابعه الصافية فها هي خولة بنت قيس تخبرنا قائلة : « كنت أسمع خطبة ررسول الله - ﷺ - يوم الجمعة وأنا في مؤخر النساء، وأسمع قراءته ق والقرآن المجيد على المنبر، وأنا في مؤخر المسجد»(٢).

وقد اشتهر من بين صويحبات رسول الله - ﷺ - أم ورقة بنت عبد الله - التى كانت النبي - ﷺ - يزورها ويسميها (الشهيدة) وكانت قد جمعت القرآن الكريم، وقد أمرها رسول الله - ﷺ - أن تؤم نساء دارها(٣) .

ولم يمنع الحياء أن تأتى المرأة فتسأل رسول الله - ﷺ - عن أدق شئ في حياتها ..

عن أم سلمة - رضى الله عنها - قالت: جاءت أم سليم إلى النبي - ﷺ - فقالت: «يارسول الله إن الله لايستحى من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله - ﷺ - : نعم .. إذا رأت الماء »(٤) .

أو بعد هذا الحرص من النساء في عهد النبي - ﷺ - حرص؟ أو يأتى دعاة التحرر بعد ذلك ليقولوا إن الإسلام هضم حق المرأة وأمرها بأن تكون سجينة دارها كما يدعى ذلك قاسم أمين وأعوانه .

نقول لهم اقرءوا إن شئتم أيها الأدعياء تاريخ الإسلام وأحكامه بالنسبة لتعليم المرأة قبل أن تصدروا الأحكام على واقع المسلمين، فواقع المسلمين لايصح أن ينسحب عليه حكمًا عامًا ولا خاصًا وإنما الحكم يأتى من الإسلام لامن المسلمين. وكونوا منصفين بعد قراءتكم ، لايجرمنكم شنآن تعاليم الإسلام على إنكارها ، وتلك أحكام الإسلام بالنسبة لكشف المرأة عن وجهها عند الضرورة، كالتقاضى ، والعلاج ، والمعاملة،

(١) رواه البخاري / جـ٧ / ص ٤٩ ، ومسلم / جـ١ / ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ .
(٢) الطبقات الكبرى / جـ٨ / ص ٢٩٦ .
(٣) نفس المرجع / جـ٨ / ص ٥٧ .
(٤) صحيح البخاري / جـ١ / ص ٧٩ .

والتعليم . ونقتصر على جانب التعليم لأنه المتصل بموضوعنا .. فما آراء الفقهاء لكشف المرأة لوجهها عند التعليم ؟

«أجاز بعض الفقهاء النظر إلى وجه الأجنبية لأجل تعليم واجب عليها أو مندوب كذلك، وهي العلوم التى لاتصح العبادات إلا بها أو مما يلزمها لفهم دينها من أجل نفسها، أو من أجل منفعة وغيرها كتعلمها علوم الطب ونحوه، وكذلك تعلم الصنائع التى تخدم بني جنسها، إلا أنه يشترط لجواز كشف المرأة وجهها ونظر المعلم لها أن تفتقد في تعليمها إلى جنس النساء من ناحية، وألا تجد لها محرمًا صالحًا، وأن يتعذر التعليم من و راء حجاب، فإن ذلك هو الأصل والخروج عليه لايجد له تطبيقات نادرة الحدوث، ذلك أن المرأة طالما كان في استطاعتها تحصيل العلم بالنقاب يحرم عليها الكشف، ويحرم على المعلم النظر .. فإن لم يكن ذلك في استطاعتها وجب أن يكون هناك مانع خلوة، كوجود زوجها أو أحد محارمها، أو أكثر من أنثى على الأقل كما هو الأمر في كشف العورة للعلاج»[1] .

ثالثًا : مجال عمل المرأة في بيتها:

لقد كانت المرأة في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ ربة البيت، إذ علمت المهمة التى نيطت بها ، فقامت بها على خير، حتى خرَّجت من بيتها الأبطال الذين كانوا مشاعل الهداية والإصلاح ، وقادوا سفينة الحياة في خضم البحر المائج حتى وصلوا بها بر السلام، فوصولوا بها من الصين شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا .

ولقد كانت المرأة تقوم على عمل البيت دون كلل أو ملل ونأخذ على سبيل المثال السيدة أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ ونفسح لها المجال لتخبرنا عن عملها في بيت رسول الله ـ ﷺ ـ إذ تقول :

« تزوجني رسول الله ـ ﷺ ـ فانتقلني فأدخلني بيت زينب بنت خزيمة أم المساكين بعد أن ماتت، فإذا جرّة فاطلعت فيها فإذا فيها شئ من شعير، وإذا رحى وبرمة ـ أي

---

(١) مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج / جـ٣ / ص ١٣٣١ / طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٣٣م ، اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية / رسالة دكتوراه/ د. محمد عبد العزيز / ص ١٦٠ / طبعة مؤسسة الرسالة/ بيروت .

قدر من الحجارة[1] ـ وقدر ، فنظرت فيها فإذا كعب من إهالة ـ أي الشحم والزيت وكل ما أؤتدم به[2] ـ قالت: فأخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته في البرمة، وأخذت الكعب من الإهالة فأدّمته به قالت: فكان ذلك طعام رسول ا لله ـ ﷺ ـ وطعام أهله ليلة عرسه »[3] .

وإذا انتقلنا من بيت النبوة إلى أحد بيوت الصحابة سنجد أيضًا المرأة كانت تقوم على شئون زوجها ونترك المجال للسيدة أسماء بنت أبى بكر الصديق لتخبرنا بوضعها داخل بيت زوجها : تروى أسماء بنت أبى بكر الصديق بعد أن تزوجت الزبير: «كنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدق النوى للناضح، وأعلفه وأسقيه الماء، وأخرز عريه، وأعجن له ، ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبزن لي جارات كن من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير على رأسى، وهو على ثلثي فرسخ حتى أرسل لي أبو بكر بخادم .. فكأنما أعتقني»[4] .

وتخبرنا السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن قيامها بواجب الزوجية تجاه سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ إذ تقول : «كنت أرجّل رأس رسول الله ﷺ »[5] .

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في خديجة أم المؤمنين ـ رضى ا لله عنها ـ «كانت أم العيال وربة البيت»[6] .

كما يخبرنا النبي ـ ﷺ ـ عن نساء قريش وقيامهن بالعمل داخل بيوت أزواجهن وخارجه .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال ـ ﷺ ـ : « خير نساء ركبن الإبل ، صالح نساء قريش، أحناه على يتيم في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يد »[7] .

---

(١) المعجم الوسيط / جـ١ / ص ٣١ .
(٢) نفس المرجع / جـ١ / ص ٣١ .
(٣) الطبقات الكبرى / جـ٨ / ص ٩٢ .
(٤) الطبقات الكبرى / جـ٨ / ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .
(٥) رواه البخاري / جـ١ / ص ٨١ .
(٦) الطبقات الكبرى: جـ٨ / ص ٥٧ .
(٧) صحيح مسلم / جـ٤ / ص ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ .

رابعًا: مجال المرأة في الجهاد والغزوات :

لقد كان عصر النبي - ﷺ - وعصر الصحابة - رضوان الله عليهم - عصر جهاد ونضال في سبيل نشر الإسلام ، ولتحرير الناس من براثن الشرك وعبادة الأصنام، و لم يكن الأمر قاصرًا على الرجال في القيام بتلك المهام فحسب، بل كان للمرأة دورًا بارزًا في هذا الميدان .

وينبغي أن نعلم أن النساء ليس عليهن جهاد إلا وقت الضرورة، في حالة النفير العام يجب مشاركتهن في ميدان الحرب يشددن من أزر الرجال من جهة وليقمن على تضميد الجرحى ، وإعداد الطعام، والقيام بباقي المهام التى تتناسب معهن من أعمال أخرى .

ونفسح المجال لسنة رسول الله - ﷺ - لتوضح لنا تلك الصور المشرقة لجهاد المرأة في صدر الإسلام ..

يقول أنس - رضى الله عنه - وهو يصف غزوة أحد « .. ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر ، وأم سليم، وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما، ينقران القرب[1] على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنهما ، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم»[2] .

انظر إلى مهمة زوجات النبي - ﷺ - في الحرب ، إنهن يسقين الماء للقوم، فيكيفينهم مؤنة البحث عن الماء .

ويخبرنا عمر بن الخطاب عن أم سليط - رضى الله عنهما - بقوله :

« أم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله - ﷺ - وأنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد[3] أي تسقى الماء للمجاهدين .

وحين جرح وجه رسول الله - ﷺ - في غزوة أحد، كانت فاطمة ابنته تغسله ..

---

(١) النقر بمعنى الدفع - والبحث عن الشئ - المعجم الوسيط - جـ٢ / ص ٩٤٥ / مطابع دار المعارف سنة ١٩٨٠م.

(٢) أخرجه البخاري / جـ ٥ / ص ١٢٥ ، ومسلم /جـ٣ / ص ٢٤٤٣ .

(٣) أخرجه البخاري/ جـ٥ / ص ١٧٢ / ١٢٨ .

«فلما رأت أن الماء لايزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير فأحرقتها والصقتها، فاستمسك الدم»[1] .

إن الظروف فرضت نفسها عليها لدرجة أنها استطاعت أن تجرى تجربة وقتية فأسعفتها بديهتها من الوصول إلى أن الدم لن ينقطع إلا إذا وضعت على الجرح ما يضمده .

ولم يكن وجود المرأة في ميدان القتال محصورًا على سقى الماء أو تضميده الجراح فحسب بل امتد فوق ذلك إلى مشاركتها الفعلية في الحرب من جهة، ودفعها لأبنائها وأقربائها للخوض في ميدان المعركة ..

روي أنس «أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرا، وهي حامل بعبد الله بن أبي طلحة، فرآها أبو طلحة، فقال يارسول الله ، هذه أم سليم معها خنجر.. فقال لها رسول الله ـ ﷺ ـ يضحك ويقول: «يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن»[2] .

أما عن الجانب الآخر :

روى أنس: «لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة (أي هاجوا واضطربوا) وقالوا: قتل محمد، حتى كثر الصوارخ في نواحي المدينة ، فخرجت امرأة من الأنصار فاستخبرت بأخيها وأبيها وزوجها وأبنائها ـ أي علمت خبر استشهادهم ـ قالت : فما فعل النبي ـ ﷺ ـ .. قالوا : أمامك . فذهبت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأخذت بناحية ثوبه، ثم جعلت تقول : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، لا أبالى إذا سلمت من عطب»[3].

خامسًا : مجال عمل المرأة في المعاملات والحرف اليدوية :

إن المتتبع لسير وحياة نساء الصحابة ونساء النبي ـ ﷺ ـ سيقف على حقيقة أمرهنّ من ناحية شغل أوقات فراغهن بالعمل، وبما يعود على بيوتهن وعلى المجتمع بالنفع العام، سواء كان ذلك عن طريق التجارة أو الصناعة .

---

(١) أخرجه البخاري / جـ٥ / ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، صحيح مسلم/ جـ٣ / ص ١٤١٦ .
(٢) رواه مسلم /جـ٣ / ص ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، الطبقات الكبرى / جـ٨ / ص ٤٤٥ .
(٣) صفوة الصفوة/ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي / جـ٢ / ص ٤١ .

ونأخذ على سبيل المثال السيدة خديجة ـ رضوان الله عنها ـ

يقول ابن هشام : « ولما بلغها عن رسول الله ـ ﷺ ـ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرًا، وقدم ـ عليه السلام ـ مع غلامها ميسرة إلى الشام»(١) ولقد كانت السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ تستأجر الرجال وتضاربهم في مالها وكانت تزاول التجارة ، وتبعث قوافلها للتجارة إلى الأسواق وأماكن التجمع، إلى غير ذلك من الأعمال البيتية التى كانت تقوم بها .

وعن الأعمال اليدوية والحرف تخبرنا السنة أن نساء النبي ـ ﷺ ـ كان منهن من تعمل بيدها وتتصدق ..

روت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ : «أن بعض أزواج النبي ـ ﷺ ـ قلن للنبي ـ ﷺ ـ أينا أسرع بك لحوقا؟ قال: أطولكن يدا . قالت عائشة : فكنا نجتمع في بيت أحدنا بعد النبي ـ ﷺ ـ نمد أيدينا في الجدار ونتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن أطولنا فعرفنا حينئذ أن النبي ـ ﷺ ـ إنما أراد بطول اليد: الصدقة ، قالت: وكانت زينب امرأة صناع اليد فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله(٢)» أي أنها كانت تقوم على دبغ الجلد حتى يكون صالحا فيزول ما به من رطوبة ولين، ثم تخرزه ـ أي تخيطه ـ وتبيعه ثم تتصدق بعد ذلك بالمال الذي يعود عليها من خلال عملها .

فضلا عن إن كثيرًا من نساء المؤمنين في عهد النبي ـ ﷺ ـ وفي عهد صحابته الأجلاء ـ رضى الله عنهم ـ كن من ذوي الحرف اليدوية، فكن يشغلن أوقات فراغهن بما يعود عليهن وعلى الأمة بالنفع العام .

قالت خولة بنت قيس : « كنا في عهد النبي ـ ﷺ ـ وأبي بكر، وصدر من خلافة عمر في المسجد نسوة، قد تخاللن، وربما غزلن، وربما عالج بعضنا فيه الخوص(٣) .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام / جـ١ / ص ١٨٧ .
(٢) الطبقات الكبرى / جـ٨ / ص ٢٩٦ ، صحيح البخاري / جـ٢ / ص ١٣٦ .
(٣) الطبقات الكبرى / جـ٨ / ص ٢٩٦ .

ولقد نهى النبي - ﷺ - عن كسب الأمة إلا ما عملت بيدها وأشار - ﷺ - بأصابعه نحو الخبز والغزل والنقش[1] .

والغزل : فتل خيطان القطن أو الصوف بالمغزل، والمغزل: ما يغزل به الصوف والقطن ونحوهما يدويًا أو آليًا وجمعهما : مغازل[2] .

سادسًا : مجال عملها في المجالات الاجتماعية:

لقد ربى رسول الله - ﷺ - المجتمع المسلم على التكافل والرحمة، فكان يتم هذا المجتمع بالتآزر والمعاونة على فعل الخير وشعارهم في ذلك قول الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[3] .

ومن ثم نرى مجال عمل المرأة الإجتماعي في عهد النبي - ﷺ - كان متشعبًا فقد شاركن في الخطبة للزواج، وفي عيادة المرضى، وفي إرضاع الأطفال .. إلى غير ذلك من الأعمال التى تخفف العبء عن المحتاج .

ونستطيع أن نوجز ذلك فيم يلي :

١ـ ففي مجال الخطبة: ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى: «أن خولة بنت حكيم السلمية - امرأة عثمان بن مظعون - جاءت إلى رسول الله -ﷺ - فقالت : يارسول الله ، كأنى قد دخلتك خلة لفقد خديجة ، فقال: أجل، كانت أم العيال، وربة البيت، قالت: أخطب عليك؟ قال : بلى ، فإنكن معشر النساء أرفق بذلك، فخطبت عليه سودة بنت زمعة، وخطبت عليه عائشة بنت أبى بكر الصديق فتزوجهما»[4] .

٢ـ وفي مجال الإرضاع: اشتهر في المجتمع العربي قبل الإسلام وفي صدر الإسلام كثير من المرضعات، كن يتسابقن في الذهاب إلى سوق المرضعات لتحظي إحداهن بمن هو أكرم نسبًا، وأوفر مالاً، ونكتفى بهذه الواقعة التى ذكرها ابن سعد في طبقاته إذ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه / جـ٣ / ص ٢٧٩ .
(٢) المعجم الوسيط / جـ٢ / ص ٦٥٢ .
(٣) سورة المائدة / من الآية ٢ .
(٤) الطبقات الكبرى / جـ٨ / ص ٥٧ .

يقول : ولما حملت مارية من رسول الله ـ ﷺ ـ ووضعت إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان، تنافست الأنصار في إبراهيم ـ أي في إرضاعه ـ وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي ـ ﷺ ـ وكأن اجتبا الله أم بردة لإرضاع إبراهيم ابن رسول الله ـ ﷺ ـ[1] .

إلى غير ذلك من الأمثلة التى ذكرت في كتب السنة والسيرة وكلها توضح لنا بجلاء كيف كانت زوجات النبي ـ ﷺ ـ ونساء صحابته ـ رضوان الله عنهن ـ يعملن في جميع المجالات دون وجل أو ملل .

ولكن نستخلص من ذلك ما يلي :

١ـ إن مشاركة المرأة في عهد النبي ـ ﷺ ـ قد اتسم بالجدية والصدق مع الله ، فكان خروجهن للعمل لاتشوبه شائبة شك، فلم يؤثر عنهن أنهن خرجن متبرجات، أو سافرات، كما لم يحدث اختلاط بينهن وبين الرجال، فضلا عن عدم مزاولتهن للأعمال الرجالية ـ إلا عند الضرورة القصوى ـ لأنهن قد امتثلن لأمر الله فوجدن القدوة في البيت وفي كل مكان، وعلمن أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «المرأة عورة»[2] فطبقن ذلك دون تردد، فلم تظهر إحداهن في صورة تخالف الشرع الذي رسمه لها رسول الله ـ ﷺ ـ .

٢ـ كان عملهن يتركز بصفة أساسية في البيت، فكن يقمن بصناعة الأجيال، فضلا عن قيامهن بحقوق أزواجهن .

٣ـ كن يتصفن بالتوازن والطمأنينة في كل حركاتهن، فكانت حياتهن تقوم على أساس متين من الإيمان ، والثقة التامة بما وعد به الله ، وهل تنعدم الطمأنينة النفسية، والاستقرار الفكري والوجداني في مجتمع يستلهم تعاليمه من السماء ويستمع إلى النصائح والمواعظ من رسول الله ـ ﷺ ـ ألم يقل لهن النبي ـ ﷺ ـ : «يانساء المؤمنين: عليكن بالتهليل والتسبيح، والتقديس ولاتغفلن فتنسين الرحمة، واعقدن بالأنامل، فإنهن مسئولات مستنطقات[3] .

(١) الطبقات الكبرى / جـ٨ / ص ٢١٢ ، ٤٣٦ .
(٢) سبق تخريج هذا الحديث الشريف في هذا الفصل .
(٣) الطبقات الكبرى / جـ٨ / ص ١٣٠ .

كيف يسمعن هذا من رسول الله - ﷺ - ثم يختلطن أو يرتكبن محرما نهى ا لله عنه ورسوله - ﷺ - .

ومن ثم نستطيع أن نقرر هذا الحكم :

إذا دعت الضرورة لخروج المرأة في عصرنا للعمل وتوفرت لها الأسباب التى تكفل لها كرامتها، وتصون بها شرفها فلا مانع للخروج، والضرورة تُقدر بقدرها، أما إذا خرجت بحجة أنها نصف المجتمع، أو أن عملها مجد للأمة .. أو خلاف ذلك مما ذكرناه آنفا، فهنا يتدخل الإسلام بعلاجه الناجح، واصفا الدواء على قدر الداء، حتى لايستشري المرض في أعضاء الأمة الإسلامية فيحدث لها الوهن والضعف كما حدث لغيرها من الأمم الأخرى، وهذا ما أود أن أعالجه من خلال صفحات هذا البحث ، عن طريق الشبهات المثارة حول عمل المرأة والرد عليها ، فأقول وبا لله التوفيق .

الشبهات المثارة حول عمل المرأة والرد عليها

الشبهة الأولى : المرأة نصف المجتمع فكيف يكون هذا النصف عاطلا:

يقول قاسم أمين بالنسبة لوظيفة المرأة الاجتماعية:

فلأن النساء في كل بلد يقدرون بنصف سكانه على الأقل، فبقاؤهن في الجهل حرمان من الانتفاع بأعمال نصف عدد الأمة، وفيه من الضرر الجسيم مالا يخفى(1) .

ويقول قاسم أمين في موضع آخر باديًا أسفه على حرمان المرأة من العمل: « وعندى أن من أعظم ما يؤسف عليه حرمان بلادنا من أعمال النساء الخيرية»(2) .

ويدلل على كلامه بعمل المرأة في الغرب ونسى أن لكل بلد طباعها الخاصة بها وظروفها التى تستدعيها للعمل، أو للتقليد ومحاكاة الآخرين ..

يقول قاسم أمين: «كل مطلع على حركات النساء الغربيات وأعمالهن لايشك في أنهن يأتين من الأعمال العظيمة ما لا قوام للمدنية بدونه، لايوجد فرع من فروع الصناعة والتجارة ولا علم من العلوم ولافن من الفنون إلا والمرأة عاملة فيه مع الرجال كتفًا لكتف ...»(3) .

ولم يكن قاسم أمين أول من نادى بتلك الأفكار بل سبقه إلى ذلك كثير ممن ذهبوا إلى فرنسا لينهلوا من ثقافتها ، ثم عادو ليشيدوا بحضارتها ، فلقد عاد رفاعة من فرنسا ليدعو إلى تحسين أحوال المرأة أولا، ثم الدعوة إلى تعليمها ومخالطتها بالرجال ومزاولتها الأعمال، إلى أن دعا إلى تقليد المرأة الغربية تقليدًا أعمى، حتى عدّ مراقصة النساء للرجال لون من ألوان العياقة والشلبنة ـ أي الأناقة والفتوة ـ ونذكر على سبيل المثال طرفًا مما قاله رفاعة عن تعليم المرأة ومخالطتها للرجال وقيامها بالأعمال .. يقول رفاعة : «إن الرقص عندهم فن من الفنون، وقد أشار إليه المسعودى في تاريخه المسمى (مروج الذهب) ، فهو نظير المصارعة في موازنة الأعضاء، ودفع قوى بعضها إلى

(1) الأعمال الكاملة لقاسم أمين .. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة / جـ٢ / ص ٢٠ .
(2) نفس المرجع / ص /٨١ .
(3) نفس المرجع / ص ٨٠ .

بعض، فليس كل قوى يعرف المصارعة .. إلى أن قال : ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة لا الفسق فلذلك كان دائمًا غير خارج عن قوانين الحياء ...»[1] .

كما نادى بتعليم المرأة في كتابه «المرشد الأمين للبنات والبنين» ، فلم يفرق بينهما في اكتساب المعارف، كما أشاد بتعليم المرأة في الممالك المتمدنة التى يعد فيها تعليم النساء من الشيم المستحسنة، بل يتمادى فيما هو أبعد من ذلك حين تعرض لمزايا التعليم: يقول رفاعة :

« يمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال، على قدر قوتها وطاقتها، فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن، هذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق، ويقربها من الفضيلة ..»[2] .

ومن ثم يتضح لنا أن رفاعة قد أثار قضايا عديدة عن المرأة قبل أن يثيرها قاسم أمين، فلقد كان له قصب السبق في هذا الميدان إلا أنه كان متحفظًا في كلامه فلم يفرض كلامه فرضا، كما أنه كان يميز دائمًا بين المرأة المسلمة والمرأة الغربية، فالمسلمة ملتزمة بتعاليم دينها، وتقاليد بلدها الأصيلة، والغربية غير ذلك ، يقول رفاعة:«من محاسن الإسلام أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أودع في قلب الرجل الغيرة على نسائه، حتى جعل ـ سبحانه وتعالى ـ بدن الحرة عورة بالنسبة للآخرين فلا يحل له كشفه عليه، ولا يحل له نظرها أيضا ، فلذلك كانت نساء الإسلام مصونات في بيوتهن، سيدات على غيرهن ... »[3] .

يقول الدكتور/ السيد أحمد فرج: « إن رفاعة بالرغم من دعوته إلى تحرير المرأة وتعليمها ، لا يريد أن تفقد مكانها في المجتمع، فإن الله لم يخلقها لحفظ متاع البيت

---

(١) تخليص الابريز في تلخيص باريز/ رفاعة الطهطاوى / ص ١٦٨/ وزارة الثقافة سنة ١٩٥٨ م .
(٢) المرشد الأمين للبنات والبنين / رفاعة الطهطاوى / ص ٦٦ / مطبعة مصر سنة ١٢٨٩هـ .
(٣) مجلة روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها العلمية / ص ٢٦٤ / الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ووعـاء لصون مادة النسـل فحسب ، ولكن فوق ذلك خلقـت مشاركة للرجل في بناء المجتمع الإنسـاني، بشـرط ألا تتجاوز الأحكـام الشـرعية التى فرضهـا الإسـلام، وألزم الرجل بها قبل المرأة، لأنه أقدر منها على تطبيقها»[١] .

وإذا انتقلنا من قاسـم أمين ورفاعـة إلى بعض الكتاب المحدثين سـنجد نفس النغمة على ألسنتهم فهـا هي الدكتـورة / نوال السـعداوى تقول: « إن اختيـار المرأة للبيت، وعدم دخولها في سوق العمل هو بطالة أشـد خطرا على شخصية المرأة ، لأنها طواعية أو اختياريـة ، وقـد لايفـرض عليهـن في بعض الأحيـان (تعنـى القعـود في البيت) إلا رواسب القهر النفسي الداخلي »[٢] .

وتوافقهـا في هذا الـرأى الدكتـورة/ نعيمـة محمـد إذ تقول : « أن أسـباب عدم مشـاركة المرأة في خدمـة المجتمع يرجع إلى الظـروف الإجتماعيـة التـى قيدت المرأة ، وليس العيب في قدرات النساء على الإطلاق»[٣] .

إلى غـير ذلك ممـا كتب وأثـير حول قضيـة عمـل المرأة ، والرد علـى ذلك سـهل ميسور.. فنقول وبالله ـ تعالى ـ التوفيق ..

الرد على الشبهة الأولى:

لقد قـرر الإسـلام أن العمـل واجب على كـل إنسـان قـادر، ويتضح لنـا ذلك من نصوص القـرآن الكريم إذ حضّت عليه، ورغبت فيه، واعتبرته حقًا لكل إنسان، والمرأة لها مثل الرجل في هذا الجانب سـواء كان ذلك يتعلق بالجانب الديني كالصلاة والصيام .. وغير ذلك مـن التكاليف التى فرضهـا الإسـلام على الذكـر والأنثى، أو كان يتعلق بالجانب الدنيوي من بيع وشراء وإجارة وشركة وتعلم وتعليم، واحتراف، وقد ذكرنا ذلك آنفـا وضربنا كثيرًا من الأمثلـة من واقع حياة زوجـات الرسول ـ ﷺ ـ وزوجات صحابته الأجلاء ـ رضى الله عنهم ـ

(١) المؤامرة على المرأة المسلمة / د. السيد أحمد فرج/ ص ٤١ / الناشر : دار الوفاء الطبعة الأولى / سنة ١٩٨٥م.

(٢) د. نوال السـعدواي / في بحث «العقبات أمام المرأة العربيـة والتنمية» من بحوث المؤتمر الاقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية / جـ١ / ص ١٤٠ .

(٣) د. نعيمة محمد في بحث «دور المرأة في التنمية في الثمانينات» / المؤتمر السابق /جـ١/ ص ٩٧ .

إلا أنني في الرد على هذه الشبهة أود أن أقول: إن الإسلام لم يمنع المرأة من العمل إذا دعت إليه الضرورة، ولكنه جعل هناك أمورًا لايصلح للقيام بها إلا الرجال، وأمورًا أخرى لايصلح لها إلا النساء ، والإسلام في ذلك لا يحابي الرجل على حساب المرأة ولا العكس، ولكنه يراعى المصلحة العامة .

فمن العمل الذي نيط بالمرأة ولايستطيع غيرها أن تقوم به ، تربيتها للنشئ، والعناية بهم في الصغر، والفقه الإسلامي خص لذلك بابا كاملا وسمّاه بالحضانة، و لم هذا الأمر بالذات لهن؟ لأنهن أقدر عليه من الرجال ، لما فطرن عليه من العطف والحنان، وتحمل المشاق .

وفي الجانب الأخر جعل الرجل مكلفًا بالإنفاق على أولاده والعناية بهم وتوجيههم إلى حرفة .. إلى غير ذلك من المهام التى نيطت به ، وهي ما تسمى في الفقه الإسلامي «بالولاية» وخصت به لأنه أقوى عليها من النساء لما فطر عليه من الجلد والشدة والثبات .

إذًا الإسلام يراعى التخصص الدقيق فيما فطر كل منهما ..

ومن ثم يتضح لنا أن عمل المرأة الأول الذي لايصلح غيرها للقيام به هو النسل وحفظ النوع الإنساني ، وعمل الرجل الأساسي رعاية الثمرة الناشئة من ناحية توجيهها والأخذ بيدها إلى طريق الخير .

وبذلك تتساوى الكفتان وتستقيم أمور الحياة ، فإذا تم هذا وأخلص كل فرد في عمله وقام بالمسئولية التى كلف بها على الوجه الأكمل، لم يكن هناك فرد عاطل أو غير منتج .. أما أن تزجّ المرأة بنفسها في شتى ميادين العمل تاركة بيتها ورعاية أبنائها لدور الحضانة وغير ذلك فهنا يظهر موقف الإسلام، ويطفو على ساحة البحث هذا السؤال :

متى تعمل المرأة؟

يقول الدكتور / أحمد شلبي : « فإن احتاج المجتمع لعمل المرأة لزمها أن تعمل ، فإن كانت طبيبة والمجتمع يحتاج إلى طبيبات، أو معلمة والمجتمع يحتاج إلى معلمات، أو

كاتبة على الآلة الكاتبة والمجتمع يحتاج إلى هـذه الوظيفـة، فعملها حينئذ لا اختيار فيه[1].

وقد سقنا أمثلة من ذلك آنفا وكلها توضح بجلاء أن الشريعة الإسلامية ليس فيها نصّ يمنعها من العمل إن هي احتاجت إليه، أو فرضت ظروف المجتمع والصالح العام عملها، على أن تكون ملتزمة بما رسمه لها الإسلام .

أما إذا لم يحتج إليها المجتمع، ولكنها خرجت بحجة أنها نصف المجتمع فبخروجها تحتل مكان عمل رجل يعول أسرة كاملة ومن ثم تظهر البطالة في المجتمع وذاك من مساوئ عمل المرأة .

يقول الأستاذ/ محمد قطب: « فإذا عملت المرأة في غير وظائف النساء تعطل رجل عن العمل فتعطلت إقامة أسرة جديدة»[2] .

وإذا افترضنا جدلاً أنهن سيخرجن إلى العمل بحجة أنهن نصف المجتمع، فما مصير الأولاد؟

إن قيل من الممكن أن نرعاهم في دور الحضانة أو يرعاهم الخدم ، قلت: إن أمكن رعايتهم جسديًا، فلن يمكن رعايتهم نفسيًا وعقليًا، وهذا يؤدى بهم إلى مساوئ عديدة سنذكرها بعد ردنا على الشبهات إن شاء الله تعالى .

وإذا كان لدينا طاقات هائلة من الشباب لايجدون عملا ، فلم الاستعانة بالفتيات؟ ما أرى ذلك إلا سوء تخطيط على الصعيد الداخلي، ومكر وتخطيط أسوأ على الصعيد العالمي من الغربيين الذين يعملون ماوسعهم الجهد لإفساد أوضاع المرأة المسلمة، وبالتالي تفسد الأسرة المسلمة، ومن ثم يفسد المجتمع المسلم، ويصبح سهل السيطرة عليه، وهذا ما حاول الغرب الوصول إليه ، حتى يصلوا بالمرأة المسلمة، إلى ما وصلت اليه المرأة الغربية، فالمرأة الغربية دخلت ميادين العمل بشتى دروبه وألوانه عملت سكرتيرة ، كما عملت جندية في المرور، وعاملة نظافة في الشارع والمصنع، ووسيلة

(١) الحياة الاجتماعية في التفكير الاسلامي / د. أحمد شلبي / ص ١٢٥ / الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م / الناشر / مكتبة النهضة المصري .

(٢) شبهات حول الإسلام / محمد قطب / ص ١٤٠ / الطبعة الحادية عشرة سنة ١٩٧٨م دار الشروق .

لترويج البضائع.. إلى غير ذلك من الأعمال التي خاضتها المرأة في الغرب فهل ياترى ماذا كانت النتيجة؟

إن المجتمع الغربي يعاني من آثار خروج المرأة للعمل وذلك لما جناه عمل المرأة هناك من مساوئ عديدة، رغم الحضارة المادية البراقة التى وصل إليها الغرب، وتلك نتائج عمل المرأة الغربية :

النتيجة الأولى: قلة المواليد :

وهي أول نتيجة سيئة يعاني منها المجتمع الغربي، إذا ما قيست بالجانب المادي، أو أي عائد آخر تجنيه المرأة هناك .

يقول صاحب كتاب «أوربا الجديدة حاضرها ومستقبلها» :

«فالمرأة العاملة في الغرب في عام ١٩٠٠م ـ على سبيل المثال ـ كان نصف عددها يضع من (٧) إلى (١٥) طفلا[١] .

ويعقب على هذا الأستاذ / سيد قطب بقوله : «أما اليوم فهناك انخفاض مريع في عدد المواليد وفي نسبة المتزوجين وارتفاع مستمر في نسبة عدد المواليد غير الشرعيين ، كما أن ٢٠٪ من البالغين ـ الأولاد والبنات ـ لايتزوجون أبدا[٢] . لماذا ؟ لأن الحضارة هناك وفرت لهم كل شيء ، حتى الاختلاط التى يجد الشاب والفتاة فيه رغبتهما الجنسية فلماذا يتزوجون ؟

و لم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل إنك تجد كثيرا من الغربيين قد اتخذوا من عدد المواليد غير الشرعيين وسيلة تجارية ، إذ أُنشئَتْ وكالات تجارية مهمتها التعاقد مع النساء لتوليدهن ثم القيام ببيع المواليد لمن يرغب .

أوردت صحيفة «الديلي ميل » ـ الصحيفة البريطانية ـ هذا الخبر :

«أن أحد المحامين الأمريكيين يدير أكبر وكالة في أمريكا للنساء اللاتي يولدن

---

(١) أوربا الجديدة حاضرها ومستقبلها / جورج ليختهم / ترجمة / محمود حسن إبراهيم / الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢م .

(٢) في ظلال القرآن/ الأستاذ / سيد قطب / المجلد (٢) ص ٦٣٤ / ٦٣٥ / الطبعة الثامنة/ دار الشروق .

بالإيجار إذ تلد المرأة طفلا مقابل ٩٦٠٠ جنيه استرليني ثم تذهب في طريقها للتعاقد على إنجاب طفل آخر ، وعلى من يرغب في الحصول على طفل أن يدفع ثلاثين ألف دولار »[١] .

ولقد أجريت دراسات ميدانية في أوربا فأثبت أن الطاقة النفسية والجسمانية التى تبذلها المرأة المتزوجة والأم لطفلين تعادل نفس الطاقة التى يبذلها عامل المناجم ، فكيف يكون حالها إذا أضفنا إليها عبء الخروج في ميادين الأعمال العامة؟

٢ـ إفساد النشء صحيًّا وعقليًّا وخُلقيًّا :

عندما يحرم الطفل من حنان أمه وشفقتها ورعايتها ، ونستعيض له بأمهات في دور التربية والمؤسسات، أو بخادمات داخل البيوت، سنجد علامات البؤس والشقاء تظهر آثارها مرتسمة على وجه الطفل إذ تجده معقدا نفسيا، فضلا عن سوء خلقه وفساد عقله وصحته، وهذا ما يعود على المجتمع بالشقاء ولاسيما الجيل الجديد.

ذكرت مجلة حضارة الإسلام في مجلدها الثاني ص : ٣٦٥ ما يلي :

«تقوم حرب شعواء ضد المدارس الداخلية للبنات في أمريكا، وذلك بعد أن أثبتت الإحصائيات والإستفتاءات أن البنات في المدارس الداخلية يعانين متاعب نفسية وانحرافات لاحصر لها بسبب ابتعادهن عن جو الأسرة، وأكد علماء النفس أن علاج هذه المشكلة جذريا لايمكن أن يتم إلا بعناية الأمهات ببناتهن وإشرافهن المباشر على تربيتهن لأن كل بنت تصارح أمها بمشكلاتها، فإذا كانت البنت بعيدة عن أمها انطوت على نفسها، ونجم عن ذلك العلاج انحراف خطير، فالعلاج الحق أن تعود الأم إلى بيتها ، وإلى أبنائها وبناتها »[٢] .

ولو ذهبنا نستقصي ما كتبه الغربيون أنفسهم في هذا المجال لضاق بنا المقام ومن أراد المزيد فليرجع إلى هذه الكتب »[٣] ..

---

(١) أخبار اليوم بتاريخ ٤ / ١ / ١٤٠٥هـ وانظر التحقيق الهام الذي نشرته مجلة الدعوة «السعودية» في عددها الصادر بتاريخ ١٣ / ١ / ١٤٠٥هـ تحت عنوان: «أطفال للبيع» .

(٢) مجلة حضارة الإسلام / المجلد الثاني ص ٣٦٥ / نقلا عن كتاب المرأة بين الفقه والقانون / ص ٢٦٧.

(٣) دائرة معارف فريد وجدى / جـ ٨ / ص ٦٠٠ ـ ٦٥٠ ، الحجاب / أبو الأعلى المودودي ص ٦٠/ ٧٦ ،=

٣ـ التدهور الأخلاقي :

لقد انخدعت المرأة الغربية بخروجها للعمل فأصبحت لقمة سائغة على كل فم، ونتج عن خروجها شيوع الجنس بين جميع أفراد العائلة وساعد على ذلك عدم وجود الرقابة التامة من ناحية الأب والأم نظرًا لعدم وجود فراغ عندهما، يشرفان من خلاله على الأسرة ، وترتب على ذلك ظهور شباب مائع لايقيم للخلق وزنا، ولايحترم للأسرة كلمة، ولا يرعى للمجتمع حقا ، ولقد أدى ذلك إلى المناداة من المفكرين الغربيين بعودة المرأة إلى بيتها ، ونظرتهم إلى الجنس نظرة ثانوية .

ففي سنة ١٩٦٢ قال الرئيس الأمريكي «جون كنيدي» :

«إن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل، غارق في الشهوات، لايقدر المسئولية الملقاة على عاتقه ، وإن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين » لأن الشهوات التى غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية[١] .

٤ـ انحلال الأسرة وتفككها :

إن اليهود وراء كل عمل لا أخلاقي، فلقد حاولوا جاهدين على انهيار الأسرة بين الأميين، كما حاولوا إخضاع الشعوب كلها لأغراضهم الدنيئة، ولقد فصلنا القول في هذا عند ذكرنا لدور اليهود في الدعاية لحركة تحرير المرأة، وأود أن أقول، إن حرص اليهود على خروج المرأة الغربية وغيرها للعمل أدى إلى انحلال الأسرة وتفككها .

وإن الناظر إلى الغربيين ولاسيما للأسرة الغربية سيجد أول شيء يلفت نظره الخيانة الزوجية، إذ أنها أصبحت أمرًا عاديًا ، بل إنهم يعدونها سمة من سمات الحضارة الأوربية الحديثة، فهم لايعاقبون عليها، فضلا عن إنها لاتصلح أن تكون سببًا للطلاق في نظرهم، وهذا أدى إلى انحطاط الأسرة، وتفكك أواصرها.

يقول الاتحاد الأمريكي للخدمات الأسرية: «أصبح انهيار الأسرة والذي وصل الآن

ـ الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفيزيون / ص ١٨٦ / ١٩٠ / الأستاذ مروان كجك ، المرأة بين الفقه والقانون / ص ٢٥٣ / ٣٣١ الأستاذ الدكتور / مصطفى السباعي .

(١) نقلا عن كتاب الحب والجنس من منظور اسلامي/ محمد على قطب/ ص ١١٩/ مكتبة القرآن سنة ١٩٨٤م.

إلى درجة وبائية، المشكلة الاجتماعية الأولى، فكل عام يفصل الطلاق بين أكثر من مليون شخص، وأن المعدل الحالي هو سبعة أضعاف ما كان عليه قبل مائة سنة، وأصبح عدد الأطفال غير الشرعيين ثلاثة أضعاف ما كان سنة ١٩٣٨م ..» .

وتقول مجلة لايف: «ضربت نسبة الطلاق في الولايات المتحدة رقمًا قياسيًا، فكلما دار عقرب الساعة (٩٠ ثانية) هوي بيت أمريكي، وفي كل يوم من العام الماضي كان القضاء الأمريكي يمنح ألف حكم بالطلاق»(١) .

يقول الدكتور/ محمد على البار «وعن مشكلات الطلاق وحدها تقول الإحصاءات عام ١٩٧٣م أن ١٢٪ من الأسر الأمريكية لا عائل لها، وتصل نسبة الطلاق إلى ٥٠٪ عام ١٩٧٩م من جميع حالات الزواج ، ويقرب عدد العاملات والباحثات عن عمل في أمريكا الآن نحو ٥٠ مليون امرأة »(٢) .

كما يدخل في تفكك الأسرة الجانب الاقتصادي الذي ارتبط بعمل المرأة، وعدم وجود فرصة للرجل، فأدى ذلك بالتالي إلى البطالة وتأخر الإنتاج، نظرًا للأجازات التى تحصل عليها المرأة في حالة الولادة، وغيرها، وبهذا الوضع انقلبت موازين الحياة الأسرية، حتى إنك تجد أحسن ربة بيت في أمريكا رجل .

أو بعد هذا العرض يدعى مدّع أننا في احتياج ماس إلى خروج المرأة إلى العمل، وكيف نعطل نصف المجتمع، ولم لا نزيد الثروة الوطنية بمساعدة المرأة معنا، أو يظن هؤلاء الماديون المتحررون أن بقاء المرأة في بيتها خسارة للاقتصاد، ولايفكرون في أن خروجها للعمل خسارة للبنية الأساسية للمجتمع، أو يريد هؤلاء بنا ما حدث للغربيين، وهم الآن يبحثون عن الحلول لمشاكلهم فلا يجدون حلا أمثل للخروج من المأذق الذي هم فيه ، والناتج عن شيوع الجنس، والحرية المطلقة .

إن المرأة مكانها البيت وعملها صناعة الأجيال، وتنشئتهم تنشئة سليمة بعيدة عن

---

(١) انظر كتاب الاختلاط بين الجنسين في نظر الإسلام / محمد عبد الحكيم خيال، نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام/ ماهر خليل/ ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢) عمل المرأة في الميزان / د. محمد على البار / ص ١٦٨ الطبعة الأولى سنة ١٩٨١ الدار السعودية للنشر والتوزيع .

العقد النفسية والعقبات العاطفية التي تعترضهم في المستقبل .

يقول الأستاذ / محمد عبد الحكيم خيال :«فالبيت هو مثابة المرأة التى تجد فيه نفسها على حقيقتها كما أرادها الله - تعالى - غير متشوهة ولا منحرفة، ولا ملوثة ولا مكدودة في غير وظيفتها التى هيأها الله لها بالفطرة[1] .

الشبهة الثانية والرد عليها :

«إن عمل المرأة يوسع آفاقها وينمي شخصيتها»

والرد عليها سهل ميسور بمشيئة الله تعالى :

إن العلم هو الذي ينمي شخصية المرأة كما يوسع آفاقها ، وليس للعمل دخل في ذلك ، بل ربما يشل تفكيرها في جوانب عديدة ، إذ تشغل فكرها في الذهاب والعودة إليه ولاسيما إذا كانت تتحمل متاعب في الوصول إلى عملها، زد على ذلك ما يطرأ على قواها البدنية والنفسية والفكرية من ضعف يعتريها نتيجة الحيض، والحمل والولادة والحضانة وغير ذلك من نواميس الأنوثة التى فطرت عليها، ومن ثم يتضح لنا بجلاء أن مهمتها الأساسية التى يجب أن تنمى فيها آفاقها ، وتوسع مداركها أن تتعلم كيف تصلح بيتها، وتربي وليدها، وترعى حقوق زوجها، فإذا صرفت جل وقتها في ذلك استطاعت أن تقوم بواجبها على خير قيام، وتكون بذلك قد قصرت جهدها فيما خلقت من أجله، فإن نواميس الكون تقتضي بألا يعمل الرجل عمل المرأة ولا العكس، وتلك سنة الله في خلقه .

وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا﴾[2] .

ثم كيف يدعى هؤلاء الأدعياء بأن عمل المرأة سيؤدى بها إلى المساواة بالرجل والاستقلال المادي من الناحية الاقتصادية .

---

(١) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية/ محمد عبد الحكيم خيال/ ص ٢٩٠/ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م / الناشر دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع .

(٢) سورة فاطر : من الآية ٤٣ .

وهنا يبرز سؤالاً هامًا: ما مفهوم المساواة لديكم؟ وهل في الإمكان تحقيق المساواة في واقع الحياة أم لا؟

إن مفهوم المساواة لدى أدعياء التحرر أن تكون المرأة صنو الرجل في كل شيء في الميراث وفي عصمة الزواج، والوظيفة، كما لها الحق في أن تُطلق نفسها إلى غير ذلك من الأشياء التى يطالبون بها .

ونرد عليهم بقول الله تعالى :

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾(١) .

وهذه الآية توضح بجلاء أن الله جعل القوامة بيد الرجل، فهو الذي يشرف على الأسرة ويرعى مصالحها، ويراقب تصرفاتها، إذًا القوامة على هذه الصورة تكليف لاتشريف، وليست كما يتصور البعض بأنها استبداد من الرجل أو تسخير للمرأة، وانتقاص لكرامتها، أوسلب لحقوقها، ومن ثم يتضح لنا معنى القوامة .

يقول الإمام فخر الدين الرازي: «القوام اسم لمن يكون مبالغًا في القيام بالأمر يقال هذا قيّم المرأة وقوّامها للذي يقوم بأمرها ويهتم بحفظها(٢)» .

إذًا القوامة على هذا التعريف تعنى قيام الرجل بمهام المرأة في ظل رعاية ومحبة مخلصة، وليست بسلطان مفروض، كما أنها تدبير وإرشاد وليست بسيطرة أو استبداد.

يقول الدكتور/ عبد الحي الفرماوي في تعريفه للقوامة : «فهي القيادة والرياسة والمسئولية وليست الإذلال والتسخير والاستعباد ، فهي تكليف لاتشريف، وأعباء لا مغانم(٣)».

ومن ثم يتضح لنا سر وضع الله القوامة على كاهل الرجل ويتمثل في المصلحة العامة للأسرة أولا، وللمجتمع ثانيًا، لأنه لن تتحقق السعادة المنشودة التى أرادها الله

(١) سورة النساء: الآية ٣٤ .

(٢) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي / جـ١٠ / ص ٩٠ .

(٣) الخلافات الزوجية صورها أسبابها علاجها / د. عبد الحي الفرماوي / ص ١١ ، ١٢ / الناشر دار مصر للطباعة .

للأسرة إلا في ظل قوامة الرجل، وذلك لما أعطاه الله من مقوماتها التى تؤهله للقيام بحمل تبعاتها وتتمثل تلك المقومات فيما يلي :

١ـ كمال الجسم .

٢ـ كمال العقل .

٣ـ كمال الدين .

٤ـ القيام بالانفاق .

فكمال الجسم بالنسبة للرجل يختلف عن المرأة وذلك لما يعتريها في حالات الحيض ووالحمل والولادة والنفاس .

فعلى سبيل المثال يحدث للمرأة الحامل حالات لا تكون فيها بحالة طبيعية، كحالات الغثيان التى تعتريها في هذه الفترة، ويصحبها أحاسيس معينة ، فضلاً عن أن الحمل يتخذ لديها صورة صراع حاد بين النوع والفرد ، زد على ذلك الاضطرابات التى تحدث للمعدة .. إلى غيرها مما ذكره الأطباء والمحللون للمرأة في تلك الفترة بالذات»[1].

أما من ناحية العقل : فالرجل يتمتع غالبًا بصفاء الذهن، والتغلب على المشاكل التى تعتريه بسهولة لما أودعه الله فيه من جلد وقوة وتحمل للمصاعب، وهذا يحفظ توازن الأسرة ، أما المرأة عكس ذلك فهي تحكمها العاطفة من جهة كما يعتريها حالات تؤثر على جسمها، ومن ثم يؤثر ذلك على كمال عقلها .

وإذا نظرنا إلى الحق ـ جل في علاه ـ سنجده جعل شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل .. قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾[1].

كما نرى رسول الله ـ ﷺ ـ يوضح لنا ذلك حين نصحهن بقوله «يامعشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكنّ أكثر أهل النار ، فقالت امرأة منهن جزلة ـ

---

(١) يراجع في ذلك كتاب سيكولوجية المرأة / د. زكريا إبراهيم / ص ١١٦ / ١٤٧ / الناشر مكتبة مصر .

(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٨٢ .

ذات عقل ـ ومالنا يارسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبّ منكن. قالت: يارسول الله ، وما نقصان العقل والدين: قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالي ما تصلى، وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين[1]».

وأما كمال الدين فالرجل أكمل دينا من المرأة ، لأنه مطالب بالفرائض غير معفي عنها ، أما المرأة فمعفية من الصلاة والصوم في فترات معينة .

وأما من ناحية الإنفاق: فالرجل مطالب بالإنفاق عليها منذ اللحظة الأولى، وليس أدل على ذلك من ـ الصداق ـ الذي يعطيه منحة لزوجته عند خطبتها، كما هو مطالب بالإنفاق عليها من ناحية المأكل، والمشرب، والملبس والمسكن، وغير ذلك من متطلبات الحياة كذهابه بها إلى الطبيب إذا استدعى الأمر، أو غير ذلك من الأمور التى سردتها في فصل حرية المرأة في الإسلام .

وقد حمل أجمل هذه الأمور كلها الإمام / الفخر الرازي بقوله :

« واعلم أن فضل الرجال على النساء حاصل من وجوه كثيرة، بعضها صفات حقيقية، وبعضها أحكام شرعية، أما الصفات الحقيقية فاعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها إلى أمرين، إلى العلم، وإلى القدرة ، ولاشك أن عقول الرجال وعلومهم أكثر، ولاشك أن قدرتهم على الأعمال الشاقة أكمل، فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل والحزم، والقوة، والكتابة في الغالب، والفروسية، والرمي، وإن منهم الأنبياء والعلماء ، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان، والخطبة، والاعتكاف، والشهادة في الحدود ـ القصاص بالاتفاق ـ وفي الأنكحة عند الشافعي -رضي الله عنه- وزيادة النصيب في الميراث، وفي تحمل الدية في القتل الخطأ، وفي القسامة، والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج ، وإليهم الانتساب فكل ذلك يدل على فضل الرجال على النساء » .

والسبب الثاني: وبما أنفقوا من أموالهم ، وقد فصّلنا القول في ذلك آنفًا .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي / كتاب الإيمان / باب نقصان الإيمان بنقصان الطاعات/ جـ١ / ص ٢٦٣ .

أو بعد هذا يدعى أدعياء التحرر أن المرأة تساوى الرجال في كل شئ .. ما أرى ذلك إلا حقدًا على الإسلام وتعاليمه السمحة التى وزعت الأعمال على الرجال والنساء ، حسب الملكات والمواهب، فمنحت الرجال أعمالاً لاتستطيع ممارستها النساء والعكس كذلك .

وعلى سبيل المثال الافتراض أن المرأة ستجني من وراء عملها هذا ربحًا ماديًا فهل تستغنى عن الرجل بذلك المغنم المادي ؟

كلا .. لا أظن عاقلا يقول نعم . لماذا؟

لأن حاجة المرأة إلى الرجل وقوامه لها أمر فطري، كما أن الواقع الذي عرفته الدنيا منذ فجر التاريخ إلى الآن، يشهد بأن المرأة لاتشعر بالأمن والراحة إلا في ظل رجل، ولاتهدأ مشاعرها ويستقيم كيانها إلا في حماه.

ثم إن أردتم يا أدعياء التحرر أن تقيموا المساواة التامة، فإنكم بذلك تعلنون الحرب على الله لأنكم تعطلون نصوص القرآن الثابتة بقوامة الرجل على المرأة .. وتفضيلها عليها في بعض الأمور، فتكونون بذلك قد خرجتم عن تعاليم الإسلام، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: هل تحققت المساواة التامة بين الرجل والمرأة في البلاد التى تأبت على قوانين السماء، وأخذت تزج بالمرأة في كل ميدان إن الواقع ينفي ذلك تمامًا .

وما أصيبت المرأة في الغرب بالانحلال والتفكك ، إلا يوم أن تخلى الرجل عن قوامه الأسرة ، فخسرت بذلك القيادة والتوجيه والرقابة والخبرة .

لقد أدى خروج المرأة في الغرب إلى العمل إلى تقويض أركان الأسرة، وزلزلة كيانها من أساسه، وشيوع الفساد ، وانتشار الأمراض السرية الفتاكة نتيجة الاختلاط، وانتشار البطالة بين الشباب مما حدا بعلماء الغرب ومفكريهم أن ينادوا بعودة المرأة إلى بيتها والأمثلة على ذلك كثيرة لاحصر لها، نكتفى منها بما يلي :

قال العلامة الإنجليزي (سامويل سمايلس) وهو من أركان النهضة الإنجليزية: « إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فإن نتيجته هادمة لبناء الحياة المنزلية، لأنه هاجم هيكل المنزل، وقوض أركان الأسرة، ومزّق

الروابط الاجتماعية .. إذ وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية، مثل ترتيب مسكنها، وتربية أولادها، والاقتصاد في وسائل معيشتها، مع القيام بالاحتياجات البيتية، ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات، بحيث أصبحت المنازل غير المنازل ، وأضحت الأولاد تشب على عدم التربية وتلقى في زوايا الإهمال، وطفئت المحبة للرجل، وصارت زميلته في العمل والمشاق، وباتت معرضة للتأثيرات التى تمحو غالبًا التواضع الفكري والأخلاقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة»[١] .

ولو أردنا أن نعدّد ما قاله الكتاب والمفكرون في هذا المجال لضاق بنا المقام ولكن أود أن أقول في نهاية المطاف أن أدعياء التحرر لو تعقلوا قليلا لعلموا أنهم أهانوا المرأة ولم يكرموها ، وليس أدل على ذلك مما قاله الغربيون أنفسهم والفضل ما شهدت به الأعداء .

فها هي وزيرة ثقافة فرنسا مدام (فرانسواز جيرورد) تدلى بدلوها في هذا الأمر الخطير وذلك بعد تعيينها وزيرة لشئون المرأة فقالت في أول تصريح لها : « إنها جاءت لتصلح حال المرأة في فرنسا، واستقبل العالم هذا التصريح بالدهشة فالعالم كله يعلم أن المرأة الفرنسية تتمتع بأوفر قسط من الحرية، وهي لاتعاني من ظلم أوضغط أو اضطهاد من الرجال، ولكن الوزيرة الفرنسية أوضحت تصريحها فقالت: «إن المرأة لاتستحق الحرية، إن نصيبها من هذه الدنيا هو ما أخذته، بل إنها أخذت أكثر مما تستحق، إن المرأة تأخرت عن الرجل .. إن الرجل يجب أن يتقدم عليها فهو أكثر منها امتيازا وعظمة» .

وعلق الرئيس الفرنسي (ديستان) على ما قالته الوزيرة الفرنسية فقال:

«لقد كشفت الوزيرة النقاب عن الحقوق المزعومة إلى حد كبير، وانفرط عقد الأسرة فيه»[٢] .

تلك اعترافات صريحة من علماء الغرب بأكذوبة حركة تحرير المرأة وأن المرأة بعدما

---

(١) دائرة معارف فريد وجدى / جـ٨ / ص ٦٣٩ / نقلا عن كتاب الأسرة بين الفقه والقانون / د. مصطفى السباعي / ص ٢٥٢ .

(٢) المرأة والأسرة في الحضارة الغربية/ محمد عطية خميس / ص ٢٧ ، ٢٨ .

خرجت إلى العمل لاقت مالاقته من عناء، وبذلك لم تستطع أن تقوم بأعبائها الثلاثة أعباء العمل وأعباء البيت، وأعباء العائلة .

أو بعد ذلك نجد صرخات وأقلام كتاب ينادون بتحرير المرأة ؟ إن الإسلام حرر المرأة منذ أربعة عشر قرنا، فلم يبخسها حقها، فكيف تدعون أنكم تحررونها؟ أتحررونها من زيها؟ من تقاليدها؟ من تعاليم دينها؟ إن الإسلام يقف أمامكم قائلا: كفوا ألسنتكم وأقلامكم ، فكفى بالمرأة عزّة ورفعة أن نالت حريتها في الإسلام .

وهناك فرق بين الحرية والتحرر، فالحرية هي الالتزام بما شرع الله ، أما التحرر فهو الخروج عن منهج الله .

فكيف تتأبون على منهج الله ، وتتبعون هواكم، وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1] .

أو بعد هذا يدعى مدّع أن الإسلام لم يعط المرأة حقها؟ إنني أرى ذلك من أدعياء التحرر سيرا وراء مخطط يهودى ليفسدوا على المرأة حياتها، وينغصوا عيشها، ويصلوا بذلك إلى نزع القوامة من الرجل، حتى تتفكك أواصر الأسرة المسلمة، وتتحلل بذلك الروابط الأسرية فتضيع الأسرة بين زوج لاسلطان له ، وبين زوجة حرة التصرف لارقيب عليها سوى الهوى والفضول وإرواء الغريزة الجنسية على أي وجه، وينتج عن ذلك وجود أبناء ضائعين ومشردين بين أبوين متنازعين .

إن هذا هدف لأعداء الإسلام، ويوم أن يتحقق لهم هذا المطلب، ستتحقق لهم السيطرة التامة على المسلمين، وندع الله أن لا يتحقق لهم هذا، وإنني في نهاية هذا الفصل أُحَمِّلُ المسئولين أولي الأمر ـ مسئولية عمل المرأة، وخروجها واختلاطها سافرة بالرجال الأجانب، دون وازع من دين، أو رقيب من ضمير، فالمسئولية ليست قاصرة على المرأة وحدها، ولكنها موزعة على الرجل في بيته أولا؛ لأن من واجبه أن ينشئ

---

(١) سورة القصص : من الآية ٥٠ .

أولاده تنشئة إسلامية، وإذا كان زوجا عليه أن يأمر زوجته بأن تظل في بيته ولا تخرج إلا للضرورة القصوى، وإلا كانت ناشزًا، كما أن المسئولية على أولى الأمر الذين فتحوا مجال العمل للبنات دون البنين، ففي أكثر من مجال تجد المطلوب للعمل سيدات، ويشترط فيهن مواصفات خاصة، وينتج عن ذلك بطالة مقنعة للشباب، وزيادة إفراز في عدد الشباب الذي لا يجد عملاً فيضطر إلى أن يلجأ إلى أي عمل مشروعًا أو غير مشروع، وبذلك يكون عضوًا مشلولاً في المجتمع، ونصيحتى إلى هؤلاء وأولئك قول الرسول - ﷺ - «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته...» .

الباب الثالث

خلفيات المؤامرة على المرأة المسلمة

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : القضاء على الحجاب الإسلامي .

الفصل الثاني : منع الزواج بأكثر من واحدة .

الفصل الثالث : تقييد الطلاق .

الفَصْلُ الأَوَّلُ

القضاء على الحجاب الإسلامي

تمهيد :

لقد حاول أعداء الإسلام أن يشوهوا صورة الإسلام والمسلمين ، يشوهوا صورة الإسلام عن طريق الافتراء والكذب على تعاليمه، وسبيلهم في الوصول إلى هذا ليّ النصوص الصريحة التى لا تحتاج إلى تأويل أو ليّ ، حتى يصرفوا بذلك المسلمين إلى كلامهم، ومن ثم يسهل عليهم السيطرة عليهم، كما استطاعوا أن يشوهوا صورة المسلمين بالحكم على نفر قليل منهم بأنهم ليسوا ملتزمين بمنهج الله ، ويحكموا على الإسلام من خلال واقع بعض المسلمين الخارجين على تعاليمه، حتى يصلوا من خلال ذلك إلى القول بأن الدين الإسلامي لا يواكب حركة الحياة، وأنه يقيد الإنسان بقيود يجب على الإنسان أن ينسلخ عنها، ومن ثم يسهل على أعداء الإسلام بهذه الطرق الملتوية صرف أنظار المسلمين عن دينهم، واتباعهم لكل ما أتى إليهم من سموم فاسدة من الغرب الملحد، ولقد وصل الأمر بنفر غير قليل من المسلمين إلى أن يتبعوا تعاليم الغرب الوافدة إلينا عن طريق الغزو الثقافي، فإذا بتلك التعاليم تفسد أخلاقهم ، وتسئ أحوالهم؛ لأن الغرب كرّس كل جهده في تمييع شخصية المسلم وصرفه عن تعاليم دينه، فهل من رجعة إلى كتاب ربنا وتعاليم ديننا، لنستقى منها ما يصلح أحوالنا، ويصرفنا عن هذا الهراء الكاذب، وتلك السموم الفاسدة، التى وفدت إلينا عن طريق أعداء ديننا.

وأهم ما حاول أعداء الإسلام تحقيقه بالنسبة للمسلمين القضاء على الأسرة المسلمة، والدعوة إلى خروج المرأة سافرة متبرجة، زاعمين أن الأمر بالحجاب، والقرار في البيوت، خاصًا بنساء النبي ـ ﷺ ـ وليس عامًا بكل نساء المؤمنين ..

وهذا ما أود أن ألقي الضوء عليه من خلال صفحات هذا الفصل الذي عُنوِنَ له بمطلب من مطالب أعداء الإسلام ألا وهو :

«القضاء على الحجاب الإسلامي»

وتلك مؤامرة رسمها أعداء الإسلام للقضاء على الإسلام والمسلمين حتى يسهل لهم السيطرة عليهم فكرًا وسلوكًا .

وقد قسمت هذا الفصل كما يلي :

اولا: الحجاب والشرائع السابقة .

ثانيا: الحجاب بين الإسلام وأدعياء التحرر في العصر الحديث .

وتحدثت في هذا المطلب الثاني عن تعريف الحجاب، وحدود قرار الزوجة في بيت زوجها، ثم ناقشت أفكار قاسم أمين وأدعياء التحرر في الحجاب، ثم سقت الأدلة المتعددة من واقع حياة نساء النبي - ﷺ - وواقع حياة نساء الصحابة والتابعين، ثم بينت عقب ذلك أن نساء المؤمنين عامة مأمورات بالحجاب، لأن الحجاب عامًا وليس خاصًا كا يدعي أدعياء التحرر في العصر الحديث، فمن ثنايا صفحات هذا الفصل يتضح لنا ذلك كله ..

فأقول وبالله التوفيق :

١- الحجاب والشرائع السابقة :

إن الناظر إلى الشرائع السابقة سيجد أن الحجاب كان موجودًا فيها، وأقوى دليل يوضح لنا ذلك نستنتجه من النصوص الموجودة في التوارة والأناجيل الكامنة بين أيدينا، وإن طرأ عليها التغيير والتحريف إلا أنها تلزم تابعيها بالسير على نهجها، ومن ثم يتضح لنا من خلال نقلنا لبعض النصوص من التوارة والإنجيل أنها تدل على مالديهم من فكرة عن الحجاب، كما تؤكد بلا ريبة أن النساء فتنة، لابد من تنظيم علاقتهن بالرجال، وها أنذا أستعرض جانبًا مما ورد في التوارة والإنجيل بخصوص الحجاب .

١- جاء في الإصحاح الخامس من أمثال سليمان: «أن شفتى المرأة الأجنبية تقطران عسلاً، وحنكها أنعم من الزيت لكن عاقبتها مرة كالإفسنتين ، حارة كسيف ذي

(١) الإصحاح الخامس/ أمثال سليمان .

حدين ، قدماها تنحدران إلى الموت خطواتها تتمسك كالهاوية »[1] .

٢- وفي الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين عن (رفقة) أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق فنزلت عن الجمل وقالت للعبد: من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائي؟ فقال العبد: هو سيدي. فأخذت البرقع وتغطت[1] .

وفي الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أيضا أن تامار: «مضت وقعدت في بيت أبيها . ولما طال الزمان .. خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت...»[2] .

وفي النشيد الخامس من أناشيد سليمان تقول المرأة: « أخبرني يامن تحبه نفسي أين ترعى عند الظهيرة؟ ولماذا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك؟» .

وفي الإصحاح الثالث من سفر أشعيا «أن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن بأن : «ينزع عنهن زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب »[3] .

لقد عرف اليهود هذا السلاح القاتل بالنسبة للمرأة فاستغلوه أسوأ استغلال، فأفسدوا غيرهم بتزيينهم المرأة ودعوتهم لخروجها متبرجة سافرة، وتلك عادتهم وديدنهم في كل أمورهم .

ومما يؤكد عداءهم التام للإسلام والمسلمين هذا الخطاب الذي نشرته مجلة الاعتصام عن اليهودي «رانجهون» سنة ١٨٦٩ أمام قبر الحاخام «بن يهوذا» في «براغ» عاصمة تشيكو سلوفاكيا المنشور بجريدة فرنسية في باريس بتاريخ ١٦ / ١٠ / ١٩٤٢م وجاء فيه ما يلي :

«يجب علينا أن نمزق وحدة الأحزاب المصطنعة والتطاحن السياسي، والأفكار الثورية التخريبية بواسطة عملائنا الذين سيظهرون إلينا نظرة العابد للمعبود مادمنا

(١) سفر التكوين/ الإصحاح الرابع والعشرين .
(٢) سفر التكوين / الإصحاح (٣٨) .
(٣) سفر أشعيا / الإصحاح الثالث .

تملك أكبر كمية من الرصيد الذهبي ومادمنا لن نحجز بناتنا ونساءنا عن أعداء الخوارج الملاعين »[1] .

انظر إلى أي مدى انطبع في نفوس هؤلاء اليهود أنهم هم الذين يستحقون الحياة دون غيرهم، حيث إنهم قالوا إننا شعب الله المختار، ومن ثم نراهم يصرون على إثارة الحروب وإشعال نار الفتنة بين الأمميين ـ أي غيرهم ـ من الشعوب الأخرى، أيا كانت الوسيلة للوصول إلى أغراضهم الدنيئة .

بقيت كلمة لابد من ذكرها بالنسبة لقضية الحجاب لدى اليهود ألا وهي: إذا اعترض معترض على هذه النصوص وأنها ليست صحيحة المصدر، ولا متصلة السند، فكيف يعتد بها ؟

أقول: إن أوثق مصدر يعتد به كتاب الله ـ تعالى ـ في الحكم والفصل في مثل هذه القضايا، فالقرآن الكريم أخبرنا أن ابنتى شعيب كانتا على صورة من الوقار والحشمة، وهذا ما يوضح أن الحجاب كان موجودًا في الشرائع السابقة قبل الشريعة الموسوية، فمن باب أولى أن يكون موجودًا فيها، ولاسيما وأن شرائع ا لله أتت متكافئة المنهج واضحة المعالم .

هذا ما ورد بشأن الحجاب في الشريعة الموسوية، أمّا ماورد بشأنه في الشريعة العيسوسة ـ النصرانية ـ فنجمله فيما يلي :

جاء في إنجيل متى : الإصحاح الخامس : ص ٢٨ «وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه...»[2] .

ويؤكد بولس الرسول في رسالة كورنثوس الأولى:

« أن النقاب شرف المرأة فإن كانت ترخي شعرها فهو مجد لها؛ لأن الشعر بديل من البرقع»[3] .

---

(١) نقلا عن كتاب جهاد ناطق للسيد / عمر زادة / الداعية الإسلامي بالمغرب. نقلته مجلة الاعتصام عدد أكتوبر سنة ١٩٦٣م .

(٢) إنجيل متى / الإصحاح الخامس / ص ٢٨ .

(٣) الاصحاح ١١ ـ ١٥ .

يقول الأستاذ العقاد : « وكانت المرأة عندهم تضع البرقع على وجهها حين تلقى الغرباء ، وتخلعه حين تنزوي في الدار بلباس الحِداد[1] » .

تلك لمحة سريعة عن نظرة الشرائع السابقة للحجاب. ومن خلالها اتضح لنا أن الحجاب كان موجودًا في الشرائع التى سبقت الإسلام، إذ أنه كان معروفًا بين العيرانيين من عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى ما بعد ظهور المسيحية، وكانت الكنيسة في القرون الوسطى تخصص جانبًا منها للنساء ، حتى لايختلطن بالرجال »[2] .

٢ـ الحجاب بين الإسلام وأدعياء التحرر في العصر الحديث:

قبل سرد أحكام الإسلام للحجاب، أود أن أعرض معنى هذه الكلمة لغويا، لنقف على حقيقتها .

التعريف بالحجاب :

الأصل في الحجاب أنه :« الساتر أو الحاجز وهو ما يفصل بين الصدر والبطن »[3] أي أنه يمنع الرؤية بين شيئين أو جسدين .

وسمى الحجاب حجابًا لأنـه يمنع المشاهدة. يقال: أي منعه من الدخول[4]. أو من الرؤية .

وقد وردت آيات في القرآن الكريم بشأن هذا المعنى منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى في القرآن الكريم :

﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[5] .

أي من وراء ساتر يمنع الرؤية .

---

(١) المرأة في القرآن / أ. عباس محمود العقاد/ ص ٦٣٦ / طبعة ١٩٧١ / مؤسسة دار الهلال.

(٢) يراجع في ذلك : الأسرة تحت رعاية الإسلام للأستاذ / عطية صقر / ص ٤٢ ، وكتاب المرأة في القرآن / ص ٦٢/ وكتاب المرأة والإسلام / أحمد زكي تفاحة / ص ١٣٣ ـ ١٣٥ .

(٣) المعجم الوسيط / جـ١ / ص ١٥٦ ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية / جـ٢ / ص ٢، القاموس القرآني / حسن محمد موسى / ص ٣٠٨ ، تاج اللغة/ للجوهرى المصباح المنير/ ص ١٨٩ ، القاموس القويم / جـ١/ ص ١٤٢ .

(٤) تاج اللغة / جـ١ / ص ٤١ .

(٥) سورة الأحزاب : من الآية ٥٣ .

ومنه أيضا قوله ـ جل شأنه ـ في كتابه العزيز :

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾[1] .. أي ساترا[2] .

ومنه قوله ـ جل وعلا ـ في كتابه المجيد :

﴿إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[3] .... أي من حيث لا يراه[4] .

ومنه قوله تعالى أيضًا في كتابه المكنون :

﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[5] . أي مستورون فلا يرونه[6] .

ومن خلال هذه التعريفات والمعاني لكلمة الحجاب يتضح لنا حقيقة الحجاب ألا وهي :

«جملة من الآداب شرعها الإسلام ليبطل ما كانت تموج فيه الجاهلية من تبرج، وتعرض للإثارة ، وتحلل شائن في صلة الرجال بالنساء، ويبطل عشوائية الصلات غير الشرعية بين الرجال والنساء ، وليفصل الحدود والمعالم التى تحدد علاقة كل من الجنسين بالآخر، فهو بذلك يمنع التبرج والابتذال، ويحوى معاني العفة والحياء والمحافظة على الحرمات»[7] .

يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي: « إن جملة الأحكام التى يطلق عليها عنوان الحجاب « هي في الحقيقة مشتملة على أهم أجزاء قانون الاجتماع الإسلامي، فإذا وضعت هذه الأحكام موضعها الصحيح في نظام ذلك القانون بكامله ثم تأملها أحد فيه أثرة من البصيرة الفطرية السليمة، لم يلبث أن يعترف بأنها الصورة الوحيدة الممكنة

---

(١) سورة مريم : من الآية ١٧.

(٢) إصلاح الوجوه والنظائر / ص ١١٧ ـ باب : حجب .

(٣) سورة الشورى : من الآية ٦١.

(٤) المفردات في غريب القرآن / ص ١٠٦.

(٥) سورة المطففين : الآية ١٥.

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم / جـ ٢ / ص ٢ .

(٧) تفسير سورة النور/ لابن تيمية / ص ٢٢ ، ٢٣، أحكام القرآن / لابن العربي / جـ١ ص ٣٥٩، والاسلام والمرأة المعاصرة / د. محمد البهي / ص١٦٢ ، عمل المرأة وموقف الإسلام منه / ص ١١٤ .

(٨) الحجاب / أبو الأعلى المودودي / ص ٢٥ / طبعة دار الفكر العربي.

التى تضمن الاعتدال في الحياة الاجتماعية»[٨] .

ومن ثم نستطيع أن نقول إن الحجاب في الإسلام يطلق ويراد به عدة معان:

الأول : أن تقبع المرأة في بيتها فلا يراها أحد غير محارمها .

الثاني: إرخاء القناع[١] على وجه المرأة إذا خرجت من بيتها لبعض شأنها، حتى لا تظهر فتنتها للرجال الأجانب .

الثالث: قرار المرأة في بيتها والاحتجاب دون الرجال فلا تكون بمرأى ولا مسمع منهم[٢] .

وليس معنى قرار المرأة في بيت زوجها حبسها بين الجدران وإغلاق الأبواب عليها، مما يتنافى مع حريتها وكرامتها، ولكن القرار في البيت له حدوده وآدابه ، وها أنذا أجملها فيما يلي :

حدود قرار الزوجة في بيت زوجها :

بينت الشريعة الإسلامية حدود القرار في بيت الزوج، إذ جعلته حقا له، حتى لاتنفر منه الزوجة، ووضعت الشريعة الإسلامية لهذا الحد القيود والضوابط التى بها تتحقق السعادة لكل منهما، وقد ذكر هذه الضوابط وتلك القيود الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله - في كتابه «إحياء علوم الدين» وأجملها فيما يلي: «فالقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة في قعر بيتها، لازمة لمغزلها لايكثر صعودها واطلاعها ،قليلة الكلام لجيرانها، لاتدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول، تحفظ بعلها في غيبته، وتطلب مسرته في جميع أمورها ولاتخونه في نفسها وماله ولاتخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بإذنه فمختفية في هيئة رثة، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزة من أن يسمع غريب صوتها، أو يعرفها بشخصها، لاتتعرف إلى صديق لبعلها في حاجتها بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه، همّها صلاح شأنها، وتدبير بيتها، مقبلة على صلاتها وصيامها، وإذا استأذن

---

(١) القناع هو : ما تتقب به المرأة فتجعله على مارن أنفها لكي تستر به وجهها فيبدو منه عيناها ومحاجرها . المعجم الوسيط /جـ٢ / ص ٩٥٢ ، لسان العرب/ جـ٢ / ص ٢٦٥ .

(٢) الإسلام كما ينبغي أن نعرفه / د. محمد شامة / ص ٢٥٩ - ٢٦٠ بتصرف قليل .

صديق لبعلها على الباب، وليس البعل حاضرًا لم تستفهم و لم تعاوده في الكلام غيرةً على نفسها وبعلها، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها ، منتظمة في نفسها، مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها، إن شاء، مشفقة على أولادها ، حافظة للتستر عليهم، قصيرة اللسان عن سب الأولاد، ومراجعة الزوج»(١) .

هذا وقد استنبط بعض العلماء حالات يجوز للمرأة فيها الخروج من بيت زوجها وذلك إذا دعت الضرورة ، كزيارة الوالدين والمحارم، والضرورة تقدر بقدرها، وقد أشار ابن قدامة في المغنى إلى منع الزوجة من الخروج فقال :

«وللزوج منعها من الخروج من منزله إلى مالها منه بد، سواء أرادت زيارة والديها او عيادتهما ، أو حضور جنازة أحدهما ، قال أحمد في امرأة لها زوج وأم مريضة: طاعة زوجها أوجب عليها من أمها إلا أن يأذن لها»(٢) .

ثم يبين صاحب المغنى أن طاعة الزوجة لزوجها واجبة ولا تخرج من بيته إلا بإذنه، لكي ينبغي على الزوج أن يكون محسنا إليها ومعاشرًا لها كما أراد الله ، ومن حسن المعاشرة أن يأذن لها بزيارة أبويها أو أحدهما أو محارمها حسب ما يقتضيه العرف الصحيح، وإلى هذا المعنى ذهب ابن قدامة بقوله :

«ولا يجوز لها الخروج إلا بإذنه ، ولكن لاينبغي للزوج منعها من عيادة والديها وزيارتهما، لأن في ذلك قطيعة لهما، وحملا لزوجته على مخالفته، وقد أمر ا لله تعالى بالمعاشرة بالمعروف وليس هذا من المعاشرة بالمعروف»(٣) .

والذي أراه أن الزوج يجب عليه أن يراعي الأمور حسب أحوال الأبوين ، بحيث يترك لها الفرصة للزيارة ولو كل أسبوع مرة، إذا كان الوالدان بجوارها حتى لا يشق ذلك عليهما، أما إذا كانا بعيدين عنها فعليه أن يتيح لها الزيارة ولو كل شهر مرة ، يقول الدكتور / على حسب الله : « ولها عليه أن يأذن لها بالخروج لزيارة أبويها كل

---

(١) إحياء علوم الدين / للغزالي / جـ٢ / ص ٦١ .
(٢) المغنى لابن قدامة / جـ٧/ ص ٢٠.
(٣) نفس المرجع / جـ٧ / ص ٢٠، ٢١ .

أسبوع مرة، ولزيارة محارمها كل سنة مرة، وقيل كل شهرة مرة، ولاتبيت عند أحد منهم إلا بإذنه ، وليس لها أن تزور غير هؤلاء أو تعودهم إلا بإذنه ، ولا أن تأذن لأحد في دخول بيته من غير رضاه، إلا أن يزورها أحد أبويها كل أسبوع مرة، أو أحد محارمها كل سنة أو كل شهرة مرة، وله منعها من حضور الولائم ولو كانت عند المحارم، لما يغلب فيها من المفاسد، وإذا مرض أحد أبويها مرضًا يحتاج فيه إلى من يقوم بشأنه، وليس له غيرها وجب عليها أن تعنى به وإن كان كافرا، سواء أرضى الزوج أم أبى ، لأن حق الوالدين مقدم على حق الزوج عند التعارض»[1] .

وعلى هذا يكون القرار في البيت صيانة للمرأة، وحفاظًا على كرامتها، ومانعًا لها من الغواية والتبرج، وحافظا لها من الوقوع في الحرمان ، وطريق للعفة والحياء، وليس المراد منه حبسها كما يزعم بذلك أدعياء التحرر وعلى رأسهم قاسم أمين الذي يقول منددًا بالحجاب إنه مانع للمرأة من خوض التجارب التى هي أساس العلم والأدب الحقيقي في نظره ، يقول قاسم أمين : « فالتجارب هي أساس العلم والأدب الحقيقي، والحجاب مانع للمرأة من ورود هذا المنبع النفيس، لأن المرأة التى تعيش مسجونة في بيتها ولا تبصر العالم إلا من نوافذ الجدران أو من بين أستار العربة ولاتمشي إلا وهي كما قال الأمير على القاضي «ملتفة بكفن» لايمكن أن تكون إنسانا حيًا شاعرًا خبيرًا بأحوال الناس قادرًا على أن يعيش بينهم»[2] .

أي منبع هذا الذي يقصده قاسم أمين؟ ويصفه بأنه منبع نفيس، هل هو منبع التجارب الذي أضحى ملوثًا بالرذيلة ، وداعيًا للسفور، أم منبع الفضيلة والشرف والحياء والحفاظ على العرض والحرص على الكرامة؟

إذا كان الأول فالإسلام يقف أمامه بالمرصاد آمرًا النساء بالقرار في البيوت، ويمنع الإختلاط إذا أدى إلى ضياع كرامة المرأة وشرفها، ولاداعي لتقليد الجاهلية الأولى وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

(١) الزواج في الشريعة الإسلامية / د. على حسب الله / ص ٢٠٣ / ط دار الفكر العربي.
(٢) المرأة الجديدة / قاسم أمين / دراسة الدكتورة / زينب الخضيري / ص ١١٤/ الناشر / سينا للنشر .
(٣) سورة الأحزاب : من الآية ٣٣ .

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[1] .

ولنا مع هذه الآية وقفة بعد قليل .

إن قاسم أمين بأسلوبه الزئبقي يستطيع أن يلوي الحقيقة حتى يقنع قارئه بأنه مع الإسلام وتعاليمه، إلا أن فحوى كلامه كان على خلاف ذلك تماما، فضلا عن إنك تجد تناقضا ملحوظًا في أفكاره وكلامه ولاسيما إذا قرأت ماكتبه في كتابه (المصريون) ثم انتقلت بعد ذلك إلى قراءة كتابه (تحرير المرأة) أو (المرأة الجديدة).

إنه في كتاب (المصريون) يدافع عن نظام الحجاب السائد لعالم المرأة الشرقية، ويمتدح النظام الصارم الذي جعل المجتمع الشرقي مجتمعًا انفصاليًا يحرم فيه اختلاط الرجال بالنساء ، ويهاجم تحرر المرأة الأوربية، ويغالي في تصوير مساوئ الاختلاط في أوربا، متهما إياهم بالتحلل الخلقي، مصورًا أن نتائج الاختلاط غالبًا ما تنتهي بفقدان المرأة عفتها وتفريط الرجل في عرضه[1] .

تلك بعض أفكار قاسم أمين التى كتبها في كتابه (المصريون) سنة ١٨٩٤م وتمر الأيام تلو الأيام ، وإذا به يناقض ما كتبه ويغير أفكاره وآراءه عن المرأة الشرقية وذلك عندما كتب كتاب «تحرير المرأة» سنة ١٨٩٩م أي بعد كتابه الأول بخمسة أعوام فماذا كتب عن هذه القضية .

يقول قاسم أمين : « ليس في الشريعة نص يوجب الحجاب .. وإنما هي عادة أخذناها عن بعض الأمم .. وإن نساء العرب والقرى المصرية، مع اختلاطهن بالرجال على مايشبه الاختلاط في أوربا، أقل ميلا للفساد من ساكنات المدن المحجبات .. إن المرأة التى تخالط الرجال تكون أبعد عن الأفكار السيئة من المرأة المحجوبة»[2] .

ثم يتابع قاسم أمين أفكاره عن الحجاب قائلا: «لو لم يكن في الحجاب عيب إلا أنه مناف للحرية الإنسانية وأنه صار بالمرأة إلى حيث يستحيل عليها أن تتمتع بالحقوق التى خوّلتها لها الشريعة الغرّاء والقوانين الوضعية فجعلتها في حكم القاصر لاتستطيع

---

(١) قاسم أمين وتحرير المرأة / د. محمد عمارة / ص ٥٦ ـ ٦٠ / الناشر دار الهلال .

(٢) المصدر السابق / ص ٥٣ وانظر الأعمال الكاملة لقاسم أمين/ جـ٢/ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة / الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٧٦م/ ص ٤٥ .

أن تباشر عملا بنفسها، مع أن الشرع يعترف لها في تدبير شئونها المعاشية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجال، وجعلها سجينة مع أن القانون يعتبر لها من الحرية ما يعتبره للرجل - لو لم يكن في الحجاب إلا هذا العيب لكفى وحده في مقته وفي أن ينفر منه كل طبع غرز فيه الميل إلى احترام الحقوق والشعور بلذة الحرية، ولكن الضرر الأعظم للحجاب فوق جميع ما سبق أنه يحول بين المرأة واستكمال تربيتها[1] .

والآن مع مناقشة هذه الأفكار والرد عليها، وقبل مناقشتها أود أن أعرض جانبًا من فكر قاسم أمين وتطوره حتى نستطيع أن نقف على حقيقة أمره .

إنه في بداية أمره طالب بتعليم المرأة سنة ١٨٩٤م وصرح بذلك في كتابه : المصريون، وكان معتدلاً في فكره، فنراه مثلاً يقول: «إنني أحتقر ادعاء النساء وتحذلقهن ، ولكنني نصير متحمس لأخذ المرأة قدرًا نسبيًا من التعليم»[2].

ثم نراه بعد ذلك في كتابه : تحرير المرأة الذي صدر سنة ١٨٩٩م يظل على موقفه في كتابه «المصريون» من المناداة بتعليم المرأة، إلا أنه في كتابه الثاني: نادى باشتراك المرأة في جميع الأعمال المدنية، إذ أنها مساوية للرجل في جميع الأعمال المدنية، فضلا عن شئونها الخاصة .

ثم نراه بعد ذلك في كتابه «المرأة الجديدة» الذي صدر سنة ١٩٠٠م يبقى على موقفه من قضية عمل المرأة بالعمل السياسي ووظائفه العليا وتناسي ما أبداه من ذي قبل بأن طبيعة عمل المرأة تختلف عن عمل الرجل وأن الفطرة طبعت كل منهما بذلك.

ولقد صرح بذلك قاسم أمين إذ يقول:

« إن المرأة المصرية ليست مستعدة اليوم لشيء مطلقا، ويلزمها أن تقضى أعوامًا في تربية عقلها بالعلم والتجارب حتى تتهيأ إلى مسابقة الرجال في ميدان الحياة العمومية[3].

تلك لمحة سريعة عن تطور فكر قاسم أمين في قضية عمل المرأة، وذلك في فترة

---

(١) المرأة الجديدة / قاسم أمين/ دراسة الدكتورة / زينب الخضيري / ص ١٠٩ .

(٢) قاسم أمين وتحرير المرأة / د. محمد عمارة / ص ٨٤.

(٣) الأعمال الكاملة لقاسم أمين / جـ٢ / ص ١٦١.

وجيزة من حياته ما بين ١٨٩٤م إلى ١٩٠٠م .

والآن مع مناقشة أفكاره عن الحجاب :

إنه يدعى أن الشريعة الإسلامية ليس فيها نص يوجب الحجاب. وهذا الادعاء مردود من عدة وجوه :

الوجه الأول : ورود الآيات القرآنية بشأن الحجاب :

١ـ قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾(١) .

وإن كانت هذه الآية خاصة بنساء النبي ـ ﷺ ـ إلا أنها لاتمنع أن يدخل تحتها نساء المؤمنين لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول العلماء وبهذا المعنى قال العلامة القرطبي في تفسيره :

«وإن كان الخطاب لنساء النبي ـ ﷺ ـ فقد دخل غيرهن في هذا المعنى ولو لم يرد دليل يخص جميع النساء كيف والشريعة الإسلامية طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة»(٢) .

ومن ثم يتضح لنا أن الخطاب في هذه الآية موجه لنساء النبي ـ ﷺ ـ خاصة، ولنساء المسلمين عامة، لأن نساء النبي ـ ﷺ ـ من أمهات المؤمنين وهن الأسوة الحسنة فوجب على نساء المؤمنين اتباعهن .

هذا والأمر بالقرار في البيت للمرأة، شرف لها ، وصيانة لعرضها، وراحة لضميرها، واستقرار لنفسها، وطمأنينة لقلبها .

٢ـ قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِن﴾(٣) .

---

(١) سورة الأحزاب : من الآية ٣٣ .

(٢) تفسير القرطبي / جـ٤ / ص ١٧٩ .

(٣) سورة الأحزاب : من الآية ٥٤ .

يقول الشيخ حسن البنا: «والآية وإن كانت نزلت في حق أمهات المؤمنين ولكنها تشمل بعمومها سائر المسلمات ، لأنهن قدوة لهن، ولأن خطاب الواحد يعم حكمه جميع المكلفين بجامع الاشتراك في علة التكليف كما هو مقرر في الأصول».

وإذا نظرنا إلى عامة الحكم ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ علمنا أن من بعدهم أولى فيعم الحكم بالقياس الجلي أو قياس الأولى سائر المؤمنات بعدهن[1] .

وقد أجمع على هذا كثير من المفسرين القدامي منهم والمحدثين ومن ثم يتضح لنا أن كل أمر خاص بنساء النبي - ﷺ - يندرج تحته غيرهن من نساء المؤمنين وهذا ما توضحه لنا الآية الثالثة من سورة الأحزاب ، والخاصة بنساء المؤمنين عامة وبنساء النبي - ﷺ - خاصة .

٣- قال تعالى في كتابه المجيد :

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[2] .

يقول الشيخ / سيد قطب في تفسيره : «أمر الله نبيه - ﷺ - أن يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين عامة - إذا خرجن لحاجتهن أن يغطين أجسامهن ورءوسهن وجيوبهن - وهي فتحة الصدر من الثوب بجلباب كاس فيميزهن هذا الزي ويجعلهن في مأمن من معابثة الفساق، فإن معرفتهن وحشمتهن معًا تلقيان الخجل والتحرج في نفوس الذين كانوا يتبعون النساء لمعابثتهن[3] .

يقول الشيخ المراغي : في تفسير قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾[4] . أي ذلك التستر أقرب لمعرفتهن بالعفة فلا يتعرض لهن ولا يلقين مكروها من أهل الريبة احترامًا لهن منهم، فإن المتبرجة مطموع فيها، منظور إليها

---

(١) المرأة المسلمة/ الشيخ / حسن البنا / ص ١٩ / الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ الناشر/ دار الكتب السلفية بالقاهرة .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٩ .

(٣) في ظلال القرآن / سيد قطب / جـ ٢٢ / مجلد (٥) ص ٢٨٨٠ / طبعة دار الشروق/ الطبعة الشرعية السابعة ١٩٧٨م .

(٤) سورة الأحزاب : من الآية ٥٩ .

نظرة سخرية واستهزاء كما هو مشاهد في كل عصر ومصر، ولاسيما في هذا العصر الذي انتشرت فيه الخلاعة وكثر الفسق والفجور(١) .

وقد ذكر مثل هذا كثير من المفسرين منهم(٢) ..

وإذا كان هذا محل اتفاق بين العلماء على أن المسلمة واجب عليها اتباع أمهات المؤمنين والاقتداء بهن بالنسبة للحجاب ولغيره فهل يجب الحجاب على الكافرة أم لا؟.

يقول الشيخ/ محمد على الصابوني / : «لايجب الحجاب على الكافرة لأنها لاتكلف بفروع الإسلام، وقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون ،ولأن الحجاب عبادة لما فيه من امتثال أمر الله ـ عز وجل ـ فهو بالنسبة للمسلمة كفريضة الصلاة والصيام، فإذا تركته المسلمة جحودا فهي (كافرة) مرتدة عن الإسلام، وإذا تركته ـ تقليدا للمجتمع الفاسد ـ مع اعتقادها بفرضيته فهي (عاصية) مخالفة لتعاليم القرآن(٣) .

٤ـ قال الله تعالى :

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾(٤)، الآيات.

وهاتان الآيتان ورد فيهما الأمر بغض البصر من الطرفين الذكر والأنثي وخص إبداء الزينة بالنساء في الآية الثانية ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ . ومن ثم وجب لنا أن نفرق بين عورة الرجل وعورة المرأة ..

ذكر الإمام ابن رشد حد العورة من الرجل والمرأة بما يلي:

«وحد العورة من الرجل: فذهب مالك والشافعي إلى أن العورة منه مابين السرة

---

(١) تفسير المراغي / جـ٢٢ / ص ٣٨ .

(٢) التفسير الكبير/ لفخر الرازي / جـ ٢٥ / ص ٢٣٠ / الطبعة الثالثة ـ وتفسير الخازن / محمد إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن / جـ٥ / ص ٢٧٠ ـ مختصر تفسير ابن كثير / جـ٣ / ص ١١٥ الطبعة السابعة / الناشر/ دار القرآن ببيروت – البحر المحيط / لأبي حيان / جـ٧ / ص ٢٥٠ .

(٣) تفسير آيات الأحكام / محمد على الصابوني / جـ٢ / ص ٣٨٠ / الطبعة الثالثة / ١٩٨٠ / الناشر / مكتبة الغزالي .

(٤) سورة النور / الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .

إلى الركبة ، وكذلك قال أبو حنيفة، وقال قوم العورة هما السوأتان فقط من الرجل.
وحد العورة في المرأة: فأكثر العلماء على أن بدنها كله عورة ماخلا الوجه والكفين، وذهب أبو حنيفة إلى أن قدمها ليست بعورة ، وذهب أبو بكر بن عبد الرحمن وأحمد إلى أن المرأة كلها عورة ..

وسبب الخلاف في ذلك احتمال قوله تعالى ؟﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[1] هل هذا المستثنى المقصود منه أعضاء محدودة أم أنها المقصودة به مالا يملك ظهوره ؟ فمن ذهب إلى أن المقصود من ذلك مالا يملك ظهوره عند الحركة قال بدنها كله عورة حتى ظهورها واحتج لذلك بعموم قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ﴾[2] .

ومن رأي أن المقصود من ذلك ما جرت به العادة بأنه لايستر ، وهو الوجه والكفان، ذهب إلى أنهما ليسا بعورة واحتج لذلك بأن المرأة ليس تستر وجهها في الحج[3] .

وكتب الفقه والتفسير والأحاديث مبسوط فيها هذا الموضوع ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى هذه الكتب[4] .

وأستطيع أن أجمل ما ذكروه في هذا الأمر بأن المرأة كلها عورة، ولايجوز كشف شئ منها إلا للضرورة كالتداوى عند طبيب مسلم إذا لم توجد الطبيبة المسلمة متخصصة أو عند الحاجة كالشهادة أو سؤالها عمّا يعن لها من مشاكل .

هذا وقد استثنى الله صنف من النساء لاجناح عليهن في إبداء زينتهن من غير فتنة، أما إذا وقعت الفتنة فوجب عليهن العفة وهذا ما توضحه لنا هذه الآية .

---

(١) سورة النور / من الآية : ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب / الآية : ٥٩ .

(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد / جـ١/ ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة / قسم العبادات / الطبعة الثامنة / ص ١٦٣ ـ ١٦٨ ، وكتاب سبل السلام / محمد إسماعيل الصنعاني / جـ ١ / ص ١٣٢ ـ ١٣٤ ، أحكام القرآن لابن العربي جـ٣ / ص ١٥٧٩ ، روح المعاني للألوسي / جـ٢٠ / ص ٢٠ ، تفسير ابن كثير / جـ٣ / ص ٢٨٣ .

٥- قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١) .

ذكر الأستاذ/ أبو الأعلى المودودي تحت هذه الآية ما يلي : «والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحا» أي النساء اللاتي بلغن سن اليأس وقعدن عن الحيض والولد لكبرهن، بحيث لايبقى لهن مطمع في الزواج، ولايرغب فيهن الرجال، وإلى هذا المعنى تشير الجملة الآتية : ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُن﴾ إلا أن الظاهر أنه لا يمكن أن يكون المراد بوضع الثياب أن تخلع المرأة كل ما عليها من الثياب حتى تتعرى فلأجل ذلك قد اتفق الفقهاء والمفسرون أن المراد بالثياب في هذه الآية الجلاليب التى كان قد أمر أن تُخفى بها الزينة في آية ؟﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِن﴾.

وقوله : ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ .. أي غير مظهرات لزينتهن(٢) .

ومن ثم يتضح لنا مفهوم الزينة فهي تطلق ويراد بها ثلاثة أشياء .

١- الملابس الجميلة الفاتنة .

٢- الحلي كالخاتم والسوار والخلخال والوشاح والإكليل وغير ذلك .

٣- الأصباغ كالكحل والخضاب وغير ذلك مما نراه في عصرنا الحديث من أصباغ تُغَيِّرُ خلق الله .

ومن ثم تتضح العلة من تشديد الرسول - ﷺ - على المبالغة في إبداء المرأة لزينتها حينما لعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة ، والقاشرة والمقشورة ، والفالجة والمتفلجة ؛ لأنهن بذلك يغيرن خلق الله(٣) .

تلك هي الآيات التى وردت في القرآن الكريم والخاصة بالحجاب وعدم إبداء الزينة

---

(١) سورة النور/ الآية : ٦٠.

(٢) تفسير سورة النور / أبو الأعلى المودودي / ص ٢٢٦ / الناشر دار الاعتصام .

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان / محمد بن الحسين النيسابوري / حـ١٧ / ص ٩٠٢ / طبعة أولى / تحقيق الأستاذ / إبراهيم عطوة، وانظر زينة المرأة / د. عبد الحي الفرماوي/ ص ٥٠ / ٥٢ ، تفسير سورة النور / أبو الأعلى المودودي / ص ١٥٧ - ١٥٨ .

والمبالغة فيها .

الوجه الثاني: ورود الأحاديث الخاصة والعامة بشأن الحجاب :

أما عن الأحاديث بهذا الشأن فنذكر طرفًا منها كما يلي :

أولا: ما يتعلق بأمر نسائه بالاحتجاب :

١- روي الترمذي وابن سعد والامام أحمد وأبو داود في قصة ابن أم مكتوم حين دخل على النبي - ﷺ - وعنده ميمونة فقال لهما رسول الله - ﷺ - : «احتجبا منه» فقالت أم سلمة : أليس هو أعمى لايبصرنا ولايعرفنا؟ فقال - ﷺ - : « أوعمياوان أنتما .. أولستما تبصرانه؟»[1] .

٢- روي الطحاوى والبيهقي والترمذي والحاكم وابن سعد عن أنس ابن شهاب عن نبهان مولى أم سلمة أنها قالت: يانبهان .. كم بقي عليك من كتابتك «دينك»؟ قال : ألف درهم .. قالت: أهي عندك؟ قال: نعم . قالت: ادفع ما بقي عليك من كتابتك إلى محمد بن عبد الله بن أمية .. فإني أعنته بها في نكاحه وعليك السلام .. ثم ألقت دونه الحجاب . وقالت: والله لن تراني بعد ذلك أبدا، إن رسول الله - ﷺ - عهد إلينا إذا كان لإحدكن مكاتب وعنده ما يؤدي فلتحتجب منه[2] .

قال الطحاوى : «والأحكام التى تستخرج من هذا الحديث يدخل فيها مع أزواج النبي - ﷺ - من سواهن من النساء، وما رواه البيهقي عن القاسم بن محمد أنه قال: إن أمهات المؤمنين يكون لبعضهن المكاتب فتكشف له الحجاب ما بقى عليه درهم، فإذا قضى أرخته دونه »[3] .

---

(١) سنن الترمذي / جـ٥ /ص ١٠٢ ، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي / جـ١٠ / ص ٢٣٠ وقال حديث حسن صحيح، الطبقات الكبرى / جـ٨ / ص ١٨٦ ، التاج للأصول / جـ٥ / ص ٢٤٣ وقال رواه داود بسند صحيح .

(٢) البيهقي / جـ١ / ص ٣٢٧ وقال أخرجه الترمذي وقال: قال الحاكم حديث صحيح الإسناد، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، نيل الأوطار للشوكاني / جـ٦ / ص ٧٩ ، والطبقات جـ٨٢/ ص ١٧٨ ، تفسير ابن كثير / جـ٣ / ص ٢٨٥.

(٣) سنن البيهقي / جـ ٧ / ص ٩٥ ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل /جـ ٦ - ص ١٨٢ وقال حديث صحيح .

ثانيًا : ما يتعلق بأمره - ﷺ - بالاحتجاب لغير نسائه :

١- روى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «المرأة عورة»[1] .

وهذا الحديث يدل على أن المرأة كلها عورة من إخمص قدمها إلى وجهها كما قال بذلك الإمام أحمد[2] ، كما أن هذا الحديث بلا شك عام لجميع النساء، وليس خاصا بنساء النبي - ﷺ - حتى لا يدعى مدّع بعد ذلك أن الحجاب خاص بنساء النبي - ﷺ.

٢- روي عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : يارسول الله : أفرأيت الحمو؟ قال - ﷺ - : « الحمو الموت»[3] .

والحمو أخ الزوج وكما أشبهه من أقاربه .

قال الشنقيطي : «إن هذا الحديث فيه دليل على منع الدخول على النساء وسؤالهن متاعا إلا من وراء حجاب لأن من سأل متاعا لامن وراء حجاب فقد دخل»[4] .

وقد ذكر الدكتور/ محمد سعيد البوطي: «فلولا أن المرأة بمجموعها عورة بالنسبة للأجانب من الرجال لما أطلق النبي -ﷺ- النهى عن دخولهم عليهم إذ النهى يشمل مختلف ما عليه المرأة من حالات ما دامت بادية الوجه كما هو الشأن في كل امرأة في بيتها حتى أخو الزوج لايجوز له هو الآخر أن يدخل على امرأة أخيه .. ولو كان الوجه غير عورة لاستثنى - تسهيلا للأحماء - أن تكون المرأة ساترة لما عدا الوجه والكفين من أجزاء جسمها .. قلت: وهذا الحديث يطابق آية الحجاب ويقطع بلزوم عمومه لسائر النساء كما بينا[5] .

إلى غير ذلك من الأحاديث التى وردت بشأن الحجاب وهي مبسوطة في كتب

(١) المغني والشرح الكبير لابن قدامة الحنبلي / حـ١ / ص ٦٢٣ / طبعة دار المنار سنة ١٣٤٨هـ قال الترمذي حديث حسن صحيح .

(٢) الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور/ محمود التويجري / ط ثانية ١٩٧٤ / ص ٩٦ .

(٣) أخرجه الشيخان، انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / للشنقيطي / حـ٧ / ص ٥٩٢ .

(٤) أضواء البيان / المرجع السابق / حـ٧ / ص ٥٩٣ .

(٥) إلى كل فتاة تؤمن بالله / د. محمد سعيد رمضان البوطي/ ص ٤١/ ط دار الاعتصام .

السنة والتفاسير وغيرها من الكتب المتخصصة .

الوجه الثالث : أقوال الصحابة والتابعين عن الحجاب وأفعال نسائهم :

أ ـ أقوال الصحابة :

١ـ قول ابن عباس: «روى ابن جرير الطبري في تفسير عن عبيدة السلماني أنه قال: تغطى المرأة وجهها ورأسها، وتبرز عينا واحدة .. وذلك عندما سئل من قول الله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾[١] .

٢ـ قول عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ :

روي القرطبي بسنده أن عمر بن الخطاب قال : «ما يمنع المرأة المسلمة إذا كانت لها حاجة أن تخرج في إطمارها أو إطمار جارتها مستخفية لايعلم بها أحد حتى ترجع إلى بيتها »[٢] .

٣ـ قول الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ :

جاء في الفتح الرباني أنه قال: ألا تستحون .. ألا تغارون؟ أن يخرج نساؤكم.. فإنه قد بلغنى أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج.. وهو الرجل الضخم[٣] .

٤ـ قول عبد الله بن عمر :

روي ابن المبارك عن موسى بن عقبة أنه كان يأمر المرأة برز الجلباب إلى جبهتها.. وذلك في الحج .. فما بالنا خارج الحج[٤] .

تلك أقوال الصحابة في احتجاب المرأة فما هي أقوال التابعين؟

ب ـ أقوال التابعين :

يقول الأستاذ / درويش مصطفى حسن : « لما كانت أقوال التابعين لاتصلح بذاتها

---

(١) تفسير الطبري: جـ٢٢ / ص ٢٣ .

(٢) مهلا ياصاحبة القوارير / د. يسرية محمد أنور/ رد على كتاب رفقا بالقوارير / لكريمان حمزة / دار الاعتصام / ص ٧١ .

(٣) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني / جـ١٧ / ص ٣٠٣ وقال روي بسند صحيح .

(٤) سنن البيهقي / جـ٥ / ص ٤٦ .

دليلا شرعيا فإننا سنكتفي بقول محمد بن سيرين[1] ..

سألت عبيدة السلماني عن قول الله تعالى : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِن﴾ فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى[2] .

جـ ـ أفعال نساء الصحابة في الاحتجاب :

١ـ روي البخاري والحاكم وأبو داود وابن أبي حاتم عن عائشة أم المؤمنين قالت: يرحم الله نساء المهاجرات لما أنزل ا لله :

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها ..

قال الحافظ في فتح الباري: «فاختمرن بها» أي غطين وجوهن وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع، وقال الإمام أحمد «فاختمرن بها » أي تقنعن بها، وقال صاحب التاج :«كانت عادات النساء سدل الخُمر من الخلف فتبقى الوجوه والأعناق والصدور بادية، فأمرهن ا لله بستر تلك المواضع بقوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ فصارت كل واحدة منهن تأخذ قطعة من كسائها أو من أزرها فتختمر بها[3] .

قال الشنقيطي في أضواء البيان: «إن هذا الحديث صريح في أن احتجاب النساء عن الرجال وستر وجوهن هو تصديق لكتاب الله وإيمان بتنزيله[4] .

٢ـ روي عن أسماء بنت أبى بكر قالت: «كنا نغطى وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام[5] .

٣ـ روي عن صفية بنت شيبة قالت: « رأيت عائشة طافت بالبيت وهي

---

(١) فصل الخطاب في مسألة الحجاب والنقاب / درويش مصطفى حسن/ ص ٥٠/ الناشر: دار الاعتصام .

(٢) تفسير ابن كثير/ جـ٣ / ص ٥١٨ ، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام / محمد على الصابوني م جـ٢ / ص ٣٨٣ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / جـ١٨ / ص ٩٩، مستدرك الحاكم / جـ٤ / ص ١٩٤ ، أبو داود في سننه للساعاتي وفي شرحه عون المعبود / جـ١١ / ص ١٦٠، التاج الجامع للأصول / جـ٤ / ص ١٩٢ .

(٤) أضواء البيان: للشنقيطى / جـ ٦ / ص ٥٩٥ .

(٥) المستدرك للحاكم : جـ١ / ص ٤٥٤ ،ارواء الغليل / جـ٧ / ص ٢١٢ وقال حديث صحيح.

منقبة»[1].

روي أبو داود وغيره عن أم سلمة ـ رضى الله عنها قالت: « لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِن﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من أكيسة سود يلبسنها»[2] .

قال الجَصّاص في تفسيره : « وفي هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجانب وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الريب فيهن[3] .

تلك هي أفعال نساء صحابة الرسول ـ ﷺ ـ وهي توضح بجلاء أن الاحتجاب فرض على كل مسلمة آمنت بالله ربا والإسلام دينا وبمحمد ـ ﷺ ـ نبيًا ورسولا .

والآن مع أفعال نساء التابعين لنرى موقفهن من الاحتجاب ..

د ـ أفعال نساء التابعين في الاحتجاب :

نكتفى بذكر نموذجين بالنسبة لوضع نساء التابعين وتمسكهم بالحجاب والنقاب :

١ـ روى البيهقي عن عاصم الأحول بإسناد صحيح قال : كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الحجاب هكذا وتنقبت به ، فنقول لها: رحمك الله.. قال ا لله تعالى : ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ .

قال : فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فتقول: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ فنقول: هو إثبات الحجاب[3].

٢ـ روى عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه بإسناد حسن عند البيهقي قال: جاءت امرأة إلى سمرة بنت جندب فذكرت أن زوجها لايصل إليها.. فسأل الرجل فأنكر

---

(١) الطبقات الكبرى: حـ٨ / ص ٧١ .

(٢) عون المعبود شرح سنن الإمام أبى داود / تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان / حـ١١ ص ١٥٩ .

(٣) أحكام القرآن / لأبي بكر أحمد بن على الرازي الجصاص / المطبعة المهدية / سنة ١٣٤٧هـ / حـ٣ / ص ٤٥٨.

ذلك، وكتب إلى معاوية رضى الله عنه ـ قال: فكتب أن زوجه امرأة من بيت المال لها حظ من جمال ودين قال : ففعل ثم قال: وجاءت المرأة متقنعة[1] .

تلك هي الوجوه التى توضح أن الحجاب ثابت بالكتاب والسنة وأفعال نساء الصحابة والتابعين، وتلزم نساءنا بالاتباع لا بالابتداع ، كما توضح بجلاء أن قول قاسم أمين السالف الذكر بأن الحجاب لم يرد به نص شرعي، ليس له أساس من الصحة، وما أرى ذلك إلا عنادًا ومكابرة عن تعاليم الإسلام التى تضمن في ثناياها سعادة الفرد والمجتمع، ولاسيّما حرصها على كرامة المرأة، وصيانة أخلاقها من التهتك، وحيائها من السقوط في مهاوى الرذيلة، كما يحفظ لها الإسلام عفافها من الدنس وطهارتها من الرجس، وشرفها من الامتهان .

وإني لأتعجب لأمثال هؤلاء اللائي يظهرن مفاتنهن بصورة مزرية وبشكل مثير مهيج للغرائز الجنسية، ويتركن أنفسهن كلأً مباحًا للذئاب البشرية التى تنتشر هنا وهناك لتقتنص الفريسة الدسمة والصيد السمين، وبعد أن تقع المرأة فريسة في مصائدهم، تمزقها المخالب، وتنهشها الأنياب، أينفعها بعد ذلك البكاء والندم ولات ساعة مندم؟ أم ينفعها زوجها الذي يتصدى للانتقام والثأر لزوجته فيعرض نفسه للهلاك؟

وتلك هي المساوئ التى تنجم عن الاختلاط والتبرج وخروج النساء سافرات إلى المجتمع، وهذا ما سنوضحه ـ بمشيئة الله تعالى ـ في فصل لاحق خاص بالاختلاط ومناداة أعداء الإسلام بإباحته .

بقي أن أوضح الفكرة التى أثارها قاسم أمين حين قال إن النساء اللاتي يختلطن بالرجال أقل فسادا من ساكنات المدن المحجبات[2] .

إن الفساد لاينتج إلا من الاختلاط ، ومن ثم نرى تشديد الإسلام وحرصه على صيانة المرأة وابتذالها وإظهار زينتها، كما أن الإيذاء لاينتج إلا من الاختلاط كما

---

(١) السنن الكبرى / جـ٨ / ص ٢٢٨ ، الحجاب / للألباني / ص ٥٢ .
(٢) الأعمال الكاملة لقاسم أمين / د. محمد عمارة / جـ٢ / ص ٤٥ .

وضحنا ذلك عند قوله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾[١] .

يقول أبو حيان : « أي يعرفن بالعفة والتستر والصيانة فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد ، لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها، بخلاف المتبرجة فإنها مطموع فيها[٢] .

ومن ثم يتضح لنا حرص الإسلام على أمر المؤمنات بالاحتجاب وعدم إبداء الزينة حتى لا تشيع الفاحشة في المجتمع .

يقول الدكتور/ محمد شامة : «فالإسلام يرى أن جسم المرأة فتنة، فإذا انكشف منه جزء في المجتمع كان من الدوافع التى تساعد على شيوع الفاحشة، ولما كان شيوع الفاحشة في مجتمع ما يعمل بانهياره، فقد فرض ا لله على النساء نوعًا من الحجاب ليحفظ المجتمع من الانهيار والتصدع[٣] .

إن الهدف الذي يسعى إليه أدعياء التحرر كامن في فساد المجتمع وفساد المجتمع كامن في انحلال الأسرة وتفككها، ولن يتم لهم ذلك إلا بالدعاية إلى خروج المرأة واختلاطها بالأجانب .

أقول لهؤلاء وأولئك، إن الإسلام قد أنصف المرأة حين أمرها بالقرار في البيت، و لم ينتقص بذلك من كرامتها شئ ، بل رفع من شأنها، واحترام أنوثتها، إذ جعلها مالكة لذلك البيت مدبرة لشئونه، قائمة على رعاية فراخه الصغار ـ الأبناء ـ وذلك كله تحت قوامة الرجل وسلطانه، إننا نلمح أن الحق ـ جل في علاه ـ قد أضاف البيوت إليهن بنون النسوة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[٤] .

وقد أشار العلامة الألوسي إلى القولين اللذين أشارت إليهما الآية، وساق الأدلة والبراهين على كل من القولين، فأشار إلى الرأي الأول القائل بأن البيت ملك الزوجة

---

(١) سورة الأحزاب : من الآية : ٥٩ .
(٢) البحر المحيط لأبي حيان/ جـ٧/ ص ٢٥٠.
(٣) الإسلام كما ينبغي أن نعرفه د. محمد شامة / ص ٢٦٣ الطبعة الأولى / مكتبة وهبة بالقاهرة .
(٤) سورة الاحزاب : الآية : ٣٣ .

فقال : « وظاهر إضافة البيوت إلى ضمير النساء المطهرات أنها كانت ملكهن، وقد صرح بذلك الحافظ غلام محمد الأسلمي - نوّر الله ضريحه - في التحفة الإثنى عشرية، وذكر فيها أنه - عليه الصلاة والسلام - بنى كل حجرة لمن سكن فيها من الأزواج، وكانت كل واحدة منهن تتصرف في الحجرة الساكنة هي فيها تصرف المالك في ملكه بحضوره - ﷺ - وقد ذكر الفقهاء أن من بني بيتا لزوجته وأقبضه إياها كان كمن وهب زوجته بيتا وسلمه إليها، فيكون البيت ملكا لها، ويشهد لدعوى أن الحجرة التى كانت تسكنها عائشة - رضى الله عنها - كانت ملكا لها غير الإضافة في ﴿بُيُوتِكُن﴾ الداخل فيه حجرتها استئذان عمر - رضى الله عنه - لدفنه فيها منها بمحضر من الصحابة، وعدم إنكار أحد منهم حتى علي - كرم الله وجهه - واستئذان الحسن - رضي الله تعالى عنه - منها لذلك أيضًا الثابت عند أهل السنة والشيعة[1] .

ثم يذكر العلامة الألوسي رأيًا آخر في هذه المسألة لا مانع من إيراده ليتضح لنا مفهوم الإضافة؛ لأن الآية تحتمل هذا وذاك :

فقال - رحمه الله مانصه : « ويجوز أن تكون إضافة البيوت إلى ضمير النساء المطهرات باعتبار أنهن ساكنات فيها قائمات بمصالحها قيّمات عليها واستعمال الخاصة والعامة شائع بإضافة البيوت إلى الأزواج بهذا الاعتبار »[2].

وعلى هذا الرأى يكون البيت ملكًا للرجل وأنهن قائمات بالمصالح فقط .

ولكن العلامة الألوسي رد على الرأى الأول وهو أن البيت ملك الزوجة بتبريره سبب ترك خليفة المسلمين لأمهات المؤمنين المسكن لأنه رأى في ذلك المصلحة فقال مانصه :

«والاستئذان يجوز أن يكون لانتقال كل بيت إلى مالك الساكنة فيه بعد وفاته - ﷺ - من جهة الخليفة ولي بيت لما رأى المصلحة في تخصيص كل منهن بمسكنه وتركه لها على نحو الاقطاع من بيت المال »[3] .

---

(١) تفسير روح المعاني/ للألوسي / جـ٢٢ / ص ٦ ، ٧ .
(٢) نفس المرجع السابق/ جـ٢٢ / ص ٧ .
(٣) نفس المرجع السابق / جـ٢٢ / ص ٧ .

وبعد هذا العرض أقول سواء كان البيت ملكا للزوجة أم كانت ساكنة فيه فهي مكرمة معززة داخل هذا البيت بحسن تدبيرها وقيامها على شئونه الداخلية تحت قوامه الرجل وسيطرته ، ولا تخرج من البيت الا لضرورة شرعية ، وبصورة شرعية .

فما هي الصورة الشرعية التي يجب أن تكون عليها المرأة في زيها؟

لقد وضع الإسلام الصورة التي يجب أن تكون عليها المرأة إذا خرجت من بيتها لقضاء حاجة ضرورية، أن تستر جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين كما ذكرنا آنفا، فإذا خافت على نفسها من الفتنة وجب عليها ستر وجهها كذلك، وهذا ما يسمى بالنقاب.. وقد عرفه الأستاذ / درويش مصطفى حسن بما يلي :

«أما النقاب فأصله البرقع أو القناع الذي تغطى به المرأة وجهها بحيث لايبدى منه إلا عيناها أو محاجرها على الأكثر، وسمى النقاب نقابًا لوجود نقبين في مواجهة العينين لمعرفة الطريق[1] .

هذا ويشترط في الزي الإسلامي الذي تلبسه المرأة الشروط التالية :

١ـ استيعاب جميع البدن إلا ما استثنى .

٢ـ أن يكون صفيقا ـ أي سميكا ـ لايشف عن العورة .

٣ـ أن يكون فضفاضًا لايصفُ العورة، غير ضيق حتى لا يُفصّل الجسم.

٤ـ أن لا يكون فيه سرف وخيلاء للنهى عن ذلك .

٥ـ أن لا يكون مبخرًا مطيبًا .

٦ـ أن لايشبه لباس الرجل.

٧ـ أن لايكون ما يحتجب به زيا خاصا لغير المسلمين كلباس القساوسة والرهبان والراهبات وذلك للنهي عنه وعدم التشبه بلباس الكافرات .

٨ـ ألا يكون لباس شهرة بمعنى ألا يكون فيه ما يلفت أنظار الآخرين من لون فاقع أو زركشة أو تخريم، أو غير ذلك مما يجذب الأنظار اليها، لأن الحجاب ساتر وصارف

---

(١) فصل الخطاب في مسألة الحجاب والنقاب: درويش مصطفى حسن: ص ١٠ / الناشر / دار الاعتصام .

للنظر وليس ملفتًا له[1] .

تلك هي شروط الزي الإسلامي الذي تلتزم به المرأة المسلمة، وهو ما يطلق عليه. كما وردت بذلك النصوص من الكتاب والسنة والآثار السلفية والتطبيقات العملية لنساء الصحابة ـ رضوان الله عنهن ـ ولنساء التابعين. ولكل من سرن على دربهن فإذا تمسكت المرأة المسلمة بتلك الصورة الشرعية صانت كرامتها ورفعت من شأنها، ومنعت أعين الآخرين من النظر إليها .

ومن ثم يتضح لنا الحكمة من فرض الحجاب: إنها تكمن في حشمة المرأة وكمالها وسترها ووقارها، حتى لا تكون مطمحًا للأنظار وفتنة للمجتمع ومدعاة للسوء، وبذلك تصون كرامتها وتحفظ عرضها وهذا ما حرص عليها الإسلام حتى لاتشيع الفاحشة في المجتمع .

يقول الأستاذ / أحمد زكي : «وغير خفي على أحد أن خروج المرأة متبرجة كاسية عارية كما يفعل نساء هذا العصر من أعظم وسائل الفساد والدعارة والشرور الأخلاقية والأمراض الاجتماعية، وليس هذا إلا انطلاقًا مع جماح الإنسان الحيواني، وعودة الإنسان إلى حياة الغابة والجاهلية المحضة، عندما كان الإنسان يخرج عاريًا وقد يستر عورته بحشائش الأرض.. وأوراق الأشجار »[2] .

أما ما يدعيه دعاة التبرج والإباحية من أن تبرج المرأة وخروجها عارية سافرة يحد من ثورة الجنس لدى الانسان ، فقد ثبت كذب هذا الادعاء من واقع المجتمعات السافرة المختلطة ، وهذا ما وضحناه وسبرنا أغواره وكشفنا اللثام عنه في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا الرسالة .

---

(١) انظر حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة/ محمد ناصر الألباني / ص ١٥ / الطبعة السابعة ١٩٨٥م / المكتب الإسلامي، أحكام المرأة في الفقة الإسلامي / د. أحمد الحجي الكردي/ ص ١٢٣ / ١٢٦، فصل الخطاب في مسألة الحجاب والنقاب/ درويش مصطفى حسن / ص ٧٨ / دار الاعتصام .

(٢) الإسلام والمرأة : أحمد ذكي تفاحة: ص ١٢٤ .

الفصل الثاني

منع الزواج بأكثر من واحدة

بادئ ذي بدء يجب أن نعلم أن التشريع الإسلامي أول من راعي غرائز الإنسان ورسم لها الطريق المشروع الذي يتسق مع مصلحة الفرد والجماعة.

وإن الناظر إلى الأديان السابقة سيجد البعض منها توصى بكبح جماح الإنسان من ناحية الغرائز أو القضاء عليها، أما الشريعة الإسلامية فليس فيها عزوف عن الطيبات.. قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[1] .

كما أن الشريعة الإسلامية ليس فيها زهد وتقشف عن طيبات الحياة.. قال تعالى في كتابه المجيد آمرًا رسله بالأكل من الطيبات :

﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[2] .

كما أمر الله عباده المؤمنين أيضا بالأكل من الطيبات.. قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[3] .

كما أن الشريعة الإسلامية ليس فيها دعوة إلى الرهبانية.. قال تعالى في كتابه المجيد:

﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاع﴾[4] .

وليس في الشريعة الإسلامية انصراف عن النعيم أو بعد عن الماديات طالما أن الإنسان يأتي بالمال من طريق مشروع .. قال تعالى في قرآنه الكريم :

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣٢ .

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٧ .

(٤) سورة النساء: الآية ٣.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُم﴾[1] .

وكل ما في الشريعة الإسلامية هو الدعوة إلى الاعتدال في كل أمر من الأمور، لأن الإسراف والتبذير يجلبان الأمراض الحسية والمعنوية للمسرف، فضلا عن أنها تجعل الإنسان عبدًا لشهواته ونزواته، ولايستعين بالطيبات على عبادة خالقه .

ذلك هو منهج الإسلام بالنسبة لمتطلبات الحياة للفرد والمجتمع، ولايماري في ذلك عاقل، ولكن هناك أمور يجعل منها البعض حملة قاسية على الإسلام والمسلمين من هذه الأمور التى ثار حولها جدل كثير من المستشرقين وغيرهم قضية «تعدد الزوجات».

ولعل أول ما يسترعي الانتباه في هذه القضية هو ما يراه خصوم تعدد الزوجات من أن التعدد ليس له من غرض سوى إرضاء الشهوات بالنسبة للفرد الذي يقدم عليه، ومن ثم فهو يلحق بالمرأة أضرارًا جانبية، ولاسيما في هذا العصر الذي نالت فيه المرأة جميع حقوقها، فضلاً عن أنه عائق للمرأة في طريق تقدمها الاجتماعي، وهضم لبعض حقوقها، وهدر لآدميتها ، ومن هؤلاء المنددين بهذا الموضوع قاسم أمين الذي قال في كتابه « تحرير المرأة» لا أرى تعدد الزوجات إلا حيلة شرعية لقضاء شهوة بهيمية ، وهو علامة تدل على فساد الأخلاق واختلال الحواس وشره في طلب اللذائذ»[1] .

فضلا عن أنه رجع بنظام تعدد الزوجات إلى النظام البدائي الذي يتبع حال المرأة انحطاطا ورقيا .

ولو تركنا قاسم أمين وأعوانه جانبًا وذهبنا نستقصى ما كتبه المستشرقون والمبشرون ومن سار على دربهم من الحاقدين، سنجدهم يجمعون على العداء للإسلام والمسلمين، ويختلقون المفتريات ، ويلصقون التهم بالإسلام وسلاحهم في ذلك الدعاية المسمومة ضد الإسلام والمسلمين ، سواء علموا الحقيقة أو لم يعلموها، ومدار كلامهم في هذا الموضوع كامن فيما يلي :

يقول الأستاذ/ عبد المنصف محمود عبد الفتاح : «إنهم ـ أي المستشرقين وغيرهم

---

(١) سورة البقرة : من الآية ١٦٧ .

(٢) تحرير المرأة / قاسم أمين / ص ٩٢ /جـ٢ / تحقيق د. محمد عمارة / الناشر / المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ طبعة سنة ١٩٧٦م .

من أعداء الإسلام - ينظرون إليه على أنه نظام بدائي ينتقص من مكانة المرأة لصالح الرجل، وعلى حساب كرامتها وأنه بمثابة الأغلال والقيود التى تعوق حركتها، وتهضهم حقوقها وتهدر آدميتها.. وأن تحريرها منه يعتبر خطوة في سبيل تقدمها لأنه في رأيهم نظام لايتمشى وتطور المجتمع، وأنه لابد أن تتساوى المرأة بالرجل وتعدد الزوجات لايحقق تلك المساواة(١) .

تلك نظرة المستشرقين في قضية تعدد الزوجات وإذا تتبعنا بعض الكتاب المسلمين سنجدهم يندون بهذه القضية ويجعلونها من المساوئ التى تؤخذ على الإسلام، لأنه أحد أسباب الانحلال الخلقي بين النساء فضلا عن أنه من الأسباب المباشرة لزيادة النسل.

يقول الأستاذ/ عادل أحمد سركيس : « ونظام تعدد الزوجات هو أحد أسباب الانحلال الخلقي بين النساء لأن مجرد ارتباط الرجل بأكثر من زوجة يدفع كلاً منهن إلى طريق الخيانة لأن المرأة تعتبر اتصال زوجها بامرأة أخرى خيانه لها، ولو بارك المجتمع هذه الخيانة ومنحها مظهرًا شرعيًا .. وعندئذ تجد التبرير للإقدام على خيانته في الانتقام منه ... إلى أن قال : « .. ويؤدي تعدد الزوجات إلى زيادة النسل في الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات من كثرة المواليد، وتكافح بعض الهيئات الاجتماعية لنشر الوعي بين النساء لتحديد النسل... والعجيب في الأمر أن نظام تعدد الزوجات الذي يعتبر إهداراً للكرامة الإنسانية ما زال يجد من يدافع عنه»(٢).

تلك صور مما كتب حول هذا الموضوع من المسلمين وغيرهم، وأود بشيء من الإنصاف أن أَرُدَّ على تلك الأقاويل، مستعينا بما ذكره الله تعالى في كتابه الجليل وما ورد في السنة النبوية من أحاديث توضح لنا أن نظام تعدد الزوجات ليس بدعًا في الإسلام ولكنه في الأديان السابقة قبل الإسلام ، فأتي الإسلام وحدده بأربع فقط وقبل أن أذكر وجهة النظر الإسلامية أود أن أرجع إلى الوراء قليلا لأوضح أن نظام تعدد الزوجات ثبتت به نصوص في التوراة والأناجيل نذكر منها ما يلي :

---

(١) دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام / الشيخ/ عبد المنصف محمود / ص ١٣٢ .

(٢) الزواج وتطور المجتمع / عادل أحمد سركيس / ص ٢٠٤ / الناشر / دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .

أولاً: التوراة:

تقول الأسفار من العهد القديم من الكتاب المقدس عند اليهود : « وامرأة مع أختها لاتتخذ لتكون ضرتها لكشف سوءتها في حياتها»(١) .

كما وردت نصوص تبيح تعدد الزوجات في الديانة اليهودية بمشيئة الرجل وحسب رغبته، ورد في سفر التكوين :

« فرأوا بنات الناس أنهن حسان فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا»(٢) .

فضلا عن ورود الأخبار التى تفيد أن نبي الله داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ قد جمعا بين مئات الزوجات الشرعيات والإماء. كما ورد في الصحيح الحادي عشر من سفر الملوك: «أنه كانت لسليمان ـ عليه السلام ـ سبعمائة من النساء والسيدات وثلاثمائة من السّراري»(٣) .

ومع عدم ورود نصوص في التوارة تحرم التعدد يتضح لنا من خلال هذه النصوص التى سقنا طرفا منها أن التعدد كان معمولا به في الشريعة الموسوية، إلا أن التابعين لها ومن وقعت أيديهم على النصوص حرفوها وغيروها وبدلوا وانقسموا إلى طائفتين طائفة تسمى الربانيون : وهم يعتبرون كتاب التلمود حجة كالتوارة، وهو كتاب يضم أحكامًا كثيرة وضعتها طائفة من أحبار اليهود بزعامة عزرا والطائفة الثانية القرائيون : وهم يعتبرون الحجة في التوراة دون التلمود، ويفتحون باب الاجتهاد في التوراة لأي شخص دون أن يتبع أحكام التلمود .

والطائفة الأولى لاتجيز لتابعيها الزواج بأكثر من واحدة وعليه أن يحلف يمينا عند العقد بالالتزام بذلك .

والطائفة الثانية يجيزون تعدد الزوجات بشرط عدم الإضرار بالزوجة السابقة أو اللاحقة وقدرة الإنفاق عليهن واستطاعة العدل بينهن وهذه الشروط لديهم تدل على

---

(١) سفر الأحبار/ الإصحاح ١٨ / العدد ١٨ .
(٢) سفر التكوين / الإصحاح ٦ / العدد ٢ .
(٣) سفر الملوك / الإصحاح .

أنها شروط قضائية وليست شروطا دينية(١) .

ثانيا: الأناجيل:

إن شرعية عيسى ـ عليه السلام ـ جاءت مكملة لرسالة موسى ـ عليه السلام ـ فإذا كانت الشريعة الموسوية قد ثبت فيها التعدد من خلال النصوص والوقائع التى سقنا طرقا منها، فكيف تأتى الشريعة العيسوية لتحرم شيئًا حللته التوراة ؟

هذا ما نود أن نلقى الضوء عليه من خلال هذه الصفحات ـ بمشيئة ا لله تعالى ـ فأقول وبالله التوفيق :

إن الانجيل لم يأت بإشارة صريحة إلى مبدأ الزوجة الواحدة أو مبدأ منع تعدد الزوجات ، أما الأناجيل التى بين أيدينا الآن حرفت وبدلت، ومن ثم يمكن لقارئها العثور على نصوص فيها تحرم التعدد، وهذا ما يراه كثير من آباء الكنيسة وفقهائها وأهم هذه النصوص ما يلي :

١ـ جاء في إنجيل مرقص على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ أنه قال:

«من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني»(٢).

٢ـ إن المسيح ـ عليه السلام ـ نهى اليهود عن الطلاق وقال لهم:

«إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هذا»(٣).

ـ ويعنى بالبدء بدء الخليقة بزواج آدم من حواء، وتلك حجة باطلة لأننا لو رجعنا إلى البدء كما يدعى قائل هذا النص لأبحنا زواج الأخ من أخته كما كان في البدء،

---

(١) شعار الخضر في الأحكام / ص ٨٣ ، ٨٤ الياهو بشياصي وتلميذه يشوعاه
وانظر : ترجمة مراد فرح ـ القاهرة / سنة ١٩١٧
أحكام الأسرة عند القرائيين لمؤلفه مراد فرج، وانظر كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية / لحاي بن شمعون ويتضمن أحكام الأسرة عند القرائيين وكتاب الأسرة بين الشرع والقانون/ لعلى عبد الله طنطاوى / ص ٥٩ ، ٦٠ ، وانظر تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية / د. عبد الناصر العطار / ص ٨٦ : ٩١ .
(٢) انجيل مرقص / الإصحاح العاشر/ الآيات ١٠ : ١٢ ، وانظر كذلك إنجيل لوقا/ إصحاح ١٦ / عدد ١٨.
(٣) انجيل متى/ الإصحاح ١٩ / الآية ١٨.

ولكن ذلك كان لحكمة يعلمها الله تعالى .

٣- جاء في إنجيل متى أن المسيح - عليه السلام - قال:

«أما قرأتم ان الذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثى» وقال: « من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنان جسدًا واحدًا، إذن ليسا بعد اثنين، بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لايفرقه إنسان»[1] .

يقول الدكتور / عبد الناصر العطار: «وقد استدل بعض الفقهاء المسيحين من هذا القول على أن تعدد الزوجات محرم في المسيحية، على أساس أن الزواج جعل الزوجين جسدًا واحدًا... »[2] .

إلى غير ذلك من النصوص الواردة بشأن تحريم التعدد تارة وكراهته تارة أخرى، ولكنها لاتنهض أن تكون دليلا لتحريم تعدد الزوجات في المسيحية لماذا؟ لأنها من وضع البشر وليست وحيا من السماء ، ومن ثم نرى التناقض الصارخ بين أتباع الأناجيل، وعدم إجماعهم على التحريم ، فمن قائل إن التحريم قاصر على رجال الكنيسة فقط - القساوسة وغيرهم من الرهبان - ومن قائل إن التحريم لم يرد به نص صريح ، ومن قائل إن التحريم مؤبد على كل متبع لتعاليم الكنيسة .

وهذا ما نذكر طرفا منه في ثنايا صفحات الكتاب ..

ورد في بعض رسائل بولس ما يفيد أن التعدد جائز، فقد قال: «ويلزم أن يكون الأسقف زوجا لزوجة واحدة» ففي إلزام الأسقف وحده بذلك دليل على جوازه لغيره»[3] .

ويسوق الدكتور/ السباعي/ دليلا على ذلك لأحد المسيحيين :

يقول جرجي زيدان: «فالنصرانية ليس فيها نص صريح يمنع أتباعها من التزويج بامرأتين فأكثر، ولو شاءوا لكان تعدد الزوجات جائزا عندهم، ولكن العائلة ورؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها -

---

(١) انجيل متى/ الإصحاح ١٩ / الآية ٤ / ٦ .

(٢) تعدد الزوجات / د. عبد الناصر العطار / ص ٩٨ .

(٣) نقلا عن كتاب المرأة بين الفقه والقانون / د. مصطفى السباعي / ص ٧٢ .

وكان ذلك شائعًا في الدولة الرومانية ـ فلم يعجزهم تأويل آيات الزواج حتى صار التزويج بغير امرأة حراما كما هو مشهور»[1] .

إذا تحريم تعدد الزوجات في المسيحية لم يرد به نص صريح في الإنجيل وإنما كل ما ورد من وضع البشر، وأعنى بالإنجيل ـ الإنجيل الصحيح.

يقول الأستاذ / محمد الإبراشي : «ولم يمنع تعدد الزوجات إلا بالقوانين المدنية التى وضعها «جُسْتنيان» لا بالقوانين الدينية، وبعد أن صدرت تلك القوانين الوضعية التى تحرم تعدد الزوجات، استمر تعدد الزوجات منتشرًا ومنفذًا بطريقة عملية لدى الرومانيين المسيحيين، واستمروا على تلك العادة حتى أصدر المجتمع الحديث قانونا يعاقب من يتزوج أكثر من واحدة ، ويحرم على المسيحي التزوج بأكثر من واحدة[2].

وقد أجمع على ذلك رجال الكنيسة في العصر الحديث فحرمت على أتباعها تعدد الزوجات كما نرى ذلك في مصر عند الأقباط الأرثوذكس «لايجوز لأحد الزوجين أن يتخذ زوجًا ثانيًا مادام الزواج قائمًا »[3] .

وعند الأرمن الأرثوذكس «لايجوز عقد زواج ثان قبل فسخ الزواج القائم »[4] وكذلك الأمر عند السريان الأرثوذكس، وتأخذ الطوائف الكاثوليكية أيضًا بهذا المبدأ، وكذلك عند البروتستانت «الإنجيليين» : « الزواج هو اقتران رجل واحد بامرأة واحدة اقترانا شرعيًا مدى حياة الزوجين»[5] .

ولقد أدت هذه النظرة منهم إلى أمرين :

الأمر الأول: احتقارهم للمرأة والنظر إليها على أنها تصرفهم عن العبادة، ومن ثم يجب الابتعاد عنها .

---

(١) نفس المرجع / ص ٧٤ .
(٢) عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم / محمد عطية الإبراشي / ص ٢٦٣ .
(٣) المادة ٢٤ من مجموعة ١٩٥٥ .
(٤) المادة الخامسة من قواعدهم .
(٥) المادة (٥٩) من الارادة الرسولية لكاثوليك الشرق، وانظر في ذلك تعدد الزوجات/ د. عبد الناصر العطار / ص ١٠٤ : ١١٠ .

الأمر الثاني : كراهية الزواج الثاني ولو بزوجة واحدة، ومن ثم نرى عدم إقامة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بركة إكليل لهذا الزواج الثاني، وإنما رسمت له صلاة استغفار ، فضلاً عن إن الزيجة الثالثة عندهم دليل على الغواية لمن يقدر أن يضبط نفسه، والرابعة دليل على الزنا الظاهر، ولا يعد المولودين منه بنينا للزوج(١) .

غير أن مما ينبغي ذكره أن بعض كهنة المسيحيين رفضوا هذا التفكير فمنهم من أباح للرجل أن يتزوج بزوجة واحدة، ولو كان للمرة الرابعة أو الخامسة، واحتجوا بعدم معارضة المجلس الكنسي في القرون الأولى لتعدد الزوجات، فقد كان ممارسًا بينهم بطريقة عادية إذ كان لشارلمان زوجتان وعدة محظيات ، وقد عقد فيليب ملك هيس وفردريك ويليام الثاني ملك بروسيا باثنتين لكل منهما وبارك زواجهما قسيس لوثريون، وقد تكلم لوثر في عدة مناسبات عن تعدد الزوجات بحماس شديد ففي عام ١٥٣١م دعا القس في مونستر صراحة بأن من يريد أن يكون مسيحيًا حقًا فعليه أن يتزوج من عدة زوجات .

وهناك من المفكرين في أوربا من دعا إلى إباحة تعدد الزوجات كجوستاف لوبون وتومس، وفي رأيهما أن إباحة تعدد الزوجات تجعل كل امرأة ربة بيت وأمًا لأولاد شرعيين، وذلك مما يقضي على كثير من الانحرافات في المجتمع الأوربي .

وهذه الآراء وتلك الاتجاهات أحدثت ضجة كبرى في الكنائس الأخرى التي تحرم التعدد، مما جعلها تقر التعدد وتمارسه، ونذكر على سبيل المثال شعب الأحباش من الشعوب الأفريقية الذي اعتنق المسيحية منذ زمن بعيد ولازال يمارس التعدد رغم اعتناقه المسيحية »(٢) .

تلك نظرة المسيحية لتعدد الزوجات وهي تصور تضاربًا شديدًا بين أبنائها مما يجعلنا نقرر أن الإنجيل الصحيح لم يرد فيه ما يحرم تعدد الزوجات، وأن كل ما ورد بشأن

---

(١) يراجع في ذلك : شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية / الأنبا شنودة / ص ٩١ ـ ٩٦ ، وتعدد الزوجات /د. عبد الناصر العطار/ ص ١١٠ : ١١٢ .
(٢) انظر / قصة الزواج/ وسترمارك/ ترجمة عبد المنعم الزيادي/ ص ٢٥٣ ـ ٣٥٦ .
وتعدد الزوجات/ د. عبد الناصر العطار / ص ١١٣ ـ ١١٦ ، محمود سلام زناتي / ص ١٠١ ـ ١٠٧ .

تحريمه أو كراهيته إنما هو من وضع البشر، وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١) .

ثالثا : تعدد الزوجات عند العرب قبل الإسلام وبعده:

يظن كثير من الناس أن تعدد الزوجات لم يكن موجودًا في الأديان السابقة على الإسلام وهذا ظن يخالف الحقيقة، لأن الإسلام لم يبتعد عن أساس الأديان السالفة و لم يفرضه أو يوجبه وإنما أباحه وقيده، فعلى سبيل المثال كان العرب قبل الإسلام يمارسون التعدد دون قيد أو شرط، كما كان التعدد في الجاهلية منتشرًا بين قبائل العرب، بل إنهم كانوا يفتخرون بذلك، وكانت النسوة تساق سوقًا للاضطهاد والعذاب، فضلا عن ذلك كله أنهن كن يفتقدن العدل من قبل أزواجهن .

وقد وردت آيات قرآنية تحدد للزوج عددًا معينًا منها قوله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾(٢) . وهذه الآية توضح بلا لبس ولا غموض أن العرب قبل الإسلام وفي الجاهلية كانوا يتزوجون بأكثر من أربعة، فجاء الإسلام موافقًا لبعض طباعهم حتى لاينفروا منه وحتى لايوقع الناس في العنت والإكراه، ولاسيما وأنه الدين الخالد للبشرية جمعاء .

كما وردت أحاديث توضح لنا تحديد الرسول ـ ﷺ ـ لمن دخلوا في الإسلام أن يمسكوا أربعًا ويسرحوا الباقين من أزواجهن والدليل على ذلك من السنة ما يلي :

«أسلم غيلان بن سلمة وعنده عشر نسوة في الجاهلية، وفي رواية ثمان نسوة وأسلمن معه ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : اختر منهن أربعًا»(٣) .

وعن عمير الأسدى قال: أسلمت وعندى ثمان نسوة فذكرت للنبي ـ ﷺ ـ فقال: اختر منهن أربعا »(٤) .

---

(١) سورة القصص / من الآية ٥٠ .

(٢) سورة النساء / الآية ٣ .

(٣) الحاكم والمستدرك وابن ماجة .

(٤) رواه أبو داود وابن ماجة .

وفي موطأ الإمام مالك : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لرجل من ثقيف وعنده عشر نسوة حين أسلم : أمسك منهن أربعًا وفارق سائرهن[1] .

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة بشأن من أسلم ممن كانوا قريبي عهد بالجاهلية وأمرهم النبي ـ ﷺ ـ أن يبقوا على أربع ويفارقوا الزيادة على ذلك .

فما موقف الإسلام إذًا؟

إن الإسلام بذلك لم ينشئ التعدد ولم يستحسنه ولم يوجبه أو يفرضه على الناس فرضا ، ولكنه أباحه ووضع له ضوابط وشروط بها يأمن للزوجات حقهن دون حيف أو ميل من الزوج، فإذا لم تتوفر تلك الضوابط وهذه الشروط في الزوج أولى به أن يعدل عن التعدد إلى الزواج بواحدة حتى لايوقع نفسه تحت طائلة العقوبة في الدنيا والآخرة . قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[2].

يقول الأستاذ الشيخ/ محمد الأباصيري خليفة: « وقد أباح الإسلام تعدد الزوجات إلى أربع، وفي حالة التعدد يضاف إلى شرط القدرة على المهر والنفقة شرط آخر وهو «العدل بين الزوجات» فيما يمكن العدل فيه، فإن كان غير واثق من نفسه في إقامة العدل بينهن في جميع الأمور المادية مثل الأكل والشرب والملبس والمسكن والمبيت، وجب عليه أن يقتصر على زوجة واحدة، أو يكتفي بما ملكت يمينه»[3] .

ومن ثم نقول إن الإسلام وضع ضوابط لتعدد الزوجات أجملها فيما يلي :

١ـ المساواة والعدل بينهن :

إذا كان الله قد أباح التعدد فإنه أمر بالعدل والمساواة بين الزوجات والبعد عن الجور والظلم ، فإذا حاول الزوج العدل بين زوجاته في المأكل والمشرب والمسكن والقسمة وغير ذلك من الأمور المادية، ولم يتمكن من العدل بينهن في الناحية المعنوية ـ

---

(١) موطأ الإمام مالك / ٣٤٤ .

(٢) سورة النساء / الآية ٣ .

(٣) المرأة والتربية الإسلامية / الشيخ / محمد الأباصيري خليفة / ص ٩٧ .

أي الميل القلبي - فلا لوم عليه في ذلك ، بل عليه ألا يميل كل الميل حتى لايدع زوجته الثانية أو إحداهن كالمعلقة كما قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾(١) .

وقد زعم فريق من الناس إلى أن التعدد غير جائز لأنه يستحيل تحققه بالصورة التى أرادها الإسلام ، وبناء على ذلك يقتضى تحريم تعدد الزوجات عند أصحاب هذا الرأي(٢) .

ومما لاشك فيه أن هذا الزعم باطل من عدة وجوه :

الوجه الأول :

أن الإسلام لم يفرض التعدد بل هذّبه وحدده إلى أربع واشترط لذلك العدل في الآية الأولى من سورة النساء . وفي الآية الثانية نفى العدل التام سواء في الأمور المعنوية أو المادية .

وللجمع بين الآيتين أقول :

إن ظاهر الآية الأولى يفيد إمكان العدل ويكون المقصود من العدل إذًا العدل في النفقة والمأكل والمشرب والملبس والمبيت ونحو ذلك من الحقوق الزوجية، والعدل المنفي في الآية الثانية يكون قاصرًا على الميل القلبي وهذا أمر لايتحكم فيه إلا ا لله تعالى لأن القلوب بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء وقد أجمع كثير من المفسرين على هذا الرأى .

الوجه الثاني:

إذا كان المقصود من العدل المساواة التامة في النفقة والمأكل والملبس والجماع والمحبة والمودة والمبيت وغير ذلك من الأمور التى في استطاعة الزوج كما ذكر ذلك كثير من

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٩ .

(٢) انظر تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية / ص ١٦٨/ د. عبد الناصر العطار .

المفسرين[1] فقد جعل الله معيار العدل راجعًا إلى النية الصادقة من الزوج والعمل الصالح الذي يحرص به على مرضاة الله تعالى، ومن ثم نرى الحق - جل في علاه - يُذَيِّلُ الآية بقوله تعالى :

﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[2] .

هذا طرف ذكره الله تعالى ليضمن بذلك العدل من جانب الزوج، والطرف الثاني ذكره أيضا في بدء الآيات التى تتحدث عن التعدد، وهو مثل في التقوى والخوف من العدل ومراقبة الله تعالى .

فإذا اتبع الزوج هذه التعاليم كان عادلا، ولايلام في الميل القلبي لأن النبي - ﷺ - عالج هذا الجانب فيما روته لنا السيدة عائشة - رضى الله عنها - حين قالت: «كان رسول الله - ﷺ - يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «اللهم هذا قَسْمِي فيما أملك، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك»[3] .

وهذا الحديث يوضح لنا بجلاء أن العدل المطلق لن يستطيع الإنسان الوصول إليه، وتلك حقيقة نلمسها في حياتنا العملية وفي علاقتنا الاجتماعية، فعلى سبيل المثال لايستطيع الأب والأم العدل التام بين أبنائهما في المحبة والكراهية ، والألفة والنفور، وغير ذلك من أمور الحياة، مع أن الله - جل في علاه - أمر كلا منهما بالعدل بين أبنائهم ، ولكنهم مهما حرصوا فلن يستطيعوا ذلك.

فهل حرم الإسلام على الآباء أو الأمهات الإنجاب لأنهم لايستطيعون العدل بين أبنائهم ؟ كلا .

فكيف يسوغ لهؤلاء أن يعالجوا المشكلة من زاوية واحدة ويحكموا عليها من طريق واحد، دون النظر إلى أبعادها ومدى الإفادة التامة التى تعود على المجتمع بالنفع العام من ناحية، وعلى الفرد من ناحية أخرى؟

أو بعد هذا يدّعي أدعياء تحرر المرأة بأن نظام تعدد الزوجات أمر بدائي وغير

(١) تفسير الطبري/ جـ٨/ ص ٥٤٨ ، وتفسير القرطبي / جـ٥ / ص ٢٠ ، تفسير الجلالين / ص ٨٠.
(٢) سورة النساء : الآية ١٢٨.
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في كتاب النكاح /جـ٢ / ص ٢٤٢ .

مستساغ في عصرنا الآن، إن هذا حقد دفين منهم على تعاليم الإسلام، وهم بهذا يريدون أن يوقعوا المسلمين فيما وقع فيه الغرب، إذا استطاعوا أن يصرفوهم عن دينهم، وإنني أهيب بكل مسلم غيور على دينه أن يلتزم تعاليم شرع ا لله ، فإن فيها السعادة كل السعادة، وصدق ربنا إذ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(1) .

رابعًا : المبررات العلمية لمبدأ تعدد الزوجات في الإسلام :

لقد راعي الإسلام في تشريعة لتعدد الزوجات مصلحة الفرد والمجتمع، وتتضح لنا هذه المصلحة فيما نذكره من مبررات علمية قائمة على الدليل والمنطق السليم لمبدأ تعدد الزوجات .

مصلحة الفرد في مبدأ تعدد الزوجات تكمن فيما يلي :

١ـ عجز الزوجة لعقم أو عيب جنسي أو مرض عضال:

قد يتزوج الرجل زوجة وهو راغب في الإنجاب منها، ومع مرور الأيام يثبت له عن طريق التجربة أولا، والطب ثانيا أنها عاقر لاتلد، فما موقفه إذًا وهو راغب في الإنجاب؟ هل نضيق عليه الخناق؟ أم نفتح له باب الأمل في الإنجاب؟

إن الإجابة لابد وأن تكون بإتاحة الفرصة له في الزواج من ثانية، وهنا يظهر شرع الله العادل في إباحته للزواج من ثانية، وقد يكون الزوج وفيًا فيُبقي معه زوجته الأولى ولاتطيب نفسه بمفارقتها ، فضلا عن أنها قد تحتاج إلى رعايته وكفالته لها ، تلك ناحية نلمسها من واقع مجتمعنا، وهناك ناحية أخرى قد تحدث مع بعض الزوجات ، فقد يعترى الزوجة عيب جنسي يمنع الاتصال الجنسي التام بين الزوجين أو يحول دون كماله، وهو عند المرأة أنواع كثيرة منها على سبيل المثال:

الرتق عند المرأة: وهو انسداد مهبلها بعظم أو بلحم .

وكذلك الإفضاء : وهو اختلاط مسلك قضيب الرجل في الفرج بمسلك البول

والغـائط إلى غـير ذلك مما ذكـر في كتب الفقـه وجـاء الطب الحديث ليثبت ذلك دون شك أو ريبة .

فمـا موقف الزوج الذي حدثت لزوجتـه مثل هذه الأمراض، أو تزوج بامرأة فوجد فيها هذه العيوب ؟

إن الإسـلام يفتح لـه بـاب الحلال بالزواج مـن أخرى كي تكون لـه حليلة دون أن تكون له خليلة يخادنها في الحرام، لأنه دين لا يعرف الالتواء. ومن ثم تظهر لنا حكمة التشريع الإسلامي في إباحة تعدد الزوجات في هذا الجانب .

وقد تُصاب المرأة بمرض عضـال فيشل حركتها عـن القيام بما تتطلبه الحياة الزوجية من أعباء.. فمـا موقف الزوج إذًا؟ إذا قلنا لـه أصبر لأنـك قد اخترتها شـريكة لحياتك فلابـد أن تتقاسـم معهـا حلاوة الحيـاة ومرارتهـا، فإننـا بذلك نظلمـه، لأنـه لايستطيع مواكبة الحيـاة دون زوجة أخرى تقوم بمتطلبات حياتـه حتى يسهل عليـه رعاية زوجته الأولى والسـهر على راحتهـا، ومن ثم نـرى البقـاء عليهـا دون طلاقهـا، والزواج من أخرى لرعايتـه وحماية الأسرة من التصدع خيرٌ لهما معًا ، وهذا ما حرص عليه الإسلام وحث عليه .

والإسـلام لم يبـح ذلك إلا لمصلحـة الفرد أولاً، والجماعـة ثانيًـا، حتى لا يحدث اختلال في موازين الحياة .

ولم يكن الأمر حكـرًا على الزوج، فالإسلام لايحابي الـزوجَ على حساب الزوجة، ولكنـه أتاح الفرصـة للزوجـة إذا تضررت من زوجهـا وثبت ذلك، حـق لها أن تطلب الفراق لعيب جنسـي لديـه، كـأن يكون مجبوبًـا ـ أي مقطوع القضيب أو الحشـفة، أو خصيًـا : مقطوع الخصيتـين، أو عِنّينًا: لا ينتصـب قضيبـه، كمـا إذا ادعت المرأة عبالـة ذكره وثبت ذلك أيضًا حق لها الفراق .

فـأي شرع أعدل مـن هذا؟ إنه بذلك يرعى مصلحـة الفرد والجماعة ولايقف بجوار الرجل على حساب المرأة ولا العكس ..

بقيت كلمة لابد من ذكرها تتمة لهذا الموضوع: إذا تزوج الرجل بامرأة لديها برود

جنسي أو ضعيفة الشهوة الجنسية لا تروى ظمأه ولا تسكن شهوته فما موقفه إذًا ؟

إنه لابد من طريق لاشباع شهوته وإرواء غريزتـه . أتظن ما هذا الطريق؟ إنه تعدد الزوجـات ، التزوج بـأخرى ، حتى لا يوقـع نفسـه في الحرج ويرتكـب ما حرمـه ا لله تعالى.

وقد يكون عدم إشباع الرجل لغريزتـه الجنسية بسبب يرجع إلى المرأة ، كعيب في مهبلها يحـول بين الرجل وبين تمتعه بالإشباع الجنسـي، وقد يكون بسبب يرجع إلى التقاليد العرفية في بعض البلاد الأفريقية ، التى يقضى العرف فيها بمنع الاتصال الجنسي بين الرجل وزوجته ومدة الحمل ومدة الرضـاع أي حوالي سنتين أو أكثر، وهي تقاليد قاسية، يجد فيها الزوج ظلما له من جميع الاتجاهات . فما موقفه إذًا؟

أنه لابـد من تعدد الزوجات حتى لايقع الـزوج فريسة للصراع النفسـي والوساوس الشيطانية التى قد تسبب في وقوعه في الحرام[1] .

٢ ـ حب الزوج لامرأة أو فتاة لم تتزوج :

قـد يكون من دواعـي الزواج من ثانيــة أو مبررات التعـدد حب الرجل لامـرأة غير زوجتـه، أو حبـه لفتـاة لم تتزوج بعـد، فإذا لم تتـح لـه الفرصـة بـالزواج مـن كلتيهما سيسـعى جاهدًا للوصول إليهـا عن طريق غير مشروع، فالإسـلام راعى ذلك وفتح له باب التعـدد، بشرط ألا يظلم الأولى علـى حساب الثانيـة ، لأن العدالة منـه مطلوبة في كل الأحوال .. يقـول الشـيخ / محمد أبـو زهرة : «ولقد أجمع الفقهـاء على أن زواج من يتأكد أنه سيظلم إن تزوج، يكون زواجه حرامًا »[2] .

يقول الدكتور/ عبد الناصر توفيق العطـار: «خلاصة القول أن حب الرجل لأخرى ـ وإن كـان لايبرر تعدد الزوجات في جميع الأحـوال ـ إلا أنه لايبرر كذلك تحريم تعدد الزوجات بقـوة القـانون عند وقوعـه، ومع ذلـك يعتبر تعـدد الزوجـات وسـيلة لعلاج

---

(١) انظر: كتـاب تعدد الزوجـات من النواحي الدينية والاجتماعيـة والقانونيـة د. توفيـق العطار/ ص ٢٤ ـ ٢٨ ، وكتاب الإسـلام والمرأة المعاصرة د. محمـد البهي / ص ٩٠ ـ ٩١ ، وكتاب الأسـرة في الإسـلام د. مصطفى عبد الواحد / ص ١٢٥ ، وكتـاب الأخوات المسـلمات وبنـاء الأسـرة المسـلمة / ص ٣١٠ ، وكتـاب تنظيم الإسـلام للمجتمع / ص ٧٥ ـ ٧٧ / للشـيخ محمد أبو زهرة، وكتاب دستور الأسرة في ظلال القرآن / أحمد فائز/ ص ١٨٠ ـ ١٨٥ .

(٢) انظر كتاب الأسرة وتنظيم النسـل للشيخ/ محمد أبو زهرة / ص ٦٢ / طبعة دار الفكر العربي.

انحراف الرجل في بعض هذه الحالات»(١) .

ومن ثم يتضح لنا علاج الإسلام للرجل الذي ألف بامرأة أخرى عليه أن يتزوجها دون اللجوء إليها في الحرام، كما يحدث ذلك في أوربا إذ يبيحون الزنا، ويفتحون الطريق لمن يحب فتاة أن يخادنها في الحرام دون وازع من دين أو رقيب من ضمير لأنهم يحرمون تعدد الزوجات، ويفتحون بابًا للزنا أو ما يسمونه بزواج التجربة وقد يحدث بسبب ذلك فساد للمجتمع، وشيوع للفاحشة، نتيجة للتساهل في بذل الأعراض رخيصة هيّنة على مرأى ومسمع من الجميع .

يقول الأستاذ/ محمد شلبي معلقا على تقييد تعدد الزوجات بواحدة :

« في أحد الأقطار منع زعيم القطر تعدد الزوجات وحصلت حادثة أمام سمعه وبصره هذه الحادثة تتلخص فيما يلي : أن شخصا من الأشخاص متزوج، وعنده أولاد من زوجته، ثم أصبحت زوجته هذه في وضع غير صالح من الناحية الجنسية، فكان هو بين أمرين: إما أن يزني وإما أن يتزوج لكن التعدد ممنوع فماذا يصنع ؟ ..

عقد عقدًا شرعيًا على امرأة وتزوجها وأسكنها في مسكن، وكان يذهب إليها ويبيت عندها، وبلغ عنه أنه تزوج بأخرى، والقانون لايتساهل وذهبت الشرطة وضبطوه متلبسًا بالجريمة، جريمة الزواج بامرأة أخرى، وبعد التحقيق معه قال إنها عشيقة وليست زوجة فقالوا : لاملام عليك فحرموها زوجة وأباحوها عشيقة وخدينة(٢) .

ولقد ساق مثل هذا الموضوع الأستاذ الشيخ/ محمد الغزالي وهو يناقش قانون الأحوال الشخصية في المؤتمر الذي عقد بقاعة الإمام محمد عبده سنة ١٩٧٤م حول تعديل قانون الأحوال الشخصية إذ يقول:

«حدث فعلاً في تونس: قدم رجل بتهمة تعدد الزوجات، إذ القانون هناك حرم التعدد، فذهب إلى القضاء وأثبت أن المرأة الثانية خليلة لا حليلة ..وخرج بريئًا..»(٣).

---

(١) تعدد الزوجات / د. عبد الناصر توفيق العطار / ص ٣٢ .

(٢) انظر كتاب مع رائد الفكر الإسلامي الامام / عبد الحليم محمود / تأليف محمد شلبي / ص ٨٧ طبعة دار الوحي للطبع والنشر والتوزيع .

(٣) إلى الإسلام من جديد / نشرة رقم ٦ محاضرة فضيلة الشيخ محمد الغزالي بقاعة الإمام محمد عبده حول تعديل قانون الأحوال الشخصية / ص ٤ .

ويمضي الأستاذ/ محمد شلبي في سرد كلامه قائلا:

«ويذكر مستشرق فرنسي - إيتين دينيه - كان قد ذهب إلى الجزائر في عهد الفرنسيين وأقام في بلدة اسمها (بوسعادة) استراح إلى الجو وإلى الناس وإلى الخلق وقام في عهدين: عهد كان فيه عدم التعدد أو الدعوة إلى عدمه، والعهد الثاني : كان التعدد فيه موجودًا فلاحظ في العهد الأول ثلاث ملاحظات لم توجد حين جاء العهد الثاني ما هذا الملاحظات:

١- كثرة العوانس .

٢- كثرة اللقطاء .

٣- كثرة الأمراض السرية[1] .

أو بعد هذا يدعي مدّع أن التعدد في الإسلام شيء يؤخذ عليه وعلامة تدل على فساد الأخلاق واختلال الحواس وشره في طلب اللذائذ كما قال بذلك قاسم أمين وأعوانه من نصراء الحركات النسائية .

كلا .. إن ذلك حقد على الإسلام والمسلمين .

٣ - كراهية الرجل لزوجته :

إذا كره الزوج زوجته تحت ظرف من ظروف الحياة كسوء خُلقها أو خِلقتها والحياة الزوجية لاتخلو بطبيعتها من عاطفة بين الزوجين، قد يظللها الحب تارة، وقد يخيم عليها البغضاء والكراهية تارة أخرى ، فإذا احتدم النزاع بينهما ووصل الأمر من الزوج إلى تصرفات غير عادلة مع زوجته بسبب بغضه إياها فما الموقف إذاً؟ إنه لابد من فتح باب للأمل أمام ناظريه حتى تستقيم الأمور، ويسير ركب الحياة الأسرية كما أراد الله، ولقد عالج الله هذه القضية بقوله تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

---

(١) مع رائد الفكر الإسلامي / تأليف / محمد شلبي / ص ٨٨ .

(٢) سورة النساء / من الآية ١٩ .

وأود أن أقول إن الكراهية في حد ذاتها ليست مبررًا للتعدد أو دافعًا من دوافعه، ولكن التعدد في مثل هذه المواقف ربما يكون عاملاً من عوامل تهدئة الجو العام للأسرة، أما إذا كانت الكراهية هي السبب الوحيد في التعدد ، كان الزواج الثاني مبعثًا لاضطراب مبعثا لاضطراب الروابط الاجتماعية وتفككها لماذا؟

لأن الظروف لا تسمح للرجل في الغالب بأن يعاشر زوجته المكروهة بالمعروف ومن ثم نرى تدخل الإسلام لحل هذه القضية بقول الرسول ـ ﷺ ـ : « لايفرك مؤمن مؤمنة ـ أي لايبغضها ـ إن كره منها خلقًا رضى منها خلقًا آخر »[1] والنهى مبني على أن الأصل في الزوجين التحاب، فإن حرما منه فليجتنبا أسباب الكره والبغض .

وربما أن يكون الزواج الثاني عاملا من عوامل تهدئة النفوس، وبذلك تعود الأمور بين الزوج وزوجته المكروهة إلى مجراها الطبيعي .

إما إذا استمرت الكراهية بين الزوجين، فلابد إذًا من الفراق بينهما وصدق ا لله إذ يقول في كتابه المجيد :

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[2] .

يقول الدكتور/ عبد الناصر توفيق العطار: «إن كراهية الزوج لاتُبرر له الزواج عليها في الأصل، ولكنها في نفس الوقت لاتبرر تحريم تعدد الزوجات بقوة القانون فقد تكون هناك مصلحة في إباحته في هذه الحالة»[3] .

٤ـ اغتراب الرجل عن بلده مدة طويلة :

إذا سافر الرجل إلى بلد آخر مدة طويلة وتعذر فيها اصطحاب زوجته معه وخاف على نفسه الوقوع في الحرام. ما موقفه؟

إما أن يلجأ إلى امرأة في الحرام يأنس بها عن طريق غير مشروع، وإما أن يتزوج منها ويقيم معها إقامة مشروعة يرضى عنها الدين والمجتمع .

---

(١) رواه مسلم / من حديث جابر رضى الله عنه .

(٢) سورة النساء / الآية ١٣٠ .

(٣) تعدد الزوجات / د. عبد الناصر توفيق العطار / ص ٣٥ .

فأيهما أولى بالاتباع؟ إن الطريق الثاني هو أسلم الطرق حتى لاتشيع الفاحشة في المجتمع، وينشأ عن طريق المخادنة أو الطرق غير المشروعة أولادًا غير شرعيين .

يقول الدكتور/ مصطفى السباعي :«إن المنطق الهادئ، والتفكير المتزن، والحل الواقعي ، كل ذلك يفضل التعدد عن الوقوع في الحرام»[1] .

وليس معنى هذا أن الأمر في مثل هذه الحالة خاصًا بالرجل دون المرأة فإذا تضررت المرأة من غياب زوجها مدة طويلة، وخافت على نفسها الوقوع في الحرام، وثبت غيابه طلبت الطلاق من القاضي، لأنه لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ في الإسلام .

ذكر الدكتور/ عبد الناصر توفيق العطار/ تحت بند التطليق لضرر الغيبة مايلي : «تنص المادة (١٢) من المرسوم بقانون ٢٥ لسنة ١٩٢٩م على أنه: (إذا غاب الزوج سنة فأكثر، بلا عذر مقبول، جاز لزوجته أن تطلب إلى القاضي تطليقها بائنا، إذا تضررت من بُعدِهِ عنها، ولو كان له مال تستطيع الإنفاق منه) ..

وتنص المادة (١٣) من نفس القانون على أنه :

(إن أمكن وصول الرسائل إلى الغائب، ضرب له القاضي أجلا وأعذر إليه بأنه يطلقها عليه إن لم يحضر للإقامة معها، أو ينقلها إليه أو يطلقها، فإذا انقضى الأجل ولم يفعل، ولم يبد عذرا مقبولا، فرق القاضي بينهما بتطليقة بائنة، وإن لم يمكن وصول الرسائل إلى الغائب، طلقها القاضي عليه بلا إعذار وضرب أجل)[2] .

٥ـ عودة المطلقة إلى عصمة زوجها :

قد تحدث خلافات بين الزوج وزوجته لسبب من الأسباب تصل به الحالة إلى الطلاق، فيضطر الزوج إلى الزواج مرة أخرى ليلبي رغبته، وسرعان ما يستفيق فيرى أنه لا مناص من رجوع زوجته المطلقة لسبب أو لآخر ـ كرعاية الأولاد ـ والرأفة بها ـ فهي التى عاشت معه فترة من الزمن، وتحملت معه لأواء الحياة ومتاعبها ، فكيف

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون / د. مصطفى السباعي/ ص ٨٦/ الطبعة السادسة/ سنة ١٩٨٤م / الناشر / المكتب الإسلامي .

(٢) الأسرة وقانون الأحوال الشخصية رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م / د. عبد الناصر توفيق العطار/ الناشر/ الموسسة العربية الحديثة بالقاهرة .

يتركها بعد ذلك حبيسة بيتها ؟

إن تعدد الزوجات في مثل هذه الحالة ورجوع الزوجة الأولى بيتها هو الحل الاجتماعي الوحيد الذي يبقى على الزوجة الجديدة دون فراق .

يقول الدكتور/ عبد الناصر العطار/ يجب أن يباح تعدد الزوجات في هذه الحالة مُطْلَقًا دون قيود أو شروط[1] .

٦- زواج الرجل من قريبته حفاظًا عليها وعلى أولادها:

قد تفقد الزوجة زوجها في أحد ميادين الجهاد، أو تأتيه المنية فجأة، ويترك أطفالاً صغارًا يحتاجون إلى رعاية تامة، وهنا يبرز قيمة صلة الرحم وذوى القربى، فيجد أحد الأقرباء أن هذه الأرملة سيتردد عليها كثير من الناس بغية التقدم إليها بعد انقضاء عدتها، وربما يكون إقدامهم على الزواج منها لثرائها، أو لجمالها، أو طمعًا في جاه أو منصب فما موقف القريب إذًا؟

إنه يخاف عليها من هؤلاء ،لأن ترددهم فيه شبهة، فيلجأ إلى الزواج منها ليخرس ألسنة الآخرين ، ويحفظ على هذه الأرملة شبابها، ويحول بينها وبين وقوعها فريسة للشيطان، أو لقمة سائغة للمتطفلين أو الطامعين ، زد على ذلك سيكون أحنى على أولادها الصغار من غيره، ويعلم مصلحتهم ويقوم على رعياتهم .

هذا جانب، والجانب الآخر قد يكون أقوى من ذلك عطفًا ورعاية، يوضحه لنا الدكتور/ عبد الناصر تفويق العطار بقوله «وقد تكون القريبة عانسًا يرى الزوج أن يضمها إلى رعايته ، أو مريضة لايرعاها غير هذا الزوج فيتزوجها حتى لا تكون أقل مستوى من زوجته ، إلى غير ذلك من الأسباب التى تتحقق بها حاجات الناس ومصالحهم، وفي الواقع نجد أنه إذا أتيحت الفرصة للأرملة أو للمريضة أو للعانس أو للمطلقة في الزواج برجل متزوج من قبل أو غريب أو غير قريب .. فهل يستساغ من مثل هذه المرأة تضييع هذه الفرصة جريًا وراء آمال خصوم تعدد الزوجات..؟[2] .

تلك هي بعض المبررات لمبدأ تعدد الزوجات بالنسبة للفرد فما هي المبررات التى

---

(١) تعدد الزوجات / ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق / ص ٣٧

تعود على المجتمع بالنسبة لمبدأ تعدد الزوجات هذا ما سنتناوله في الصفحات التالية :

أما مصلحة المجتمع في مبدأ تعدد الزوجات فتكمن فيما يلي :

١ـ زيادة عدد النساء على الرجال :

ويرجع ذلك إلى ما يلي :

أ ـ كثرة إنجاب الإناث وقلة إنجاب الذكور .

ب ـ كثرة موت الذكور صغارًا قبل سن البلوغ وقبل الزواج .

جـ ـ ما يحدث عقب وإبان الحروب وأعقاب الكوارث العامة. من زيادة عدد النساء عن عدد الرجال بسبب الوفيات في خوض الحروب كما حدث ذلك في الحرب العالمية الثانية، إذ وصل عدد القتلى في هذه الحرب عشرين مليونا، مما أدى باليابان إلى المعاناة التامة من جراء الحرب العالمية الثانية وغيرها من الدول الأخرى كفرنسا .

وقد نشرت جريدة الأهرام بتاريخ ٤ / ١٠ / ١٩٧١م (ص١٠) في باب«مع المرأة» أنّ اليابان مازالت تعاني من آثار الحرب العالمية الثانية من ناحية تعداد ونوعية السكان ، لقد تبين أنه حتى لو تزوج جميع الرجال في اليابان فسوف تظل هناك مليون و١٤١ ألفا و ٨٨٤ عانسا . هذا ما جاء في آخر إحصائية ..» .

كما نشر في ٢٧ / ١٠ / ١٩٧١م (ص ١٤) أيضا في باب «مع المرأة» أنه في عام ١٩٦٨م كان تعداد السكان في فرنسا ٤٩ مليونا و ٧٧٥ ألفا و٧٨٠ فردا، وكانت نسبة النساء بينهم ٥١,٣ ٪ بينما نسبة الرجال ٤٨,٧٪

كما أجرى في مارس ١٩٧١م إحصاء عن التعداد السكاني في فرنسا بيّن أنّ عدد السكان ارتفع إلى ٥١ مليونا وأن النسبة بين الجنسين ظلت كما كانت في الإحصاء الأخير أي أنّ عدد النساء مازال يفوق عدد الرجال بنسبة ٢,٦٪ »[١] .

فإذا لم يتح الإسلام تعدد الزوجات كحل لهذه المشاكل فما موقف المرأة التى مات

---

(١) نقلا عن كتاب تعدد الزوجات / د. عبد الناصر العطار / ص ٤٨ .

زوجها ؟

إنها إن لم تجد من يعولها ستنحرف، وقد تنبه إلى هذا عقلاء الغربيين حين أعلنوا أن منع تعدد الزوجات أدى إلى تشرد النساء وانتشار الفاحشة، وكثرة الأولاد غير الشرعيين، إلى غير ذلك من الأمراض السرية الفتاكة التي حدثت هناك من اختلاط الرجال بالنساء، وانتشار بيوت الدعارة .

إن التعدد في مثل هذه الحالات يكون أمرًا واجبًا أخلاقيًا واجتماعيًا. ومن أراد مزيدًا في هذه المواضيع فليرجع إلى الكتب المذكورة[1] .

٢ـ حاجة الأمة إلى الأيدي العاملة :

إن قوة الأمة الإسلامية تكمن في رخائها ، ورخاؤها كامن في كثرة عددها وكثرة عددها سبب من أسباب رفعتها وهيبتها وقوتها بين الأمم .

وإن الناظر إلى وضع أمتنا الإسلامية يجد أن هناك ضرورات اقتصادية تحتاج فيها المصلحة العامة إلى كثرة الأيدى العاملة، فعلى سبيل المثال لاحظ وستر مارك في دراسته عن الأفريقيين أنه :

«كلما زاد عدد زوجات الفرد في افريقيا الوسطى الشرقية زاد ثراؤه»[2].

لماذا؟ لأن المرأة هناك تعمل في الزراعة أو الصناعة، أو في أي عمل شريف من شأنه أن يزيد من دخل الأسرة، وكلما زاد حجم الدخل كلما زادت شوكة الأسرة وقوتها واستطاعت أن تدخر جزءًا تستثمره حتى يكون طريقًا للرفاهية والكرامة .

وليس الأمر قاصرًا على أفريقيا فحسب، بل لدينا في مصر أقاليم قليلة السكان تتوقف عمارتها على الأيدى العاملة من زراعة وصناعة، وإحياء للأرض الموات ، فهل

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون/ د. مصطفى السباعي/ ص ٨١ ـ ٨٤، المرأة ومكانتها في الإسلام/ أحمد عبد العزيز الحصين/ ص ١٦٧ ـ ١٧٤ ، تعدد الزوجات / د. عبد الناصر العطار/ ص ٤٨ ، ٤٩، الأسرة في الإسلام/ د. مصطفى عبد الواحد / ص ١٢٥، الزواج في الشريعة الإسلامية / د. على حسب الله / ص ١١٦ ، الاسلام والمرأة المعاصرة/ د. محمد البهى/ ص ٩٣ ، ٩٤ ، المرأة والإسلام / أحمد زكى تفاحة/ ص ٦١ ، ٦٢ ، ضمان الجنس في الإسلام / سليمان يحفوفي/ ص ١٢٣ ـ ١٢٥ ، المرأة والتربية الإسلامية / الشيخ/ محمد الأباصيري إسماعيل / ص ١٨٧ .

(٢) قصة الزواج/ وستر مارك / ترجمة / عبد المنعم الزيادي / ص ٢٦٢.

يتم ذلك إلا عن طريق كثرة الأيدى العاملة، التى تأتى نتيجة لتعدد الزوجات وكثرة الإنجاب ؟

تلك هي بعض المبررات لتعدد الزوجات، مع أن هناك مبررات أخرى لاسبيل إلى حصرها نظرا لضيق المقام، ولكن أود أن أقول في نهاية حديثي عن هذا الموضوع أن نظام تعدد الزوجات وبخاصة في الإسلام نظام أخلاقي إنساني قائم على المصلحة العامة للفرد والمجتمع، لأنه لا يسمح للرجل أن يتصل بأي امرأة سرًا ، بل عليه أن يعقد زواجه بها على مرأى ومسمع من الناس، بخلاف التعدد عند الغربيين الذي يقع بلا قانون تحت شعار الصديقات والخليلات، فضلاً عن أنه لا يقتصر على أربعة فحسب، بل يتعدى ذلك بكثير ، كما لا يقع علنًا بل سرًّا .

فأي الطريقين أعف للمرأة ، وأكرم للرجل، وأنزه للمجتمع؟ وأي المنهجين أولى بحملات التنديد والاستنكار؟

ذلك شرع الله الذي يخاطب جميع الأجناس، وسائر الأجيال، فيه من السعة والمرونة ما يرضى المعتدل، وما يهذب المفرط، كما فيه من النظم التى تعالج الانحراف وتعين على الإصلاح، وتدفع المجتمع نحو التقدم ، لأنها كفلت له كل سبل السعادة التى تعينه على دينه ودنياه .

ولقد جرّب شرع الله أناس ارتضوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ـ ﷺ ـ نبيًّا ورسولاً ، فسعدوا وعمّتهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وأورثهم تمسكهم بدينهم قوة ومناعة .

وعندما حرمت المجتمعات المسيحية التعدد نتج عن ذلك مفاسد متعددة أجملها الدكتور / عبد الخالق إبراهيم إسماعيل / فيما يلي :

١ـ وجود نساء عوانس كثيرات، وذلك أدعى لانحرافهن والسير في طريق الرذيلة.

٢ـ اضطرار كثير من النساء لارتكاب الفاحشة من أجل الغريزة الجنسية، وكسب

---

(١) حاجة العالم إلى النظم الإسلامية / أ . د / عبد الخالق إبراهيم / ص ١٨٧ / الطبعة الأولى / سنة ١٩٨١م / مطبعة الأمانة .

لقمة العيش .

٣- انتشار الفاحشة بين الجنسين واتخاذ الخليلات .

٤- انتشار كثير من الأبناء غير الشرعيين .

٥- انتشار الأمراض الخبيثة بين الجنسين عن طريق البغاء(١) .

تلك هي نظرة الإسلام إلى تعدد الزوجات من الناحية الدينية والخلقية والاجتماعية، وهي نظرة سامية يسعى الغرب جاهدًا للوصول إليها بعد أن عم فيه الفساد، وشاعت فيه الفوضى، وكثر فيه البغاء، وزادت فيه نسبة مواليد السفاح، إلى غير ذلك من الأمراض التي انتشرت بسبب تلك الفوضى. فهل بعد تشريع الإسلام من تشريع؟ كلا.. إنه شرع الله الذي أحاط بالبشرية خيرًا ، وأحصى كل شيء عددًا، وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ .

بقيت كلمة لابد من ذكرها في هذا الصدد ألا وهي : اعتراف الغربيين بمبدأ تعدد الزوجات والإشادة به، وكما يقال : والفضل ما شهدت به الأعداء.

وأود أن أذكر جانبًا من اعترافات المنصفين بصدد هذا الموضوع وعلى سبيل المثال لا الحصر :

جاء في جريدة «لاغوص ويكلي روكور» في العدد الصادر في ٢٩ أبريل سنة ١٩٠١م نقلا عن جريدة «لندن ثروت» بقلم كاتبة فاضلة ما ترجمته ملخصًا:

«لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقال الباحثون عن أسباب ذلك، وإذا كنت امرأة أراني أنظر إلى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنًا، وماذا عسى يفيدهن بَثّي وحُزْني وَتَوَجُّعِي وَتفجُّعِي وإن شاركني فيه الناس جميعًا؟

لا فائدة إلا في العمل بما يمنع هذه الحالة، ولله درّ العالم الفاضل «تومس» فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الكافل الشفاء وهو : «أن يباح للرجل التزوج بأكثر من

---

(١) حقوق النساء في الإسلام / السيد محمد رشيد رضا / ص ٥٥ / الناشر / مكتبة التراث الإسلامي .

واحدة، وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة، فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال، ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزويج بأكثر من واحدة»[1] .

وهذا الأمر لم يكن قاصرًا على شخص بعينه، بل فيه كُتّاب كثيرون رجال ونساء يقول السيد محمد رشيد رضا: «وقام غير واحدة من نساء الإنجليز الكاتبات الفاضلات يطالبن في الجرائد بإباحة تعدد الزوجات رحمة بالعاملات الفقيرات، وبالبغايا المضطرات وقد سبق لنا في المنار ترجمة بعض ما كتبت إحداهن في جريدة «لندن ثروت» مستحسنة رأى العالم «تومس» في أنه لا علاج لتقليل البنات الشاردات إلا بتعدد الزوجات، وما كتبت الفاضلة «مس إنى رود» في جريدة «الاسترن ميل» والكاتبة «اللادي كوك» في جريدة «إلا بكو» .

وقال العالم الإنجليزي «مستر جواد» : «إن النظام البريطاني الجامد الذي يمنع تعدد الزوجات نظام غير مرضى فقد أضر بنحو مليوني امرأة ضررًا بالغًا حيثُ صَيَّرَهُنَّ عوانس، وأدى بشبابهن إلى الذبول، وحرمهنّ من الأولاد، وبالتالى ألجأهن إلى نبذ الفضيلة نبذ النواة» .

ويقول أحد فلاسفة الألمان : « إن قوانين الزواج في أوربا فاسدة المبنى، فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة، وأفقدتنا نصف حقوقنا، وضاعت علينا واجباتنا».

إلى غير ذلك مما كتبه الغربيون ومن أراد الوقوف على حقيقة هذا الأمر فليرجع إلى ما كتبوه[2] .

---

(١) يراجع في هذا الموضوع ما يلي :
المنار/ للشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا / المجلد الرابع / ص ٤٨١ ، وتربية الأولاد في الإسلام / جـ١ / ص ٢٧٣ ـ ٢٨٧/ عبد الله ناصح علوان/ الطبعة التاسعة / ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م ، والإسلام يتحدى/ وحيد الدين خان ص ١٧١، المرأة ومكانتها في الإسلام/ أحمد عبد العزيز الحصين / ص ١٦٨ ـ ١٧٧ وحاجة العالم إلى النظم الإسلامية / أ . د/ عبد الخالق إبراهيم / ص ١٨٨ ، ١٨٩ وضمان الجنس في الإسلام / ص ١٢٢ ـ ١٢٥ ، المرأة بين الفقه والقانون ص ٢٢٣ ـ ٢٤٣ .

الفصل الثالث

الدعوة إلى تقييد الطلاق

لقد أحاط الإسلام الأسرة بسياج من المودة والرحمة، يكفلان لها البقاء والاستمرار، ولم يدخر وسعًا في وضع الضوابط والضمانات التى تضمن للأسرة بقاءها دون تصدع لبنيانها، فأمر الزوج بالإنفاق على زوجته من حين عقد العقد إلى نهاية الحياة الزوجية سواء بالموت أو الطلاق، كما لم يبخس المطلقة حقها، فأمر بإكرامها والعطف عليها، وإعطائها حقوقها كاملة غير منقوصة، وهذا ما أوضحه بعد قليل بمشيئة الله تعالى .

وقبل أن أوضح الحكمة الإلهية من تشريع الطلاق أودّ أن أعرض وجهة نظر أدعياء التحرر في موضوع تقييد الطلاق وعدم وقوعه إلا بإذن القاضى، وعلى مرآى ومسمع من الحاضرين .

لقد طالبت المؤتمرات النسائية[1] بتقييد الطلاق وعدم وقوعه إلا أمام القاضى وكان ممن تبنى هذه الفكرة قاسم أمين وأعوانه وهاهي أفكارهم ومطالبهم في هذا الأمر.

---

(١) أول هذه المؤتمرات انعقادًا مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي بروما المنعقد عام ١٩٢٣م ، وكان الهدف من انعقاده الدعوة إلى تحرير المرأة المسلمة في بلاد المسلمين ولاسيما مصر، وكان هذا المؤتمر قد دُعي إليه كثيرات ممن يؤمنّ بحركة تحرير المرأة من أمثال هدى شعراوي، وعقب رجوعها من هذا المؤتمر، نادت في مصر بتكوين اتحاد نسائي مصري عام ١٩٢٣م ولم يمض وقت طويل إلا وتبعها فتيات خصصن أنفسهن للمناداة بتحرير المرأة والدعوة إلى خروجها سافرة، واختلاطها بالرجال، من أمثال: أمينة السعيد، صاحبة مجلة (حواء) المصرية، وسهير القلماوي ، تلك المرأة التى تربت في الجامعة الأمريكية للبنات، وتخرجت من معهد الأمريكان، وكانت هي وأمينة السعيد تلميذتان وفيتان لطه حسين وأفكاره .

ولم يكن الأمر قاصرا عليهن فحسب بل دخل في زمرتهن نساء مسيحيات من أمثال : مي زيادة ، وغيرهن كثيرات وقد أفضت القول في هذا الموضوع في الفصل الأول تحت عنوان: « أتباع النفوذ الاستعماري وراء حركة تحرير المرأة» .

أولا : وجهة نظر أدعياء التحرر:

يقول قاسم أمين: «إن أرادت الحكومة أن تفعل خيرًا للأمة فعليها أن تضع نظاما للطلاق على الوجه الآتي:

المادة الأولى: كل زوج يريد أن يطلق زوجته فعليه أن يحضر أمام القاضى الشرعي أو المأذون الذي يقيم في دائرة اختصاصه، ويخبره بالشقاق الذي بينه وبين زوجته .

المادة الثانية : يجب على القاضي أو المأذون أن يرشد الزوج إلى ما ورد في الكتاب والسنة، مما يدل على أن الطلاق ممقوت عند الله، وينصحه، ويبين له تبعة الأمر الذي سيقدم عليه، ويأمره أن يتروى مدة أسبوع .

المادة الثالثة: إذا أصر الزوج بعد مضى الأسبوع على نية الطلاق، فعلى القاضى أو المأذون أن يبعث حكما من أهل الزوج وحكما من أهل الزوجة ، أو عدلين من الأجانب إن لم يكن لهما أقارب ليصلحا بينهما .

المادة الرابعة : إذا لم ينجح الحكمان في الإصلاح بين الزوجين فعليهما أن يقدما تقريرًا للقاضى أو المأذون ، وعند ذلك يأذن القاضي أو المأذون للزوج في الطلاق.

المادة الخامسة: لايصح الطلاق إلا إذا وقع أمام القاضي أو المأذون، وبحضور شاهدين، ولايقبل إثباته إلا بوثيقة رسمية، وليس في هذا تعد على حق من حقوق الزوج، وإنما هو وسيلة للتروى والتبصر اتخذت لمصلحة المرأة وأولادها، بل ولمصلحة الزوج نفسه.

إنّ وضع الطلاق تحت سلطة القاضي أدعى إلى تضييق دائرته وأدنى إلى المحافظة على نظام الزواج[1] .

وإذا انتقلنا من قاسم أمين الذي غير فكره في تحرير المرأة عن نفس فكره الذي كتبه سابقًا في كتابه «المصريون» والذي تعرض فيه لنفس القضية و لم يذكر أي قيد على الطلاق، فإذا به يغاير فكره ويذكر ذلك في كتابه الثاني«تحرير المرأة» وهذا ما

---

(١) الأعمال الكاملة لقاسم أمين / جـ٢ / ص ١٠٤ / دراسة وتحقيق د/ محمد عمارة ، وانظر كذلك: قاسم أمين وتحرير المرأة / د. محمد عمارة / ص ٦٦ ، ٦٧ / الناشر / دار الهلال سنة ١٩٨٠م .

سنناقشه بعد سردنا لوجهة نظر أدعياء التحرر بالنسبة لهذا الموضوع، وسنبين مما لايدع مجالا للشك أن نفوس هؤلاء الأدعياء مرضى، وأفكارهم غريبة لاتمت إلى الإسلام بصلة .

ومن الذين دعوا لتقييد الطلاق وعدم وقوعه إلا أمام القاضي وتحديد سن زواج الفتاة وكذلك سن زواج الفتى :

١- باحثة البادية «ملك حفنى ناصف» والتى طالبت في كتابها بما يلي :

«يسن قانون يحرم على الرجل أن يطلق زوجته إلا أمام القاضي الشرعي، وعلى القاضي معالجة التوفيق بين الزوجين بحضور حكم من أهلها وحكم من أهله قبل الحكم بالطلاق طبقا لنص الدين الحنيف»[١] .

كما طالبت أيضًا – باحثة البادية - بوضع سن للزواج بالنسبة للفتاة لا يقل عن ستة عشر سنة وهي تقول في هذا : « والواجب ألا تتزوج الفتاة إلا متى صارت أهلاً للزواج ، كفؤًا لتحمل مصاعبه ولا يكون ذلك قبل السادسة عشر ..»[٢] .

٢- ثم طالبت الحركة النسائية التى تزعمتها هدى شعراوى بالاجتهاد في إصلاح بعض طرق تطبيق القوانين الخاصة بالزواج، ووقاية المرأة من الظلم الذي يقع عليها من تعدد الزوجات، ومن الطلاق كما طالبت بقانون يجعل سن الزواج عند البنت ستة عشر سنة[٣] .

ونتيجة لتلك الدعوات تعددت قوانين الأحوال الشخصية، ابتداءً من القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٠م ، وانتهاءً بالقانون ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م وإن الناظر بثاقب بصره إلى تلك القوانين سيجد أكثرها كانت تصدر لأغراض شخصية وأهواء دنيئة حتى ولو على حساب المصلحة العامة .

---

(١) النسائيات/ باحثة البادية ملك حفنى ناصف/ جـ٢/ ص ٥٠ / الناشر مطبعة التقدم القاهرة .
(٢) المرجع السابق / جـ١/ ص ٤٨، وانظر كذلك : آثار باحثة البادية / ص ٢١٠/ جمع وتبويب/ مجد الدين حفنى ناصف/ الناشر/ الموسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٢م / تقديم د. سهير القلماوي.
(٣) مذكرات هدى شعراوي / ص ٢٥٨، الحركة النسائية / د. إجلال خليفة / ص ١٩٧ / ١٩٩ عن المؤتمر النسائي في القاهرة والمنعقد بتاريخ ١٦ /١٢/ ١٩٤٤ م .

وليس المقام مقام سرد واستقصاء لما جاء في نصوص القوانين، ولكني أود أن أعرض طرفًا قليلاً من القوانين الخاصة بتقييد الطلاق، لتتضح لنا الصورة مما تضمنته نية هؤلاء الأشرار الذين يقصدون بذلك إشاعة الفاحشة في المجتمع .

وأهم هذه القوانين القانون الصادر سنة ١٩٤٣م ، والذي أعاد مناقشة فكرة تقييد تعدد الزوجات ، ومعها تقييد الطلاق ، وقد ساعد على نشره وزارة الشئون الإجتماعية.

يقول الإمام/ محمد أبو زهرة : « لقد عادت فكرة تقييد تعدد الزوجات ، ومعها تقييد الطلاق في سنة ١٩٤٣م، وقد نشرتها من قبرها وزارة الشئون الاجتماعية، وأيدتها بفتوى أفتاها الشيخ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، وكان المرحوم الشيخ/ محمد مصطفى المراغي قد أفتى بجواز تقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات ... أما تقييد الطلاق، فكان أساسه أن الطلاق لايكون إلا بإذن القاضي، ومن يطلق بغير إذن القاضي المختص يحكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر أوبغرامة مائة جنية وقبل أن يأخذ الاقتراح طريقه إلى دار النيابة ليكون به قانون طواه رئيس الوزراء إبان ذلك، وكان ذلك عملا جليلا، أنقذ به الأسرة الإسلامية، ولم يجعلها تحكم بنظام غير إسلامي، مأخوذ من نظام آخر[١] .

ولم يمت هذا القانون، بل ظلت وزارة الشئون الاجتماعية تنفخ في بوقه حتى عاد مرة أخرى سنة ١٩٤٥م ، ولكنها لم تنجح في فرضه على الناس لما فيه من الضرر الاجتماعي الذي يلحق بالأفراد والجماعات، ولم يمض وقت طويل إلا وتراجع الشيخ المراغي عن رأيه في تلك الفكرة ، ويظل القانون قابعًا في أدراج وزارة الشئون الاجتماعية، الذين كانوا لا يلجأون في معظم أحوالهم لفقهاء الشريعة الإسلامية إلا للضرورة القصوى، أو استنجادًا منهم برأى في مساندة أفكارهم، حتى ولو كان هذا الرأى ضعيفًا .

وقد تلاحقت قوانين الأحوال الشخصية ، كلما اندثر قانون تبعه آخر، إلى أن

---

(١) تنظيم الأسرة وتنظيم النسل/ الإمام محمد أبو زهرة / ص ٣٠ ، ٣١ الناشر دار الفكر العربي .

صدر القانون ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ م بإلغاء المحاكم الشرعية[١] .

ومن ثم استطاع الغربيون والمستعمرون وأعداء الفضيلة أن يصرفوا المسلمين عن دينهم ، ويقطعوا علاقة المسلمين بكتاب ربهم، و لم يكن أمر تقييد الطلاق قاصرًا على مصر فحسب، بل ذاع وانتشر في بعض بلدان المسلمين، فعلى سبيل المثال نرى تونس - البلد الإسلامي العربي - نص قانونها بعدم وقوع الطلاق إلا بإذن القاضي ، وكأن الأمركان يدبر بليل للقضاء على الإسلام في كل البلاد الإسلامية .

يقول الدكتور/ جمال العطيفي : « وفي تنظيم الطلاق نجد القانون التونسي ينص على أن الطلاق لايقع إلا لدى المحكمة، وعند الحكم بالطلاق يقرر القاضي ما تتمتع به الزوجة من الغرامات المالية لتعويض الضرر الحاصل لها ، أو ما قد تدفعه هي للزوج من التعويضات[٢] .

وقد ذكر الشيخ/ أبو زهرة في كتابه «تنظيم الأسرة وتنظيم النسل» أن الأمر لم يكن قاصرًا على مصر وحدها ولا على تونس فحسب، بل إن القائمين على هذا الأمر كان غرضهم نشر تلك القوانين الوضعية في سائر بلدان العالم الإسلامي، فلقد وصل تنظيم الأسرة في قوانين البلاد العربية والإسلامية، في العراق، وفي الأردن، وسوريا، والقانون التونسي الجديد، والسودان، ولبنان.. إلى غير ذلك من بلدان العرب والمسلمين[٣] .

وكان هدف المنادين بذلك تقليد الغربيين في كل شيء ، لولوعهم بحضارة الغرب من جهة، ولسيرهم على المخططات التى رسمت لهم من جهة أخرى، ولو أدى ذلك إلى تصدع بناء الأسرة الإسلامية، والمجتمع المسلم ، ولايهمهم المصلحة الاجتماعية، ولامصلحة المرأة، وإذا كان الغربيون يخضعون لأحكام كنيستهم، وتعاليم قسيسيهم مع

---

(١) الزواج في الشريعة الإسلامية / د. على حسب الله / ص ٦ / الناشر دار الفكر العربي .
(٢) آراء في الشرعية وفي الحرية / د. جمال العطيفي / ص ٣٧٥ / الناشر / الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٣) انظر كتاب تنظيم الأسرة وتنظيم النسل/ الإمام محمد أبو زهرة / ص ٣٤ - ٥٢ ، وكتاب الأسرة وقانون الأحوال الشخصية / د. عبد الناصر توفيق العطار/ ص ٢١ ، ٢٢ ، ٩٨ / الناشر / المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر .

أنهم على باطل ، فلم لا نخضع نحن لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية ونقتدى بفعل الصحابة والسلف الصالح ، أم أنه التقليد الأعمى والسعى وراء كل جديد؟

والآن مع مناقشة هذه الأفكار:

الحكمة من وضع الطلاق بيد الرجل:

إن الشريعة الإسلامية جعلت الزوج قائمًا على رعاية الأسرة ، فهو مطالب بالنفقة على زوجته وأولاده، لأنه أشد جلدًا وصبرًا على تحمل لأواء الحياة ومصاعبها، كما جعلت الشريعة الطلاق حقًا للرجل لأنه أشد ثباتًا، وأبعد نظرًا في تقدير الأمور، وأبطأ تسرعًا للاستجابة لدواعي الغضب والانفعال ، على عكس المرأة التى تنهار لأتفه الأسباب، لأنها ضعيفة الاحتمال لمصاعب الحياة، فضلا عن سرعة تأثرها لدواعي الغضب والمثيرات التى تحدثنا حولها، ومن ثم حرص الإسلام على جعل الطلاق بيد الرجل، خوفًا من أن تنفعل المرأة على أتفه الأسباب لتزيل تلك العلاقة، فينهار بذلك صرح الأسرة الشامخ على أوهن سبب، وتندم الزوجة ولات ساعة مندم .

يقول الدكتور/ عبد الناصر العطار: «ومسلك الشريعة الإسلامية في جعل الطلاق بيد الزوج لابيد القاضي ـ في الأصل ـ أصح نظرًا، وأولى بالعمل به لصالح المرأة ولصالح الرجل والأسرة، ذلك أن مفتاح بقاء الحياة الزوجية يجب أن يكون بيد الزوج في الأصل باعتباره هو الذي أنشأ الأسرة وهو القيمُ عليها والمسئول الأول عنها، والمكلف بالإنفاق عليها، فإذا طلق فلا يستساغ أن نفرض عليه زوجة لايقبل التعاون معها .. وبالتالي لايتحقق في الأسرة السكن والمودة والرحمة إذا أجبر القاضي الزوج الكاره على أن يستمر في الحياة الزوجية، وسنرى أن الزوجة الكارهة لا تجبر كذلك على الاستمرار في الحياة الزوجية، وبهذا عدلت الشريعة الإسلامية بينهما[1] .

وإذا كان الإسلام قد وضع الطلاق بيد الرجل، إلا أنه وضع له ضوابط وقيود حتى لا تتحكم فيه الأهواء، ومن ثم نرى عقد الزواج في الإسلام يختلف عن أي عقد آخر فقد أحيط بسياج من القدسية والجلال يجعلانه مميزًا عن سائر العقود، فضلاً عن ذلك

---

(١) الأسرة وقانون الأحوال الشخصية / د. عبد الناصر العطار/ ص ٩٧ ، ٩٨ .

نجد الحق ـ جل في علاه ـ يطلق عليه لفظ الميثاق الغليظ وذلك بعد الأمر بالمعاشرة بالمعروف .. قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(١)

هذا ويترتب على الطلاق تبعات مالية تفرض على الزوج حين فصل العلاقة الزوجية كمؤجل الصداق، ونفقة العدة، والمتعة، فضلا عن أنه قد خسر بذلك ما دفعهُ من مهر وما قدمه من مال لتأثيث بيت الزوجية الذي ينهار مع وقوع الطلاق، ولن يقف الأمر بالزوج عند هذا الحد، بل إنه سيمضى إلى الشروع في زواج آخر، ولاشك أن كل هذه التبعات وتلك التكاليف تجعل الزوج يحرص ما وسعه الحرص على بقاء عش الزوجية مهما صادفه من مشاكل يستطيع التغلب عليها، أو بعد هذا يقول قائل إننا نريد أن نقيد الطلاق، أو أن نجعله بيد الزوجة .

إن الإسلام يقف أمامه قائلا: إن وضع الله وحكمته اقتضت أن يكون الطلاق بيد الرجل، فأصرف تفكيرك فيما ينفع المسلمين، ودع ما ادّعاه الغرب ، وفي الوقت الذي يندد فيه أدعياء التحرر بتقييد الطلاق، ترتفع أصوات من الغرب بإباحة الطلاق لما أحدثه التقييد لديهم من مشاكل عنيفة .

يقول الدكتور/ محمد على محجوب: «ومما يدعو إلى العجب أنه في الوقت الذي ينادى فيه البعض عندنا بحرمان الزوج من الطلاق وجعله بيد القاضي، ويغالى البعض الآخر فيدعو إلى إغلاق باب الطلاق نهائيًا ، نجد الأوربيين قد عادوا أخيرًا ونادوا بإباحة الطلاق بعد أن أدركوا حاجتهم إليه فبعضهم أباحة على أن يكون بيد القاضى، والبعض الآخر توسع فيه فأباحه مطلقًا كما هو الشأن في بعض ولايات أمريكا الشمالية، ومن يدرى فقد يصل التطور مستقبلا إلى إباحته للزوج كما قررته الشريعة الإسلامية من أول الأمر»(٢) .

ومن ثم يتضح لنا أن الشرع الإسلامي لايشرع لملائكة يعيشون على الأرض ولكنه يشرع لبشر ربما تضطرب أحوالهم، وتضيق أمورهم، فإذا احتدم النزاع، وكثرت

(١) سورة النساء / الآية ٢١ .

(٢) الأسرة وأحكامها في الشريعة الإسلامية / د. محمد على محجوب / ص ٣٤٠ .

المشاكل بين الزوجين، واستحكم التنافر والخلاف، فما الحل إذًا؟ إن الإسلام يضع الحلول الناجحة قبل وقوع الطلاق، ويتخذ من الوسائل الإيجابية ما يقى الحياة الزوجية من الانفصام، ويقيها شر التدهور والانحلال، قبل الشروع في وقوع الطلاق .

فماهي الحلول الإيجابية التى وضعها الإسلام قبل وقوع الطلاق:

إن الإسلام راعي عاطفة المرأة تجاه الرجل، وعاطفة الرجل تجاه المرأة فإذا ائتلفا زوجين في عش الزوجية وحدث بينهما نزاع قد يكون من جهة الزوج تارة وقد يكون من جهة الزوجة تارة أخرى فما الحل؟

إذا كان النزاع من جهة الزوج كأن يكون بخيلا، أو مبذرًا للمال، أو ضعيف الشخصية لايحمى حرمة بيته، أو غير ذلك فإن الإسلام يوجهه الوجهة الصائبة، بما إنه القوّام على المرأة، قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(١) .

والزوج مأمور بالمعاشرة بالمعروف لزوجته في حالة الرضا وفي حالة الغضب ولكن في حالة الغضب أشد، وأعنى بذلك أن الزوج مأمور بتحكيم عقله قبل عاطفته حتى لايحتدم النزاع ويصل به الأمر إلى الطلاق، طالما وأن الأمر يمكن معالجته بسبب أو بآخر، والزوج إن كره من زوجته خلقًا رضى منها آخر ، وهذا ما سنفصل فيه القول بعد سردنا لعلاج الإسلام لحالة النشوز من المرأة .

موقف الإسلام من نشوز المرأة :

وإذا كان النزاع ناتجًا من الزوجة كعيب في تصرفها، أو سوء في خلقها، أو طبع بغيض في سلوكها فما الحل إذًا؟

اهتم القرآن أيضا بهذا الجانب من الزوجة، فوصف العلاج الناجح لتلك الحالة الشاذة، التى قد يترتب عليها تصدع بنيان الأسرة المتين، فإذا به يضع الخطوط العريضة لعلاج هذه الأوضاع قبل أن يستفحل الداء، ولا ينفع الدواء، قال تعالى في كتابه

(١) سورة النساء/ الآية : ١٩ .

الكريم :

﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[1] .

ولنقف قليلا مع تفسير هذه الآية ليتضح لنا ما تضمنته من علاج ناجح لحالة النشوز التى قد تطرأ على المرأة لسبب أو لآخر، فقد تستعلى المرأة على زوجها لغناها أو لجمالها ، أو لحسبها ونسبها، فإذا شعر الزوج بذلك من امرأته وظلت هي على عنادها واستكبارها ، وامتنعت عن طاعة زوجها، إذ هي مأمورة بطاعته في حدود ما أمر الله لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إذا بقيت على تلك الحالة فالإسلام يطلق عليها لفظ المرأة الناشز ، فما معنى هذه الكلمة ؟

قال صاحب لسان العرب: «النشوز يكون بين الزوجين، وهو كراهية كل واحد منهما صاحبه، واشتقاقه من النشز، وهو وما ارتفع من الأرض ونشزت المرأة بزوجها وعلى زوجها تنشز نشوزًا وهي ناشز ارتفعت عليه، واستعصت عليه، وأبغضته وخرجت عن طاعته وفركته»[2] .

وهذا المعنى من الناحية اللغوية عام، ولكن عادة كثير من المفسرين في تعريفهم للنشوز قصروه على خروج المرأة على طاعة زوجها دون أن يقيدوه بحدود ما أمر الله .

قال الحافظ بن كثير: «فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها التاركة لأمره المعرضة عنه المبغضة له»[3] .

وقد سار على هذا النحو صاحب تفسير المنار إذ يقول : «النشوز في الأصل بمعنى الارتفاع فالمرأة التى تخرج عن حقوق الرجل قد ترفعت عليه وحاولت أن تكون فوق رئيسها بل ارتفعت أيضا عن طبيعتها وما يقتضيه نظام الفطرة في التعامل فتكون كالناشز من الأرض الذي خرج عن الاستواء »[4] .

---

(١) سورة النساء/ الآية: ٣٤ .

(٢) لسان العرب لابن منظور/ جـ٦ / ص ٤٤٢٥ / باب النون فصل الشين / مادة: نشز .

(٣) تفسير الحافظ ابن كثير/ جـ٢ / ص ٢٥٧ ، وانظر تفسير المحيط / جـ٣ / ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٤) تفسير المنار/ الإمام الشيخ / محمد عبده / تأليف السيد محمد رشيد رضا / جـ٥ / ص ٥٩ .

ومن ثم يتضح لنا من خلال هذه التعريفات أن النشـوز حالة تعترى المرأة قد يكون ناتجا عن الزوج، أو ناتجًـا عن الزوجة، أو ناتجًـا عنهما معا، فإذا كـان ناتجًا عن الزوجة فتعـالت وارتفعت وخرجت على زوجهـا فثم هذا العلاج الذي وضعـه الإسـلام والتى تضمنته الآية وهو كما يلي:

١ـ الوعظ بالرفق واللين .

٢ـ الهجر في المضاجع (العقوبة السلبية) .

٣ـ الضرب .

تلـك هي الوسـائل التـى وضعها الإسـلام للزوج ليعـالج بهـا نشـوز زوجتـه، وهي تستغرق من الوقت والجهد مـا هو كاف لتهدئة البواعث التى أدت إلى النشوز ، وهذا تنبيـه من الله ـ عز وجل ـ علـى أن الهدف من تلك الوسـائل هو العلاج والعمل على صيانة الأسرة من التصدع والانهيـار ، ومتى تحقق العلاج بأحد هذه الوسائل بالترتيب فقد تحقق الغرض المطلوب، كمـا أنه لايجوز للزوج أن ينتقل من وسيلة لأخرى إلا بعد أن يتحقق بـأن الوسـيلة الأولى لم تؤت ثمارها المرجـوة، وعلاج القرآن لظـاهرة النشوز من المرأة دليل صدق على أن القرآن حق من عند الله، فضلا عن أن هذا العلاج مظهر من مظهار الإعجاز القرآني، وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرِ﴾[1] .

ولنقف مع هذه الوسائل الثلاث بشئ من التوضيح :

الوسيلة الأولى: الوعظ بالرفق واللين :

وهذه الوسيلة يلجـأ إليهـا الزوج لزوجتـه لأنه أعلـم بأسـاليب الوعظ التى تؤثر في قلب زوجته؛ ولايكتفى بالكلام اللين فحسـب، بل يضرب لها الأمثلة لبعض من الأسر الموفقة، ثم يبـين لها الأضرار التى تعود علـى الأسرة المنشـقة ومـا يترتب على ذلك من آثار جانبيـة في سـلوك كل من الزوجين مـن جهة، والأولاد من جهـة أخرى، ومن ثم يستطيع أن يجمع شمل الأسرة دون تدخل من أحد .

---

(١) سورة الملك / الآية : ١٤ .

هذا وقد ذكر كثير من المفسرين نماذج من أساليب وعظ المرأة الناشز فعلى سبيل المثال لا الحصر :

يقول الإمام الألوسي في تفسيره : « فعظوهن أي فانصحوهن قولوا لهن اتقين ا الله وَارْجِعْنَ عما أنتنّ عليه»[1] .

ولايكتفى بأسلوب واحد بل يلون لها في الأساليب ناصحًا تارة وواعظًا أخرى ومرهبا من عقاب الله لعصيانها ومخالفتها لطاعة زوجها .

يقول الحافظ بن كثير: «فمتى ظهر له منها أمارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته، وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والأفضال»[2] .

هذا وينبغي على الزوج أن يكون بصيرًا بما يشرح صدر زوجته ويثلج صدرها حتى يستطيع الوصول إلى قلبها برفق ولين دون سبّ أو شتم كما نرى من بعض الذين لم يقفوا على حقيقة هذه الوسيلة، وذلك لأن ما يصلح في العلاج لزوجة قد لا يصلح لأخرى .

يقول صاحب المنار: « والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة فمنهن من يؤثر في نفسها التخويف من الله ـ عز وجل ـ وعقابه على النشوز ومنهن من يؤثر في نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة في الدنيا، كشماتة الأعداء، والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة، والحلي، والرجل العاقل لايخفى عليه الوعظ الذي يؤثر في قلب امرأته»[3] .

فإذا وصل الزوج إلى هذه الدرجة من الوعظ بالرفق والكلام اللين الذي يُرققُ القلوب، وظلت المرأة مصرة على عنادها فما الحل إذًا ؟

إن المشرع الحكيم ـ جل في علاه ـ يأمر بالارتقاء إلى الوسيلة الثانية .

يقول الشهيد / سيد قطب : « ولكن العظة قد لاتنفع لأن هناك هوىً غالبًا أو

(١) تفسير روح المعاني للألوسي / جـ٥ / ص ٢٤ .
(٢) تفسير الحافظ بن كثير / جـ٢ / ص ٢٥٧ .
(٣) تفسير المنار/ جـ٥ / ص ٥٩ .

انفعالاً جامحًا أو استعلاء بجمال أو بمـال أو بمركز عائلي، أو بأي قيمـة من القيم تنسى الزوجة أنها شريكة في مؤسسـة وليست ندًا في صراع أو مجال افتخار هنا يجئ الإجراء الثاني حركة استعلاء نفسية من الرجل على كل ما تدل به المرأة من جمال وجاذبية أو قيم أخرى ترتفع بها ذاتها عن ذاته أو عن مكان الشريك في مؤسسة عليها قوامة[1].

فـإذا بلـغ الزوج بوعظـه إلى هذا الوضـع وترفعت المـرأة فعليـه حينئذ أن يعمد إلى الوسيلة الثانية ألا وهي :

الهجر في المضاجع:

والهجر هو الامتناع عن مضاجعتها في الفراش وأن يوليها ظهره عند النوم فحسب، وهذا الوسيلة تأديبية بحيث يشعرها أن مستعل عنها غير آبه بها مهما تزيّنت له وبالتالي تشعر بالضعف أمامه، وعدم الاستغناء عنه مهما كان سبب ترفعها عنه .

وقد ساق كثير من المفسـرين معنى الهجر على ضوء الآيـة الكريمة :﴿**وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**﴾ كما يلي :

يقـــول ابن كثير: «والهُجْرانُ : أن لا يجامعهـا ويضاجعهـا علـى فراشـــها ويوليها ظهـره»[2] وهذا المعنى يوضح لنـا أن الهجر قاصر في الفراش فحسـب، وليـس مستحبًا على الهجر من البيت كمـا يفعل البعض، ومن ثَمَّ قد تلوفُ الزوجة بـآخر فتعاشره في الحـرام ويحدث مالا تحمد عقبـاه بعد ذلك، وعلـى الزوج أن يراعي ذلك طالما وأن ا لله العليم ببواطن الأمـور وخفايـا النفوس قد حـدّد الهجر في المضـاجع فحســـب، كما أن هناك جوانب إيجابيـة لهذا العلاج فعلى سـبيل المثال ، عندما تشـعر الزوجة أن زوجها امتنع عن وقاعها مع أنه يبيت بجوارها ويجد منها ما يغريه، ولكنه معرض عنها، فتسرع إلى مرضاته وتعود إلى رشدها .

يقـولُ الدكتـور/ محمـد البهـى في معنـى الهجـر: «هـو عـلاج رادع للمـرأة مـذل لكبريائها ، فإنّ أعز ما تدل بـه هو أنوثتها، وأقوى ما تغزو بـه الرجل هو هذا السلاح فإذا فَلَّهُ لها، وأراها من نفسه صدود الاستعلاء عليها، وقله المبالاة بما لديها، فقد أبقاها

(١) تفسير في ظلال القرآن / سيد قطب/ جـ٣ / ص ٦٥٤ .
(٢) تفسير الحافظ بن كثير / جـ٢ / ص ٢٥٧ .

بلا سلاح، وأرخص لها ما تدل به ، وذلك أنكى ما تشعر به المرأة من هزيمة[1].

وينبغي على الزوج أن يعالج هذه الوضع بحكمة فلا يهجر زوجته في كل الأمور ، بل يكلمها ويحاول أن يجذبها تجاهه بما يعلم أنه مُرَقِقٌ لقلبها، حتى يستطيع بذلك أن يزيل ما حدث بينهما من خلاف دون تدخل أحد لا من أهله ولامن أهلها، لأنه لم يستنفذ بعد الوسائل التى وضعها المشرع الحكيم للعلاج .

والهجر بهذه الصورة وسيلة من وسائل العلاج الناجح لفض النزاع إذ هو طريق للإصلاح وليس طريقًا لإذلال المرأة أو نكايتها ، ومن ثم نرى المشرع الحكيم يضع ضوابط لاستعمال هذه الوسيلة تمنع الرجل من سوء استعمالها وعدم إيذائه لزوجته، حتى يبقى على المودة بينهما وهذه الضوابط نستطيع إجمالها فيما يلي :

١ـ إذا استنفذ الزوج طاقته في الوسيلة الأولى ـ الوعظ ـ فلا يلجأ إلى الهجر قبل الوعظ بدليل قوله تعالى : ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُن﴾[2] .

٢ـ لا يباح الهجر من الزوج إلا عند نشوزها بدليل قوله تعالى :

﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾[3] .

٣ـ يجب على الزوج الامتناع عن هجر زوجته إذا عادت إلى رشدها وصلاحها فإذا أصر الزوج على الهجر فإنه بذلك يكون آثما لمخالفته النص الكريم :

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾[4] .

٤ـ تحديد المشرع الحكيم لمدة استعمال هذه الوسيلة إذا استمر الخلاف لأن الهجر رخصة لمحاسبة المرأة نفسها، وليس حقًا مطلقًا للزوج يستعمله حسب هواه وغرضه. يقول الإمام القرطبي : «هذا وقد حدد العلماء مدة الهجر حال نشوز الزوجة بشهر فقط، وذلك قياسًا على ما فعله النبي ـ ﷺ ـ مع زوجته حفصة ـ رضى ا لله عنها ـ

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة / د. محمد البهي / ص ١٠٥ / ط/دار الكويت.
(٢) سورة النساء: الآية ٣٤ .
(٣) سورة النساء : الآية ٣٤ .
(٤) سورة النساء : الآية ٣٤ .

عندما أسر إليها فأفشت سره إلى عائشة ـ رضى الله عنها ـ وتظاهرتا عليه، فإذا كان الزوج يعرف عن زوجته أن الزيادة في الهجر عن شهر تصلحها، فله أن يزيد عن ذلك، ولكن لايجوز له أن يبلغ هذا الهجر أربعة أشهر(١) .

وهذا الحكم من العلماء قياسًا على الإيلاء الذي عالجه الله تعالى في كتابه الكريم بقوله تعالى :

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٢)

ومن ثم يتضح لنا أن الأمر بالهجر ليس إذلالاً للمرأة، ولكنه صيانة لها، إذ أنه شُرع للإصلاح و لم يشرع للإذلال .

وإذا ظل النزاع محتدمًا، والخلاف قائمًا، والنشوز مستمرًا فما الحل إذًا؟ إنه لابد من اللجوء إلى الوسيلة الثالثة إذا لم يفد الوعظ ولا الهجر.. فما هي تلك الوسيلة ؟ إنها الضرب .

الوسيلة الثالثة : الضرب:

هناك بعض الزيجات الناشزات لاتؤثر فيهن الموعظة الحسنة ولاهجر أزواجهن لهن في الفراش ، وذلك لعدة أسباب منها :

تبلد إحساس المرأة، وعدم تقديرها للمسئولية وما يترتب على الشقاق من خسائر مادية معنوية، أو عنادها ومكابرتها يجعلانها تُصر على الخطأ ولاترجع إلى الصواب، أو اتباعها لكلام الآخرين ممن يودون إفساد الحياة الزوجية بين الناس ويشيعون الفتنة في المجتمع، إلى غير ذلك من الأسباب الداعية لنشوز المرأة، فإذا استنفذ الرجل تلك الوسيلتين و لم يأت بنتيجة فما الحل إذًا؟

إنه لابد وأن يلجأ إلى الوسيلة الثالثة تنفيذًا لما أمر الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / جـ٥ / ص ١٧٢ .
(٢) سورة البقرة / الآية ٢٢٦ .
(٣) سورة النساء: الآية ٣٤ .

وقد يزعم بعض من المتمدينين ودعاة التحرر أن كرامة المرأة وحريتها لاتتفق مع ضربها، والرد على هؤلاء من واقع مجتمعاتهم سهل ميسور ..

إذا كانت كرامة المرأة لاتسمح بضربها كما تدّعون فلم تسمحون لها بأن تُخالل من تشاء، وتعشق من تشاء، وتخادن من تشاء، أهذا كمال حريتها لديكم، إذا كان هذا كما هو حادث لديكم فأولى لكم ثم أولى ، وأولى بنا أن نلتزم بما رسمه لنا ربنا، طالما وأننا رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد - ﷺ - نبيًا ورسولاً ، وسنعرض جانبا من واقع المجتمعات الغربية وموقفها من الطلاق، وذلك بعد عرض موضوع الطلاق من وجهة النظر الإسلامية .

والآن مع عرض موجز لهذه الوسيلة وضوابط استعمالها وكيفية الضرب:

إن الناظر إلى التشريع الإسلامي لوسيلة الضرب وإباحته للزوج ليصلح به اعوجاج زوجته الناشز ليتضح له بجلاء أن هذه الوسيلة ليس فيها إهانة للمرأة ولا إذلالاً لها كما يدعي البعض .

ولسائل أن يسأل : كيف ذلك؟

ونرد عليه بهذا السؤال: أي الأمرين أحفظ لكرامة المرأة معاقبتها بشئ يسير من الضرب لتتوب إلى رشدها؟ أم تترك على نشوزها ويؤدى ذلك إلى هدم بيتها وتشريد أطفالها؟

والإجابة على لسان الأدعياء بلا مكابرة بالتسليم المطلق لشرع ا لله الذي أحاط بالناس خبرًا، وعلم ما يصلح أحوالهم ويقوم اعوجاجهم فشرعه له .

يقول صاحب تفسير المنار:« أن مشروعية ضرب النساء ليست بالأمر المستنكر في العقل أو الفطرة فيحتاج إلى التأويل، فهو أمر يحتاج إليه في حال فساد البيئة وغلبة الأخلاق الفاسدة، وإنما يباح إذا رأي الرجل أن رجوع المرأة عن نشوزها يتوقف عليه»(١) .

إن هذا التأديب المادي أمر لا مفرّ منه لمثل هذه المرأة الناشز التى لم تُجْدِ معها

(١) تفسير المنار/ جـ٥/ ص ٦٢ .

الوسيلتين السابقتين، طالما وأنه طريق لسلامة الأسرة من التصدع، وحرصًا على سلامتها من الانهيار .

يقول الدكتور/ عبد الحي الفرماوي : «وليس الزوج هو الوحيد صاحب هذا الحق: فإن التأديب على هذا النحو ـ حق ـ كذلك للآباء في الأسر، وللحكام في رعاياهم، ولولاه ما بقيت أسرة، ولا صلحت أمة»[1] .

ثم نمض مع أدعياء التحرر الذين يدّعون بأن ضرب المرأة إهانة لها ، سائلين إياهم: أي الأمرين أفضل وأبقى للأسرة : أن يذهب الزوج إلى المحكمة ليُفشي أسرار زوجته، أم يجلس جلسة هادئة ناصحًا إياها تارة، ثم يهجرها في المضاجع تارةً أخرى، ثم يستعمل وسيلة الضرب غير المبرح؟

أيهما أفضل: إن العقل السليم والمنطق الواعي يُقران معالجة الزوج ما بدر من زوجته وتوليه تأديبها دون تدخل أحد من أيّ جهة أخرى حرصًا على عدم إفشاء الأسرار التى قد تحرج أحد الطرفين .

ولو ذهبنا نستقصى ما وضعه الشارع الحكيم من عقوبات لمرتكبي الجرائم لاتضحت لنا حكمة الله من تشريعه لتلك العقوبات، ولأقر الجميع بأن شرع ا لله ضمان للبشرية جمعاء من الانحراف والوقوع في مهاوي الرذيلة واتباع الهوي.. وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾[2] .

كيفية ضرب الزوج لزوجته الناشز وضوابط استعماله :

إن المشرع الحكيم أعطى للرجل هذه الوسيلة بهدف الإصلاح والتقويم، فليس الضرب هدفًا في ذاته، وإنما هو وسيلة يترتب عليها توفير الأمن للأسرة، ومن ثم نرى الشارع يتدخل في كيفية الضرب من الزوج ناصحًا إياه ألاّ يكسر عظما، أو يترك بها

---

(١) الخلافات الزوجية صورها. أسبابها . علاجها / د. عبد الحي الفرماوي/ ص ٦٨ .

(٢) سورة المتومنون : الآية ٧١ .

عيبا ظاهرا، فيبتعد بضربه عن الوجه، إذ أنه مجمع المحاسن، كما لايضرب ضرب انتقام أو امتهان ، فضلا عن ذلك كله أن المشرع وضح للزوج أن السبب الذي من أجله يجب على الزوج استخدام تلك الوسيلة إنما هو نشوز الزوجة وخروجها عن طاعة زوجها في المعروف، كما أن من عظمة المشرع الحكيم أن حدد أدوات الضرب التى تباح للزوج أن يستخدمها، كالسواك، أو المنديل الملفوف حتى لا يصل إلى درجة الانتقام من زوجته وقت الغضب كما نسمع أو نرى من بعض الجاهلين عن حقيقة التشريع لهذه الوسيلة، فإذا بهم ينهالون على أزواجهن ضربا مبرحًا مؤثرًا ، وهذا يخالف ما عليه الإسلام، وإذا ادعى أدعياء التحرر بأن هذا الوضع إهانة للمرأة فنحن نوافقهم، ولكننا نُلزم هذا المتهور الذي لم يفهم مقصود الإسلام من تلك الوسيلة و لم يستطع فهم النص لجهله وعدم علمه. كما أننا نلزم أدعياء التحرير الحجة بأن الإسلام لا يُحكمُ عليه من واقع أحوال المسلمين، ولكن يحكم عليه من خلال تعاليمه، فنقول لهؤلاء وأولئك رويدًا رويدًا قبل الوقوع في الخطأ، وافهموا مقاصد الشرع الإسلامي قبل أن تُحَكِّموا عقولكم .

يقول الإمام القرطبي: «دلت هذه الآية على تأديب الرجال نساءهم فإن حفظن حقوق الرجال فلا ينبغي أن يسئ الرجل عشرتها»(١) .

كما ساق الإمام القرطبي مثلا لذلك بقوله: « والضرب في الآية هو ضرب الأدب غير المبرح وهو الذي لايكسر عظمًا ولايشين جرحًا كالكزّة ونحوها»(٢) .

ومن ثم نرى المشرع الحكيم يحذر وينذر من يتعدى حدوده، ويخطئ في استعمال مارسمه له ربه .. قال تعالى في تذييل آية الضرب :

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(٣) .

يقول الإمام الحافظ بن كثير في تفسيره: «أي فإذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منها، مما أباحه الله له منها، فلا سبيل له عليها بعد ذلك وليس له ضربها ولا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي / جـ٥ / ص ٦٢ .
(٢) نفس المرجع / جـ٥ / ص ١٧٢.
(٣) سورة النساء / الآية ٣٤.

هجرانها ، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب فإن الله العالي الكبير وليهن وهو ينتقم ممن ظلمهن وبغي عليهن» .

أو بعد هذا البيان بيان؟ أما ترضى الزوجة بأن جَعلت الله في صفّها حين يبغي عليها زوجها فيستخدم هذه الوسيلة في غير محلها، أم ترضى بوقوفها أمام القضاء وفتش أسرار عائلتها، وربما تجد حلا بعد عدة جلسات أو لا تجد، كما نرى عندما يركب كل من الزوجين رأسه ويسير على هواه، إنه شرع الله ولن تجد لشرع الله تبديلاً ولا تحويلاً، ولن نرضى بغيره بديلاً .

إن تلك الوسائل الثلاث التى وضعها الإسلام لعلاج المرأة الناشز بشير أمل، ومهبط رحمة، لكي تفئ الزوجة وتعود إلى طاعة زوجها ، حتى يستقر وضع المنزل، وينتشر بين جنباته المودة والرحمة، ويتحقق بذلك الخير الكثير للمجتمع بأسره، إذ المجتمع ما هو إلا لبنات تتآلف بعضها من خلال الأسر الصغيرة .

وإذا ظل الوضع على ما هو عليه، ولم تأت تلك الوسائل ثمارها الطيبة وظلت الزوجة متعالية على زوجها، فما الموقف إذًا؟ هل يلجأ الزوج إلى الطلاق؟ أم ماذا يفعل؟

وهنا نهمس في أذنه قائلين له:

حاول أيها الزوج الحريص على استقرار وضع بيتك أن تكون هادئًا في تصرفاتك، وابحث عن بعض جوانب القصور في شخصيتك لعل العيب أن يكون منك وليس منها، واعلم أنك لن تستطيع أن تصل إلى وجود زوجة مثالية تجعل من بيتك روضة وارفة الظلال، تتفيأ في جنباتها حيثما يحلو لك ، فإن البيوت إن لم تبن على الحب، فأين الرعاية والتذمم كما قال بذلك سيدنا عمر - رضى الله عنه - .

يقول الأستاذ/ عباس العقاد : «ليس في العالم زوجة مثالية، مثلما ينعدم وجود الزوج المثالي، وليست اعتراضات الزوجة عليه خاطئة في كل حال، ولا مصيبة بها وجه الهدف في كل حال، كما أن تصرفاته وأحكامه ليست بصواب في كل حال» .

وإن كثيرًا من الأزواج يريدون الحالة الكاملة من زوجاتهن وهذا غير ممكن، وبذلك

يقعون في النكد ولايتمكنون من الاستمتاع، ومن ثم وجب على الزوج أن يراجع تصرفاته مع زوجته ، فربما قصر في جانب من الجوانب المعنوية ، إذ العبرة بالجانب المعنوى أكبر من الجانب المادي ، فكثير من البيوت الثرية التى يُفرشُ بساطها مالاً مهددة بالسقوط ـ أعنى الطلاق ـ لأن الزوجة تشعر أنها قد افتقدت من زوجها أعز مما تتمناه أن يكونه لديه، وكثيرا ما نسمع عن حوادث بهذه الصورة، ولاتجد الزوجة -التى تنعم برغد من العيش- مع زوجها هانئة أو راضية بواقعها، فإذا بالأمر يصل إلى الطلاق وهي راضية غير كارهة، ثم ترضى بعد ذلك بالعيش مع رجل فقير الحال، إلا أنه يعطيها حقوقها كاملة من نواحي أخرى ، وما أمر المُمثلات وأصحاب الأفلام الرخيصة علينا ببعيد، فكم نسمع من حوادث فحواها: الممثلة فلانة قد طلقت زوجها، أو ظلت معه في عش الزوجية شهر العسل ثم طلبت الطلاق، فإذا استقصينا الوضع بالضبط ، وجدت الزوجة مشغولة برجل آخر، وكذا الزوج مشغول بعشيقة أخرى، أو يرضى أدعياء التحرر بهذه الصور المخزية؟ أو يريدون أن يصلوا بمجتمعنا إلى هذا الوضع الدنئ الذي لا يرعى حرمة للبيت أو حفاظًا على كرامة المرأة، أم ماذا يريد أدعياء التحرر من المجتمع المسلم؟

إذا كان الإسلام لم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فيترقي بالزوجة في العلاج إلى استنفاذ الوسائل الموجودة للإصلاح، ثم يهمس في أذن الزوج لعل العيب أن يكون منه، فإذا لم يكن هذا ولا ذلك فقد يكون العيب منهما معًا، وهنا يتدخل الإسلام لوضع حل لتلك المشكلة أيضا حتى يستطيع رَأْبَ الصدع الذي حدث في لبنات الأسرة قبل أن تصل إلى الانهيار، فما هو هذا الحل الذي وضعه الإسلام بعد تلك الوسائل؟ هذا ما نود أن نقف على حقيقته .

نشوز الرجل وموقف الإسلام منه :

إن نشوز الرجل من العوامل الخطيرة التى تهدد أمن الحياة الزوجية بالانهيار فقد يصبح الرجل مصدرًا لتفريق شمل الأسرة، وتقويض دعائمها ، وسبيلا لشقوة أولاده وما قد يتبعُ ذلك من أضرار تُنذرُ الأسرة بسوء المصير.

فما العلاج الذي وضعة الإسلام تحاشيًا لوقوع الطلاق؟

إن الإسلام أمر الزوجين معًا بأن يعملا على إزالة ما حدث بينهما من شقاق بتذكر دواعي الرحمة والمودة ذلك السياج المتين الذي وضعه الإسلام لبناء الأسرة .

والعلاج الذي وضعه الإسلام لنشوز الرجل يتمثل فيما يلي :

١ـ معرفة أسباب النشوز من الرجل .

٢ـ وضع العلاج لهذا النشوز من الرجل .

ولن يتم ذلك إلا إذا تدخل أحد المصلحين بتقصى الحقائق ومعرفة الأسباب ثم وضع الحلول السليمة التى يسير عليها كل من الزوجين وفي هذا الوضع يصور لنا الحق ـ جل في علاه ـ في كتابه الكريم تلك الواقعة بقوله تعالي :

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(١) .

وهذه الآية توضح لنا بجلاء أن الأسرة قد يحدث بين جنباتها صورًا من الخلافات ، قد تؤدي في بعض الأحاين إلى سوء المنقلب، ومن ثم كان لابد من إيجاد حل مناسب لحل تلك المشاكل وسبر أغوارها حتى يعود للأسرة سعادتها كما كانت من قبل، والحل المناسب يتمثل أولا في:

١ـ معرفة أسباب النشوز من الرجل:

وهذه الأسباب تكمن فيما يلي:

أـ تكبّر المرأة وتعاليها على زوجها كما ذكرنا ذلك آنفا.

ب ـ سوء خُلُق المرأة وحدّة طبعها .

جـ ـ دمامتها وسوء خلقتها .

د ـ أن يكون الرجل متزوجًا بأكثر من زوجة فيرى من إحداهن ما لم يره من الأخريات فيضطر للنشوز والإعراض عنها .

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٨ .

تلك بعض أسباب النشوز من الرجل، وقد لا تجتمع في وقت واحد إلا أنه لايخلو من أن يكون هناك سببًا منها يؤدى إلى ضيق الرجل ونشوزه فما العلاج الذي وضعه الإسلام؟

٢ـ وضع العلاج لهذا النشوز من الرجل:

إن الآية قد تضمنت حالات ثلاث لنشوز الرجل:

الحالة الأولى : نشوز مع رغبة في الفِراق .

الحالة الثانية : نشوز مع عدم رغبة في الفِراق .

الحالة الثالثة: الفِراق .

الحالة الأولى وعلاجها : نشوز مع رغبة في الفِراق:

ويتوقف علاج هذه الحالة على الزوجة ومدى استطاعتها على كسب قلب زوجها كأن تحسن من خُلقها ومظهرها وتهذب نفسها، وتحاول إرضاءه بأي صورة من صور الإرضاء، فضلا عن تجنبها لأسباب نشوزه وخصوصًا إذا كان الزوج متزوجًا بأكثر من واحدة، والزوجة بفعلها ذلك تحاول الإبقاء على العشرة الزوجية.

وسبب نزول هذه الآية يزيد لنا الأمر وضوحًا ..

يقول الإمام الألوسي في روح المعاني في سبب نزول هذه الآية: « أخرج الترمذي وحسّنهُ عن ابن عباس قال: خشيت سودة ـ رضى الله عنها ـ أن يطلقها رسول ا لله ـ ـ فقالت: يارسول الله لا تطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل ونزلت هذه الآية»[1] .

وقد تعددت الروايات في سبب نزول هذه الآية والآيات التى تلتها، ولكن أشهرها هو ما ذكرته آنفا، والآية توضح لنا أن الزوجة الحريصة على إبقاء علاقتها مع زوجها عليها أن تتنازل عن بعض حقوقها نظير إرضاء زوجها كما فعلت السيدة سودة بنت زمعة أم المؤمنين مع رسول الله ـ ﷺ ـ ، يقول الإمام الآلوسي معلقا على الآية بما

---

(١) روح المعاني للألوسي / جـ٥ / ص ١٦١، وهذا الحديث حسنه الترمذي في الجامع الصحيح الجزء الخامس/ ص ٢٤٩ طبعة مصطفى الحلبي في كتاب التفسير الباب الخامس من تفسير سورة النساء ، وراجع أسباب النزول للسيوطي / ص ٦٥ ، ٦٦ طبعة دار التحرير للطبع والنشر .

يتناسب مع الحديث وسبب النزول بأن الآية تقضي: «بأن تترك المرأة له يومها كما فعلت سودة ـ رضى الله عنها ـ مع رسول الله ـ ﷺ ـ أو تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة أو كسوة أو تهبه المهر أو شيئا منه ، أو تعطيه مالا لتستعطفه بذلك وتستديم المقام في حباله»[1] .

والزوج العاقل هو الذي يقدر هذا الصنيع من زوجته، فيحاول استرجاع العلاقة إلى ما كانت عليه، حتى ولو كان على حساب نفسه طالما وأنه وجد منها نية صادقة.

الحالة الثانية وعلاجها : النشوز مع عدم الرغبة في الفِراق:

وهذه الحالة تتوقف على نية الزوج ومدى حرصه على دوام العشرة الزوجية بينه وبين زوجته ـ وهي عكس الأولى ـ والأمر يقتضى من الزوج قليلا من الصبر حتى تعود الأمور إلى ما كانت عليه، وهذه الحالة تتمثل باختصار شديد في أن الرجل قد يكون متزوجًا أكثر من واحدة ، فتصدر من إحداهن بادرة شر فيفركها ، فيؤدي بغضه إياها إلى ظلمها، وعدم إعطائها حقها في المبيت وغيره فيأتي الإسلام معالجًا لتلك الحالة، قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[2] .

يقول الدكتور /عبد الحي الفرماوي: «وتحمل الرجل للحياة، وصبره على معايشتها على هذا النحو لهو تصرف في غاية النبل والإنسانية، لم يدفعه إليه إلا تقوى ا لله»[3]، القائل في كتابه الكريم:

﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[4] .

يقول الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية إن الله تعالى : «عالم بذلك الذي تصبرون عيه ، وتتحملون بسببه المشاق ، وسيجازيكم على ذلك أوفر الجزاء»[1].

(١) نفس المرجع / جـ٥ / ص ١٦١ / روح المعاني للألوسي .
(٢) سورة النساء / الآية ١٢٩.
(٣) الخلافات الزوجية/ د. عبد الحي الفرماوي / ص ٩٩.
(٤) سورة النساء / الآية ١٢٨.

الحالة الثالثة: الفِراق:

إن آخر العلاج الكي كما يقال ، فبعد استنفاذ كل الوسائل، إذا وجد الرجل أن حياته وصلت إلى جحيم لايطاق، ونار الفتنة قد أججت في جنبات البيت، ولايستطيع أن يتحمل تلك المتاعب، ويصبر على هذه المصاعب، فلا عليه إلا أن يفرق بينه وبين زوجته عسى الله أن يغنى كلاً من سعته، فيبدآن حياة جديدة وهما في ثقة تامة بما قال الله ، فالله الذي جمعهما في البداية ثم قضى بتفريقهما قادر أيضًا على إغناء كل منهما عن الآخر. وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم:

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾(٢) .

يقول الحافظ ابن كثير معلقًا على هذه الآية:«وقد أخبر- تعالى - أنهما إذا تفرقا فإن الله يغنيه عنها، ويغنيها عنه، بأن يعوضه بها من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ أي واسع الفضل ، عظيم المن، حكيمًا في جميع أفعاله وأقداره وشرعه »(٣) .

تلك هي الأدوية الربانية لعلاج النفس البشرية، في إقامة صرح الحياة الزوجية، وهذه الأدوية لظاهرة النشوز تضمن للأسرة بقاءها وتحفظ كيانها من التصدع والانهيار، حتى يعيش الزوجين في عُشٍّ هانئ وتحت ظلٍ شجرة وارفة الظلال، يظلهما المودة والمحبة والوئام، وإذا لم تأت تلك الأدوية حلاً ولم يستطع الزوج أن يعالج الشقاق فما عليه إلا أن يلجأ إلى العلاج الرباني الذي وصفه لنا ربنا - تبارك وتعالى - في كتابه الكريم : بقوله :

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(٤) .

وهذه الآية وضعت لنا منهجًا قويمًا في كيفية علاج الشقاق الذي حدث بين

---

(١) تفسير الحافظ بن الكثير / جـ١/ ص ٥٦٣.
(٢) سورة النساء / الآية ١٢٩ .
(٣) تفسير الحافظ بن كثير / جـ٢ / ص ٣٨٣ .
(٤) سورة النساء / الآية ٣٥ .

الزوجين ويتمثل هذا العلاج في إرسال الحكمين ، حكم من أهل المرأة وحكم من أهل الرجل، أي من رجلين لا يرى كلا الزوجين مانعًا من الإفضاء إليهما بما بدر بينهما من شقاق، حتى يستطيعا أن يجمعا شمل الأسرة ، وبذلك يسلم البيت من التفكك والانهيار.

ولكن ما الصفات التى يجب أن تتوفر في الحكمين؟ وما الشروط الواجب تحققهما فيهما ؟ وما الدور الذي يقوم به الحكمان؟

هذه الأسئلة تحتاج منا إلى إجابة، والإجابة عليها سنوجزها فيما يلي:

١ـ صفة الحكمين والشروط الواجب تحققها فيهما:

إن من واجب المصلح أن يكون أمينا ورعًا تقيًا، لم يعرف بالفسق أو الظلم أو الميل إلى الهوى، وألا يحمله شنآن فرد على ظلم الآخر، كما ينبغي عليه أن يكون ذا بصيرة ثاقبة حتى يستطيع إقناع الخصم، كما ينبغي عليه أن يكون على إلمام بالنواحي الفقهية، حتى يستطيع معالجة الأمور من واقع إسلامي، وألا يستسلم لأوهن الأمور، بل عليه أن يسترسل في الكلام مع الخصم حتى يستطيع التعرف على نواياه ، ومن ثم يستطيع التغلب على أبعاد المشكلة ويحصرها في نقاط قليلة حتى يستطيع معالجتها بسهولة، كما يشترط في الحكمين أن يكونا من أهل الرجل والمرأة، إذ أنهما من ذوى المروءة فيحرصان على بقاء العلاقة بين الزوجين، فضلا عن أنهما يحفظان سر الحياة الزوجية، فإن لم يوجد من يقوم بهذه المهمة من أهلهما فليقم بالمهمة من تتوفر فيهم هذه المواصفات وتلك الشروط .

يقول الدكتور / محمد على محجوب : « فإن الحكمين القريبين لهما أو غير القريبين من ذوي المروءات هما اللذان يستطيعان أن ينتزعا بذور الشقاق والنزاع ويعُيدا المودة إلى سابق صفوها إن كان ذلك في الإمكان »[1] .

ومن ثم نرى حرص الحكمين على عدم إفشاء الأسرار لأنهما لايقلان عن الزوجين في التستر وكتمان الأسرار، لأن كل ما يسئ إلى الأسرة يسئ إلى الحكمين لارتباطهما

(١) الأسرة وأحكامها في الشريعة الإسلامية / د. محمد على محجوب / ص ٣٣٨ .

بالقرابة والنسب .

يقول الدكتور / عبد الحي الفرماوي: « والسر في أن يكون الحكمين من أهل الزوجين أن الأهل عادة أعرف الناس بأحوال الزوجين وطباعهما، وأقرب أن يستريح الزوجان لهما في كشف الأسرار ... كما أن تدخل الأهل فقط في هذه المشاكل أحفظ لأسرار البيوت، وأضمن لسلامتها »(١) .

الدور الذي يقوم به الحكمان:

إن أول واجب على الحكمين البحث والتحري في معرفة أسباب الخلافات، سواء كان الخلاف من جانب الزوج أو من جانب الزوجة، والسبيل الموصل إلى ذلك يتمثل فيما يلي :

أن يختلي الحكم الذي من أهل الزوج بالزوج ليعرف منه أسباب الخلاف وبواعثه وكذلك الحكم الذي من أهل الزوجة عليه أن يقوم بنفس المهمة مع الزوجة أو مع أهلها وعليهما بعد ذلك أن يجتهدا ماوسعهما الاجتهاد في معالجة تلك المشاكل وإزالة الخلافات بقدر الإمكان، كما ينبغي على الحكمين أن يوضحا للخصمين عواقب مآلهما إذا ظلا على تلك الحالة من الشقاق والنزاع، وذلك بعد أن يذكراهما بحسن الصحبة ، وجميل العشرة، وبذلك يستطيعا التوفيق بينهما .

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: موضحًا آراء العلماء في قضية التحكيم: « وهذا مذهب جمهور العلماء أن الحكمين إليهما الجمع والتفريق، حتى قال إبراهيم النخعي إن شاء الحكمان أن يفرقا بينهما بطلقة أو طلقتين أو ثلاث فعلا وهو رواية عن مالك، وقال الحسن البصري الحكمان يحكمان في الجمع ولا يحكمان في التفريق، وكذا قال قتادة وزيد بن أسلم، وبه قال أحمد بن حنبل، وأبو ثور وداود ومأخذهم قوله تعالى : ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾(٢) .

ولم يذكر التفريق ، وأما إذا كانا وكيلين من جهة الزوجين فإنه ينفذ حكمهما في

---

(١) الخلافات الزوجية / د. عبد الحي الفرماوي / ص ١١٣، وانظر أحكام القرآن لابن العربي جـ١/ ص ٤٢٦، انظر الأسرة وقانون الأحوال الشخصية / د. عبد الناصر توفيق العطار / ص ٨٢ - ٩٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ٣٥ .

الجمع والتفرقة بلا خلاف[1] .

ونود أن نوجز المهمة التى يقوم بها الحكمين فيما يلي:

أولاً: على الحكمين ألا يدخروا وسعًا في الإصلاح بين الزوجين إذ تلك مهمتهما، فإن التفريق هدم للبيوت، أما التوفيق جمع لشمل الأسرة .. قال ـ ﷺ ـ : « من أفضل الشفاعة أن يشفع بين الاثنين في النكاح»[2] أي يعمل على الوفاق بينهما قبل الزواج وبعده .

ثانيًا: على الحكمين أن يكتما الأسرار التى تسيئ إلى سمعة كلا الزوجين لأنهما ـ أعنى الزوجين ـ ربما يعودوا إلى سابق مجدهما، وتجتمع قلوبهما على المحبة والألفة، والمودة والرحمة، فضلاً عن أن ما يسيئ إلى الزوجين يسيئ إلى الحكمين إذ أنهما من أقرب الناس إلى الزوجين على أرجح الأقوال .

ثالثًا : على الحكمين ألا ينحازا إلى أحد الزوجين على حساب الآخر أخذًا بقول الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[3] .

يقول الشيخ محمد الصابوني :

رابعًا: «هل للحكمين أن يفرقا بين الزوجين بدون إذنهما؟»

ويجيب على هذا التساؤل بما يلي :

اختلف الفقهاء في الحكمين هل لهما الجمع والتفريق بدون إذن الزوجين أم ليس لهما تنفيذ أمر بدون إذنهما؟

فذهب أبو حنيفة وأحمد إلى أنه ليس لهما أن يفرقا إلا برضى الزوجين لأنهما

---

(١) تفسير الحافظ/ ابن كثير : جـ٢ / ص ٢٦٠.

(٢) سنن ابن ماجة / جـ١ / ص ١٣٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ٣٥.

وكيلان عنهما ، ولابد من رضى الزوجين فيما يحكمان به، وهو مروى عن «الحسن البصري» و«قتادة» و«زيد بن أسلم» .

وذهب مالك إلى أن لهما أن يلزما الزوجين بدون إذنهما ما يريا فيه المصلحة، فإن رأيا التطليق طلقا، وإن رأيا أن تفتدى المرأة بشيء من مالها فعلاً، فهما حاكمان موليان من قبل الإمام، وينفذ حكمهما في الجمع والتفرقة وهو مروى عن «علي» و«ابن عباس» و«الشعبي» .

وللشافعي في المسألة قولان:

وليس في الآية ما يرجح أحد الرأيين على الآخر ، بل فيهما ما يشهد لكل من الرأيين:

فالحجة للرأي الأول: أن الله - تعالى - لم يضف إلى الحكمين إلا الإصلاح ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ وهذا يقتضى أن يكون ما وراء الإصلاح غير مفوض إليهما، ولأنهما لاينفذا حكمهما إلا برضى الموكل.

والحجة للرأى الثاني: أن الله - تعالى - سمى كل منهما حكمًا ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ والحكم هو الحاكم، ومن شأن الحاكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه رضى أم سخط[1] .

طالما أن حكم الحكم فيه مصلحة عامة تعود على الزوجين بالسعادة وتعيدهما إلى ماكانا عليه، فعليهما أن يمضيا في حكمهما ولا يباليان بما يتبرم منه أحد الزوجين، بشرط ألا يضُرّا بصفوهما، وألا يعود الحُكم في النهاية عليهما بالضرر .

وأرى أن مهمة الحكمين قاصرة على الصلح وليس من حقهما التفريق، فربما عاد الزوجين إلى رشدهما ، وحاسب كل منهما نفسه، وصفى كلا منهما حسابه فاستطاعا أن يقيما صرح الحياة بينهما مرة أخرى.

وإذا استحكم النزاع، ولم تأت تلك الحلول الإيجابية من جهة الزوج أو من جهة الحكمين بنتيجة مرضية، فهل نلزمهما بأن يعيشا في بيت تظلله سحب الكراهية

(١) انظر روائع البيان في تفسير آيات الأحكام / محمد على الصابوني / جـ١ / ص ٤٧٢.

والبغضاء أم ماذا نقول لهما؟

إنه لابد من استخدام آخر العلاج ألا وهو الطلاق، فإنه أمر لابد منه في تلك اللحظة، فهو وإن كان أبغض الحلال عند الله، إلا أنه هو النعمة الكبرى في تلك اللحظة، وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾(١) .

- ومن ثم يطفو على ساحة البحث هذا السؤال:

من الذي يملك الطلاق؟

هل يملكه الزوج؟ أم الزوجين معًا؟ أم يملكه القاضي؟

والإجابة على ذلك من واقع نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة تعطينا النتيجة الحتمية بأن الطلاق بيد الرجل والأدلة على ذلك ما يلي :

١- قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾(٢) .

٢- قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾(٣) .

وسبب نزول الآية الأولى كما ذكره الخازن في تفسيره كما يلي :

نزلت هذه الآية ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل أن يمسها فنزلت ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية فقال رسول الله - - «أمتعها ولو بقلنسوتك»(٤) .

إن إقرار الرسول - ﷺ - لهذا الرجل من الأنصار دليل على أن الطلاق بيد الرجل وليس بيد المرأة ، فضلا عن ورود الأحاديث الكثيرة الدالة على أن الطلاق بيد الرجل

---

(١) سورة النساء / ١٣٠ .

(٢) سورة البقرة / ٢٣٦.

(٣) سورة البقرة / ٢٣١ .

(٤) تفسير الخازن / جـ١ / ، انظر محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي / جـ٣/ ص ٦١٩.

وليس بيد أي شخص آخر إلا إذا اشترطت الزوجة أن يكون الطلاق بيدها ورضى الزوج بذلك، ومن الأحاديث الدالة على أن الطلاق بيد الرجل قوله ـ ﷺ ـ : « إنما الطلاق لمن أخذ بالساق»(١) .

وهذا الحديث له قصة مشهورة في كتب الفقه ساقها الإمام الشوكاني في كتابه «نيل الأوطار» وتضمنها هذا الحديث:

عن ابن عباس ـرضى الله عنه ـ قال: أتى النبي ـ ﷺ ـ رجل فقال يارسول الله : سيدى زَوّجَنِي أمته وهو يريد أن يفرق بيني وبينها، قال : فصعد رسول الله ـ ﷺ ـ المنبر فقال: ياأيها الناس ما بال أحدكم يزوج عبده أمته ثم يريد أن يفرق بينهما .. إنما الطلاق لمن أخذ بالساق(٢) .

ويعنى بمن أخذ بالساق الزوج حتى ولو كان عبدًا كما في هذا الحديث فمن باب أولى أن يكون طلاق الحر بيده وليس بيد القاضي ، فضلاً عن أن هذا الحديث الذي معنا يوضح لنا أن السيد المالك هو المزوج للعبد، ومع ذلك لم يوافقه الرسول ـ ﷺ ـ على طلاقه زوجة عبده .

أو بعد هذا يقول أدعياء التحرر يجب أن يسن القاضي قانونا يقيد الطلاق، وأن الطلاق لايقع إلا بإذن من القاضي، وإننا نلزمهم الحجة من واقع اختيار الزوج لزوجته حين الخطبة وعقد النكاح فإذا كان القاضي لم يعقد النكاح بنفسه، ولم يتول الخطبة لأحدهما، فكيف يسوغ له تقييد أمر لم يكن موجودًا فيه منذ البداية، زد على ذلك أن الطلاق إذا تم وقوعه أمام القاضي سيضطر كل من الزوجين إبداء أسباب الطلاق، وقد تكون هناك بعض الأسباب تفشى أسرار العائلة التى يجب أن تستر فأيهما أولى؟ أن يتم الطلاق من الزوج دون فضيحة وفتش الأسرار أم يقع أمام القاضي على مرأى ومسمع من الناس وإبداء العيوب، وقد تكون تلك الأسباب داعية لعدم اقتراب أي خاطب من المرأة المطلقة بعد ذلك فضلاً عن إن تلك العيوب والأسرار التى أفشيت

---

(١) نيل الأوطار / جـ٦ / ص ٢٣٨ رواه ابن ماجة والدارقطني.

(٢) نفس المرجع /جـ٦/ ص ٢٣٨.

ستكون عرضة للقيل والقال من الناس بعد ذلك وأن تكون تلك المرأة التى طلقت أمام القاضي حديث المجالس ومادة للتسلية، بل قد يتهمها البعض في عرضها وشرفها .

بقيت نقطة أساسية لابد من التعرض لها ألا وهي: تمسك الحركات النسائية بوقوع الطلاق أمام القاضي، وإذا لم يوقعه الزوج أمام القاضي يحكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر أو غرامة مالية تقدر بمائة جنيه، أو هما معًا. ويرد عليهم بما يلي: إن هذا المبدأ لايقل خطرًا عن طلب وقوعه أمام القاضي، إن الأول تعكير لصفو الأسرة وإفشاء أسرارها، والأمر الثاني الحبس أو الغرامة، سيلجئ الزوج إلى التحايل على القانون بأن يطلق زوجته، وعندما يعلم أنه سيحبس أو سيدفع غرامة مالية، يظل في تبديد القضية، آمرًا الزوجة تارة بالطاعة، وتارة بالنشوز، فلا يثبت عليه شيء، وتظل الزوجة حائرة بين زوج تركها دون عودة إليها، وبين القضاء الذي قد يأتى بحقها أو لا يأتي، وبذلك تكون المرأة معطلة من ممارسة جميع حقوقها فتصير كالمعلقة لاهي زوجة ولاهي مطلقة، فأيهما أولى أن تطلق وتنقضى عدتها إما ببراءة الرحم، وإما بوضع الحمل، ثم يترك لها الخيار بعد ذلك في الزواج من عدمه أم تظل حائرة؟

أي الأمرين أرحم وأخف ضررًا على الزوجة؟

إن العاقل المنصف يقر بالأمر الأول وهو الطلاق.

ثم إن الطلاق في الإسلام له قيود أيضًا، فقد لاحظ الإسلام الجانب النفسي لدى الرجل عند شروعه في الطلاق فقيده بالعَدَدْ ، وبزمان الطلاق إلى غير ذلك من القيود التى فرضها ونجملها فيما يلي :

أولاً: قيود مالية :

وتتمثل في نفقة المتعة، ونفقة العدة، ونفقة الأولاد من حضانة وغير ذلك فضلا عما قدمه قبل ذلك من مال ـ مَهر ـ وتكاليف لإعداد عش الزوجية.

ثانيًا: قيود معنوية:

لايطلقها إلا طلقة واحدة رجعية وذلك في طهر لم يمسها فيه، وله أن يراجع زوجته أثناء العدة وهي ثلاث حيضات ـ ثلاثة شهور ـ عادة ـ ليكون ذلك أدعى إلى الرجوع

في قولـه ، وإلا فقد استحكم النزاع، وانقطعت المودة من جانبه في العودة إليها، وقد أفتى بذلك كثير من الفقهاء ، بأن الطلاق لايقع إذا لم يكن مقيدًا بهذه القيود العددية والزمنية ، فضلا عن ذلك كله أن الشرع جعل الطلاق بالثلاث المنعقد في جلسة واحدة، لايقع إلا طلقة واحدة أخذًا بما أقره رسول الله ـ ﷺ ـ لدكانة بن عبد يزيد عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال: طلق دكانة بن عبد يزيد أخو بني مطلب امرأته ثلاثًا في مجلس واحد فحزن عليها حزنًا شديدًا قال: فسأله رسول الله ـ ﷺ ـ كيف طلقتها؟ قال: طلقتها ثلاثًا قال: فقال في مجلس واحد؟ قال: نعم ، قال: فإنما تلك واحدة، فارجعها إن شئت، قال فَرَجَعَها ، فكان ابن عباس يرى أن الطلاق عند كل طهر»[1] وهذا الحديث إسناده صحيح .

إلى غير ذلك من الأمور التى شرعها الإسلام تقييدًا للطلاق ، كبقاء الزوجة في بيت زوجها أثناء عدتها مالم يصدر منها ما يوجب خروجها، عسى أن تستقر أحوالهما وتستقيم حياتهما، فضلا عن تحريم الإسلام طلاق الحائض والنفساء، وعدم طلاق الغضبان والسكران، والمُكره ، والمعتوه .

وقد ذكر الإمام الشوكاني ذلك في نيل الأوطار واستند إلى قول الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾[2] فدلت الآية على اعتبار العزم، والهازل لاعزم منه، على اختلاف بين العلماء، ولكن وردت أحاديث تقوى ذلك منها : حديث عائشة قالت: سمعت النبي ـ ﷺ ـ يقول : «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق» أي في وقت الغضب، وقال ابن عباس «طلاق السكران والمستكره ليس بجائز، وقال ابن عباس فيمن يكرهه اللصوص فيطلق فليس بشئ ، وقال عليٌّ : كل الطلاق جائز إلا طلاق المعتوه»[3] ذكرهن البخاري في صحيحه .. إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الشأن والمبسوطة في كتب الفقه والحديث.

قال ابن القيم: « ويدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون، ومن زال عقله بسكر أو

---

(١) مسند الإمام أحمد / جـ٤/ص ١٢٣.
(٢) سورة البقرة / من الآية ٢٢٧.
(٣) نيل الأوطار / الشوكاني / جـ٦ / ص ٢٣٥.

غضب وكل من لاقصد له، ولا معرفة له بما قال ، والغضب على قسمين:

أحدهما : ما يزيل العقل فلا يشعر صاحبه بما قال وهذا لا يقع طلاقه بلا نزاع .

الثاني: ما يكون في مبادئه بحيث لايمنع صاحبه به فلا يزيل عقله بالكلية، ولكن يحول بينه وبين نيته بحيث يندم على ما فرط منه إذا زال، فهذا محل نظر، وعدم الوقوع في هذه الحالة قوى متجه[1] .

الآثار التى يترتب عليها وقوع الطلاق أمام القاضي:

إن سلمنا جدلاً بوقوع الطلاق أمام القاضي، أو تسجيله بإذنه فسيترتب على ذلك عدة أمور نوجزها فيما يلي :

الأمر الأول:

وقوع الطلاق أمام القاضي إهانة للمرأة وليس للرجل، لأن المرأة هي التى يساء سُمعتها بإبداء الأسباب ودواعي الطلاق، أما الرجل فلا يضيره ذلك شيء ، بل سيضطر إلى ذكر كل المساوئ التى ظهرت من زوجته، طالما وأن الأمر وصل إلى القضاء حتى يبرر ساحته .

الأمر الثاني:

إذا ربطنا وقوع الطلاق أمام القاضي سيترتب على ذلك تفكك الأسرة وانحلالها على أوهن الأسباب، لأن مثل هذه الأمور يجب أن تعالج بين الرجل وزوجته، أو في مجلس عائلي هادئ يدور فيه الحوار بقصد المصلحة العامة، ولن يتم ذلك في ساحات القضاء .

الأمر الثالث:

إن وقوع الطلاق أمام القضاء سيأخذ فترة طويلة لاتقل عن ستة أشهر، وفي تلك الفترة ربما استحكم النزاع بين الزوجين مما يترتب على ذلك آثار سيئة في نفسية الأولاد، وربما يؤدي إلى تشردهم لعدم وجود من يرعاهم الرعاية التامة، فضلا عن النفرة التى تستحكم في عقولهم من بغضهم للأبوين .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد / جـ٤ / ص ٥٩.

الأمر الرابع :

إن طلب وقوع الطلاق أمام القاضي لم يثبت به نص شرعي، ومن ثم فسلبه من الزوج في جميع الحالات مخالف للشريعة الإسلامية، فضلاً عن إن ذلك حكم على الرجال بأنهم سفهاء لايوثق بهم ولا يحسنون التصرف في أمورهم الخاصة، وهذا سخف في التفكير، وعبث يجب أن يصان عنه العقلاء.

الأمر الخامس:

إذا قيدنا الطلاق بعدم وقوعه إلا أمام القاضي سيؤدي إلى إغلاق باب الزواج، لماذا؟ لأن الرجل الذي سيشرع في الزواج إذا علم أنه سيدخل بابًا وسيغلق عليه هذا الباب فلن يقترب منه، لأن النفس بطبيعتها لاتميل إلى القيود، وسيترتب على ذلك أسوأ وضع يتمناه أدعياء التحرر من هذا المطلب ألاوهو: شيوع الفاحشة في المجتمع المسلم وانحلال الأسر بإشباع الغرائز بطرق غير شرعية، لأنه إذا أغلقنا باب الحلال أمام الشباب، فلابد وأن يفتح الشيطان لهم باب الحرام، وتلك أُمْنِية يتمناها أعداء الإسلام في كل زمان ومكان، ومن يسيرون على نهجهم من أدعياء التحضر والتحرر والتقدمية يتمنون أن يصل المجتمع إلى هذا الوضع .

وحتى يزيد لنا الأمر وضوحًا فيما يُخَطَّط للأمة الإسلامية من مكر سئ يجب أن نطرح هذا السؤال.

متى بدأت فكرة تقييد الطلاق وما الآثار المترتبة على تقييده؟

إن اليهود وراء كل فكر هدام، فهم الذين أشاعوا في المجتمع الانحلال الخلقي عن طريق خروج المرأة واختلاطها بالرجال، ومشاركتها لهم في الأعمال، وهدفهم من ذلك استقلال المرأة اقتصاديا، ومن ثم تستطيع أن تنادي بمساواتها للرجال في شتى الميادين، ومن الأمور التى أراد اليهود وضع بذورها أن يكون الطلاق بيد المرأة، وأن يقيد الطلاق ويفرض عليه فروضًا تحد من ممارسة الزوج لهذا الحق المفقود، وظلت تلك الفكرة سائدة حتى فرضت عليها قيودا أخرى في العصور الأولى للمسيحية المحرَّفة ـ مسيحية بولس ـ التى قضت بعدم جواز الطلاق ، بل وعدم السماح للقاضي بالطلاق

وَسَنَدُهم في ذلك ما ورد في نصوص الأناجيل تبرر موقفهم:

جاء في إنجيل متى - الإصحاح التاسع عشر ما يلي :

«لا يصح أن يفرق الإنسان ما جمعه الله»(١) .

كما جاء في إنجيل مرقص نصًا يزيد هذا الأمر وضوحا، بل يؤكد أن الزوج بمجرد الزواج لايصح له أن يطلق زوجته مهما كانت الأسباب، وهذا النص:

«يصبح الزوجان بعد الزواج جسمًا واحدًا فلا يعودان بعد ذلك اثنين، بل هما جسم واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه الإنسان»(٢) .

ونظرًا لهذه القيود التي فرضت على الطلاق في المسيحية والتي كانت من وضع البشر نراهم قد انقسموا إلى مذاهب ثلاثة:

(١) المذهب الكاثوليكي : وهذا المذهب يحرم الطلاق تحريمًا باتًّا، ولا يمنح الزوج أي مبرر لفصم الزواج، حتى لو كان هذا المبرر الخيانة الزوجية نفسها ، وسندهم في ذلك ما سقناه آنفًا من نصوص.

(٢) المذهب الأرثوذكسي : لا يبيح الطلاق إلا في حالة الخيانة الزوجية، سواء من جانب الزوج أو الزوجة .

(٣) المذهب البروتستنتي: يبيح الطلاق في حالات محدودة ،من أهمها الخيانة الزوجية، بل إنه زاد الأمر وبالاً إذ حرّم على الزوجين الزواج بعد ذلك ..

وَسَنَدُهم في ذلك ما جاء في إنجيلي متى ومرقس من نصوص تحريم ذلك:

- جاء في إنجيل متى - الإصحاح الخامس: «من يتزوج مطلقة يزنى»(٣) .

- كما جاء في نفس الفقرة ما يفيد أن الذي يطلق امرأته إلا لسبب الزني يجعلها تزني : «من طلق امرأته إلا لسبب الزنا يجعلها تزني»(٤).

---

(١) إنجيل متى - الإصحاح / ١٩/ الفقرة / ٦ .

(٢) إنجيل مرقس - الإصحاح / العاشر / الفقرتين ٨ ، ٩ .

(٣) إنجيل متى / الإصحاح الخامس/ الفقرة ٣٢ .

(٤) إنجيل متى / الإصحاح الخامس/ الفقرة ٣٢ .

- كما وافق إنجيل مرقص إنجيل متى في هذا الأمر: جاء في إنجيل مرقس الإصحاح العاشر: «من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإذا طلقت المرأة زوجها، وتزوجت بآخر ارتكبت بذلك جريمة الزنا»[1] .

الآثار المترتبة على تقييد الطلاق في المذاهب المسيحية :

لقد أدى نظام تقييد الطلاق في الغرب إلى الفوضى والاضطراب، ونتج عن ذلك اتباعهم لتعاليم الكنيسة التي فرضت عليهم القيود التي ذكرتها آنفًا، مما دعى بهم إلى استحداث قوانين مدنية تبيح لهم الطلاق عند الضرورة، كما تبيح لهم الزواج بعد الطلاق، ولكن هذه القوانين ظلت متأثرة بروح الكنيسة، وشابها التعقيد، وعدم المضى إلا بعد فترة طويلة كما هو الحال في فرنسا ومعظم الأمم الكاثوليكية .

يقول الدكتور/ على عبد الواحد وافي : «فالقانون المدني الفرنسي القديم مثلاً كان لايبيح الطلاق إلا لواحد من ثلاثة أسباب :

أحدهما : الزنا من أحد الزوجين.

ثانيهما: تجاوز الحد والإهانة البالغة في معاملة أحد الزوجين للآخر.

ثالثهما: الحكم على أحد الزوجين بعقوبة قضائية مهينة، فالمرض والإصابة بعاهة، والجنون نفسه حتى لو أدى تجاوز الحد في المعاملة، والغيبة الطويلة، والشقاق البالغ، واتفاق الطرفين على الفرقة، كل ذلك وما إليه لايبيح الطلاق في نظر القانون الفرنسي[2].

وهذا الكبت الذي حدث لهؤلاء الفرنسين وغيرهم أدى بهم إلى الانفجار، فَفُتحت بيوتُ الدعارة ، وانتشر سعار الجنس، وأصبح الشعب لايبالي أيسير في النور أم في الظلام، مما حدى بالمذهب الكاثوليكي الذي كان يحرم الطلاق تحريمًا مؤبدًا أن يخر راكعًا أمام التطور الاجتماعي، فتوسع في أسباب الطلاق، حتى بلغ عدد قضايا الطلاق في شهر واحد مليون قضية ، وظلت تلك الفكرة تراود أذهان الجميع حتى تطاير

---

(١) إنجيل مرقس / الاصحاح العاشر/ الفقرتين ١١ ، ١٢ .

(٢) الأسرة والمجتمع /د. على عبد الواحد وافي / ص ١٤٧، ١٤٨ / الطبعة الثامنة/ الناشر/ دار نهضة مصر للطبع والنشر.

خبرها من فرنسا إلى إيطاليا، إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، إلى انجلترا ، قلعة التزمت الكنسي- إلى أن وصل الأمر بهم إلى إباحته لأتفه الأسباب، وذلك نتيجة الكبت والتزمت ، بخلاف ديننا الإسلامي الذي يدعو إلى الاعتدال في كل الأمور.

يقول الأستاذان / محمود الجوهري، محمد خيال:

«وفي ديسمبر سنة ١٩٧٠م عقب تعديل القانون الإيطالي والتوسع في أسباب الطلاق بلغ عدد قضايا الطلاق في شهر واحد مليون قضية ..

ولايخفى على القوم أن بعض الولايات المتحدة اليوم تبيح الطلاق لأتفه الأسباب كإرسال الزوج للحيته أو تأخره في العودة إلى منزله مساءً .

وهاهي انجلترا آخر قلعة من قلاع التزمت الكنسي تعود إلى الفطرة السليمة في حياة الناس، فقد نشرت مجلة الأيكونوميست الإنجليزية في عددها الصادر في ١٩ مايو ١٩٧٨ موضوعها عن مطالب المجتمع الإنجليزي رجالاً ونساءً بتيسير الطلاق والتوسعة فيه، وإباحته لغير علة الزنا، وعدم تقييده بقيود، يطلبون إباحة الزواج للمطلق، وإباحة الزواج من مطلقة(١) .

انظر إلى هذه الأوضاع التى تولدت عن الكبت وتقييد الطلاق، حتى اضطر بعض التابعين للشرائع المسيحية التى لم تتوسع أسباب الطلاق لديهم إلى تغيير دينهم، والبعض الآخر اضطر إلى هجر منزل الزوجية، وَأُطْلِقَ على ذلك لديهم التفريق الجسماني، إنهم شعروا بأن الكبت لديهم وَلّدَ انفجارًا فاضطروا راغمين إلى التغيير والمناداة علنا إلى منع ذلك، ونأتي نحن لنرجع إلى عصور المسيحية المحرفة، فنجد صيحات من هنا وهناك تنادي بتقييد الطلاق، أيُّ وضعٍ هذا الذِي تسير عليه؟ وإذا سألت أحد أدعياء التحرر يقول : إنه التقدم: أيُّ تقدمٍ هذا؟ إن كنا نقلد الغرب كما تزعمون فإن الغرب قد عدل عن القيود التى كبلته، وعادت عليه بالدمار والانحلال، ثم نسلم لكم جدلاً إن كنتم تقلدون الغرب فهاهم الغربيون عندما تستحكم عليهم الأمور سرعان ما يعودون إلى فطرتهم، ويغيّرون من وضعهم حتى ولو اضطر ذلك إلى خروجهم عن تعاليم الكنيسة، لأنهم علموا أن ذلك خارج عن الفطرة .

(٢) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة المسلمة/ محمود محمد الجوهري و/ محمد عبد الحكيم خيال/ ص ٣١٩.

أنأتى نحن بعد ذلك ونسير في الخط الذي سار فيه الغربيون حتى يحدث لنا مثل ماحدث لهم، ثم نفكر في إيجاد حَلّ بعد فوات الأوان، ونندم ولات ساعة مندم؟

أم إنه المكر السيئ الذي يُدَبَّرُ من أعداء الإسلام لإبعاد المسلمين عن دينهم.

يقول الشيخ/ محمد الأباصيري خليفة/ معلقًا على وضع الغربيين في سَنّهِم قوانين الزواج وفرضهم القيود عليه وآثار ذلك:

«فبحسب هذه القوانين لايكاد يُستطاع الطلاق إلا بسبب واحد وهو عار الأبد للزوج والزوجة وأسرتيهما، ومع ذلك لايتم الطلاق إلا بنفقات باهظة وأمام القضاء، ومن كثرة هجر الأزواج والزوجات لمنزل الزوجية مع العشيقات والعشاق، وأصبحت الأسرة لاوزن لها وعلاقة النسب الصحيح بين الآباء والأبناء موطن الشك والارتياب، ومع ذلك يريد المنافقون والمتفرنجون من المثقفين والمثقفات أن تسير الأمم الإسلامية على هـذه القوانين ليشيع فيها الانحلال، وتعمها الفوضى، ولكن الله من ورائهم محيط»(١).

---

(١) المرأة والتربية الإسلامية / ص ١٢٧.

حق المرأة في طلب الطلاق

هل من حق المرأة طلب الطلاق أم لا؟ وما هي الآثار المترتبة على هذا الحق؟

يرى البعض أن الشريعة الإسلامية لم تعط المرأة حقها في إنهاء عقد الزواج، ومن ثم فليس لها الحق في طلب الطلاق وهذه الفكرة يثيرها أدعياء التحرر، وأعداء الفضيلة وهدفهم من ذلك الطعن في تعاليم الإسلام من جهة، والدعوة إلى تمرد المرأة المسلمة على دينها من جهة أخرى .

وها أنذا أتعرض لهذه الفكرة مفندًا زعمهم هذا، رادًّا عليهم بما منحه الإسلام للمرأة من أسباب قد تكون مبررات للطلاق . فأقول وبا لله التوفيق :

متى تطلب الزوجة الطلاق؟ ومتى يحكم القاضي بوقوعه؟

إذا استنفذت الزوجة كل سبل الإصلاح و لم تجد حلاً، لا عن طريق المهادنة الهادئة، ولا عن طريق التحكيم، ورأت أنها لاتستطيع البقاء مع زوجها لما تراه من ضرر بيّن يلحق بها ، فكان العدل والمنطق يقتضيان أن نجيز لها الافتراق من زوجها حتى لا يحدث بينهما ما هو أكبر من ذلك، فكم قرأنا حوادث في الجرائد والصحف الرسمية، واستقرأناها، من واقع المجتمع تدل على أن الزوجة انتحرت ، أو أشعلت في نفسها النيران، أو تجرعت سمًّا لما تراه من معاملة سيئة من زوجها، ونسيت تلك المسكينة أنّ الإسلام يمنحها حق التخلص من تلك الحياة التى تؤدي إلى هلاكها ، لأن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف، كما أنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

ومن ثم إذا اتضح للقاضي أن حياة الزوجة مع زوجها أصبحت جحيما لا يطاق، لما يراه من مبررات لطلب الطلاق فعليه أن يوقع الطلاق طلقة بائنة إذا كان الظلم بينًا من جهة الزوج واتضحت أمامه هذه المبررات التى تدعو إلى الطلاق:

وهذه المبررات تكمن فيما يلي:

أولاً: التطليق لسوء العشرة:

إن الحياة الزوجية قائمة على المودة والرحمة، والعلاقة التى تربط الزوجين يبينها قوله تعالى في كتابه الكريم :

﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[1] .

فإذا افتقدت الزوجة العشرة بالمعروف فعليها أن ترفع أمرها للقضاء بعد استنفاذ كل الحلول، وعلى القاضي أن يجيبها بطلقة بائنة .

ثانيًا: التطليق لضرر العيب الجنسي أو الأمراض المنفرة:

إذا كان هناك عيب مستحكم في الزوج لايستطيع من خلاله معاشرة زوجته جنسيًا وتضررت الزوجة بذلك فعليها أن ترفع أمرها للقضاء ، وعلى القاضي أن يجيبها بطلقة بائنة أيضًا، وهذه العيوب تتمثل فيما يلي :

الجُبّ : وهو قطع عضو التناسل في الرجل أو رأس العضو.

الخصِاء : وهو قطع الخصيتين معًا.

العنّة : وهي عدم الانتصاب لمدة عام كامل.

كما إذا ثبت بالزوج مرض منفر كالجذام والبرص والجنون، ولم يبرأ منه على مرور الأيام ولم تعلم الزوجة بذلك حال العقد فعلى القاضي أن يطلقها طلقة واحدة بائنة أيضًا .

ثالثًا: التطليق لضرر الغيبة:

إذا تضررت الزوجة من غياب زوجها، وطالت المدة سنة فأكثر ، فعلى القاضي أن يرسل إليه خطابًا إما أن يرجع إلى زوجته وإما أن يطلقها إذا لم يوافق أخذها معه حتى لا تكون معلقة فإذا لم يرض الزوج بذلك ولم يبد عذرًا مقبولاً لتعذر مجيئه، طلقها القاضي طلقة بائنة، والعذر المقبول كأن يكون في طلب العلم أو سعيًا على المعاش وتعذر رجوعه خلال السنة فعلى القاضي أن ينذره إلى أجل آخر .

رابعًا : التطليق لضرر حبس الزوج:

إذا حُكم على الزوج مدة ثلاث سنوات أو أكثر، وكانت هذه العقوبة مقيدة للحرية ، وخافت الزوجة على نفسها من الفتنة، فعلى القاضي أن يجيب طلبها إذا

---

(١) سورة البقرة / من الآية ٢٢٩.

رفعت أمرها إلى القضاء ،ويطلقها طلقة بائنـة للضرر الذي لحق بها،حتى لو كان معها مال تستطيع الإنفاق منه .

خامسا: التطليق لضرر العجز عن الإنفاق:

إذا تعسـر حـال الزوج و لم يكـن للزوجـة مـال تنفق منـه علـى نفسـها، أو لم يكن لـلزوج قريب موسـر ينفق عليها، و لم تجد الزوجـة من تستدين منه لحين إيسار الزوج فعلى الزوجـة أن ترفـع أمرها للقـاضي، وعليـه أن يجيبها على ذلـك بطلقة بائنـة وذلك وفقًا لأحكام المواد ٤، ٥، ٦ من القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٠م .

ونصها كما يلي :

تنص المادة الرابعة مـن القانون ٢٥ لسـنة ١٩٢٠ على أنه : « إذا امتنع الزوج عن الإنفاق على زوجته ، فـإن كان له مـال ظاهر نَفَذَ الحكم عليه بالنفقـة في ماله، فإن لم يكن لـه مـال ظاهر، و لم يقل إنـه معسر أو موسـر ولكن أصر علـى عدم الإنفاق طلّق عليـه القاضي في الحال، وإن ادعى العجز فـإن لم يثبته طلق عليه حـالا، وإن أثبته أمهله مدة لاتزيد على شهر، فإن لم ينفق طلق عليه بعد ذلك .

وكذا نص المـادة الخامسـة والسادسـة من نفس القـانون، إلا أن المتبع في المحاكم ألا تطلق الزوجة لعجز الزوج عن الإنفاق ، إذا كان للزوج كفيل موسر له مال ظاهر.

وقـد قضت محكمـة سنورس الشـرعية في ٢٠/ ١/ ١٩٣١م في القضيـة ٣٤٩سنة ١٩٣١م بهذا الحكـم الأخير وهو ألا تطلق الزوجة طالمـا وأن للزوج كفيل موسر ينفق على زوجتــه، كما أن هـذه المسـألة فيهـا خلاف بين فقهائنـا الأجلاء ، فالإمـام مالك والشـافعي وأحمد بن حنبـل يرون جواز الطلاق للمـرأة التى عجز زوجهـا عن الإنفاق عليها، أما الإمام الحنفى فلا يحكم بطلاقها في حالة إعسار الزوج[1] .

وإن المتبـع للوائح القـانون المعمول بــه في المحـاكم والخـاص بطلـب تطليق الزوجـة

---

(١) يرجع في هذا إلى : آراء في الشرعية وفي الحرية /د. جمال العطيفي / ص ٣٣٧ - ٣٨٢ / الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الأسرة وقـانون الأحوال الشخصية رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ / د. عبد الناصر توفيق العطار من ص ٢٠٠ - ٢١٤ ، كتاب الأسرة وأحكامها في الشريعة الإسلامية / د. محمد على محجوب / من ص ٤٤٩ - ٤٩٠ ، الأسرة والمجتمع / د. على عبد الواحد وافي / ص ١٥٣ .

للضرر اللاحق بها يجد أن نصوص القانون خاصة بالزوجة دون الزوج ، كما أن واضعي القوانين لم يراعوا الحرمة الزوجية في التفريق بين الزوجين للضرر اللاحق بالزوجة وحجتهم في ذلك أن العقد على أسس السلامة من العيوب ، ولم يفرقوا بين العيوب المنفرة والمزمنة وبين غيرها من العيوب .

وتلك بعض الآثار المترتبة على توقيع الطلاق بيد القاضي، فضلا عما ذكرناه آنفا.

بقيت نقطة أساسية في نظرة الإسلام إلى المرأة في طلب الطلاق ألا وهي:

الخلع: وقد عرفه العلماء كما يلي :

يقول الشيخ / أبو بكر جابر الجزائري : «الخلع هو افتداء المرأة من زوجها الكارهة له بمال تدفعه إليه ليتخلى عنها»(١) .

كما عرفه ابن حجر بقوله: «شرعًا: فراق الرجل زوجته ببدل قابل للعوض يحصل لجهة الزوج»(٢) .

ومن ثم نستطيع أن نقول إن الإسلام أجاز للمرأة الكارهة لزوجها المتضررة بالحياة معه، المتأذية من معاشرته أن تطلب فراقها منه نظير جزء من المال تدفعه لزوجها يتراضيان عليه .

هذا ولا يتم إلا استوفى شروطه :

وشروط الخلع كما ذكرها الشيخ أبو بكر الجزائري:

١ـ « أن يكون البغض من الزوجة فإن كان الزوج هو الكاره لها فليس له أن يأخذ منها فدية ، وإنما عليه أن يصبر عليها، أو يطلقها إن خاف ضررًا .

٢ـ أن لا تطالب الزوجة بالخلع حتى تبلغ درجة من الضرر، تخاف معها أن لاتقيم حدود الله في نفسها أو في حقوق زوجها .

٣ـ أن لايتعمد الزوج أذية الزوجة حتى تخالع منه، فإن فعل فلا يحل له أن يأخذ منها أبدًا، وهو عاص، والخلع ينفذ طلاقًا بائنًا، فلو أراد مراجعتها لا يحل له إلا بعد

---

(١) منهاج المسلم / أبو بكر جابر الجزائري / ص ٣٩٠ / الناشر / المكتب الثقافي / ط الثامنة .

(٢) فتح الباري / جـ٢٠ / ص ٦٨.

عقد جديد »[1] .

تلك هي شروط الخلع وهي توضح بجلاء أن الزوج لايجب عليه أن يضر زوجته فلا يمسكها بقصد الضرر بل يسرحها بإحسان، كما يجب عليه إذا شعر بكره زوجته له وأرادت مخالعته فليس له الحق في منعها من ذلك حتى لا يوقعها في معصية الله نتيجة عدم قيامها بحقوقه الزوجية، وإن وافق على ذلك فلا يأخذ منها أكثر مما دفعه لها.

وضابط ذلك قول الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2] .

وقول الرسول ـ ﷺ ـ فيما رواه البخاري بسنده:

«عن ابن عباس: أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ـ ﷺ ـ فقالت يارسول الله ، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولادين ، ولكني أكره الكفر في الإسلام فقال رسول الله ـ ﷺ ـ أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة[3] .

انظر إلى هذه الدقة، وتلك العناية التى أعطاها المشرع الحكيم للحياة الزوجية، حتى تسير حركة الحياة وفق مارسم الله، والمشرع الحكيم بذلك قد وضع الضوابط والقيود التى تكفل للمجتمع أمنه، لأن أمن المجتمع ناتج عن أمن أفراده، وأمن الأفراد ناتج عن إقامة أسرة متكافلة متحابة شعارها المودة والرحمة، مما يقتضى العناية التامة لكل من الزوجين بالآخر وألا يعبث أو يسئ كلاً منهما إلى صاحبه لأنهما مسئولان عن ذلك أمام ربهما .

(١) منهاج المسلم / ص ٣٩١ .
(٢) سورة البقرة / الآية ٢٢٩ .
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / جـ ٢٠/ ص ٦٦، ٦٧، ٦٨/ كتاب الطلاق / باب: الخلع وكيف الطلاق فيه .

أو بعد هذا نرى من يرفع صوته مستجيرًا بعدالة القضاء ، آمرًا القائمين على الأمر بتقييد الطلاق، وعدم وقوعه إلا بإذن من القاضي، إن أمثال هؤلاء لو تعقلوا الأمر قليلاً لعلموا أنهم بذلك يهدمون الأسرة من حيث لايشعرون، لأنهم يهرفون بمالا يعرفون ، وإن كانوا يعرفون فإنهم يتجاهلون حقائق الإسلام، لأنهم لايريدونه بالمرة، عميت قلوبهم، وضلت أبصارهم، فساروا في طريق الشيطان، وتركوا طريق الرحمن، عقولهم مسمومة بفكر الغرب، يريدون السير في ركابه حتى ولو كان ضارًّا بالأمة، وشعارهم إننا نريد التقدم والتحضر والمدنية، شعارات براقة ينفذون من خلالها إلى لب ضعاف العقول والقلوب فيستهوونهم إلى أفكارهم.

- وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[1] .

- اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[2] .

---

(١) سورة الجاثية / الآية ٢٣.

(٢) سورة آل عمران / الآية ٨ .

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والثمرات التى تضمنها هذا البحث ونوجزها فيما يلي:

١ـ نظرة الإسلام السامية للمرأة المسلمة ، إذ اتضح لنا من خلال صفحات هذا البحث كيف صان الإسلام المرأة، وحافظ على كرامتها، ووضعها موضعًا يليق بآدميتها، كما سنّ لها الضوابط والضمانات التى تحفظ لها حقوقها في جميع مراحل حياتها ، بدءًا من ولادتها إلى أن تصير أمًّا معزّزة مكرمة . ولن يتضح لنا ذلك إلا إذا عقدنا مقارنة بين المرأة قبل الإسلام ، وبعده، لنصل إلى هذه الضمانات وتلك الحقوق التى أرسى دعائمها ديننا الحنيف، وبنظرة سريعة إلى الأمم الغابرة يتضح لنا على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ اليونان:

مع أن المجتمع اليوناني كان يقدّر المرأة ، ويصون عفافها بادئ الأمر، إلا أن صورتها قد تغيرت قرب نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، حين دبّ سعار الجنس، وبريق الشهوات في المجتمع اليوناني ، فأصبح الزواج مجرد إجراء عمليّ لإنجاب الأطفال الذين يعقبون آباءهم في الميراث، فضلا عن وجود بعض النظم التىتقضى بعدم زواج أبناء الأثرياء في اسبرطة ـ مثلاً ـ إلا بعد بلوغ سن الثلاثين عاما، مما أدى إلى شيوع الجنس وارتكاب الجرائم، ولاسيما وأن قانون اسبرطة آنذاك كان يسمح للأخوة الأشقاء أن يتزوجوا من امرأة واحدة توفيرًا للنفقات ، مما أدى إلى انتشار البغاء وشيوع الفاحشة لدى قطاع كبير من طبقات الشعب اليوناني.

ومن ثم تبدلت أوضاع المرأة في اليونان، فاختلطت بالرجال في الأندية والمجتمعات فشاعت الفاحشة، حتى أصبح الزني أمرًا غير منكر، وغدت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب، وانتشرت التماثيل العارية باسم الفن والأدب، ولقد أدى ذلك إلى اعتراف قوانينهم بالعلاقة الآثمة بين الرجل والمرأة . ونتج عن ذلك سقوط حضارتهم، وانهزامهم في شتى ميادين الحياة.

ب ـ عند الرومان:

وكذلك وصل حال المرأة لدى الرومان إلى عدم الاعتراف بأهليتها ، والنظر إليها بعين الاستذلال والاحتقار، ومنعها من الطيبات، مما أدي إلى فقدانها حريتها، وفرض الوصاية عليها .

جـ ـ عند فارس:

كانت المرأة لدى فارس أسوأ حالاً من نظيراتها في الأمم السالفة ، إذ كان ينظر إليها على أنها وسيلة لهيجان الشر، وسببًا للعذاب، ومن ثم حكموا عليها بالسجن في بيتها، فضلاً عن أن قانونهم أعطى للرجل حق قتلها لأقل خطأ يبدر منها، دون تعرضه لمساءلة أو عقاب .

د ـ المرأة لدى العرب في الجاهلية:

كان وضع المرأة أيضًا في الجاهلية سيئًا للغاية، إذ اعتبروها جزءًا من الثروة، فضلا عن أن الرجل كان يئد ابنته وهي حية فور البشارة بنزولها إلى حيز الوجود.

فإذا بالقرآن الكريم، يُحدث تغييرًا لكل تلك الأوضاع، ويحيي حقوق المرأة الطبيعية ويعاملها من الناحية الإنسانية كالرجل سواء بسواء، كما ساواها في التكاليف الشرعية مع الرجل، إلى غير ذلك من الضمانات التى وضعها الإسلام لحريتها، إلا أنه جعل القوامة للرجل حتى تستقيم أمور الحياة، وهي تكليف لاتشريف، وبذلك يكون قد كرم المرأة أيما تكريم .

٢ـ شَرع الإسلام موافق لطبيعة الإنسان ، فلقد ركب الله الغريزة الجنسية، ووضع لها طرق إفراغها المشروعة، ومن ثم أمر الشباب بالزواج، ورسم منهج العلاقة السليمة بين الخاطب وخطيبته ـ منهجًا وسطًا ـ بلا إفراط ولا تفريط، لأنه دين الوسطية والاعتدال في كلّ الأمور، فأمر برؤية الخاطب لخطيبته، وكذلك هي الأخرى من حقها أن تنظر إليه حتى يؤدم بينهما على خير، كما رسم منهج الحياة الزوجية من بدايتها إلى نهايتها ، ومن ثم نرى الإسلام ينهى عن العلاقات غير الشرعية، ويوصد الأبواب أمام خطوات الشيطان، حتى لاتشيع الفاحشة في المجتمع، وحتى لاتختلط الأنساب،

فإذا لم يجد الإنسان منفذًا لتلبية غرائزة، وحاول الشيطان أن يجرفه في تيار الإثم وارتكاب ما حرم الله، نجد موقف الإسلام حاسمًا في تلك اللحظة، واضعًا الدواء الناجع أمام الشباب الذين لا يستطيعون النكاح ولا يجدون مؤنه، فيأمر بالاستعلاء عن تلك الغريزة بأمور تتوافق مع طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، كصرف أوقات فراغه في ممارسة ألوان من الرياضة، أو القراءة والاطلاع، أو الأعمال اليدوية والحرف، وغير ذلك من الألوان التى تصرفه عن الوقوع فيما حرم ا لله .

فضلاً عن هذا العلاج الناجح الذي وصفه الرسول - ﷺ - وهو أمر الشباب بالصيام غضًّا لأبصارهم ، وحفظًا لفروجهم ، وكسرًا لشهواتهم، إلى غير ذلك مما استنبطه العلماء من الحديث الوارد في هذا المعنى، ومما استنبطه العلماء ما يلي :

١- الإكثار من الحمامات الباردة في موسم الصيف ،وصب الماء البارد على العضو التناسلي .

٢- الإكثار من الألعاب الرياضية، والتمارين الجسمية.

٣- تجنب الأطعمة المحتوية على بهارات وتوابل، لكونها مثيرة للغريزة الجنسية .

٤- الإقلال، ما أمكن من المنبهات العصبية كالقهوة والشاي وغيرها.

٥- عدم الإكثار من اللحوم الحمراء ، والبيض، والبروتينات بصفة عامة .

٦- عدم النوم على الظهر أو البطن، حتى لايؤدى ذلك إلى استحضار الشهوة .

٧- استشعار عظمة الله - تعالى - والخوف من عقابه، والبعد عن مواطن الفساد، أو الاختلاط برفقاء السوء.

٨- تجنب الحديث والخوض في أمور الجنس، والبعد عن المثيرات الجنسية بصفة عامة.

٣- اتضح لنا من صفحات البحث أن القرآن الكريم ليس كتاب دين وعقيدة فحسب، وإنما هو كتاب شريعة ومنهج أيضًا، جامع لسعادة الفرد والأسرة والمجتمع في الدين والدنيا، ومن ثم نراه يرسم العلاقات التى تربط الإنسان بالمجتمع، فلا يعتدى على حرمات الآخرين، حتى لا يُعتدى عليه، فأمر بغض البصر، وحفظ الفروج، وستر

العورات ، والاستئذان عند دخول البيوت، وعدم خروج المرأة في السفر إلا مع ذي محرم، كما نهى عن خروج المرأة متزينة متعطرة.. إلى غير ذلك من الأمور التى نهى الإسلام عنها كالاختلاط وغيره والتى تكفل للمجتمع أمنه وسلامته . وبما أنّ الإسلام دين عقيدة وحياة فلم يضع العقوبات لمرتكبي الجرائم إلا بعد أن يوصد الأبواب أمام الحرام، ويسد كل المنافذ الموصلة إليه، ومن ثمّ أمر بالابتعاد عن مواطن الفساد، حتى لايقع المرء تحت طائلة العقاب والمساءلة ونهى عن تعطيل الحدود، وحذّر من إهمالها، حتى لايستشري الفساد في المجتمع، وينخر الداء في عظم الأمة، فيهوي بنيانها بسبب بُعدها عن منهج السماء ، وتصل إلى ما وصل إليه الغرب من أمراض وأوبئة فتّاكة أدت بهم إلى فساد المجتمع وانهيار الأسر .

(٤) إذا التزم المجتمع بتلك الضوابط التى وضعها الإسلام لسعادة الأفراد والمجتمعات، أصبح المجتمع حرًا ، يسير وفق ما أمر الله به ورسوله أما إذا ابتعد أفراد المجتمع عن المنهج الذي بيّنه الله ورسوله ، أصبح مجتمعًا متحررًا من تعاليم الإسلام خاضعًا لتعاليم الغرب، لأن الحرية ليست منحة من فرد لفرد، ولكنها هبة من الله للإنسان، فالحرية بمفهومها الواسع إطلاق العنان للعقل كي يبدع ويفكر وينتج، بشرط أن يكون ملتزما بمنهج الله، ولايتخطي القواعد اللازمة لتحقيق الإنسانية إلى غيرها.

ومن ثم اتضح لنا أن الحرية هي الالتزام بمنهج الله، والتحرر هو البعد عن منهج الله، وعلى ضوء هذا أثبتنا أن حرية المرأة تكمن في اتباعها لشرع الله ، وتحررها يكمن في بعدها عن منهج الله، ويوم أن انساقت المرأة المسلمة وراء التيارات الوافدة من الغرب، واتبعت منهج أدعياء التحرر والإباحية أصبحت مطمعًا للذئاب البشرية، فاستعبدها أصحاب الشهوات والملذات عن طريق ما يسمونه بالحرية والمساواة ، ففقدت المرأة بذلك كيانها وضاع حياؤها ، وأصبحت مصدر فتنة للرجال، وفساد المجتمع، وبذلك تكون قد مهدت الطريق للوصول إلى النار باتباعها مارسمه الغرب للقضاء عليها، لأنهم علموا أن سعادة المجتمع تكمن في سعادة أفراده، وسعادة أفراده تكمن في سعادة الأسرة، وسعادة الأسرة تكمن في صلاح المرأة ، ومن ثم ركّزوا على إبعاد المرأة عن تعاليم دينها، واستخدامها أداة إغراء للشباب حتى يصلوا إلى ما

خططوه لهدم الإسلام والقضاء على المسلمين .

(٥) لقد اتضح لنا من خلال صفحات البحث أن المرأة المسلمة مطالبة بالحجاب كما أمر به الله لأنه مانع للغواية، وحافظ للأعراض والحرمات ، وطريق لعفاف المرأة وصيانتها من الوقوع في مهاوي الرذيلة .

بيد أن بعض النساء تَنحَين عن تعاليم الإسلام، فخرجن إلى المجتمع سافرات متبرجات، وظهرن بصورة مبتذلة، كاشفات عن مفاتنهن ، مخالفات شرع ربهنّ ، مقلدات للمرأة الغربية المتحررة تقليدًا أعمى، فبذلك بعدن عن الصواب، وتركن مسئولياتهن كأمهات وزوجات، أغراهنّ بريق الهوى الزائف، وتحصن بكل بريق وافد إليهن من الغرب، حتى ولو أضرّ ذلك بدينهن وأضاع شخصيتهنّ في المجتمع.

ولقد وجدت المرأة في هذا الميدان الماكر، من يأخذ بيدها نحو الرذيلة ، ويبعدها عن الفضيلة، إذ نادى دعاة التحرر ـ التحلل ـ وأعداء الفضيلة، بتقليد المرأة المسلمة للمرأة الغربية ؛ لأن ذلك من ضرورات الحياة العصرية، وأطلقوا على ذلك مسميات عديدة، التقدمية، والمدنية، والتطور مع العصر.. والتحضر.. وغير ذلك من الشعارات البراقة التى نفذوا من خلالها لتلك الدعوة الآثمة المنكرة، حتى وصلت المرأة المسلمة إلى أن تحررت من بيتها، ومن زيها، بقيادة شياطين الإنس لها في هذا الميدان الذي أدى بها إلى ما نراه الآن من فساد للمجتمع ، بسبب الاختلاط، والتبرج وعمل المرأة في شتى ميادين الحياة، وشيوع الجنس الرخيص في وسائل الإعلام عن طريق الكلمة المسموعة والمقروءة والصورة العارية .

(٦) إن المتأمل في حال المرأة المسلمة اليوم، والناظر إلى ما وصلت إليه من أوضاع يرفضها الإسلام، يتضح لنا بجلاء أن هناك أيدٍ خفية وراء الدعوة إلى حركة تحرير المرأة، وأن هذه الحركة لها جذور تاريخية، ومن خلال صفحات هذا البحث أثبتُّ الخطة التى وضعها أعداء الإسلام لهدم الأسرة المسلمة، كما أثبت أن أعداء الإسلام لهم أذناب يعملون لتحقيق مآربهم وأغراضهم الدنيئة ، فهم يتسترون وراء الإسلام ليتكلموا باسمه، ولكنهم في حقيقة الأمر ماحملوا منه إلا اسمه فحسب، ومن ثم ألزمت كلاًّ من:

١ـ الأفراد.

٢ـ العلماء .

٣ـ الحكام .

٤ـ رجال الإعلام .

إلزاما تامًا بتغيير القوانين التى تقضى بعمل المرأة، أو إصلاحها على الأقل بحيث لا تعمل إلا للضرورة القصوى، وهذا الجانب يختص به الحكام، إذ هم أهل الحل والعقد في هذا المجال، أما العلماء والأفراد ورجال الإعلام فهم جميعًا مسئولون عن تغيير الفساد والمنكر كل على قدر استطاعته ، كما أن الحاكم مطالب بذلك أيضا، ولن يتم لنا إصلاح المجتمع إلا إذا تضافرت القوى أخذًا بقوله تعالى :

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(١) .

وأخذًا بقوله تعالى جل في علاه :

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾(٢) .

فإذا وصلنا إلى مرحلة التغيير الفعلي لا القولي أثبتنا للعالم كله أننا أمة لها قيمها ومبادئها التى بها تسير آمنة مطمئنة ، وتنتزع بتلك التعاليم لباس الجوع والخوف الذي حل بها، من جراء بُعْدها عن منهج ربها .

وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(٣) .

(٧) لقد أثبت هذا البحث أن الحرية التى نالتها المرأة ـ على حد إطلاقهم ـ في الغرب أدت بها إلى حدوث أمراض عصبية ونفسية وأوبئة اجتماعية فتّاكة، فضلا عن

---

(١) سورة المائدة/ من الآية ٢ .

(٢) سورة الرعد / من الآية ١١ .

(٣) سورة النحل / من الآية ١١٢ .

أن ٤٠٪ أو يزيد من الدخل في دول الغرب ينفق على معالجة هذه الأمراض، والباقي من الدخل ينفق على وسائل الترفيه وفي دور البغاء وغيرها من وسائل اللهو ، مما جعل الشباب يلجأون إلى الخليلات أكثر من لجوئهم إلى الحليلات، حتى انتشر زواج التجربة، وأصبحت الفتاة التى تتزوج ويجدها زوجها ليلة زفافها عذراء يسخر منها، لأن العرف العام يقضى بذلك .. ومن خلال هذه الأوبئة وتلك الأمراض الفتاكة التى حدثت في المجتمع الغربي المتحرر، أثبتُّ أن الحرية التى أعطوها للمرأة حرية مزيفة، لأن الحرية بهذه الصورة لاتوجد إلا لدى الحيوان الفاقد للعقل والتمييز، والفهم والإدراك، وبذلك أثبت أن الحرية في مفهوم الغرب تعنى:

١- التخلي عن قيود الأخلاق والتقاليد لاعتبارها قيود من تراث الماضي العتيق الذي يحمل في طياته الشر.

٢- الانسلاخ من جميع الروابط الإنسانية الروحية والمعنوية والفكرية، ليعيش الإنسان أسير الهمجية والفوضى، ولا يحيا مع غيره إلا للمنفعة المادية واللذة العاجلة.

٣- الخروج على جميع الحقائق الدينية والعلمية، لاعتبار ذلك في نظرهم شيء غير محسوس، ومن ثم ينكرون البعث والجزاء، وكل ما أخبر به الله من أمور غيبية، وبذلك يعيشون عيشة الحيوان بل هم أضل سبيلا.

٤- التمرد على الفطرة البشرية، ومن ثم يحيا الإنسان الغربي في صراع دائم، وتصادم مستمر مع فطرته التى أودعها الله فيه .

٥- الوقوف إزاء الخير والشر موقف المخير في فعل الخير أو تركه وفي فعل الشر أو تركه دون وازع من ضمير، أو تأنيب ولوم من نفس الفاعل، وبذلك ينعدم الخير في نظره، ويسيطر الشر على فكره وعقله .

ومن ثم اتضح لنا أن الحرية بهذا المعنى -الغربي- حرية مزيفة تجعل الفرد خاضعًا لشهواته، أسيرًا لمآربه المادية، دون مراعاة للجانب المعنوي .

وأمثال ذلك لاينطبق عليهم إلا قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ

أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَ يَسْـمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ .

وفي نهاية المطاف أهمس في أذن الغربيون بهذه الكلمة لعلها أن تكون بصيصًا من أمل، أو بريقًا من نور، يسير على سناه الحائر، ويهتدى به الواقف على مفترق الطرق، يريد الحياة ولا يجدها ، ويتمنى السعادة ولايستطيع الوصول إليها.

أقول لهؤلاء جميعًا :

إن الحرية بمفهومها الواسع كما صورها لنا الإسلام تكمن في اتباع منهج ا لله الذي وضح لنا أن الحر هو :

العبد السليم في عقله وتفكيره، المستقيم في تصوره واعتقاده، الصحيح في خلقه وسلوكه، المخلص لله في نيته وطويته، المستسلم لله ـ تعالى ـ بكل شئ، العابد لله وحده، الملتزم لأمر الله وحكمه.

تلك هي الحرية، وذلك هو العبد الحر، كما علمنا منهج الإسلام، فهل آن لأدعياء الحرية المزيفة أن يفهموا الحرية على حقيقتها، وهل آن لهؤلاء الحيارى أن يقفوا على تلك الحقائق الثابتة ..

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(١) .

---

(١) سورة الحديد / الآية ١٦ .

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

المصادر والمراجع

أولاً:

١ـ القرآن الكريم:

ثانيًا: مصادر التفسير:

١ـ تفسير الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبدا لله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية/ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٢ـ البحر المحيط بهامشه تفسير النهر المارّ لأبي حيان الأندلسي الغرناطي سنة ٦٥٤ ـ ٧٥٤هـ طبعة دار الفكر بيروت .

٣ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري / تأليف نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري / المتوفي سنة ٧٢٨هـ ، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة/ ط مصطفى الحلبي .

٤ـ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري سنة ٥٤٤ ـ ٦٠٤هـ طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٥ـ تفسير المنار الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده تأليف السيد محمد رشيد رضا / طبعة الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٣م.

٦ـ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير تحقيق عبد العزيز غنيم/ محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا / طبعة الشعب/ القاهرة .

٧ـ أحكام القرآن لأبي بكر محمد عبد الله المعروف بابن العربي / تحقيق على البجاوي / طبعة عيسى الحلبي سنة ١٣٧٦هـ .

٨ـ أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن على الرازي الحصاص/ طبعة المطبعة البهية

المصرية ١٣٤٧هـ .

٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لخاتمة المحققين وعمدة المدققين مرجع أهل العراق ومفتى بغداد أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي المتوفي سنة ١٢٧هـ ـ طبعة إدارة الطباعة المنيرية / دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .

١٠ـ تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد العماوي/ الناشر/ دار المصحف بالقاهرة.

١١ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدى / الناشر مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.

١٢ـ مختصر تفسير ابن كثير/ اختصار وتحقيق/ محمد على الصابوني/ الناشر دار القرآن بيروت / الطبعة السابعة سنة ١٩٨١م .

١٣ـ روائع البيان في تفسير آيات الأحكام / محمد على الصابوني / الناشر / مكتبة الغزالي دمشق ـ بيروت / الطبعة الثالثة / سنة ١٩٨٠م.

١٤ـ في ظلال القرآن / بقلم/ سيد قطب / طبعة دار الشروق/ الطبعة الشرعية السابعة / سنة ١٩٧٨م .

١٥ـ أسباب النزول تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/ المتوفى سنة ٩١١هـ طبعة دار التحرير للطبع والنشر القاهرة / سنة ١٣٨٢هـ .

١٦ـ أسباب النزول أبي الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابوري / الناشر/ مطبعة الأنوار المحمدية القاهرة سنة ١٩٨٤م.

ثالثًا : مصادر الحديث:

١ـ المستدرك على الصحيحين في الحديث / الإمام أبو عبدا لله محمد النيسابوري المعروف بالحاكم وفي ذيله تلخيص المستدرك/ طبعة دار الفكر / بيروت.

٢ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان إماما المحدثين / أبو عبدا لله محمد بن إسماعيل البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري/ وضعه محمد فؤاد عبد الباقي/ الناشر/ دار الحديث خلف جامع الأزهر سنة ١٩٨٦م .

٣ـ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني .

٤ـ سنن أبي داود صنفه وجمعه الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني / طبعة دار الحديث / حمص / سورية .

٥ـ سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني / ابن ماجة سنة ٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ. حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي/ طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٦ـ سنن الترمذي المعروف بالجامع الصحيح ـ بأبي عيسى محمد بن سورة سنة ٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر القاضي الشرعي/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ الغورية ـ القاهرة .

٧ـ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندى الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨ـ سبل السلام تأليف السيد الإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني المعروف بالأمير ، شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني طبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة.

٩ـ صحيح البخاري/ مطابع الشعب بشرح فتح الباري ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة / مكتبة الكليات الأزهرية .

١٠ـ صحيح مسلم شرح النووي ـ للإمام يحيي بن شرف بن مري حسن بن حسين بن حزام النووي الشافعي أبو زكريا محي الدين ـ تحقيق وإشراف عبدا لله أحمد أبو زينة / طبعة الشعب .

١١ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لشيخ الإسلام قاضي القضاة/ الحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي المولود سنة

٧٧٣ ـ ١٣٧٣م المتوفي سنة ٨٥٢هـ ـ ١٤٤٩م مكتبة الكليات الأزهرية ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة .

١٢ـ زاد المسلم فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم .

رابعًا : مصادر الفقه :

١ـ الأم للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الناشر/ الدار المصرية للتأليف والترجمة الطبعة المصورة عن بولاق سنة ١٣٢١هـ .

٢ـ المغنى والشرح الكبير لابن قدامة الحنبلي / طبعة دار المنار سنة ١٣٤٨هـ .

٣ـ المبسوط للسرخسي الحنفى / الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

٤ـ الفقه على المذاهب الأربعة / الطبعة الثامنة / وزارة الأوقاف.

٥ـ أعلام النبوة/ لأبي الحسن على بن محمد الماوردي / طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت سنة ١٩٧٣.

٦ـ أحكام القرآن لابن العربي / تحقيق على محمد البجاوى / الطبعة الثالثة / الناشر دار المعرفة .

٧ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي / الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٨ـ بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك للصاوى المالكي / الطبعة الأخيرة ١٣٧٢ ـ ١٩٥٢م .

٩ـ تيسير العلام شرح عمدة الأحكام عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام / الطبعة السادسة/ سنة ١٩٨٤م / مكتبة النهضة الحديثة بمكة .

١٠ـ حاشية دار المختار لابن عابدين طبعة مصطفى البابي الحلبي .

١١ـ سبل السلام للإمام محمد إسماعيل الصنعاني / الطبعة الرابعة/ ١٩٦٠ / الناشر مصطفى البابي الحلبي ـ تحقيق الشيخ محمد عبدالعزيز الخولي .

١٢ـ زاد المعاد في هدى خير العباد / الإمام ابن قيم الجوزيـة / المطبعة المصرية ومكتبتها .

١٣ـ فقه المرأة المسلمة / إبراهيم محمد الجمل/ مكتبة القرآن للطبع والنشر والتنوير/ بولاق القاهرة/ سنة ١٩٨١م .

١٤ـ كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار / الإمام تقي الدين أبي بكر محمد الحسيني الدمشقي الشافعي / طبع على نفقة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية / سنة ١٩٧٩.

١٥ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للإمام محمد بن على محمد الشوكاني / المكتبة التوفيقية ـ الدراسة ـ القاهرة.

خامسًا: المعاجم والتراجم:

١ـ الإصابة في تمييز الصحابة/ تأليف شهاب الدين أحمد بن على العسقلاني/ الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٢ـ الطبقات الكبرى لابن سعد / دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٧٨م .

٣ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف العالم العلامة أحمد بن على المقري الفيومي .

٤ـ القاموس المحيط تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي / الطبعة الثانية سنة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٥ـ القاموس القرآني / حسن محمد موسى.

٦ـ المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية/ الناشر/ مطابع دار المعارف سنة ١٩٨٠م.

٧ـ تاج اللغة للجوهري.

٨ـ سيرة ابن هشام / لابن هشام الأنصاري/ تحقيق/ مصطفى السقا .

٩ـ لسان العرب لابن منظور/ جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري / سنة ٦٣٠هـ/ ٧١١هـ طبعة دار المعارف .

١٠ـ معجم ألفاظ القرآن/ لمجمع اللغة العربية.

١١ـ مختار الصحاح/ محمد بن أبي بكر الرازي / الهيئة العامة للكتاب .

سادسًا: المراجع العامة :

١ـ الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية/ محمود محمد الجوهري، محمد عبد الحكيم خيال الناشر/ دار الدعوة/ التحريرة الأولى سنة ١٩٨٠م .

٢ـ الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون / مروان كجك .

٣ـ الأسرة بين الشرع والقانون/ على عبدالله طنطاوي / الطبعة الثانية/ سنة ١٩٨٠م / دار الطباعة والنشر الإسلامية.

٤ـ الأسرة وأحكامها في الشريعة الإسلامية / د. محمد على محجوب.

٥ـ الأسرة في الإسلام/ د. مصطفى عبدالواحد / الناشر دار الاعتصام / الطبعة الأولى .

٦ـ الأسرة وتنظيم النسل / الشيخ محمد أبو زهرة/ طبعة دار الفكر العربي.

٧ـ الأسرة وقانون الأحوال الشخصية رقم (١٠٠) لسنة ١٩٨٥م / د. عبدالناصر توفيق العطار الناشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر بالقاهرة .

٨ـ الأسرة والمجتمع / د. على عبد الواحد وافي/ الطبعة الثامنة/ الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر .

٩ـ الإسلام والمشكلة الجنسية /د. مصطفى عبد الواحد / الناشر مكتبة المتنبي/ الطبعة الثانية .

١٠ـ الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة/ د. محمد البهي/ الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٤م/ الناشر دار القلم/ الكويت.

١١ـ الإسلام كما ينبغي أن نعرفه/ د. محمد شامة / الطبعة الأولى / الناشر مكتبة وهبة.

١٢ـ الإسلام و الحضارة الغربية / د. محمد محمد حسين / الناشر مؤسسة الرسالة.

١٣- الإسلام والحضارة الغربية/ محمد كرد علي.

١٤- الإسلام الدين الفطري الأبدى/ للمبلغ الإسلامي/ مبشر الطرازي الحسيني/ الناشر/ دار عمر بن الخطاب .

١٥- الإسلام والأسرة/ محمود بن الشريف/ مجمع البحوث الإسلامية / سنة ١٩٧٢م.

١٦- الإسلام وإقرار الأمن / د. أحمد عمر هاشم/ مجمع البحوث الإسلامية.

١٧- الإسلام دين الفطرة والحرية/ الشيخ عبدالعزيز جاويش/ الناشر دار الهلال.

١٨- الإسلام وبناء المجتمع الفاضل/ د. يوسف عبدالهادي الشال/ مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٢.

١٩- الإسلام والكون/ د. عبد الغني عبود/ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م/ الناشر دار الفكر العربي .

٢٠- الإسلام في الأدب العربي المعاصر/ د. إبراهيم عوضين/ مطبعة السعادة القاهرة/ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م.

٢١- الإتجاهات الفكرية في بلاد الإسلام/ جميل صليبا/ الناشر القاهرة سنة ١٩٥٨م.

٢٢- التلفزيون بين الهدم والبناء / محمد كامل عبدالصمد / الناشر دار الدعوة / الطبعة الأولى .

٢٣- التربية عند اليونان والرومان/ دكتورة/ فتحية حسن سليمان/ مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٦٨ .

٢٤- التربية في الإسلام / د. أحمد فؤاد الأهواني/ الناشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨.

٢٥- التبشير والإستعمار في البلاد العربية / د. مصطفى خالدي ، ود. عمرو فروخ/ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا ـ الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣م.

٢٦ـ آثار باحثة البادية / جمع وتبويب مجد الدين حفنى ناصف / تقديم دكتورة سهير القلماوي الناشر المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٢.

٢٧ـ الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالإستعمار الغربي/ محمد فهمي عبدالوهاب / الناشر دار الإعتصام .

٢٨ـ الحركة النسائية/ دكتورة إجلال خليفة . المطبعة العربية الحديثة سنة ١٩٧٣م.

٢٩ـ الحجاب / أبو الأعلى المودودى/ طبعة دار الفكر العربي .

٣٠ـ الحكومة الإسلامية / د. محمد حسين هيكل/ الناشر دار المعارف سنة ١٩٧٧م.

٣١ـ الحرية في الإسلام/ د. على عبد الواحد وافي/ طبعة وزارة التربية والتعليم.

٣٢ـ الحلول المستوردة وكيف جنت علينا/ د. يوسف القرضاوي/ الطبعة الثالثة/ مكتبة وهبة .

٣٣ـ الحب والجنس من منظور إسلامي / محمد على قطب/ مكتبة القرآن/ سنة ١٩٨٤م.

٣٤ـ أحكام المرأة في الفقه الإسلامي / د. الحجي الكردي.

٣٥ـ إحياء علوم الدين للإمام محمد أبي حامد الغزالي .

٣٦ـ الأحوال الشخصية للإمام محمد أبو زهرة / دار الفكر العربي .

٣٧ـ الأحكام الأساسية للأسرة الإسلامية في الفقه والقانون / د. زكريا البري.

٣٨ـ الحقوق الزوجية المشتركة في الفقه الإسلامي /د. محمد رأفت عثمان/ الطبعة الأولى ١٩٨٠ .

٣٩ـ الحكومة الإسلامية / د. محمد حسين هيكل .

٤٠ـ الاختلاط وما ينجم عنه من مساوئ الأخلاق / عبد الله بن زيد المحمود/ الطبعة الثامنة سنة ١٤٠٧هـ الناشر المكتبة القيمة .

٤١ـ الخلافات الزوجية صورها. أسبابها . علاجها / د. عبد الحي الفرماوي.

٤٢- الإختلاط بين الجنسين في نظر الإسلام / د. محمد عبد الحكيم خيال/ الناشر دار الدعوة .

٤٣- الرد على الماديين / د. محمد عبد المنعم خفاجي/ الناشر دار المعارف/ الطبعة الثانية .

٤٤- آراء في الشرعية وفي الحرية/ جمال العطيفي / الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤٥- الزواج في الشريعة الإسلامية/ د. على حسب الله/ الناشر دار الفكر العربي.

٤٦- السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية/ زياد أبو غنيمة/ الناشر دار عمان للنشر والتوزيع.

٤٧- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي/ د. على محمد جريشة، محمد شريف الزيبق / الناشر .

٤٨- الشورى في الإسلام/ د. عبد الغني محمد بركة/ مجمع البحوث الإسلامية.

٤٩- الشعر العراقي الحديث/ مخطوطة للشاعر جواد الشيتي.

٥٠- الصهيونية بين الدين والسياسة/ عبد السميع الهراوي/ الناشر الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣ .

٥١- أصول الدعوة/ د. عبد الكريم زيدان / الطبعة الثالثة/ دار البيان .

٥٢- الأعمال الكاملة لقاسم أمين/ دراسة وتحقيق/ د. محمد عمارة / الناشر المؤسسة العربية للطباعة والنشر سنة ١٩٧٦.

٥٣- أعلام الإسلام/ رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد على/ تأليف جمال الدين الشيال/ الناشر دار إحياء الكتب العربية/ عيسى البابي الحلبي.

٥٤- الغزو الفكري أهدافه ووسائله/ د. عبد الصبور مرزوق/ الطبعة الثانية/ الناشر إدارة الصحافة والنشر .

٥٥- الفتاوى للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت/ الناشر دار الشروق/ الطبعة

العاشرة .
٥٦- الفكر الماركسي في ميزان الإسلام / د. محمد رشاد بهنش/ مطبعة الفجر الجديد ١٩٨٠.
٥٧- الفلسفة الاجتماعية عند قاسم أمين/د. عزت قدري/ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ / الناشر مكتبة سعيد رأفت / عين شمس/ القاهرة .
٥٨- الفلسفة القرآنية / عباس محمود العقاد/ دار الإسلام بالقاهرة سنة ١٩٧٣م.
٥٩- إلى كل فتاة تؤمن بالله / د. محمد سعيد رمضان البوطي/ الناشر دار الاعتصام.
٦٠- المرأة ومكانتها في الإسلام/ الأستاذ أحمد عبدالعزيز الحصين/ الطبعة الثانية / الناشر مكتبة الإيمان .
٦١- المرأة بين الفقه والقانون /د. مصطفى السباعي/ الطبعة السادسة سنة ١٩٨٤م. الناشر المكتب الإسلامي .
٦٢- المرأة والتربية الإسلامية/ الأستاذ الشيخ محمد الأباصيري خليفة/ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ مكتبة الفلاح الكويت .
٦٣- المرأة والإسلام / أحمد زكي تفاحة /دار الكتاب العربي / بيروت - لبنان/ الطبعة الأولى .
٦٤- المرأة في القرآن/ عباس محمود العقاد/ الناشر مؤسسة دار الهلال / طبعة ١٩٧١م.
٦٥- المرأة الجديدة/ قاسم أمين / دراسة وتحقيق الدكتورة زينب الخضيري / الناشر سينا للنشر.
٦٦- المرأة المسلمة/ الشيخ حسن البنا / الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - الناشر دار الكتب السلفية بالقاهرة.
٦٧- المرأة والأسرة في الحضارة الغربية الحديثة / محمد عطية خميس / الناشر دار الاعتصام .

٦٨ـ المرأة في التصور الإسلامي/ عبد المتعال الجبري/ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥/ الناشر مكتبة وهبة .

٦٩ـ المرشد الأمين للبنات والبنين/ رفاعة الطهطاوي / الناشر مطبعة مصر سنة ١٢٨٩هـ .

٧٠ـ المرأة المصرية بين الماضي والحاضر/ أحمد طه/ مطبعة دار التأليف سنة ١٩٧٩م.

٧١ـ المدخل الإسلامي للطب/ د. إبراهيم عبد الحميد الصياد/ مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٨.

٧٢ـ المدخل لدراسة الإعلام الإسلامي/ د. عمارة نجيب/ الطبعة الأولى ١٩٨٢/ الناشر/ الفاروق الحديثة للطباعة والنشر بالقاهرة.

٧٣ـ المجتمع المسلم كما تصوره سورة النساء/ د. أنور شلبي/ الناشر الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة.

٧٤ـ المادية الإسلامية وأبعادها / د. عبد المنعم محمد خلاف/ الناشر دار المعارف الطبعة الثانية .

٧٥ـ المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام / محمد محمود الصواف / الناشر دار الإفصاح / السعودية .

٧٦ـ المؤامرة على المرأة المسلمة، تاريخ ووثائق / د. السيد أحمد فرج/ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م / الناشر دار الوفاء بالمنصورة.

٧٧ـ النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية / فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي/ الطبعة الأولى/ الناشر مطبعة الفيصل.

٧٨ـ النسائيات / بقلم باحثة البادية ملك حفنى ناصف/ الناشر مطبعة التقدم بالقاهرة.

٧٩ـ الوحدانية مع دراسة الأديان والفرق/ د. بركات عبد الفتاح دويدار/ الناشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

٨٠ـ بحوث في حاضر العالم الإسلامي /د. يسرى هاني/ مراجعة د. عمارة نجيب.

٨١ ـ تربية الأولاد في الإسـلام/ عبدالله ناصح علوان / الطبعة التاسعة سنة ١٩٨٥م.

٨٢ـ تحرير المرأة / قاسم أمين/ تحقيق ودراسة د. محمد عمارة / الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٧٦م.

٨٣ـ تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية/ د. عبد الناصر توفيق العطار/ مجمع البحوث الإسلامية.

٨٤ـ تفسير سورة النور/ أبو الأعلى المودودي / الناشر دار الاعتصام.

٨٥ـ تنظيم الأسـرة وتنظيم النسـل/ للإمام محمد أبو زهرة / الناشر دار الفكر العربي.

٨٦ ـ تنظيم الإسلام للمجتمع / للإمام محمد أبو زهرة/ الناشر دار الفكر العربي.

٨٧ـ تاريخ الإمام محمد عبده / الأستاذ محمد رشيد رضا.

٨٨ـ تربية المرأة والحجاب/ محمد طلعت حرب/ القاهرة سنة ١٨٩٩.

٨٩ـ تخليص الإبريز في تلخيص باريز/ رفاعة الطهطاوي / الناشر / وزارة الثقافة ١٩٥٨م .

٩٠ـ جذور البلاء/ عبدالله التل/ الناشر المكتب الإسلامي / بيروت.

٩١ـ حاجة العالم إلى النظم الإسلامية/د. عبد الخالق إبراهيم إسماعيل/ الطبعة الأولى ١٩٨١ الناشر مطبعة الأمانة.

٩٢ـ حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام / أنور الجندي / دار الاعتصام.

٩٣ـ حرية الإنسان في الإسلام/ الأستاذ بكر موسى / مجمع البحوث الإسلامية.

٩٤ـ حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة/ محمد ناصر الألباني/ الطبعة السابعة ١٩٨٥م .

٩٥ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه/ عباس محمود العقاد / الطبعة الأولى/ الناشر

المؤتمر الإسلامي سنة ١٩٧٥م.

٩٦- حقوق النساء في الإسلام / السيد محمد رشيد رضا الناشر مكتبة التراث الإسلامية ١٩٨٤.

٩٧- حقوق الإنسان في الإسلام / د. على عبد الواحد وافي/ الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر/ الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٩.

٩٨- حقوق الإنسان بين الإسلام والنظم العالمية/ توفيق على وهبة/ الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٩٩- خطر التبرج والإختلاط / الأستاذ عبد الباقي رمضون/ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ مؤسسة الرسالة .

١٠٠- دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام/ الشيخ عبد المنصف محمود/ مجمع البحوث الإسلامية .

١٠١- دستور الأسرة في ظلال القرآن/ أحمد فائز / الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة.

١٠٢- دفاع عن الإسلام دفع شبهات ودحض مفتريات / د. أمين أمين راشد.

١٠٣- دور المرأة المسلمة في المجتمع/ فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى/ الناشر إدارة الشئون المعنوية.

١٠٤- رفاعة الطهطاوي رائد فكر وإمام نهضة/ د. حسن فوزي النجار/ الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م.

١٠٥- زينة المرأة بين التشريع الإسلامي والواقع الإسلامي/ د. عبد الحي الفرماوي/ الطبعة الثالثة .

١٠٦- سيكولوجية المرأة / د. زكريا إبراهيم / الناشر مكتبة مصر/ القاهرة.

١٠٧- شبهات حول الإسلام/ محمد قطب/ الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٨م / دار الشروق.

١٠٨- شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية / الأنبا شنودة.

١٠٩ـ ضمان الجنس في الإسلام/ سليمان يحفوفي/ الطبعة الأولى ١٩٨٤ / الناشر الدار العالمية بيروت.

١١٠ـ ضمانات الحرية في النظام الإسلامي وتطبيقاتها/ د. منيب محمد ربيع/ مجمع البحوث الإسلامية.

١١١ـ عقبات في طريق النهضة/ أنور الجندى/ الناشر دار الإعصام.

١١٢ـ عظمة الرسول ﷺ/ محمد عطية الإبراشي/ الناشر دار القلم بالقاهرة.

١١٣ـ عمل المرأة وموقف الإسلام منه/ عبد الرب نواب الدين/ الناشر دار الوفاء بالمنصورة الطبعة الأولى .

١١٤ـ عمل المرأة في الميزان/ محمد على البار/ الطبعة الأولى سنة ١٩٨١ / الناشر الدار السعودية للنشر والتوزيع.

١١٥ـ عودة الحجاب ـ القسم الأول معركة الحجاب والسفور/ محمد أحمد المقدم.

١١٦ـ فصل الخطاب في مسألة الحجاب والنقاب/ درويش مصطفى حسن / الناشر دار الإعتصام .

١١٧ـ قاسم أمين: تاريخ حياته الفكري/ أحمد خاكي/ الناشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٣م/ الطبعة الأولى .

١١٨ـ قاسم أمين وتحرير المرأة / د. محمد عمارة / الناشر دار الهلال سنة ١٩٨٠.

١١٩ـ قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله/ جلال العالم/ الناشر المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع .

١٢٠ـ قصة البداية/ عبد الله ناصح علوان/ الجزء الأول .

١٢١ـ من شريعة الإسلام وسنته الزواج/ الأستاذ محمد إبراهيم إسماعيل/ محاضرات في النظم .

١٢٢ـ محاضرات في النظم الإسلامية / د. عمارة نجيب/ القاهرة سنة ١٩٨٠م.

١٢٣ـ مذكرات هدى شعراوى / كتاب الهلال/ القاهرة سنة ١٩٨١.

١٢٤- معركة التقاليد/ محمد قطب/ الناشر دار الشروق .

١٢٥- مع رائد الفكر الإسلامي الإمام عبد الحليم محمود/ تأليف محمد شلبي / طبعة دار الوحي للطبع والنشر والتوزيع .

١٢٦- مكانة المرأة في الشئون الإدارية والبطولات القيادية/ عميد ركن محمد ضاهر وتر/ مؤسسة الرسالة ١٩٧٩م .

١٢٧- منهاج المسلم/ أبو بكر جابر الجزائري/ الناشر المكتب الثقافي / الطبعة الثامنة .

١٢٨- مهلاً يا صاحبة القوارير / الدكتورة يسرية محمد أنور. رد على كتاب رفقًا بالقوارير لكريمان حمزة / دار الاعتصام .

١٢٩- نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام / ماهر خليل/ مجمع البحوث الإسلامية .

١٣٠- نظرية تقويم الفرد وتنظيم المجتمع في الإسلام / الأستاذ محمد مرسي عثمان/ مجمع البحوث الإسلامية .

سابعًا : مراجع أجنبية (مترجمة) :

١- أسرار الماسونية/ الجنرال جواد رفعت أتلخان/ ترجمة نور الدين الواعظ/ سليمان محمد القابلي / الناشر المختار الإسلامي .

٢- بروتوكلات حكماء صهيون / ترجمة محمد خليفة التونسي/ الناشر مكتبة دار التراث .

٣- تراجم مصرية وغربية / د. محمد حسنين هيكل .

٤- أوربا الجديدة حاضرها ومستقبلها / جورج لبختهم / ترجمة محمود حسن إبراهيم / الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢.

٥- قصة الزواج / وستر مارك / ترجمة عبد المنعم الزيادي.

٦ـ الكتاب المقدس / طبعة الكتاب المقدس .

ثامنًا : الأبحاث والدوريات والمجلات:

١ـ الأمومة في الإسلام/ سجل المؤتمر الذي أقيم من ١١ إلى ١٣ محرم سنة ١٣٩٩هـ المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر.

٢ـ بحث عن العقبات أمام المرأة المسلمة العربية/ من بحوث المؤتمر الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية / جـ١ نشرته دكتورة نوال السعداوي.

٣ـ دور المرأة في التنمية في الثمانيات / المؤتمر الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية / نشرته دكتورة نعيمة محمد .

٤ـ دائرة معارف فريد وجدي.

٥ـ دور الاستشراق في تغريب المرأة المسلمة/ د. عبد الفتاح بركة/ هدية مجلة الأزهر المحرم سنة ١٤٠٦ هـ .

٦ـ صحيفة اللواء القاهرية.

٧ـ في مسألة السفور والحجاب/ د. عبد الودود شلبي/ هدية مجلة الأزهر رمضان ١٤٠٤هـ .

٨ـ مجلة روز اليوسف .

٩ـ مجلة حضارة الإسلام / المجلد الثاني.

١٠ـ مجلة الدعوة السعودية / تحقيق نشر تحت عنوان : أطفال للبيع .

١١ـ جريدة الأهرام (القاهرة)

١٢ـ جريدة الأخبار (القاهرة)

١٣ـ جريدة الجمهورية (القاهرة)

تاسعا: رسائل دكتوراه وماجستير :

١- اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية / رسالة دكتوراه منشورة/ د. محمد عبد العزيز عمرو/ طبعة مؤسسة الرسالة / بيروت .

٢- الزواج في ضوء الكتاب والسنة / رسالة ماجستير / د. بليغ فتحي محمود (غير منشورة) . كلية أصول الدين بالقاهرة .

الفهـــرس

الموضــــــوع	رقم الصفحة

الإهداء ———— ٥

المقدمة ———— ٧

الباب الأول

ويندرج تحته فصلين : ———— ١٥

الفصل الأول

أتباع النفوذ الاستعماري وراء حركة تحرير المرأة ———— ١٧

موقف الصليبيين من الخلافة الإسلامية ———— ٢٠

١ـ المناداة بفصل الدين عن الدولة ———— ٢١

٢ـ نشر القومية للقضاء على الخلافة ———— ٢٢

٣ـ إسقاط الخلافة الإسلامية ———— ٢٣

إرسال البعثات إلى الخارج ———— ٢٥

١ـ رفاعة الطهطاوي ودوره في حركة تحرير المرأة ———— ٢٧

– نشأته ———— ٢٧

– سفره إلى باريس وعودته إلى مصر وأعماله التى قام بها ———— ٢٩

– دور الشيخ رفاعة في تعليم البنات وإصلاح المجتمع (أفكاره) ———— ٣٠

– دعوته إلى الاختلاط والتبرج ———— ٣٢

– دعوته إلى تقليد الغرب في الفنون ———— ٣٣

– إعجابه بالمسرح ———— ٣٤

– دعوته إلى فكرة الوطنية القومية ———— ٣٤

٢ـ مرقص فهمي ودوره في حركة تحرير المرأة ———— ٣٧

الموضـــــوع	رقم الصفحة
٣ـ قاسم أمين ودوره في حركة تحرير المرأة	٤٠
أ ـ موقفه من الكونت دار كير	٤٠
ب ـ تأثره بفكر الشيخ محمد عبده	٤١
جـ ـ قاسم أمين وتحرير المرأة	٤٣
٤ـ موقف الرأى العام من ظهور كتاب تحرير المرأة	٤٥
أ ـ موقف العلماء من قاسم أمين وكتابه تحرير المرأة	٤٥
ب ـ موقف الحزب الوطنى إبان صدور الكتاب	٤٦
ج ـ طلعت حرب وموقفه من صدور الكتاب	٤٧
د ـ موقف الشعراء	٤٨
هـ ـ قاسم أمين والمرأة الجديدة	٤٩
موقف الخديوي إسماعيل من الحركة	٥٢
وفاة قاسم أمين	٥٤
٦ـ الحركات النسائية ودورها في الدعوة إلى تحرير المرأة	٥٥
الحركة النسائية وثورة ١٩١٩	٥٧
هدى شعراوي	٥٨
مدى تأثرها بالثقافة الغربية	٥٨
دورها في ثورة ١٩١٩	٦٠
دور صفية زغلول	٦١
سيزا نبرواي ودورها في الحركة النسائية	٦٣
درية شفيق ودورها في الحركة	٦٥

الموضـــــوع	رقم الصفحة

الفصل الثاني

الدعاية والوسائل لحركة تحرير المرأة ———— ٦٩

أ ـ دعوة اليهود لتحرير المرأة ———— ٦٩

ب ـ وسائل الإعلام وسيطرة اليهود عليها ودورها في الحركة ———— ٨٠

١ـ الصحافة ———— ٨١

٢ـ التليفزيون وأثره في المجتمع ———— ٨٧

٣ـ صورة المرأة في التليفزيون ———— ٩٢

٤ـ السينما وأثرها في المجتمع ———— ٩٥

المحرك الأساسي وراء هدم العقيدة والأخلاق ———— ٩٩

الحلول الإيجابية أمام هذه الحركة ———— ١٠١

الباب الثاني ———— ١٠٧

الفصل الأول

مفهوم الحرية في نظر الإسلام ———— ١٠٩

معنى الحرية ———— ١٠٩

أقسام الحرية في الإسلام ———— ١١٤

١ـ الحرية الشخصية ———— ١١٤

٢ـ حرية التدين ———— ١٢٢

٣ـ حرية الرأي ———— ١٢٧

٤ـ الحرية السياسية ———— ١٣٦

٥ـ حرية التعليم ———— ١٤٠

أ ـ تصور الإسلام للعلم ———— ١٤٠

الموضـــــوع	رقم الصفحة

ب ـ العلم النافع والأصول الإسلامية له ــــــ ١٤٣

الفصل الثاني

المرأة في الإسلام ــــــ ١٥١

وضع المرأة قبل الإسلام ــــــ ١٥١

وضع المرأة في الإسلام ــــــ ١٥٢

الضمانات التى وضعها الإسلام لحرية المرأة ــــــ ١٥٣

أولاً: مساواتها للرجل في الإنسانية ــــــ ١٥٣

ثانيًا: مساواتها للرجل في التكاليف الشرعية ــــــ ١٥٧

ثالثًا: مساواتها للرجل في الحقوق المدنية ــــــ ١٦٢

رابعًا: تكريم الإسلام لها بنتًا وزوجة وأمًّا ــــــ ١٦٦

الفصل الثالث

حرية المرأة عند أدعياء التحرر ــــــ ١٩٧

إباحة الاختلاط وحرية المرأة ــــــ ١٩٧

أولاً: وجهة نظر أعداء الإسلام في إباحة الاختلاط ــــــ ١٩٧

ثانيًا: الرد على حركة أدعياء حركة تحرير المرأة ــــــ ٢٠٣

المطلب الأول : إباحة حالة الاختلاط وموقف الإسلام منه ــــــ ٢٠٣

نتائج الاختلاط ومساوئه في الغرب ــــــ ٢٠٥

موقف الإسلام من الاختلاط ــــــ ٢١٦

الضوابط التى وضعها الإسلام لمنع الاختلاط وصيانة الأعراض ــــــ ٢١٧

المطلب الثاني: خروج المرأة للعمل وتقليدها للمرأة الغربية ــــــ ٢٢٥

موقف الإسلام من تعليم المرأة ــــــ ٢٢٦

الموضــــــوع	رقم الصفحة

دور المرأة في عهد الرسول ﷺ ـــــــــ ٢٢٧

أولاً: مجال عملها في الدعوة إلى الإسلام ـــــــــ ٢٢٧

ثانيًا: مجال عملها في العلم ـــــــــ ٢٢٩

ثالثًا: مجال عملها في بيتها ـــــــــ ٢٣١

رابعًا: مجال عملها في الجهاد والغزوات ـــــــــ ٢٣٣

خامسًا: مجال عملها في المعاملات والحرف اليدوية ـــــــــ ٢٣٤

سادسًا: مجال عملها في المجالات الاجتماعية ـــــــــ ٢٣٦

الشبهات المثارة حول عمل المرأة والرد عليها ـــــــــ ٢٣٩

الباب الثالث

(خطة المؤامرة على المرأة المسلمة) ـــــــــ ٢٥٧

الفصل الأول

القضاء على الحجاب الإسلامي ـــــــــ ٢٥٩

الحجاب والشرائع السابقة ـــــــــ ٢٦٠

الحجاب بين الإسلام وأدعياء التحرر في العصر الحديث ـــــــــ ٢٦٣

التعريف بالحجاب ـــــــــ ٢٦٤

حدود قرار الزوجة في بيت زوجها ـــــــــ ٢٦٥

مناقشة أفكار أدعياء التحرر والرد عليها ـــــــــ ٢٦٩

الفصل الثاني

منع الزواج بأكثر من واحدة ـــــــــ ٢٨٥

التعدد والشرائع السابقة ـــــــــ ٢٨٨

أولا : التوراة ـــــــــ ٢٨٨

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

ثانيًا: الأناجيل ______ ٢٨٩

ثالثًا: تعدد الزوجات عند العرب قبل الإسلام وبعده ______ ٢٩٣

موقف الإسلام من التعدد ______ ٢٩٤

رابعًا: المبررات العلمية لمبدأ تعدد الزوجات في الإسلام ______ ٢٩٧

مصلحة المجتمع في مبدأ تعدد الزوجات ______ ٣٠٥

الفصل الثالث

الدعوة إلى تقييد الطلاق ______ ٣١١

أولاً: وجهة نظر أدعياء التحرر ______ ٣١٢

مناقشة هذه الأفكار ______ ٣١٦

الحكمة من وضع الطلاق بيد الرجل ______ ٣١٦

الحلول الإيجابية التى وضعها الإسلام قبل وقوع الطلاق ______ ٣١٨

موقف الإسلام من نشوز المرأة ______ ٣١٨

الآثار التى يترتب عليها وقوع الطلاق أمام القاضي ______ ٣٤٢

الآثار المترتبة على تقييد الطلاق في المذاهب المسيحية ______ ٣٤٥

المبررات التى تدعو إلى الطلاق ______ ٣٤٥

حق المرأة في طلب الطلاق ______ ٣٤٨

الخاتمة ______ ٣٥٥

المصادر والمراجع ______ ٣٦٥

الفهرس ______ ٣٨٣

الحروف - القاهرة - © ٥٧٢٢١٥٨

دار القبلتين للنشر والتوزيع
الرياض

